



7 et 8



الجزء السابع من سيرة الامير حمية بطل الواد الهمام الضرغام عنتر بن شدّاد أبى الفوارس الصناديد الشداد وهى سيرته الحجازيه



الجزء السابع من سيرة الاميرحية
بطان الواد الهمام الضرغام
عنتر بن شدّاد أبى
الفوارس الصناديد
الشداد وهى
سيرته
الحجازيه





(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين (قال الراوى) واذا بنجاب قد اقبل وهو غزل شردان ثم انه تم سائرا الى ان اتى الى بنى عبس وعدنان فاستقبلوه وعن حاله سألوه فقال لهم أيكم الملك زهير بن جذيمه فناداه الملك زهير ما خطبك من اين والى أين فقل ما تشاء فانا الذى تريد فقال له يا مولاى انا ارسلنى الملك النعمان وهو يقول لكم جهزوا العروس بافخر الملبوس لانه ارسل يخبركم مع عنتر فما أتاه خبر فقالوا له واين عنتر فقال لهم وحق النار ان له اكثر من شهرين من حين خرج من عندنا وقد انعم عليه الملك النعمان واعطاه نوقا وجمال

وخزبز

وفخر بزوان ابن عمه عصام وراءى وهو مقبل اليكم ووافد عليكم بالمهر فارس لوامعه المتجردة (قال الراوى) لهذا الكلام والامر المطرب الغريب فلما سمع الملك زهير ذلك الخطاب أخلع عليه وقال له سر أنت من يومك اليه فى الحال وبشره ببلوغ الآمال وارسال العروس بافخر مايكون من الملبوس ثم انه أنزله فى دار الضيافة ثلاثة ايام وبعد ذلك أخلع عليه ثانى مرة واعتذر اليه وسيره الى صاحبه بسلام فلما كان بعد أن سار النجاب بسبعة أيام وكان الملك زهير اشتهى ان يطلع الى العلم السعدى فعمل وليمة وجلس هو واولاده وشداد واخوه زخمة الجواد فاكلوا وشربوا وشداد فرحان بسلامة ولده عنتر قال فبينما هم فى الكلام واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار ثم انه انكشف عن رجال ابطال فالتفت الملك زهير الى اخيه خداش وقال له ائتنى بخبر هذا الغبار لانى اقول انه عصام ابن عم الملك النعمان فركب عند ذلك خداش فى مائة فارس وسار الى ان التقى بهم واذا هم من بنى لخم وجذام والمقدم عليهم عصام فلما رآهم خداش حياهم بتحية العرب فردوا عليه وارسل بعض فرسانه الى الملك زهير فركب فى سائر فرسانه وطلع لمقابلة رسول الملك النعمان فنادى شاس نعمت صباحا ياعصام ودمت فى الخير والانعام ثم تقدم اخوته وحيوا وسلموا وساروا حتى نزلوا على بنى عبس والملك زهير وقد التقاهم من بر الخيام وترحب بعصام فقال له عصام يامولاى ان الملك النعمان يسلم عليك وقد ارسل لك ألفين ناقة من انياق العصافير ومثلها حمر الوبر سود الحدق وألف جواد من الخيل الجياد الأصال ومن الخز والديباج ونوافس المسك حمل ومن ظرائف العجم شيأ

كثيرا وقد اعتذر اليك أيها الملك المحترم فقال الملك زهير والله
ان هذا شيء كثير ولولا كلام العرب ما اخذت منه عقال
ولا يظن انا نفتش على مال ولا نوال فشكره عصام على ذلك
المقال ثم انه امر اولاده بذبح النوق والاغنام وعمل الولائم
سبعة ايام ورو قوا المدام وقد طاب لهم المقام (قال الراوى) واذا
بحذيفة واخيه حمل واولاد بدر واخوتهم وسادات عشيرتهم قد
أقبلوا على بنى عبس فتلقوهم بالاكرام وانزلوهم فى الخيام وجددوا
الولائم لقدوم اولاد عمهم ثلاثة ايام وفى رابع الايام أخرج عصام
مهر اخت حذيفة فتسلمه منه وذلك من نوق وجمال وخز وبز ومال
ونوال وقد أمرهم ان يصلحوا احوالهم للمسير فساروا لهم ثلاثة
ايام الا وبنو فزارة قد اتوا بعروسهم فى هودج عظيم مجلل بالحرير
وكان الملك زهير قد اصلح هودجا عظيما لابنته وحلاه بالذهب
المكلل باللؤلؤ الرطب وكان أعطاه له عنتر من اول سفرته لما أتى
من عند كسرى واهداه هدية وهى قبة عظيمه (قال الاصمعى)
وقد أرسل معها مائة أمة من المولدات ومائتى عبد وعليهم ثياب
الديباج وقد خرجت فرسان بنى عبس وعدنان مع العروستين
وهما يلعبوا قدامهم بالرماح ثلاثة أيام ثم ان الملك زهير تقدم
ومسك بزمام ناقة ابنته المتجرده وقال لها يابنيه كنت عندنا
واحدة بين عشره وكنت عزيزه والآن اعز ولكن يا ابنتى انت
قادمة على ملك همام فكيف ما قدرت لينى له الكلام وابديه
بالسلام واياك ان يقع منك غليظ الكلام فاحفظى ذمامه
وامسكى كلامه وأعطيه كلاما رطيب ووصال حبيب وان كنت
سيدة بنى عبس ولك خدام فلا تكونى له الا من جملة الخدام حتى

انه

انه يودك ويرعاك ويحبك ولا ينساك واياك ان تنثرى فيه بالكلام
اوتبدى من غير تعجب ابتسام واحب ما يحب واكره
ما يكره وأنت فوق ذلك ولكن الوصيه نافعة يا بنيه فامضى
فى وداعة الله ثم انه اوصا عليها عشرة من العبيد كانوا مولدين
فى بنى عبس واذا رأوها فى ضيق يأتوا اليه ويخبروه ثم انه ودع
عاصما وولده شاس وأعطاله ذمام الناقة ووصا عليه حذيفة بن
بدر وقال لهم خذوا معكم مائة فارس فقال حذيفة لا والله ما نأخذ
أحدا فلا تتعب نفسك ولا فرسانك ثم ان الملك زهير ودعهم والنار
فى قلبه على ولده شاس لانه اقسم لا يتبعه احد من بنى عبس ثم انهم
ساروا وما زالوا سايرين الى ان قربوا من ارض العراق وهم فى بسط
وانشراح فارسلوا أعلموا الملك النعمان فاخرج اليهم عمر بن
حسان وسائر اخوانه وقد التقوهم وأكرموهم وساروا حتى
قاربوا الحيرة فخرج الملك النعمان الى لقائهم هو وسائر بنى لخم
وجذام وبنى بكر بن وائل وشكر وذهل ومره وثعلبة والنمر
ابن قاسط وشيبان والتقوهم وساروا الى المنازل والاوطان وقد
أخلع عليهم الملك النعمان الخلع الحسان وقدم لهم الخيل الجياد
والعبيد الاجواد وزادلهم فى الاكرام ثلاثة أيام وبعد ذلك شرع
فى الولائم فى ارض تسمى صحرات بنى بكر بن وائل وهى تسع اهل
الدنيا وكل القبائل ثم انه ارسل خلف المحبين والحلفاء والمتعصبين
فأتته الوفود حتى ملؤا تلك الصحرا (قال الراوى) وكانوا قبائل
مختلفه من سابر جنوس العرب مصريه وقحطانيه وقضاعيه
وخزاعيه وشيبانيه حتى ضاق بهم فسيح تلك الارض والصحارى
وكان النعمان ارسل الى بلاد الشام أحضر ألفين جمل مدام

وأرسل خلف خداوند يحضر وليمته ويجبر بخاطره فاتى اليه
بقيمة مكلة وسائر المعادن من در وجوهر وياقوت ومرجان وقد
كال له خمس تيجان وكل واحد يسوى ملك خراسان وجاب له
من الجمال البخاتي ألف وقد اكثر له من التحف قال الاصمعي
فعند ذلك طلع الى لقاه هو وسائر اخوته واولاد عمه من بني لخم
وجذام وسائر ملوك الانام فلما التقوا به نزلوا كلهم عن خيولهم
وترجلوا وقبلوا رجل خداوند في الركاب فحلف عليهم ان يركبوا
خيولهم والدواب فركبت سائر الاعراب بعد ان اخلع على
المقدمين والسادات ثم انهم رجعوا الى الاطلال ونحروا
الاغنام مع الطيور ورفقوا المدام وسكبوا الخمور وعملوا صحبة
ثلاثة أيام وبعد الثلاثة ايام عملوا وليمة طامة لجميع العربان من
القبائل لعدي وشيبان وبني لخم وبني مالك وبني الصعب وبني
الظعن وبني العوز وثعلبة وسهل وعكاية واسد وبني جندب ومره
وغيلم وربيعة الفرس وبني تميم ابن مره وبني دارم وحنظلة
والبراجم والمربان وسعد وبني يربوع وبقفر والالهادم وعصام
ومقاعس وبني نويره وثعلبة ومازن وبني نهشل والاجمال
ونقعس وكل هؤلاء طوائف تميم ابن مره (قال الراوي) وقد
أتت الى الملك النعمان من سائر القبائل وقد نحر الملك النعمان
في هذه الوليمة عشرة الآلاف ناقه وخمسين ألف راس من الغنم
وشيأ كثيرا وذبح أخوه الاسود ألف ناقه وعشرة ألف راس
من الغنم وشيأ كثيرا من الطيور واصنافها وذبحوا مائة اسد ومائة
لبوة أتت بها الرجال من الآكام والجبال وقد احضر الملك
النعمان سادات العربان وأخلع عليهم الخلع الحسان وقد كسي

الارامل والايتام ودعوا للملك النعمان بالعز والنصر ورفعة الشان وداموا على كل الجزور وشرب الخمور سبعة ايام (قال الراوى) وبعد ذلك حملوا المتجرده وأجلوها عليه وكذلك زفوا اخت حذيفة بن بدر على الملك الاسود ودخل الملك النعمان وأخوه الملك الاسود على بنات عربيات يخجلن الشموس والنجوم الزاهرات وهن يحاكين البدور الطالعات وقد زادوا على البدور ملاحه وصباحه ومبسم ونور بحسن قوام وغنج وابتسام فسبحان من خلقهن من نطفة وسواهن من قدرة وقال للشيء كن فيكون فتبارك الله أحسن الخالقين (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام هذا وقد انبهر الملك النعمان مما قد رأى من جمال المتجردة بنت الملك زهير العبسيه وكان يعشقها على الصفه والسماع وكلما ذكروها يغيب عن الوجود من شدة الغرام فلما رآها حار من حسنها وجمالها وأخذه الانبهار ثم سار كأنه مجنون من حسن تلك العيون واختلا بها سبعة أيام ليلا ونهار وهو معها فى اكل وشرب ولذة وطرب ومسره ووصال حبيب بالف حسره (قال لاصمعى) وبعد سبعة ايام قالت المتجردة يا ملك وسيد ملوك هذا الزمان أى شىء فعلت مع أخى الملك شاس وما صنعت فى حقه وعملت معه من الاعمال فقال لها وحياتك يا حبيبة القلب انى نسيته وانى بدهشة جمالك صرت كانى ما عرفته ولا لقيته ولكن هذا الوقت أمضى اليه وانعم عليه ثم ان الملك النعمان خرج الى محل مملكته وارسل احضر الملك شاس وامر أخا الملك الاسود أن يحضر حذيفة بن بدر ويهاديه ويعطيه نسا را لملك الاسود من وقته وساعته ثم انه احضر أصهاره

وأعطاهم وانعم عليهم من الخيل والجمال والنوق العصافير
الغوال والثياب الفاخره من الخز والديباج العوال (قال الراوى)
لهذا الكلام ياساده ياكرام فهذا ما كان من أمر الملك الاسود
واصهاره واما ما كان من أمر الملك النعمان وماجرى له مع صهره الملك
شاس فانه التفت اليه وقال تمنى على ماشئت يا ابن السادة الكرام
ولك اضعاف ماتتمناه وحق الملك العلام فقال له شاس اعلم
ياسيد ملوك هذا الزمان من قحطان وعدنان ما أريد غير
سلامتك ياملك الزمان وعافيتك على ممر الزمان واكبر مرادى
وامنيتى ان يكون لك عدو فى العربان حتى انى أملكه بالسيف
والسنان (قال الراوى) لهذا الديوان فعند ذلك أحضر الملك
النعمان من خزائنه جواهر وياقوت ودرر وقال له وحق آباءى
وأجدادى الكرام والنار المضيئه ان تتمنى على أمنيه فقال
يامولاى أعطنى طيب وعنبر ومسك اذفر فقال النعمان أوقروا
مائة جمل عنبر وطيب ومسك اذفر وظرائف العراق فقال
شاس لا وحق البيت الحرام ماينبغى غير حمل مطيتى طيب لان
ياملك الزمان من يصاهر لا يناكر ولا يخاصم ولا يصادر فقال النعمان
أنت حلفت ان توقرها طيب فنحن نوقرها لك ذهب صبيب فقال
شاس لا وحق الاله القريب لا يتبعنى من عندك غير حملها طيب
ولا يكون لزهير بن جذيمة نصيب فبينما الملك النعمان مع
شاس فى ذلك الكلام واذا بحذيفة وأخيه حمل حضروا وأقواما
الى حضرة الملك النعمان فانعم عليهما وأوصى بهما شاس وبعد
ما أوصاهما ركب هو والملك الاسود وسار سادات القبائل حتى
يودعوا شاس وحذيفة وبعد يومين حلفوا عليهم ورجعوهم

وقد

وقد أوصوا حذيفة وأخاه في شاس فقالوا يا ملك الزمان توص
بابن عمنا وهو كاشف همنا وغمنا ولو قدرنا جعلناهم في سواد
أعيننا قال الاصمعي ثم رجع الملك النعمان وعساكره وسار بنو
فزارة وحذيفة وشاس حتى وصلوا الى غدير يسمى غدير بغيض
ابن الاملوس فنزلوا وباتوا ومن الصباح قد رحلوا وطلبوا الديار
والاماكن وهم يتذاكرون أخبار الولائم فقال حذيفة والله ان
الاسود عمل وليمة لم عملها النعمان ولا يقدر عليها أحد في هذا الزمان
(قال الراوي) فقال له شاس ولماذا يا حذيفة قال لانه ذبح ألفين ناقة
وخمسة عشر ألف رأس من الغنم فقال شاس وأي شيء الذي
ذبحه النعمان قال حذيفة دونه يا شاس قال شاس كذبت
يا حذيفة لانه ذبح أربعين ألف رأس من الخيل والجمال والنياق
شيئاً لا يعد ولا يحصى ويملأ الآفاق وأخلع وأوهب وفرق
الفضة والذهب وفعل ما لا يفعله أحد (قال الراوي) فقال
حذيفة والله يا شاس انك تعديت وما انصفت وبغيت
وصار بنو فزارة يؤيدون كلام حذيفة ويكذبون كلام شاس
فصعب عليه وكبر لديه وقال والله يا حذيفة أنت وبني عمك
تعديتم وفي قولكم كذبتم وبغيتم وتكلمتم على قدرهوا كم
فقال حذيفة وكان جاهلاً خسيفاً خبيثاً أوهج أهوج مجنوناً
ظالماً قليل الانصاف ماله شغل غير البغي والاسراف كذبت
يا شاس وان لم تسكت لارمين منك الرأس وأخمد منك الانفاس
واهدم منك الاساس (قال الراوي) فقال شاس ويلك يا حذيفة
أو لي تهدد بهذا الكلام وأنا وحق الملك العلام ما كذبت عمري
في كلام ولا حدت عن الزمام وان زدت علي في كلامك قطعت

بهذا الحسام هامك قال الاصمعى ولما سمع حذيفة هذا المقال
قامت فى أم راسه مقل عينه وتغيرت حواسه وكاد من شدة
جهله وحماقته وقلة عقله أن يمزق ما عليه من لباسه وجذب
على شاس حسامه وحمل عليه بجهله وقوة اهتمامه فلما
رأى شاس هذه الامور حار وأخذه الانبهار وجذب حسامه
وهجم على حذيفة وتقابضا باللحا وكل منهما لامر غريمه لحا
وأراد أن يتباطشا فدخلت بينهما بنى فزارة وفرقت بينهما
وأبطلوا الغارة بعدما قد تهامروا وابرقوا وأرعدوا وافترقت بينهم
اولئك الرجال وقال حذيفة يا شاس ويلك يا ابن زهير امض
عنا فى دربك أنت وعبدك فلست لنا برفيق بعد هذا الشر
والتعويق قال الاصمعى فصعب ذلك على شاس وقال قبحك
الله بين الناس هكذا تقول بين الاعمام فلا كنت بين الانام
وأنا وحق الملك العلام وخالق الضياء والظلام ما عدت لك برفيق
ولو عدمت التوفيق فاما أن تسيروا أمامى وأنا أسير امامكم
فقال له رجل شيخ كبير منهم يا ابن زهير نحن لا نفارقك فأنا وبنو عمى
هؤلاء العشرون فارسا نرافقك ولا نسيبك وحدك كرامة لاهلك
وقومك (قال الراوى) فقال له شاس لا والله يا عم لا سرت
الا وحدى ولا رافق الا عبدى فقال الشيخ بئس والله
ما فعلت يا حذيفة بتركك ابن عمك فى هذا البر والفدفد ولا معه
من بنى عمه أحد فوحق الفرد الصمد لا عدت أنا الا آخر وافقت
منكم أحد (قال الراوى) وكان هذا الشيخ اسمه بجيد ثم انه
سار وحده وقال لشاس يا ابن العم أنا ماضى الى سعد العشيرة
ابن ضبية فسر معى حتى أهديك الى الطريق ومن هناك سر

وحدك

6

وحدك ومعينك ربك (قال الراوى) فسار نجيد وشاس ذلك النهار ومن الليل نزلوا على احياء بنى غيلم ومن الغد ساروا فى بر انفر ومهمه اغبر الى أن حميت الشمس وقد أتوا الى فم الوادى فعندها افترق القوم فقال نجد اسمع منى ياشاس واتبعنى انزل بك على اخوالى بعد سعد العشيرة فذا كل ضيافتهم ونبيت فى حلتهم وأ كون أنا وأنت رفقة لان قلبى خائف عليك ياشاس فقال له ياعم امض الى حال سبيلك فوالله لارفقت احدا فمر مصاحب السلامة والخير فقال له الشيخ ياولدى المقدر كائن واذا نزل البلاء والقضاء عمى البصر ثم ودعه وسار شاس وهو يقول هذه الابيات

يقول نجيد لما سار عنى * أخاف عليك من شر البوادى
الم يعلم بان الله حق * فمن يرد قضاه عن العبادى
فان قدر على أموت قتلا * فان قضاءه حقا نفادى
فلالاقيت خيرا يا ابن بدر * ولا صادفت فى طريقك رشادى
لانك ياردى بغيت فعلا * ردى الطبع دوما للعنادى
بغيت على ابن عمك فى قفار * وقد امسا غريبا فى البلادى
ورمت قتاله من غير ذنب * فسار مغاضبا لك فى انفرادى
ولم ترع له ابدا ذماما * فسار بلا رفيق وهو غادى
ولكن أنت جبار عنيد * بطول الدهر تسعى فى الفسادى
فان ارجع الى قومى فانى * اجازيكم على رغم الاعادى
وانى است ارجوا لى رفيقا * سوى رمحى وسيفى مع جوادى
هموا انسى ورفقائى وعزى * ومن اصفيتهم ابدا ودادى
فسر لاسرت من نذل لئيم * كثيرا شره وغدا وكيادى

(قال الراوي) ياسادة فمازالوا سائرين كل واحد منهما في طريق
هذا يمين وهذا يسار الى أن وصل نجيد الى مبارة وشاس سار
يجد السير طالبا أرض بني عبس وعدنان فهذا ما كان منهم
(قال الاصمعي) وأما ما كان من أمر الملك زهير فانه لما أرسل
ولده شاس الى العراق وافتقد ولده الحارث فقال له اخوته
هو عند اخواله بني الشربة في صيد وقنص فقال قيس والله ليس
هو عند بني عامر ولكن أنا ارسل اليه عبدي يكشف خبره فقال
الملك زهير نعم الرأى ياقيس (قال الراوي) فبينما هم أرادوا أن
يرسلوا العبد واذا بنجاب يهب البر انتهاب فاستقبله بنو عبس
وقالوا له من أين والى أين فقال لهم أنتم من بني عبس فقال معي
رسالة من صاحب وحبيب فأتوا به الى عند الملك زهير فسلم
الاعرابي بتحية العرب وترجم ثم انه أخرج الكتاب وناوله
للملك زهير فأخذه وناوله لعروة بن الورد بحضرة سادات بني
عبس واذا فيه يقول بسم الله القديم رب اسماعيل وابراهيم
والسلام على الاخوات والاهل وانني واصل اليكم عن قريب
فاذا وصل كتابي فانعموا ولاقوا ركابي أنا وسائر أولاد عمي
وأصحابي ونحن سالمين غانمين ولكن اليكم مشتاقين وكان
ذلك من أسيد بن جذيمة ونصر بن سيار ومسروق بن راشد
وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق (قال الاصمعي) فلما سمع
الملك زهير ذلك الكلام أخذه الفرح والاستبشار ونادى
في بني عبس بالركوب للقاء المحبوب فركبت السادات من
بني عبس وسار الملك زهير بسائر أولاد جذيمة وأولاده وبني عمه
وأجواده بعد ان خلع على النجاب وكان اسيد غائبا في مكة له

عشر سنوات فأمر الملك زهير لأخاه خداش أن يأخذ مائة فارس وخمسمائة من الغنم وعشرين حمل من المدام وساروا يلاقوا اسيد بن جذيمة وكان الملك زهير قد ركب فى سائر بنى عمه واخوته واقرباه ونزلوا فى وادى الظباء وساروا ضحية النهار بها وما زالوا سائرين ثلاثة أيام فنزلوا فى وادى كثير الزهر وقد جرت فى ارجائه الانهار وكان يسمى مرج اليعفور ووادى السرور فنزلوا فيه واذا هم بمطايا مقبلة والى نحوهم سائره (قال الراوى) فساقت الى نحوهم الفرسان واذاهم أسيد بن جذيمة ومن معهم من الفرسان فحياهم باحسن التحيات ثم استقبلهم بأحسن استقبال فتعانقوا وتصافحا وساروا فى تلك الفلوات وهم فرحين وباتوا تلك الليلة فقال أسيد ما فعلت بفرسى الوكا فقال كما تحب وترضا يا ابن أبى ثم انه أمر بنى عبس فحضروا بها مسروجة ملجومة فركبها أسيد بن جذيمة وكان له عشر سنين ماركب جوادا ولا هجين وكان رأى تلك الارض وفيها الوحوش سائبات وكان أسيد لما رأى ذلك فطرد فحل غزال حتى لحقه طعنه أرماه ونزل اليه فذبحه ثم ركب فرسه وحضن شجرة طلح كانت هناك ولم اغصانها وبكا وأن واشتكا وأنشد يقول شعر

العمر فان والزمان عجيب * وكذاك فى عقب الشباب مشيب
هيهات هيهات أيرجع ما مضا * وترجع أوقات على تطيب
لله أوقات بقرب قد مضت * فى مرج يعفور بقرب حبيب
حياك ياوادى الاراك تحية * وسقاك هطال يسح صبيب
ماطاب عيشى من زمانى برهة * حتى رمانى بالفراق قريب

فتركت لذاتي وأهلي والربا * من بعد احبابي وصرت غريب
يادهر هل تسمح لنا بتواصل * ويعود غصن الو وهو رطيب
ياحب ذا وادالاراك وبعفر * ولياليا مرت بغير رقيب
غريب ومسكين وطالب حاجة * فيارب كن عونا لكل غريب
قال الاصمعي ثم انه بكى حتى انتلت لحيته وفي تلك الساعة أقبل عليهم خداش بن جذيمة بالنوق والمدام وكان مع زهير ثلاثون فرس تركبها فرسان اقرانه وعشرة أخوته وعشرة اعمامه وعشرة من سادات قومه وكانوا حاضرين ولا غائب منهم غير الحارث وشاس فلما نزلوا نحروا الذبائح وروقوا المدام بعد الطعام ثم انهم أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وتذاكروا أياما مضت في أيام الصبا فطابت أوقاتهم ودار المدام بينهم وتناشدوا أخبار العشاق ثم تذاكروا الحرب والكفاح ثم انهم باتوا في ذلك الوادي تحت شجرة الاراك ومقابلها شجرة طلح ثم التفت الى أخيه وكان المكان خالي مافيه غير أولاد زهير وقال له يا أخي سألتك الله وبلين أملك الا ما اخبرتني خبر الاراك والطلحة والبان التي عانقت اغصانها فقال لهم اعلموا يا أخواني أنني كنت في زمن شبابي وأنا خالي من الهم والغم وكان نديمي أخي هاني وابن عمي بشر النعماني فيوم طلبنا الصيد والقنص فركبنا وسرنا نحو البر الاقفر واذا بغزالة من الحمر الوحشية وسرب من الغزلان فطلقنا نحوهم الاعنة فرأيت بينهم فحلا اقرن وهو يكر على سرب الغزلان كما تكر الفرسان وهو معجب بنفسه فاطلقت عناني خلفه ومازالت الى ان حميت الرمضاء ثم التفت فلم أجد من أصحابي أحدا فطلبت الغزال فهرب مني ومازال يجري الى أن

دخل الى وادى الاراك ومرج اليعفور واذا بحى يحير الاذهان بقامة
الفيه وطلعة مضيئة فلما رأيتها يا أخى سلبت عقلى فناديتها يا زين
الدلال لعلك تسقينا شربة من الماء لنطفى لهيب الحر والظمأ فقالت
يا وجه العرب أبشر بالماء والقرا فقد وجب حقك علينا انزل
واسترح فقد أهلكت الجواد المليح فما صدقت بذلك الكلام
وقلت لها يا بنت الكرام أخرجى لى هذا الذى قتلنى بسلام فقالت
انه صار فى جوارنا وتحت ذمامنا وعندنا غيره ثم انها أحضرت لى
لبنا وعسلا وقالت دونك والسويق فبرد فؤادك بلا تعويق
فشربت منه شيأ الذ من الروح اذا عادت الى البدن ثم طلبت الراح
فقدمت لى وسادة وطراحه فاردت النوم فقدرت فقامت
الى قدرها وقد أصلحته وكان عندها لحم طرى فوضعته فى القدر
ساعه واذ بشيخ الينا أتى فلما رآنى مال الى فصيل فنحره ثم قربه
الى عند ابنته ثم جلس يحادثنى فقال لى حييت وحيتك اللات
والعزى من أى القبائل أنت فقلت أنا أسيد بن جذيمة بن رواحه
العبسى سيدى بنى عبس وعدنان فقال سيد كريم وفتى عفيف
شريف فقلت له وقد زال الحيا من وجهى يا سيد قومه من تكون
من العربان الكرام فقال نحن حلة من بنى شميخ بن عثمان
ابن مزينة وسيدنا الاسات بن عاصم فقلت وهذه الفتاة ابنتك
فقال يا بنى انها ابنيه من ذوات الخدور وان طلبتها فهى أمة لك
بالفرح والسرور وأنا أيضا عبد مأسور ثم انه قام وأحضر جماعة
من أجاويد بنى شميخ فحضروا ثم ان الشيخ قام على قدميه وقال
يا بنى عمى الست انا واصل بن مسرور ونسبى بينكم مشهور وأنتم
تعلمون هل أنت الخطاب اليها ورديتهم من بنى عمنا أحق ذلك

أم لا فقالوا والله انك صادق وليس فى كلامك باطل فقال
يابنى عمى وأنتم تشهدون انى عبد لهذا السيد اسيد بن جذيمه
وابنتى لدامه ومن يقف له فى الخدمه فقلت ياسادات العرب
انى قبلت كلامه وهى حرته المامونه ثم انى قلت له أنكحنى
كريمتك على نقد وقدره مائة ناقه اليك منساقه ومائتين جواد
من افخر خيول العرب فهل ترضى بهذا الكلام أيها الاسد
الضرغام فقال رضيت يا ابن الكرام وحق الملك العلام وعند
ما شاهدت طلعتك أحببت أن تكون سلما ابنتى مطيتك ثم انه حط
اليد فى اليد وقد صرنا على عهد فقمت يا أخى من ساعتى
واشرتهم فى قصتى وقد اوعدتهم انى من الفدا كون عندهم
وآتيهم بالنعم والصداق الذى ذكرته تقدم وعبرت الى الخيام
اقتطعت من مالى مائة ناقة تمام ومائتين من الاغنام وقدر
عشرين ثوبا من الديباج ومائه من الذهب الوهاج وشىء من
الطايب وخز وبز واربعة من العبيد من اجل سوق الانعام وصبرت
حتى جن علينا الظلام وركبت جوادى وخرجت من الخيام ولم
يرنى منكم أحد والعبيد قدامى حتى بقيت ظاهر البيوت
وتوكلت على الحى الذى لا يموت وطلبنا البر والسباسب حتى
اشرفنا على المضارب فاصبح الصباح ولاح الضياء فى البطاح
الا وقد بان لنا من بين أيدينا خيام وقباب واعلام وهم لبنى
شمع بن عثمان من مدينة قريش وتلك البطاح وكانوا أحسن
العربان ونساؤهم تفوق الحور والولدان فكنت أنا والشمس
بالسواء على خباء ذلك الشيخ فناديته فلبانى من غير مهل وقال
ماهذا يا ابن الكرام فقلت له هذا مهر ابنتك بدر التمام

وهو الذي قد ذكرته لك وضمنته في الكلام وهذه عشرة من النياق لاجل النحر في الخيام وهذه خمسون رأسا من الاغنام غير ما يخصك من الانعام وذلك من أجل الولائم والطعام فقام الشيخ من وقته وساعته الى مقدم قبيلته وكان يسمى سبيب بن الوضاح وحضروا كابر الحلة رحبوا بي وفرحوا غاية الافراح وقد قالوا له سعدت الآن يا واصل وصار نسبك بنسب بني عبس متاصل وها انت صاحب الحسب والنسب دون سادات العرب ثم اننا تعاقدنا ثانيا على المهر والصداق وقد نحروا من تلك النياق وكذلك الاغنام وقد روّجوا عندهم الطعام ودوّقوا آنيات المدام ثم انهم يا اخي أدخلوني على سلما فكان دخولي عليها تحت هذه الشجرة الاراك وهذه الطلحة التي بذاك ثم تكفكفت عينا اسيد بالدموع الا انه اظهر الخشوع وقد ناداه أخاه الملك زهير وكان قد اشتاق الى كلامه كثير وقال له ثم ماذا كان يا أخي من الامور التي جرت فقال اسيد يا أخي لما دخلت عليها فوجدتها درة ما ثقبت ومطية ما ركبت فازلت بكارتها يا اخوان بعدان اطلقت العنان وقومت السنان وطعنت به في حومة الميدان وقد بت تلك الليلة نشوان كأني كسرى صاحب الايوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان وقد زادت محبتها عندي وأنا كذلك حتى كاد كل منا ان يشرف على المهالك ثم اني اقمت عند صهري سبعة أيام وبعد ذلك ودعته ومضيت من عنده الى أن وصلت الى الخيام فرأيت أبي واخوتي يتحسرون على غيبتي وقد اقلبوا البيدا خوفا علي من شر العدا فلما ان رأوني قاموا الى واستقبلوني وفرحوا بسلامتي وسألوني في أي ارض كانت اقامتي

ثم انى دخلت الى الخيام وأقمت معهم ثلاثة أيام وقلت لهم أنا ماضى الى بنى غطفان واقيم عند سيدهم حسان برهة من الزمان لانهم أولاد عمى وبهم يزول همى وغمى لان لى أياما وأنا بهم ولهان وقد زادت بى الاشجان ثم انى مضيت أنا وعبدى بعد ما أخذت معى هدية طيبة عظيمه وكان لها قدر وقيمه وهى تصلح للحبيب وفيها شىء من المسك والطيب وسرت فى ذلك البر الطويل فوصلت الى بنى شمخ نصف الليل فوجدت سلمانى من المنتظرين فأخذتها فى حضنى وبقينا آمنين ومازلنا على ذلك الكرم هكذا عشرين يوما بتمام فاحست منى بحملها وزادها شغفها فقالت لى يوما من الايام ويحك يامولاى الاما تبلغنى مناى فهل سمعت من بعض الحاسدين ان فى نسبى يشينى لم لا تعلم بى قومك وتأخذنى معك فى يومك حتى ينتهى كمل حظنا ويجتمع شملنا وتبقى اهلنا خلان ونقيم مع بعضنا فى الاوطان ونصير بها قطان كما تفعل أجاويد العربان فقلت لها والله ياسلمان قولك مليح ورأيك صليح لانى كنت اخاف من عتب اخوتى وابى لانهم يقولون لى تزوجت ولا أعلمتنا ولا عزمت علينا ولا أكرمتنا فبكت وقالت انى أخاف الفراق لانى بالامس رأيت غراب نعاق وهو ينعق عن شمالى فبت تلك الليلة من دون الليالى وهى تضمنى الى صدرها وتبك وانى ياأخى تشكى ثم انها رأت فى كتفى دملج من ذهب وفيه صورة صنمين من حجر الهرمان وهو يسوى ملك خراسان فقالت أعطنى هذا الدملج عسى أبلغ به اربى واحتفظ به حتى يجىء من هو أعز من روحى وقلبى وقد أعنت بذلك عن ولدى فنفقت لها كبدى فسلمته اليها وقد حن قلبى عليها وقلت لها خلى بالك

فلابدلى من ذلك فقالت يامولاى لاتنس ودى فان قلبي قد أقلقه
الانزعاج وأخاف من الفرقة والهجاج فقلت لعن الله شيطانك
فاقصرى من همك واحزانك ثم انى نمت معها الى الصباح ولما أصبحت
أعطيتها الدملج فقالت تودعني فقلت ماهذا الفأل ياسلما وماهذه
الاشارات فقالت يابن الكرام لقد رأيت وحق الملك العلام
البارحة فى المنام وأنت قد أنحطيت على وأنت فى صفة طائر
فاقتنصتنى ثم صرت آدمى وعاشرتنى ثم أنى قعدت معك يومين
وفى اليوم الثالث قلت لى ياسلما امضى معى الى الديار فأجبتك
فقلت حتى أعلم أهلى وعشيرتى فكأننى مسكتك وقلت لك
أعطنى شيأ من أثرك فاعطيتنى هذا الدملج فاخذته وسرت الى أهلك
فلما مضيت فثار علينا من ناحية اليمن غبار أسود مظلم يشبه النار
وشىء هائل ظهر على النار فاخمدها وضربها برياحه فبددها
وطفى النار بعدما أحرقت الرجال الابطال ولم يبق الا أنا وأنت فلا
فنى ذلك السواد المظلم ومضى بنا الى اليمن اتانى آت وضرب ظهيرى
فخرجت من فرجى شعلة نار فاوهجت واسعرت ثم انها سارت
الى نحو الحجاز فطافت الى غدراتها جميعا ثم انها أتت الى مكانى
هذا وأنت وقومك هنا فلحقتكم جميعا وأخذتكم وعادت واذا
وقد ظهر علينا فيل اسود فاصطلا النار ذات الوقود حتى عادت
بعد ذلك فى خمود ثم انه أراد أن يبول على الجمر يطفيه واذا به قد صار
شمعة مضيئة فنورت عليكم وبقيتم فى نورها والفيل الاسود قد
خضع لكم بعد ماتجبر وأقلب وأرعد وأقلب الارض من أراضى
اليمن كانها يامولاى ارض بنى عبس وهى أرض شرحة واذا بنيران
أحرقت الارض والسهل والجبل وأحرقت كلما مرت عليه فلما

أقبلتم على النار أضرمت وأشعلت فهربت من قربها الرجال
وأحاطت بالنساء والاولاد والبنات من ذوى الجمال وإذا بالفيل قد
حمل على النار وخاض هزامها وهو يصب الماء من فيه فتخمد النار
ويذهب وقودها وقد بقى من النار شيء يسير فسار ذلك الفيل اليها
وجعل يأكل النار ويرش من ذلومته الماء ورأيت ذلك الفيل
ما زال يفعل كذلك أربع مرات والنار تأتى من قبل اليمن ورأيت
ذلك الفيل طالت ذلومته حتى انه على أرض الحجاز وتهامه واليمن
ونجران واليمامه وحضرموت وارمنت وبلاد الحبش والعجم والروم
وسائر التخوم وسمعت رجلا يقول لابد ان يبعث طه ويس
النبي العربي الرسول فيهدي الامه ويكشف الغمه ويذهب
هذه الظلمه بنور النورانيا فوزه كان له تابع فهذا منامي قصيته
عليك ولا أعلم معناه فقلت لها دعى هذا الهذيان والله ان هذه سيرة
طويله ليس لها أول يفهم ولا آخر يعرف وما أظن يصح هذا الكلام
ثم انها أشارت بهذه الابيات وهي تقول

رأيت مناما هائلا ذات اشكالى * وحربا وأرعادا شديدا وترحال
وبرقا يمانيا أتت لتهامة * وعاد على نجد بعزم وأشعالى
أصابت مع ابنا أبيك سعيرها * وأذهلكم احراقها أى اذهالى
وقامت كما غربا فعارض وهجها * من الغرب فيل قد حكا عشرا فيالى
لها شدة مع رعدة كصواعق * وصولة ضرغام على فقد أشبالى
وصار يدوس النار يطفى شرارها * ويأكل منها الجمر واللهب متعالى
الى أن بقى من جمرها فرد جمرة * وقد طفت الاشعال نار بسلسالى
فاشعل منها شعلة مثل أنجم * وقد أفرغت غصنا بزهر الرياحالى

فأنقذكم

فانقذ كم من حرها الفيل عامدا * وسار امام الجمع منكم بترحالى
الى أن أتيتم نحو ربع يمانيا * وكم فيكم وابالعجب برفل ارقالى
فصبتم بحجاجات ونار تاجت * ورعد وبرق زايدات باهوالى
وقد أحرقت ذاك الربا وشعابه * ونحن بتلك الدار والربع نزالى
وقد ضجت الابطال مما أصابها * وقد برزمنهم نسا واطفالى
فوافيتموا والفيل يهدر امامكم * وقد سال من زلومه الماء سلسالى
فمازالوا فى النار يحطم بطفيها * بجراتها غصبا ويظهر زلزالى
الى أن هذا تلك الجحاجذ كاشفا * وأخمد نارا ضرمت ذات اشعالى
وعدنا التقينا بعد دهر وغيبة * وقلبى لكم والله لم يك بالسالى
وعدنا رجعنا بعد بين وفرقة * ومعنا جواد أبيض أكحل عالى
جواد كريم خلفه قادمهرة * يمانية منسوبة العم والخالى
وهاذى أمور يا أسيد جليلة * مقدرة من مالك حكمه عالى
(قال الراوى) وكان اسيد يحكى لاخوته هذا الكلام وهم على
المدام وأسيد غائب من حين قتل أبوه فى البيت الحرام فلما فرغ
من قيد سلما فكفكفت عبراته واستعادت أخوته منه الحديث
قال فلما قالت لى سلما هذا المقال فقلت لها أقفى حتى أجيب من الحلة
المطايا والعبيد من بنى عبس وآخذك الى الديار فقالت أقف حتى
أودعك فان قلبى وعينى ما عادت تنظرك فان هذا المنام قد
ازعجنى وأحرقنى لذة الطعام وملأ قلبى حسابات وأوهام لكن
الامر لهاتقاد برفأقف لى ياسيدى ولا تبخل بالوداع وان سمعت
منى أردفنى خلفك وخذنى معك ودع المطايا والهوادج فان قلبى من
هذا المنام خائف فقلت لها اهجعى ياسلما ومن يقدر يرد القضاء
اذا نزل من السما لاتفزعى واصبرى للقضاء والقدر فان الامركله

بيد الله ثم أنشدتها هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

وأت في طيب الاحلام سلما * مناما ماله خبر صحيح

فكني ياسليما وامامأني * فان وراءك البطل الرجيع

لخلي عنك ذا الهذيان سلما * فبعلك سيد بطل رجيح

غدا يفدو بك الديار قوم * خيامهم واهل رحب الفسيح

وتبقى في امان مع سرور * بدار ربعها ربع فسيح

قال الاصمعي ثم اني حلفت لها اني لا أغيب عنها غير ثلاثة أيام ان لم يعقني عائق مرض أو حمام فودعتها وسرت فلما أتيت الى الاحياء فرأيت الحي منقلب بالنواح والشعور محلوله والخيول مهلوبه والنسا تعدد وتبكي فلما رأيت ذلك الحال أخذتني البهتة والخبال وسألت عبدا من العبيد عن هذا الحال فقال ياسيدي قتل سيدي جذيمة أبو سيدي عمرو فلما وصل خبره تبعه ولده عمرو على أثره فنزلت عن جوادي وكسرت رمحي وحثيت التراب على رأسي وأخذت في البكاء والانتحاب وعملنا العزا أربعة عشر يوم ثم سرنا بعد ذلك لاخذ الثار وقتلنا لرباز قاتل أبي ثم رجعنا الى الاحياء ونحن فرحين مسرورين بأخذ الثار فلما رجعنا أرسلت خلف بني عمي هؤلاء وهم نصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق وأعلمتهم امري وأودعتهم سري وقلت لهم أريد تروحوا معي الى وادي الاراك حتى آتي بزوجتي سلما فقالوا على الرأس والعين فركبنا وأخذنا معنا أربع عبيد وعشرين مطيه وسرنا في الليل من أوله نجد السير حتى أصبحنا وادي الاراك فرأينا الديار بلاقع والمنازل قفرا وآثار المعمعه والقتلى قد اكلت لحمها الوحوش فتحيرت من ذلك وقلت لاصحابي لقد حسن قلب

زوجتي سلمى بذلك الامر واخبرتني به ثم اني بكيت وانيت وقلت لصحبي انزلوا بنا لنرى آثار الحبيب قبل الرحيل فنزلنا وجلسنا نبكي واذا نحن برجل على مطية وهو قاصد الينا فسلم علينا وحيانا فسألناه عن بني شيخ بن عثمان فبكى وقال والله يعز علينا ما جرا لبني عمنا من القتل وسبي الحريم فقلت يا اخي كيف كان هذا الامر ومن دهمهم من الفرسان والسادات الاعيان فقال يا اخي نحن من بني خميس بن مزينة فسار بيننا وبينهم شأن فرحلوا عنا فسرنا اليهم بعد ايام واسترضيناهم وطيبنا خواطرهم وقلنا لهم عودوا معنا يا بني الاعمام الى الديار فأجابوا وباتت ساداتنا في ولائمهم الى الصباح واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وانكشف عن بريق صفاح وزرد وفرسان تنادي يا لعرب يا لقحطان ثم انهم بذلوا في أهل الحي السيوف وأخذوا الاموال بعد قتل الرجال ونهب الاموال وسبي الحريم والعيال وساروا مسرعين فسرنا ورآهم بالخيل الجياد فعادوا علينا وقتلوا منا عشرين همام وسمعنا بان الذي أخذهم من همدان ومذحج فرسان الطعان وفارسهم محارب الاسد عمران البارقي لانهم كانوا من ثلاث قبائل وهم خمسة آلاف فارس غير اتباعها فما قدرنا عليهم ولما كان الليل رجعنا بخيلنا عنهم بالخسارة ورحل بني قحطان بالتجارة وسمعنا بانهم باعوا النساء والاطفال والرجال يرعون الجمال فلما سمعت ذلك أخذني الانبهار وأنشدت هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

بهذا الربع قد كانت سليما * ولكن لست أعلم اين سارت
ولا أدري بأي الارض حلت * ولا هادي النوائب كيف دارت

لقد طارقت الى شمس تخيل * وقد دهمتهم مواصبحاو جارت
وفرق شملهم صرف الليالى * بفرسان طلوع الشمس غارت
فياريح الصبا بلغ سلامى * الى من فى الحشا النيران ثارت
سليمان تشكى وبها غرامى * واحشائى محبتها استخارت

(قال الراوى) ثم انى رجعت الى الديار وقد اسودت الدنيا فى عينى لاجل جذيمة سيد بنى عبس ثم انى أخفيت سيرى وقلت لاصحابى انى أريد البيت الحرام وأقضى العمر بين زمزم والمقام فقال لى نصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق والله يا أسيد اننا لم نفارقك ابدا وانما سرت سرنا معك ولو رحلت الى الربع الخراب من الدنيا تبعناك فأمرتهم ان يخفوا أمرى ولا يظهرون أحدا على سرى فسرنا الى الحى وأنا حزين رزين وقلت لك يا أخى أنا أريد اعتكف فى بيت الله الحرام واعبد الآلهة الكرام فقلت لى أنت وشأنك فسر أنت وخلانك فأخذنا من أموالنا ما نريد وأخذنا عشرة عبيد وعشرين ناقة وسرنا الى بيت الله الحرام ومكثنا به سكان وأرسلت من عبيدى ثلاثة دخلوا الى بلاد اليمن فداروا على سلمى فى أحياء اليمن فما وقعوا لها على خبر ولا رأوا لها أثر فقطعت منها ايأسى وقضيت أيامى بشدتى وبأسى فلى الآن عشرون عام وأنا مجاور بيت الله الحرام وقد قطعت من الدنيا الاطماع ومديت فى خدمة اله السماء الباع وقد رافقنى يا أخى هؤلاء السادة الاماجيد حتى صار لى عشرين عام وقد تركت سائر الانام الا الوجد والغرام فانى لمولاى شاكى ومن غرامى باكى وأكثر بكاى يا أخى على ولدى فقد ضاع وتفتت عليه

كبدى وأنا أعود لصاحب هذا البيت ان يجمع شملى بولدى وأهلى الى ليلة من جملة الليالى وكانت فى آخر شهر رجب فسهرت الى نصف الليل فأخذتنى سنة من النوم فنمت سبحان من لا ينام واذا بآت أتانى وقال كم يا أسيد تبكى أبشر بقرب الحبيب ونجل نجيب قريب لان لله فى ملكه اراده شقاوة وسعاده وفراق وبعده تلاق وبعده أبشر باللقا يا أسيد فقد زال الشقا فارجع الى مكانك فان المقادر تجمعك على خلانك فاذا اجتمع شملك فاشكر خالقك ورازقك ثم انى انتبهت وأنا فرحان وأخبرت نصير بن سوار ففرح ورجعنا وكان ملتقانا موضع فراقنا وأنا أسال رافع السبع الطباق أن يجمعنا الواحد الخلاق فى فرد مكان ولكن يا أخى قد خطر ببالى شىء أريد أعمله فقال زهير ماهو يا أخى حتى انى اساعدك عليه فقال قصدى أن آخذ خيلا وجمالا وأدخل اليمن فى صفة تاجر لى انظر سلمى فقال زهير والله يا أخى ان كلامك صواب ولكن حتى نتملا برؤيتك حينا من الزمان و بعد ذلك سر الى أى مكان شئت واعلم القضاء والقدر يفعلان شيأ لا يكون فى الفرضيات ثم ان الملك زهير ناول أخيه القدح فطاب له مجلس الشراب وأنشرح فرجع الى النفس الابية والنخوة العربية وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

رأيت فى طيب الاحلام سلمى * مناما فيه اهوال الاعظام
ونيران من الربع اليمانى * أتت الى نحو الحجاز لها ضرام
وقد لفحت ضحى سادات عبس * وطلبت منهم وارأس الشام
فعارضهم من الاقيال قيل * شديد البطش فى يوم الزحام
فأخمد سائر النيران قهرا * وعاد بشمعة تجلو الظلام

وقد احكت لنا سمرا طويلا * وأخبارا كثيرة على التمام
وقالت قم فسر لا آل عبض * ونأمن عندهم شر الانام
فقلت لما اعاود نحو عبس * وآتيك باقوام كرام
فسرت وقد بكت سلما وقالت * عليك الدهر يا أسدى سلام
ستبرجع نحو هذى الدار يوما * فلا تلقا الرحال ولا الخيام
فقلت لما فاهدى ثم قرى * فأنت مع زينة فى مقام
وسرت الى السرية باهتمام * لقيت جزيمة لقى الحمام
وقد حزنت عليه شيوخ عبس * وقد حزن الكبير مع الغلام
وقنا فى العزا سبعا وسبعا * ورحنا لاخذ ثار باهتمام
فأورثنا بنى الريان حربا * فلم ينجوا بغير الانهزام
قتلنا منهم السادات قهرا * وأخذنا الثار منهم بالحسام
وعدنا للديار فطالب سلما * وقلبى كل يوم فى انصرام
ركبت مطيتى وأخذت عشرا * مطايا بالرحال وبالزمام
وعشر عبيد للتحويل أيضا * وسرنا نحو سلما بانتظام
وعامر كان مع نصر رفيقى * ومسروق وطارقة الهمام
الى وادى الاراك نراه قفارا * به الغزلان تمرح فى الحزام
ولم القا بنى شمخ نزولا * ولاقوما كراما أو لئام
فألويت العنان وعدت باكى * وفى قلبى حرارات الغرام
ولم أعلم بسرى غير ربى * ولم أخبر سوى محيى العظام
ورحت مهاجرا من دار قومى * ورحت مجاور البيت الحرام
اقمت مجاورا عشرين عاما * لزمزم والحطيم مع المقام
وحرمت القيان وكل خير * وحرمت العقار مع المدام
الى أن كان فى ذا العام آت * أتانى مخبر الى فى المنام

قال

قال أبشر يا أسيد فسوف تلقا * لما ضيعت من عشرين عامي
ويجمع شملك الرحمن يوما * باحباب وسادات كرامي
فحرك ما كنا عندي قديما * وذكر في المنازل والخيامي
فسرت أقول يادهري عساهم * يعودوا الاشجى المستهامي
فسرت اليكموا والقلب يبكي * وصبري نازح والشوق نامي
فياسلما سقيتي عاديات * بدار العز يابنت الكرامي

(قال الراوي) فلما فرغ أسيد من شعره فاضت دموعه من عيونه فقال اخوته يا أسيد نحن نساعدك وندخل معك الى اليمن لعل أن تقع لما على خبر ودارت عليهم الكاسات وانبسطت السادات ولم يكن معهم أحد من بني زياد ولا من بني قراد الابني جزيمة وساداتهم ولم يزالوا يشربوا حتى أخذت منهم الخمرة مأخذها ورقد هبت عليهم نسمات السحر في جانب تلك الانهار فناموا آمنين لانهم في بلادهم سالمين وهم سادات عدنان فناموا الى أن أصبح الصباح واذاهم بالحبال في أرقابهم وهم مكتفين وقد ربطتهم الرجال على الخيل بالعرض وساروا بهم فالتفت الملك زهير الى أخيه أسيد وقال له يا أسيد لك عشرين عام تنظر في هذا المنام فلا باركت الاصنام فيه فما رد أسيد جواب فأجابه نصر بن سيار وقال يا زهير أعلم ان المرء مسير في أموره وليس هو مخير فاصبر فان لكل شيء سبب فاسئلوا هذه السرية من أي العرب هي فصاح نصر بن سيار وقال من أي العرب أنتم أخبرونا فقالوا ما أنتم الا من بني عدنان فقالوا نعم فقالوا لهم ونحن من بني القيان ولنا على فرسان عبس وعدنان ثار فقالوا ومن صاحب ثاركم فأومو الى زهير فقالوا ومن هذا قالوا زهير بن جزيمة وكان

معهم رجل شيخ قد عاش مائة وخمسين عام وكانت بنو عبس
أسرته في الطريق وأسراموالاهم بشر وكان يعرف بني عبس واحدا
واحدا وكان هذا الفارس المقدم على هذه السرية يقال له
نازح تربا في أبيات عباد ونشا مع ضميا وكان نازح أحسن مايكون
من الشباب فاحبته ضيا وأحبها هو أيضا ولا يزال يغزى على حلل
العرب ويجمع المال والمكسب حتى خافت منه جميع قبائل
العرب وكان رجل جبار يقال له جزيم بن فاتك من بني نعامه
وكان نازح في بعض غزواته فأتى جزيم بن فاتك وخطب ضيا
فرده عباد سيد بني القيان اقبح رد وقال له ياجزيم لو كان عندي
ألف كلبه ما أعطيتك منهم شعره أمضى لا أم لك فمضى من عنده
وهو غضبان وأتى الى بني عمه ولبس السواد وآلى على نفسه
انه لا يكلم أحدا من العباد فدخلت سادات قبيلته وقالوا مالك
ياجزيم لا أحزن الله لك قلبا ولا اعتراك ضيم لم فعلت هذه الفعايل
ونحن سادات ورؤس القبائل فما رد عليهم جواب لاخطأ
ولا صواب فقالوا له أيها الملك والله تعز علينا هذه الفعائل وان لم
تعلمنا بأمرك ومن ذا الذي من العرب قهرك فعند ذلك زفر جزيم
زفره واتبعها بحسره وقال ياقوم وأي شيء تنفع الشكوى
لمن لا يزيلها فقالوا له بحق الذي رفع السماء بغير عمد الا ما أخبرتنا
وكان جزيم مضطجع فقعد وقال لهم يامعاشر بني نعامة هل سمعتم
في بطون أسد بن دوران واحيائهم وقبائلهم وحلالهم وعشائرهم
أحدا قال ان في شيأ يعيبني في حسبي ونسبي فقالوا لا والله
ما سمعنا بمثل هذا أو أحدا قصدني في شيء وخيبته حتى امضي
الى كلب بني القيان عباد ذوا الجهل والفساد فيردني عن بنته

و يقول لى لو كان عندى ألف كابه ما أعطيتك منها شعره أخبرونى يابنى الاعمام عن أصل هذا الكلام فقالوا وقد غضبوا ولقتاله تأهبوا وقالوا سوف نفكره بكلامه ونذكره بعد ان مسك أولاد القطا وأذى بنى عمه سوف ترى يا ابن الكرام ماتفعل معه من الانتقام وكان هذا نازح قدر بنى فى أبيات عباد كما ذكرنا وكانت أمه سلما عندهم فى أعلا منزل لان عباد كان لا يعيش له أولاد فرزق ببنت فسماها ضيا الاجل قلة الاولاد وكان له ابن عم من كهان العرب ودهقانهم فقال لهم وقد رأى نازح وهو ابن ثلاث سنين يا عباد من أين لك هذا الولد الجواد أخبرنى وعلى سره أطلعنى فقال ياعم أنا أخبرك بخبره وهو أنى خرجت فى ليلة من بعض الليالى الى الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص وكان معى أولاد عمى فصادفنا فى البرخيل ابن عمرو و يزيد بن حذاق السكسكى فى ألفين فارس من السكاسك ومعهم صفن سبى وهو محزون وكنا صادفناه فى مضيق العجم فرأينا معهم غنائم لا تعد ولا تحصى ونوق وجمال وكان وقت السحر والقوم لا يلتفتون الينا من كثرة الغنائم فقطعنا منها فى مضيق العجم خمسين ناقة ودخلنا بها الى كهف كفرى قديم يساع ألفين نجيب وكنا فيه الى الصباح ثم خرجنا الى رأس الشعب لقيناهم سائرين وهم لا يلتفتون فخرجنا وسقنا النياق واذا نحن بامرأة سخمت وجهها ولبست الحداد والسواد على أهلها ومن قتل لها فلما رأتنى قالت يا ابن العم هل عندك عفة وللنساء العربيات صيانات فأننى قد قاسيت من السبى والغربة والتشتيت مالا قاساه احد فبالله عليك تستروجهى ولا تفضحنى وأنا أسأل آله السماء ان لا يفضح

لك حريم ولا يرميك فى يد غريم فارحم من فارقت ديارها وابدلها الدهر العجيب بعد الامان الخوف والتغريب ورماها الزمان وأحسن كما أحسن الله اليك لانى من كرام سادات الناس ولكن الدهر له نكبات ماقرب الاو ابعد وماجمع الا وفرق وان كنت للكرم تجيب فان خير الكرم أكرام الغريب وقد قيل فى الامثال كما تدين تدان (قال الراوى) فلما فرغت سلما من كلامها حتى جرت من الرجال العبرات وسحرت عقول الرجال بهذا الكلام الذى كأنه الدر النظيم فقال لها عباد ابشرى ياحرة بالستر والحما وكشف المضرة والعنا لانك وحق من له الاسماء العظام من أولاد السادات الكرام والله لاجعلنك بين أهلى وتكونى من بعض بنات الاعمام وتعيشى فى جوارى والزمام وأنت حرة من بعض احرارى مادمت سالم من الآفات وحق رب الارض والسموات مااسمك يابنت الكرام فقالت له سلما بنت واصل ابن سرور البطل المشهور من بنى شمخ ابن عثمان المزنى من مدينة قريش فقال لها كيف قدر واهؤلاء عليكم وانتم سادات شجعان فقالت له يامولاى أتوا النبابغتة ونحن فى وليمة أصحابنا وأقوامنا وساداتنا فرحين سكارى فما أصبحنا الا والسيف يلعب فى ساداتنا وصرنا لكل قوم عبرة فصار ماصار وهلك الصديق والجار (قال الاصمعى) فعند ذلك أخذ عباد لسلما وعاد الى قومه وبنى عمه فلما دخل على زوجته ورأت سلما بصحبته فغارت منها ولما علم عباد منها ذلك فقال لها ياأم ضياخذى اليكى هذه الجارية الغريبة الطريدة المسبية فاكرمى مثواها وبردى غليلها وحواها فانها الى من بعض الاخوات وحق رافع السموات

وهي في ذمامي فهما اكرمتيها بشيء فهو من اكرامي ففرحت
زوجته لما سمعت منه هذا الكلام وقالت لها ابشري يا ابنة
السادة الكرام بجوارنا والزمام فقري عينا فما يصيبك شيأ
فهدأ روع سلمى وقد كانت حاملة من أسيد فمكثت الى ان تكامل
حملها فأتاها المخاض والطلق باذن خالق الخلق فحضروا حولها
نساء الحي وقالوا هذه غريبة وعن أهلها بعيدة ومنا قريبة فحننهم
عليها يا محنن القلوب وكاشف الكروب واستغاثت بعلام الغيوب
فاستجيبت دعاها حتى وضعت ولدا ذكرا مثل القمر ابلج بطرف
اكحل ادعج فقالوا يا بنت الكرام ما تسمي هذا الغلام فقالت
اسميه نازح لانه لقلبي جارح ولعمري نازح عن الاوطان
والمطارح وقعدت سلمى تربيه في الدلال وكان بنو اغسان في كل
وقت يتواعدون على حرب بني عبس ويقولون لا بد من أخذ
الثار لانهم قتلوا بشر أبو عباد فاخفت أمرها وقالت هذا الولد
عبدكم وأنا لكم أمه ولما سألوها عن أبو هذا الغلام فقالت لهم
كان رجل من بني عمنا ومات لما طومتنا الاعداء وأحلوا بنا الرداء
وقد كانت ضيا أكبر من نازح بسنه وهي مثل البدر اذا اشرق
أو الغصن اذا اثمر وأورق فربي نازح مع ضيا في الدار في العز
والافتخار الى ان كمل له من العمر ثلاث سنين وكان عباد يحبه
محبة زائدة اكثر من ابنته لانه يتيم ولما كان في بعض الايام خرج به
عباد الى الغدير فرآه ابن عم له وكان يقال له عانق بن عفيف
الكهين فقال يا عباد من أين لك هذا الغلام فقص عليه
ما تقدم لامه من الكلام فقال الي به حتى أكشف لك أمره
وما يكون منه لاني أراه ولدا نجيبا فأخذه منه وعراه من لباسه وقد

غسله من الغدر وصبر عليه الى ان جفت اقدامه ومشاه على الرمل
وهز رأسه وقال يا عباد أو عالهذا الغلام لعل أن ينالنا منه الخير
ويبلغنا من اعدائنا المراد ويقهر الاعدا والحساد وهو الذى
يأخذ لنا بالثار ان أحياه الملك القهار ثم رجع عباد الى الاحياء
وقد زاد فى اكرامه وسلما كذلك ولا عاديا كل ولا يشرب الامعه
فى الحما ومازال نازح ينموا ويكبر وينشأ الى ان صار له من العمر عشر
سنوات وكان نازح هذا غلام مليح بقد معتدل رجيح بلسان
فصيح فكانت ضيا تحبه محبة زائدة واقسمت انها ما تريد أحدا
سواه ومن كثرة محبتها له كانت تراه عندها احلا من السكر
ولا تناديه الا ببا ابن العم ان غاب أو حضر الى ان كان يوم من بعض
الايام وهب له خاله عباد اغنام فكان نازح يخرج بها مع امه سلما
الى المرعى وكان أعطاه خاله عباس فرسا يقال لها المراوة وكانت
تلك الفرس عجوز عقيم لانها عاشت من العمر تسعين سنة وكانت
فرس بشر أبو عباد سيد بنى غسان وكان لما مات بشر حرم عباد
ركوبها وكانت وقعت اسنانها وانقطع نسلها فكان عباد
يطحن لها الشعير ويطعمها ويزيد فى اكرامها وهى منها تسرح ومنها
تعود فقال له نازح يا خالاه اريدك ان تهب لى المراوة حتى ابقى
اركبها الى المرعى وأعود فقال له خاله يا نازح المراوة لا يركبها
راكب وحق عينيك ولو كان سيف بن ذو اليزن ما كان لها
من الفرسان ولكن هى لك فارفق بها ولا تعنفها فانك يا نازح
عندى عزيز ثم ان نازح أخذ المراوة وصار يركبها الى المرعى
ويلعب عليها بالقصب الفارسى ويطعن الشعير وكانت المراوة
جواد أصيل فصارت تعلمه الجولان والفروسية وكان فى حى

بنى

بنى القيان جواد يقال له السكاب وكان الآخر أجود خيول
الاعراب وقد كان فى المرعا ذلك اليوم مع عبد من عبيد
صاحبه فلما رأى المراوة صهل وانجذب على المراوة ولما رأته
المراوة ضربت بأربعتها حتى قلبت الدنيا بالصهيل ولما رأى نازح
المراوة قد وقفت وانحلت مفاصلها فنزل خوفا على نفسه فركبها
الجواد أول وثانى واذا بصاحبه قد أقبل وكان الخبر قد وصل اليه
من الخدم فأتى والسيف فى يده مشتهر وقال لنازح ويلك يا ولد
الزنا أنت ما رأيت غير جوادى تشده على تلك العجوز العقيم فقال
نازح والله يا عم ان فرسك هو الذى طرح شره علينا فخذ أنت
الحصان والمراوة ولا توقع بيننا وبينك خصام فقام صاحب
الحصان وسحب حسامه وضرب عراقيب المراوة قطعهم
فوقعت الى الارض فمد يده فى حياها وجرف ما فى بطنها من ماء
جواده ومسح يده فى التراب ودسها فيها ثانى وثالث وقال
أنا ما أخلى ماء جوادى فى جوفها وبعدها سحب خنجره وضربها
بدد مصارينها وأخذ حصانه ورجع فقعد نازح يبكى على المراوة
وكان نازح غلاما زكى العقل فأخذ من شوك السعدان
وقطب بطن المراوة بعدما ادخل مصارينها بأربعة عشر شوكة
كبار مثل المسلات ثم أخذ طين جبلى وكبسه وكان ذلك الطين
من طين اليمن فسلك على جرحها بأذن الله تعالى وربط على
اعضائها بحبل كان معه وبات عندها فى البرية الى
الصباح واذا بخاله عباد مقبل ومعه من الحى جماعة وأمه
باكية قدام الكل خائفة عليه فرأوه عند المراوة وقد غرقت
فى دماها فتلقمت أمه عليه وقالت له والله يا ولدى ما نمت هذه

الليلة لاجلك ومن فعل بك هذه الفعال وبفرسك المراوة
فحكى لهم أن الذى فعل معى عمران بن الجراح من شأن فرسه
السكاب وخرق بطنها حتى لا تأتى منه بحصان نجيب فقال
عباد وعمران الخسيف العقل ما يعلم ان فرسنا المراوة عاقر ولكن
عمران يكرم لانه من فرسان القبيلة (قال الراوى) ثم انه
عاد ناازح والمراوة وقد تقطعت اعصابها وانعقر بطنها الى أن
أراد الله عز وجل بكرمه فطابت ومكثت سنة فولدت حصانا
ما أحد رأى مثله فى ذلك الزمان أصفر مثل الذهب المصفى محجل
الثلاثة مطلق اليمين سائل الغرة فأمر عباد أن يخفيه ولا يظهره
لان لا يعلم عمران فيأخذه فعاد نازح يسقيه لبن النياق اللقاح
فى المسا والصباح حتى صار له من العمر ثلاث سنين فصار يركبه
ويخرج به الى الصيد والقنص ليوم من بعض الايام فالتقا نازح
بعمران ومعه عشرين من الفرسان وهم سايرون الى الغارة
فرأى نازح وتحته جواده الزعفران فلما رآه عمران صبر الى أن
قرب اليه فقال له يهنيك يا نازح بهذا الجواد الاصيل الذى أمه
المراوة وأبوه السكاب فقال هنيت يا عمران فان الله تعالى
اطعمنى على غيظك فتحقق عمران أن هذا الجواد من المراوة لانه
ما تكلم مع نازح هذا الكلام الا لتثبته فلما ثبت عنده انه من
جواده انقلبت عيناه فى أم رأسه وتغيرت حواسه وقال له انزل
لا أم لك ولا أب قبل ما أخرج هذا السنان من ظهرك فقال له
نازح لا تفعل يا عم لان المراوة كانت غير ولود والمولى هو الواصل
فلا تبغى على فان البغى له مصرع فقال عمران لاصحابه الا ترون
لابن الزنا كيف يكلمنى بهذا الكلام ثم انه أطلق عليه عنانه

وقوم سنانه فلما رآه نازح حمل عليه وفاجاه وسحب حسامه
وضرب به رمح عمران براه فجذب عمران حسامه وأطبق عليه
انطباق الغمام فكر عليه نازح ولاصقه وأتعبه وأكربه
وبطل عليه ضربته ومسكه من أذياقه وارعبه وانقض عليه
أخذه أسيرا وصاح على أصحابه فهربوا من بين يديه رعاية لحاله
عباد فرجع نازح الى عمران وقال له يا قرنان كيف رأيت نفسك
لابد ما أهدم منك الاركان فقال عمران الصنيعة لك يا نازح وأنا
أسيرك من جملة الخدام فاطلقه فلما رأوا الرجال اطلاق صاحبهم
اجتمعوا عليه وقالوا له أنت أميرنا ومقدمنا ومشيرنا وكنا
نحن عازمين على الغزو والمسير فهل لك أن تسير معنا فقال نازح
سيروا على بركة الله تعالى قال الاصمعى وسار نازح وعمران بعد
ما أصفاه وأحسن منه الوداد وساروا قاصدين الى بنى ثعلبة ومازن
وتميم لانهم اعداؤهم من قريب الزمان وما زالوا يجدون المسير
ثلاثة أيام وفى رابع يوم اشرفوا على مكان وفيه غدير ماء يجرى
فكمنوا حتى سرحت أموالهم والانعام فعند ذلك طلع منهم خمس
خياله فقطعوا نحو ألفين ناقة وساقوها فى البر الاقفر فلما بعدوا
عن الحى مقدار فرسخ واذا بخيل بنى ثعلبة قد تلاحقت بهم وفى
أوائلهم حاميتهم ميسرة بن السراح فصاح على بنى القيان ابشروا
بالخيبة وأتركوا الغنيمة ونجوا بأنفسكم فهو رأس المال فقال
نازح أنا لهم فقالوا له أعلم أن فيهم الحية الرقطا والرزية المعطا وهو
ميسرة بن السراح البلية المسلطة فقال لهم نازح يا بنو اعمى أنا له
ولامثاله فقالوا له ونحن لجميع بنى ثعلبة قال وكانوا خمسمائة
فارس فاعطوا النوق الى خمس فوارس ورجعوا الباقى مع نازح

ثم استقبلوا أول الخيل ونازح مالة قصد الاميسرة بن السراح فصدمه صدمة جبار عنيد لا يخاف من الموت الشديد ثم انهم أخذوا فى صدام ولزام هذا وميسرة قد اغتاظ من نازح وقد استقله فى عينه فوقع بينهم حرب تشيب منه الرضع واختلف بينهم ضربتان وكان السابق نازح فضربه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فرأوا بنى ثعلبة الى حاميتهم على وجه الارض قتيلا فولوا الادبار وفاتوا الاموال وركنوا الى الفرار فساق نازح وعمران النوق والخيل الشاردة والاسلاب وباقى الاموال وساروا يقطعون الارض فى طولها والعرض الى ان وصلوا الى وادى الملتمس وغدير جابر فنزلوا هناك للراحة قال الاصمعى وكان من القضاء والقدر ان الادرم بن حيان فارس بنى همدان أخذ معه الف فارس وسار الى أرض عدنان وغار على بنى مدلج وكان فارسهم سراقة الخثعمى الذى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من قريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع ياسراقة فلم يرجع فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الارض ان تبتلعه فأخذته الى صدر جواده فقال يامحمد اطلقنى وأنا أرد عنك كل من أتى وراءك يطلبك من قريش فأمر النبى صلى الله عليه وسلم الارض ان تبتلعه فاطلقه ثلاث مرات حتى رجع وعاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم برد كل من أتى من قريش يطلب النبى صلى الله عليه وسلم فيقول لهم ارجعوا فان هذا المكان ما أتى فيه أحد فيرجعوا وتأخر اسلام سراقة لبعد فتح مكة فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين قال الاصمعى له هذا الحديث العجيب فلما أتى الادرم الى أحياء بنى خثعم ومدلج

فاشار

فأشار اليهم وكان في الحي سبعين فارس ففتك فيهم الادرم وقتل
منهم عشر فوارس وهرب الباقي فأخذ المال وعفى عن الحريم
والعيال وسار يقطع الارض طولا وعرض حتى أصبح الصباح
ودخلوا وادي الملتمس وغدير جابر واذا بنازح وعمران وتلك
العشرين فارس من بني القيان وكانوا المار أوا الغبرة ركبوا ظهور
الخيل واذا بالادرم بن الجبان قدامهم هو وبني الهمدان وقد
تنافروا مثل العقبان فقال عمران اعلموا يابني العقبان والاعمام
ان هذا الادرم وفي هذه الساعة تذهب منا الارواح فقال نازح
اسكت ياجبان فسوف أوريه قدره بين الشجعان فقال عمران
أنت ما تعرفه ياولدي هذا يقال له مثير الحروب رده أنت هنا ونحن
نحمي القبيلة من غيره فلما رأيت ذلك قلت لفرسي الزعفران اليوم
ولا كل يوم ثم انه قوم السنان وأطلق العنان وقال يا آل بني القيان
فعند ذلك تبسم الادرم وقال لنازح يصلح لمثلك ان يفتخر ويتكلم بهذا
الكلام لانني أقول قول من له فراسة ومعقول انك لست
من بني القيان وحق الملك الديان لان فروسيتك تشابه فروسية
بني عدنان ولكن أنت معجب بنفسك واليوم أسكنك رمسك
وأنا أعلم ياغلام أن ما في بني القيان من له بذلك عاده ومتى اصطاد
الرخم عقبان قال الاصمعي فلما سمع نازح من الادرم هذا الكلام
صار الضياء في وجهه ظلام وقال له ويلك ياادرم أما تدري
ما تقول من الكلام وتعرف قدرك بين الانام وأنا وحق الملك
العلام لابد ما اشك في نحرك هذا السنان المعتدل القوام
وابرى منك الهام بهذا الحسام الصمصام اتقان ياويلك ان
الشجاعة برسمك أم نزلت من السماء على اسمك فان طلبتم

الانصاف فارس لفارس ماتطلبون الانصاف دونكم والقتال
يااطراف العربان فقال له دونك والميدان ودع الفشار والهذيان
فصدم نازح للادرم فرآه مثل الجبل العظيم فأخذ فى طراد وجلاد
وكر وفر وأخذ ورد ومستقر حتى ضجت الفريقان وحارت
تلك العربان من هول ذلك الحرب المهول الذى يسلب العقول
(قال الراوى) ولم يزالا على ذلك العيار حتى جاء آخر النهار
واقبل الليل بالاعتكار فقال الادرم والله ياغلام ماأنت
الاأسد درغام أمضى قدعفوت عنك فى هذا النهار وان عدت
سقيتك كاس البوار قال وكانت الخيل الذى مع الادرم ماقاتلوا
بل وقفوا ينظروا الى قتال نازح مع فارسهم وباتوا يتشاوروا فى قتل
نازح ويسوقوا الغنيمة الذى معه قال الاصمعى وأمانازح وعمران
فانهم باتوا فى الوادى وقالوا لنازح كيف أنت مع غريمك يانازح
لانه فارس اليمن وهفير صنعا وعدن فقال نازح والله يابنى الاعمام
انه لفارس همام وأسد ضرغام لكن أناغدا أقتله بعون الرب
القديم رب زمزم والحطيم وافرق بين همدان فى البرارى والآكام
قال ثم انهم باتوا الى أن أصبح الصباح فركبت الفريقان
واصطفت الجيشان واذا بالادرم قد برز الى الميدان ونادى
بافصح لسان ياويلكم يابنى القيان اتركوا الغنيمة من ايديكم
ولكم الامان ولاتسمعوا كلام ناوح الشيطان فانه جاهل
بمكافاة الشجعان ولوشئت لقتلته بالامس وعجلت مصابه ولكن
رحمته لاجل شبابه قال الاصمعى فلم يتم كلامه حتى تأهب الامير
نازح لصدامه فمنعه عمران عن ذلك الشأن وقال له يانازح اعلم
أنى لك ناصح وترك هذه الغنيمة من أكبر المصالح وتقدم

الى

20

الى الادرم وصالحه ولا تقاتله ولا تكافحه فربما يظفر بك ويقتلك فصاح عليه نازح اسكت يا جبان يا ذليل يا مهان وحق الملك المنان لقد صدق الادرم فيما قاله من المقال ومتى كان في بني القيان فارس يعد مع الفرسان فحذلك أنت وبني عمك منه الامان فاستحى عند ذلك عمران وقد عمل معه كلام نازح مثل ما يعمل السيف والسنان فقال له يا أميرنا نازح ان هذا عيب وقبائح وها نحن بين يديك ورؤسنا من تحت قدميك ولا نبخل بارواحنا عليك ثم انه برز الى الميدان ومحل الجولان وهو ينشد ويقول

اليوم أوري بني القياني طعاني * واقطع رؤس القوم في الميداني

حتى يقروا ويعلمون بأنني * حامي الحريم وقاتل الشجعاني

وسوف تنظر يا دريم لطعنتي * حين تبقى رهن الارض والقيعاني

وتصير فوق الارض ملقا * لوحوش الفلا بهذا المكاني

ثم آخذ ما نهبتموه من * ايادي فوارس بني همداني

كي تعروا وتشهدوا يقينا * انني فارس فريد زماني

(قال الراوي) فلما سمع الادرم نسر الحروب وعقابها ومضرم نار الحرب تحت قتامها تبسم وزاد به الابتسام وقال له يا نازح يحق لمثلك أن تقول هذا المقال وتفعل هذه الفعال وأنا أقول وحق الملك الديان بفراسة أهل العقول والعرفان انك لست من آل بني القيان لان فروسيتك تشبه بني عدنان ولكن أنت معجب بنفسك وذا اليوم اسكنك رمسك وأنا أعلم يا غلام أن بني القيان قد طابت نفوسهم بفوت الغنيمة وقد رضوا مني بالسلامة والهزيمة ولكن أنت الذي ثبتهم ولحربي أوقعتهم وهم لا يغنون

عن أنفسهم فكيف يعفوا عنك يا نازح أو يشيع لهم ذكر عن
كل غادورائح وهم يرتضوا بالذل والفضائح فبحق مالك الممالك
هذا القول منى صادق وليس الامر بخلاف ذلك فقال نازح
ياأخى كلامك صحيح ورأيك مليح ولكن ما الذى تريد أيها البطل
الصنديد فقال له يا نازح خذ هذه الغنيمة وحدك فقد صارت
ملك يدك ولم تعطى منها شيء لبنى القيان وأمضى سالما الى الاوطان
فقد وهبتك نفسك دون ابناء جنسك فقال نازح امسك
عليك لسانك ولا تكثر هذيانك لان الشرق فى قبضة يدى
ومحتوى عليها بشدة ساعدى وزندى ولا يمكن ان انسانا يوهب
شيأ الا يملكه وأن وقع له مال فعار عليه ان يتركه ولكن أيها الامير
ان أنت خليتنى اسير وتركتنى ذليل حقير وشديتنى بالحبال
فخذ أنت المال والجمال وأنا لا أرضى بهذا المقال ولا يكون
بيننا انفصال الا بحرب وقتال تتعوذ منه الابطال وتشيب له
رؤس الاطفال (قال الراوى) فعند ذلك حمل الادرم حملة الفيل
الادغم والليث اذا هجم والنازح قد صدم وكانت صدمته
صدمت جبار لا يصطلا له بنار فعندها تلقاه نازح مثل الاسد
العرين وتطاعنوا الاثنين حتى تقصفت الرمحين وتضاربوا
بالسيفين الى أن كلت منهما الزندين الا أن نازح كان عجول
وبطال مهول يفوق على الاقران فى حومة الميدان كأنه الاسد
الغضبان قال الاصمعى فعند ذلك هاجم الادرم وزاوغه وضربه
بالسيف صفحا فاقلبه وعن جواده كركبه فانقض عليه
فارس من بنى القيان وأوثق شداده وهو غائب عن رشاده ثم ان
نازح رأى الخيل وهى تموج فى الميدان وتنادى يا آل همدان نحن

أسود الوغا نهار الطعان فحملوا على نازح واطلقوا العنان وهم
ألف فارس من الشجعان فاستقبلها نازح بالسنان وجود
الضرب فيهم والطعان وصاح ويلك يا عمران دونك وهؤلاء
الفرسان فحمل بالخمسة عشر فارس وأعانوه على تلك الحوادث
وكانت خيل بنى همدان تزيد عن ألف عنان فصار يطعن
فى نحورهم وقد حاروا فى أمورهم ومازالوا على ذلك العيار
الى أن تنصف النهار فقتل من بنى القيان خمس فوارس أعيان
وجرح مثلهم فى الميدان فولوا الباقيين وهم من فعل نازح متحيرين
وأما الامير نازح البطل المكافى فانه صبر على الضرب والويل الى أن
دخل عليه الليل فعاد من بينهم راجع وقد جرح فى أربع مواضع
وكان قد قتل من بنى همدان خمسين فارس أعيان وجرح
مائة وعشرين بالسنان ورجع نازح آخر النهار وهو مثل الاسد
الهدار وقد جمد الدم على ذراعيه فلما ان رآه عمران قام اليه وقبله
بين عينيه وقال له لله درك يا فارس الزمان و بطل العصر والاوان
ثم ان عمران غسل عن نازح الدما وقدم له من الزاد ما يمسك به رمق
الفؤاد ثم انه بعد ما أكل من الطعام جلس فى بعض الخيام
وأحضر الادرم ابن الجبان سيد بنى همدان وقال له كيف ترى حالك
يا أدرم فقال أسد ضيغم ولا بد للاسد ان تصيد ولا تصاد فافعل
ماشئت أيها البطل الجواد فان قتلتنى وأهرقت دمى على الصعيد
فياطال ماقتلنا منكم من أحرار ومن عبيد وان طلبت الفدا
فعلنا كما تريد وأطلب ماشئت من الاموال والنوق والجمال وان
تصفوا وتمن علينا بالخلاص فانت المحمود المشكور وأعلم ان هذا
المقال ما هو خوفا من الممات وحق رافع السموات ولكن أنت

تعلم بأن سراقة بن خثعم قد نهب ماله وقتلت رجاله وكأنك غداة
غده وقد طبق البيداء بغباره فانه لابد ان يطلع علينا ويأتي بجيشه
الينا وأخاف ان يسطو على بني همدان فيقتلهم بالحرب والطعان
فقال نازح يا آدرم وهل فيك موضع لاذيه فقال أي وحق من
خضع له كل شيء انني أكافي على الصنيعة وحوزتي منيعه وخيري
بادي وقد سال كرمي من الايادي فقال عمران والله يا نازح انه
السيد المطاع والقرن المناع (قال الراوي) فعند ذلك استحلفه
نازح على الوفا والصدق والصفا وانه لا يخون ذمامه اذا هو عنه
عفا وكل من خان يرميه الملك الديان فحلفه بأعظم الايمان وقام
اليه نازح وله بالاحضان من بعد ما أطلقه من الوثاق وحلف له
بالملك الخلاق ثم انه أعطاه جواده ورد له عدة جلاده وأرسله
الى بني همدان فسار لادرم غير قليل وعاد الى عند قومه وأخذهم
وعاد بهم من يومه وأخبر نازح أنهم كانوا يريدوا ان يكبسوهم
في الليل هذا وقد تقدمت أجاويد بني همدان وتشكر والنازح
بكل شفة ولسان وباتوا في أكل وشرب وزال عنهم الهم والعنا
قال المؤلف وكان الادرم قد أرسل لقومه من غير عاقه وأتى
من عندهم بالف ناقه وقال له بالله عليك يا أمير نازح أنت من أي
العرب والى أي القبائل تنسب فقال لا أدري غير ان عباد ابن بشر
القياني أدعوه بخالي وابن عمي لانه أخوا امي فقال والله انك
لفارس كريم ولكن يا نازح بحق هذا الزاد وجميع الفتيان
الاجواد انك تقبل مني هذه الالف ناقه يا ابن الكرام ولا
تردني خايب بين هؤلاء الاقوام ولا تترك على عتب ولا لوم ثم
انه أراد ان يقبل يده فانجذب منه وقال والله لولا مقامك عظيما

وخاطرك

وخاطرك مرقبات منها عقال ثم أنهم باتوا باحسن مبيت الى الصباح
فقال الادرم يا نازح نحن مطلوبين للحرب وقريبين من حلة
بنى مدلج وأنا لم يحدثنى بانهم يأتوا خلفى فقال نازح هدى روعك
وسر على بركة الله وأنا أسير معك الى وادى العرفج واميا
غياغب ومن هناك اسير من اليمين وأنت تسير من الشمال
فقال الادرم نعم الراى أيها البطل المفضال لكن أكثر خوفى
من وادى العرفج وأميا غياغب قال المصنف لهذا الكلام
فساروا ذلك اليوم حتى نزلوا على ركايا شاكر فطاب الاذن عمران
فى الرواح قبلهم ويبشر أهل الحى بسلامتهم فقال له نازح سر يا عم
ولا تخلى خالى عباد يتعب ويطلع يلاقينا ثم انه سار بعد ما ودع
أهل الحى فى السحر وحملوا النوق والجمال وساقوها وقطعوا البر
الاقفر وقد ساروا الى قرب الغدا واذا هم ببريق زرد ولمعان خود
ثم عارضتهم تلك الخيل وهى تنادى الى أين تأخذون يا كلاب همدان
أثبتوا فقد أتتكم فرسان بنى مدلج ابن بكر الشجعان وسراقة امامهم
على جواده الجارود كأنه أسد من الاسود قال الراوى فلما ان رآهم
الادرم تغيرت ألوانه واظهر أحزانه فقال له نازح هدى روعك وهل
هم سوى خمسة الاف من الفرسان لا لهم قدر ولا شان ثم انه حمل
على بنى مدلج كأنه السرحان وكان الادرم قال لنازح أكفنى
مؤنة هذا الشيطان وأنا أكفيك شر ما حوله من الاقران وقد
كان سراقة أسر الادرم مرة وقتل أخيه وابن عمه فى كره ومكث فى بنى
مدلج ستة أشهر وهو يطحن الشعير حتى أنه افدى نفسه ومضا
من هذا العذاب النكير وأقام بعد ذلك طالب من سراقه ثاره وما
يخلى به من غاره قال فلما ان صدمه نازح وهو ينادى بنسب بنى

القيان فضحك عند ذلك سراقة من أجل ذلك الشان ثم أنه
قال ومتى كان فى بنى القيان فارس من الفرسان أوشجاع
يعد من الشجعان وما كان حاميتهم سوى عباد وعمران ولعمرى
متى يصيد الرخم عقبان ومتى تقاتل سباع الغاب أقل الكلاب
ومتى كان لبنى القيان ذكر مذكور او خبر مشهور بين الشجعان
أسكت يا ويلك عن هذا الخبر ولا تفتخر بما لا يفتخر به ولا تعدهم
مثل ما يكون من الخلق والبشر وهات ما عندك من الحرب
واستعد للطعن والضرب (قال الراوى) فعند ذلك انطبقوا
الفارسين على بعضهم البعض وقد أخذوا فى جولانهم طولا وعرض
ثم أنهم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وتضاربوا بالسيوف حتى
تثلمت الا أن سراقه قد تأمل فى حرب نازح فرآه فارس متين وهو
كالاسد العرين فتباعد عنه فى عاجل الحال وتجنبه فى المجال
ومازال معه فى النزال الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل
الليل بالانسدال وجن عليهم الظلام وقد رجعت الطائفتين
عن الحرب والصدام وباتوا يتحارسون الى الصباح وكان الادرم
قد سأل نازح عن سراقة فقال والله أنه فارس جبار وبطل مغوار
ولكن فى غداة غد يكون الانفصال أما ان يقتلنى ويتركنى طريحا
فى الرمال وأما ان أقتله وأستريح من القيل والقال فقال له عمران
بل أنت تقتله ان شاء الملك الديان أو تأسره فى حومة الميدان وأما
ما كان من سراقه فانه عند ما سأله بنو اعمه عن فارس بنى القيان
وما جرى له معه فى الطعان فقال والله يا بنى عمى ما هو الا فارس
كريم وبطل عظيم وما هو من بنى القيان وليس فيهم انسان
يشبهه فى الطعان ولا من يثبت فى حومة الميدان الا أن تكون

23

أمه قد التقطته من بني عبس وعدنان لان يابني الاعمام هذه الحملات ماهي قحطانيه وماهي الاضربات عدنانيه وحق خالق البريه واني أشهدكم على يابني الاعمام انني ماعفوت عنه في هذا النهار الامن الفضيحه والعار وغداة غد اقتله بالصارم البتار ويكون فارس الاقطار (قال الناقل) لهذا الاخبار بعد الصلاة والسلام على سيد الابرار (قال نجد) ومازلوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الصباح وضاء الكريم بنوره ولاح واذا بالامير نازح بحجاج قد خرج يريد الحرب والكفاح فلما ان توسط الميدان وأشتهر بين الفرسان نادى بأفصح لسان يابني مدلج الكرام ابرزوا الى محل الصدام لانكم والله فرسان وأقران وأنا أريد منكم الحرب والطعان (قال المؤلف) لهذا الديوان فما استتم كلامه الاوسراقه قدامه وقد أخذ معه في الجولان والصدام وأخذوا في طعن يقد شوامخ الجبال والجلاميد وقد ثبتوا ثبات الفرسان الصناديد وما زالوا في عراك الى أن وقفت الشمس في قبة الفلك فوقفت الفرسان في وسط الميدان هذا وسراقة سأل نازح ان يمهل عليه لحظة فامهله نازح فنادى سراقه ياأدرم أنت أضرمت النار فعلى ماذا تتكل على غيرك يصطليها ياأندل العرب اتكلت على صبيان بني القيان يأخذوا لك بالثار ويكشفوا عنك العار هيهات ان تندم على مافات لاني البستك ثيابا من العار لا تقدر تقلعه الا بقوة زندك وساعدك أبرز الى الميدان ودع مدلج وهمدان وأنا أشرط على نفسي شرط وحد وفيه الصنيعه وأعلم ان المال الذي أخذته وغرت عليه مالي وهي ستة الاف وثلثمائة ناقه غير الخيل والبغال فابرز الميدان فان أنت قتلتني فيضون بني عمي ولا يعطا البوك بشاري

فى هذه النوبه بل بدعوه الى مرة أخرى وتمضون أنتم بغنائمكم سالمين
واذا أنا قتلتك أخذت المال وأطلقت بنى عمك بلاغنيمه سالمين
فلما سمع الادرم هذا الكلام أخذته النفس الابيه وحمل على
سراقه بعدان قال لنازح ياولدى نحى عنه وعن قتاله هذا قاتل أخى
وابن عمى وأنا أحق بقتاله قال فأخذ معه فى الحرب اخذا كيدا
وطعنا شديد فتقاتلا طول النهار الى الليل فهجم الادرم على
سراقة هجمة الاسد الغضبان ومسكه من جلابيب درعه وأراد به
البطش وأن يقتله ويأخذ تاره فلما رأى سراقة هذا الامر
فلزم غريمه وتجاذبا على ظهر الخيل حتى قتلت تحتهما الفرسان
وبعده هجم الادرم على سراقة وضربه قطع الدرع والدرقه وتزل
السيف فى كتفه وكذلك الادرم ضرب سراقة على هامه فنزل
السيف حتى قطع الرفاده وشق دماغه فوقعوا بعدان صاحوا
صيحتين فحملت الفريقان لما سمعوا صياحهما وكان السابق
اليهما نازح فلازال يضرب بالسيف حتى خلص الادرم وأخذ
سراقه بعدان قاتل الى الليل فرجعت بنى مدلج وقالوا فى بالهم أما
سراقة فقد قتل ونحن غدا نطلب الاقاله من هذا الفارس الذى
هومن بنى القيان لانه ليس له عندنا تار يأخذه فان رضى والا البغى
يصرعه قال هذا ما كان من بنى مدلج وحسابهم وأما ما كان من نازح
فانه أحضر الاثنين الى عنده وشد جراحهم بعدان ربطهم فافاقوا
الاثنين بعدان سقاهم شراب المنعنش فقال سراقة أين أنا فقال له
نازح أنهديى دوعك ياسراقة ما أنت عزيز الا لمن يعرف قدرك ولا
يهمل أمرك وأطعمتك طعامى ثم أنه أرسل خلف عشره من
مشايخ بنى مدلج وقال لهم أعلموا بنى الاعمام قد انفصل بين سراقة

والادرم

والادرم كلام على أنكم ترحلون بسلام لانا لانركب مطية البغى
فتردينا وتشمت الاعداء فيناوهذا سيد كم عندى مكرم معزوز
معظم الى أن يطيب جراحه ويلتقاصلاحه ويشير للسلام اليكم
فقالوا له حبا وكرامه ثم تركوا مع سراقة ثلاثين فارس شجعان
أبطال وسارت الباقى فى ظلام الليل قال فلما سار وابنى مدلج الى
أحيائهم سار نازح ومعه سراقة والادرم ومعه فرسان همدان الى
أن بقا بينه وبين الديار يومين واذا بعمران ملاقى نازح وهو راجع
يركض بجواده مثل المجنون ويقول النفير النفير الحق يا نازح بنى
القيان قبل ان تهلكها الفرسان ويتبدل عزها بهوان فانها
قد بليت بمالا يطاق وقد ضيقوا عليهم الخناق والذى أحوجهم
لغزونا خزيمه ابن فاتك الاسدى وبنى نعامه لانه كان قد خطب
ضيا فرده خالد وقال له ضيا قد أعطيته النازح ابن أختى فرجع عليه
بنى نعامه وبعض قبائل العرب وحلفاه وأتى الينا فى سبعة
لاف خيال ونحن عسكرنا ألفين وخمسمائة خيال وله اليوم
ثلاثة أيام يقاتل بنى القيان وقد لزهم الى جبل ساهم فى شدّة
البدار قبل ما يفنيهم خزيمه ابن فاتك (قال الراوى) فلما سمع
نازح ذلك أنقلب الضياء فى عينيه ظلام وقال من هم هؤلاء
الاشام سيعلمون من هو النادم ومن يرجع خاسر وأنا أقسم
بمن يقول للشىء كن فيكون لابد ان أذيقه الموت الوان ثم أنه
جدّ فى المسير وقد أطاق الادرم وسراقة وقد صلحت احوالهم
وأصلح بينهم نازح وعمران وجعلوهم أخوان ثم ساروا وفى قلب
نازح من خزيمه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وثانى يوم من الصباح
اشرف نازح على أرض بنى القيان والحرب بينهم عمال وقد أشتعل

وقيده أى أشتعال قال فسأل عن ذلك وكان السبب فى ذلك
ان جزيمة لما أتى لى عباد ورجع وهو غضبان فاجتمع اهله
وشكالهم ذله وانكسار نفسه فقالواله ومن هو عباد الحداد بن
الحداد وكانت بنى القيان فى الجاهليه يصنعون السيف والزرد
واللبوس وأباؤهم من قبلهم هذه صنعتهم والقيان يعنى الحداد بن
يسموا بنى القيان وكان لما أن ظهر نازح صار حامية لاخوان
وكان عباد فى القبيله وهو آمن من الويل ماشعر الاوقد دهمته الخيل
فما أحس بنفسه الا وهى تنادى باحسابها ودارت بنى القيان
بسبعة الاف عنان من كل جانب وكان ثم أرسلوا الى عباد
رسول يقول لهم أعلموا يابنى القيان ان صاحب هذه الخيل جزيمه
ابن فاتك أمير بنى نعامه وحاميها أتوكم بالفارس والراجل
وقد رد يتم جزيمه ابن فاتك ذلك الرد الذى لا يصلح لمثله ان يرد وذلك
قولك الصريح لو كان عندى ألف كلبه ماعطيته منهم شعره
فانت جماته كلبا وهو سيد بنى نعامه صاحب النسب الصحيح
فأغتاظ عليه واستجار ببنى عمه واستغاث بنا لنكشف همه وغمه
فأجبناه وأغثناه وأنت ياعباد فقد اسات الادب مع سادات
العرب وأهل المنازل والرتب فان أتيت حافى الاقدام مقربهذا
الخطاب باحسن كلام ومع هذا تهديه بنتك بلامهر لانه
حلف أن يأخذها مسبيه فقلنا له لاتفعل فاذا وصل رسولنا اليك
فافعل ماأمرناك (قال الراوى) فلما وصل هذا الكتاب مع
الرسول الى عباد صار الضياء فى وجهه ظلام وقال يا كلاب
أنتم لكم قدر بين الانام حتى تقولون لمثلى هذا المقال خذوا عليهم
الحرب والطعان وهل هى الا موتة واحدة أكون قاتلا أو مقتولا

وينفرج عنهم ويزول فان قتلت خذوا ابنتي ومالي وعقاري
ثم انه أقام في بني عمه خطيبا لهم قال الحمد لله على كل حال اعلموا
يا بني الاعمام ان المنازل لا تنال الا بالصبر على الاهوال والشدائد
والنزال والعمر لا يزيد ولا ينقص والرزق مقسوم لا يزيد ولا يقل
فحاموا يا بني عمي عن الحريم والاموال ولا تخافوا يا بني عمي لانهم
باغين والباغي له مصرع والله تعالى يرميهم ويردهم خائبين
(قال الراوي) فلما سمع بنو القبان قاموا الى الخيل فشدوها
والى الدروع فشدوها وكان لهم جيران يقال لهم بني ذهيب نحو
خمسمائة فارس فبقوا ثلاثة ألف خيال والاعداء في سبعة
آلاف خيال ورجع الرسول الى خزيمة بما قال له عباد وجماعته
وأنهم ما عندهم أخس منك وممن معك فلما سمع هذا الكلام
فقال غداة غد يكون الحرب ونزلوا على المياه والغدران ثم انهم ملؤا
ذلك البر والصحصحان وكان مجاور بني القبان جبل يقال له ساهم
وهو جبل منيع وحوله شعاب ثم صخور وهضاب فأوقدوا تلك
الليلة النيران وحملوا كل شيء لهم وخلوا البيوت خالية فارغة
وساروا نحو جبل ساهم فاحست بهم بعض الاعداء من رعي
الجمال وقت تحميلا بالاموال فركبوا خيلهم وبالرماح اعتقلوا
وتقلدوا بالسيوف ليباشرون الحتوف فلما كان بنو القبان
وعباد حملوا النوق والجمال وسيروها قدامهم ووقف عباد وسادات
قومه في ناحية الاعداء واذا بالخيل قد أقبلت وفرسان بني نعامة
وبني مراد وجميع الذي جمعهم خزيمة قد أتوا ركضا فاصطدم
الفريقان واختلطت الطائفتين وحان الحين وزعق غراب
البين ولا زال الحرب يعمل والدماء تنزل والرجال تقتل الى

أن طلع النهار ونزل جزيمة وفتك فى بنى القيان وجرح السادات والفرسان مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع وهم فى شدة الحرب واذا بعمران أقبل وعلم بالبشارة فقاموا يبكون فى وجهه وينعون اليه من قتل من بنى القيان فحسبوهم ثلاثمائة خيال ومن بنى ذهيب ثمانين فارس وأكثر فرساننا الذى عليهم المعتمد مجروحين ثم ادركنا عمران قبل حلول الاجل فرجع عمران وهو طائر العقل فلما رآه نازح وهو صائح قال له مالك أنت تخنت حتى تصيح وأنت فارقتنا على انك طالب الحى والاوطان فما عادك وأنت فى اشجان قال فأخبره بما وقع من جزيمه وما فعل وما جمع من القبائل وانه قائم الحرب بالليل والنهار فلما علم نازح ذلك عض على يده وقال سوف أرى جزيمة مافعل واجازيه فسار وهو يقول

من لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الاسباب والموت واحد

ثم جدوا فى السير الى أن وصلوا الى الديار فوجد الاعداء ملكوها وكان نازح أرسل عمران وقال له اكشف لنا خبر أهلنا فسار وعادوا خبران الاعداء ملكوا المضارب وأنهم فى الجبل قال الاصمعى فلما دخل نازح ومن معه ورأوه أهله فرحوا به وقويت قلوبهم على الحرب وكان نازح قد سبق النوق والجمال وعمران سبقهم الى الجبل وأدخلهم الشعب واجتمع مع عباد فقال له عباد وأين نازح فقال له خلفناه فى الجبل حاسب حساب الاعداء وقال اذا سبقت أنت بهذا المجروحين خليهم فى الجبل ونبقى نحن جرائد وقد بلغنا الامل اذا جاءتنا الخيل والان ابتليتنا بالجمال رجعنا اليهم فى الحال فلما سمع عباد ركب وسار بمن معه وقبائل نازح وكان عمران قد قطع من النوق والجمال شيأ يسير وقصر بهم خوف أن

أحداً يلتقيه فيلهيه وكانت مع الاعداء مائة فارس ركبوا خيلهم وقصدوا الشعب وكان مقدمهم أخواجزيمة يقال له جهرم النعام وكان سبق النوق والرجال المجروحين فصاحوا فرسان بنى القيان بفرسان بنى نعامة وكان بالامر المقدر سهرانين تلك الليلة واذا بالنوق الذى قاصد بها عمران الجبل حتى قرب من الاعداء وكان قد رأوها الاعداء فقال واحد منهم مايقولوا فى هذا الذى هو مقبل علينا فقالوا واله ويلك ياحبش ماتقول ياابن خويلد فقال أقول ان جيش مقبل من هذه الساحية فان كانت هى خيل فالفرار وأن كانت غنيمة مع فارسهم نازح فخذوها ثم انهم صبروا الى أن وصلت وصرخوا فأجابوهم الفرسان من جميع الجهات والتقت الفرسان بالفرسان وقد صاحوا على الخيل الذى مع الغنيمة فأجابهم عمران يقول يابنى القيان أصحاب الضرب والطعان وكان أخواجزيمة قد قاطع من الجانب الآخر فاجتمع بجعر وحبش ابن الصمصامة وحملوا على تلك العشر فوارس الذى هم من بنى القيان فكان نازح قريبا منهم كما قد ذكرنا من هذا المكان يحرس الضعن والنوق والجمال والانعام (قال الراوى) فلما سمع نازح البطل الى ذلك الصياح أدركهم فى الوقت والساعة قوام وحمل وأدرك العسكرين فى ذلك الساعة وقد قوى الامر وزاد الشر وزاغت العينين وارتفع العياط بين الفريقين وقد بلوا بنى نعامة بما لا يطاق فقال لهم عمار أين مسعود فحبسوا هذه الجمال باعقاب الرماح ودعوها لبنى القيان وهى تدوسهم تحت ارجلها وتهلكهم فقالوا هذا هو الراى الصواب والامر الذى لايعاب ثم انهم لزغوا النوق والجمال كما أمرهم عمار فردت

النوق على بنى ذهيب وهمدان ونازح وبنى القيان فلما أن رأى
نازح ذلك قال يا بنى الاعمام اقلبوا عنان الخيل والحقونى الى
رأس الجبل لعلكم تنجوا فقالوا لماذا فقال لهم الحقونى ثم انه
لوى عنانه فعندها لوت همدان وذهيب وبنى القيان اعنتها كلهم
الى أن ساروا فى فم الوادى ونزل نازح عن جواده وقال لهم
يا بنى الاعمام افعلوا كفعلى وأنزلوا عن ذلك الخيل وأتركوها مع
الجمال وتعلقوا أنتم فى الشعاب فعند ذلك نزلوا الجميع وقد نزل
كل واحد عن جواده وصاروا فى الصحراء وتعلقوا فى الشعاب
وقد اطلقوا الخيل فداستها الجمال وبعضهم كان أصيل عتيق معود
بالسلوك بين الصخور وهو مثل الارقم فنجا ووصل الى جبل ساهم
كأنه النسر القشم وقد عبرت الجمال كلها الى الشعاب ولم يضع
منها عقال وقد دخلوا الفرسان فى آثر الجمال فرأوا هناك
الرجال ملقيين نحو السبعين فارس وهم مطروحين نفرحوا ثم
انهم رجعوا الى أماكنهم وقد أقاموا ذلك النهار للراحة وقد
استراح نازح وفرح بسلامته وسلامة أصحابه الفرح الشديد
الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) ثم بعد هذا قد أتى نازح
الى جواده الزعفران وركبه وكان ذلك الجواد ربى مع الخيل الجياد
فركبه ومضى عليه الى عند أمه وسلم عليها وسألها عن بنت
خاله عباد فقالت له يا نازح ما كانت سفرتك عليها الا كل يوم مقوم
بسنة وكانت تسأل عنك فى النهار ثلاث مرات وسارت تأخذها
الجما وتسخن فى غيبتك وكانت كل ليلة تبكى الى الصباح وتبدى
الانيين والنواح وتقول يا ترى ان كان الزمان يسمح لى أم أرى
نازح ماشى وغادى امام خيامى وهو حول خبايا غادى وبادى

ومن يوم أقبل جزيمة وسمعت انه يطلبها فقالت لى ياخاله الى أين
قد مضى نازح فانه قد أبطأ علينا خبره من دون كل غادى وبادى
وهذا جزيمة يريدنى وأنا قد أخذت هذه الشفرة التى تحلق اللحاء
فان أنا اهديت اليه ورأيته دنا منى وضعتها والله فى نحرى أوفى
قلبى فاعلمى نازح انى له ذاكرة ولا نعمه شاكرة وحافظة
العهد والوداد الى يوم التناد (قال الراوى) فبينما نازح مع أمه
فى الكلام واذا برسول من عند خاله عباد أتى يطلبه فقام
على حيله وسار اليه فرأى مشايخ قومه عنده وعباد لما نظر نازح
قام له وقد ترحب به وقال يا ابن أختى أنت تعلم وأهل الحى اننى قد
اردت تبرز غدا اليه فان قهرته فهى لك وخذها وان قهرت أنت
منه يدبر الله الامر كيف يشاء فقال له نازح والله ياخال مالها
الا أنا بنفسى فداء كل من فى الحى قال الاصمعى ثم أنهم باتوا على
ذلك الحال الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقامت
الفرسان وقد ركبت الجرد القداح واصطفوا للحرب والكفاح
والطعن بالرماح فكان أول من برز الى الميدان ومقام الضرب
والطعان ليبان الكاسب من الخسران كان نازح ونادى ياجزيمة
تقدم الى الميدان ان كنت من الفرسان لاننى أنا طالب ضيا
وأنت أيضا تطلبها فابرز الى الميدان فكل من قدر منا على خصمه
بأسر او قتل أخذها ويريح العرب من الحرب والقتال والطعن
والنزال ودع الناس فى حالهم ولاى شىء يقتتلون من أجلى ومن
أجلك (قال الراوى) نجد بن هشام فلما ان سمع خزيمة ابن فاتك
هذا الكلام ضحك واستبشر وقال واحرها على كبدى ثم انه
أعطى بنى نعامة الى معقل بن عمه وقال له أنت خليفتى على بنى

نعامة فان رأيتني قتلت فأحمل عليهم وخذ بثاري واكشف عني عاري ثم انه برز وهو على جواد أحمر يسوى عشر بدر ثم انه همز به وحماه بالسوط فخرج من تحته مثل الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب ولما ان قارب نازح قال له يا ولد الزنا لست أنت من امثالي وليس تعد من اشكالي ولا تعد في الحرب من أبطالي ثم انه أنشد يقول شعر

اليوم يا نازح تبقى رأسي * وأنت ملقا في القيعان مطروح
بطعنة العسال أو بضربة * من ابتر في الحرب ممدوح
عضب يماني مليح الطلا * يسلب من جثمانك الروح
من كف قرم اروع ماجد * يترك منك الدم مسفوح

(قال الراوي) فلما سمع نازح هذا الكلام قال له اليوم يا ابن اللئام اطير منك الهام ثم أجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

بشر خزيمة النذل مع قومه * بنار حرب تأكل الروح
وغارة يلتقوا من فارس شرس * يردي خزيما وقلبه يصير مقروح
نزجوا بان تأخذ ضيا بلا * طعن يخلي الدمع مسفوح
هيهات لعمري وقد عز اللقا * ويبات منك القلب مشروح
من دون ضيا فتى أروعا * يترك لكبش القوم منطوح
فاقدم خزيما ترا نازحا * يطعنك طعنا ويسلب منك الروح

قال الاصمعي فما استتم نازح كلامه حتى اطبق عليه خزيم مثل البرق الخاطف والتطما واصطدما وقد أظهروا شدتهم وباسهم حتى ابهروا النواظر وسلبوا عقل من كان حاضر الا ان نازح لاصقه وضربه بالحسام على قامته شطره الى نصف قامته فوقع على

الارض

الارض من ساعته فصاحت بنو القيان لاشلت يداك ولا كان
من يشناك يا فارس الزمان وفريد العصر والاوان ثم انهم حملوا
وحملت بنو نمامة وعقيل ابن عم خزيمة والتقت الرجال بالرجال
والابطال بالابطال وعظم الحروب والنزال ودام القتال ورأت
الفرسان الاهوال والتقى نازح وبحر بن جبلة وهو يعرض الابطال
فانقض انقضاض العقاب واختلف بينهما الطعان والضراب
وشابت من هول حربهما المشايخ والشباب وبعد ساعة من
النهار اختلف بينهما طعنتان سابقتان وكان بالطعنة بحر بن جبلة
فضرب نازح رمحه ابراه كما يبرى القلم رهجم عليه وضربه بسيفه
فأرماه وما أن وقع انقض عليه رجل من بنى القيان وأوثقه كتافا
وقوى منه السواعد والاطراف واذا بجيش ابن الصمصام قد حمل
على نازح وصاح فيه الى أين يا لقيط يا ابن الزنا فالتقاه نازح بقلب
أقوى من الصخر والبولاد وكان فى جيشه فارس مذكور
و بطلا مشهور فمازال مع نازح فى كر وفر الى احتكام العصر
ولما رأى نازح الى طول المقام معه فهجم عليه مثل الأسد وضربه
بالحسام طير رأسه عن الهام فلما رأت بنو عدى الى سيدها والخيل
تلعب برأسه حملت وتبعتهم بنو بشر وسيدها عمار بن مشير الى
آخر النهار ونازح مثل الجمل الهدار وقد فرق الفرسان والاقران
وفتكت بنو القيان وهمدان وطرحوهم على وجه الارض
وفرقوهم طولا وعرض فلما رأى عمار بن مشهر ذلك طلب هو
وقومه الفرار وولوا الادبار فلحقته بنو عمرو وبنو مراد وقد
تشتتوا فى كل واد و بنو القيان و بنى دمهت وهمدان يقتلون
فيهم و يأسرون الى آخر النهار ورجعوا عنهم ونزلوا فى الخيام

ونحروا النوق والاغنام وروحوا الطعام ورووا المدام وباتوا باطيب ليلة الى أن أصبح الصباح فاحضر نازح الادرم وسراقة بن خثعم وأصلح بينهم صلحا مليحا وحلفهم انهم لا ينقضون الوداد فحلفوا وتعاهدوا انهم لا يخونوا وانهم في الخير والشر سواء فأعطى كل واحد منهم ألف ناقة وأعطا بني همدان قوم الادرم نصف غنيمتهم ثم أحضر حجر بن جبلة وأراد ان يرمي رقبته فتشفعوا فيه السادات وقالوا لا جل ابن عمه قيس بن مشكوح المرادي فقال له نازح يا حجر هل عندك موضع لاصنيعة فقال نعم وحق الحنان المنان مكون الاكوان انني اكافي على الاحسان قال فحلفه على الوفاء والصدق فحلف ثم أطلق سبيله وأطلق أكابر قومه فشكروه وودعوه ومدحوه ولما طابت الخواطر وقرة العيون والنواظر التفت نازح الى خاله وقال له يا خال أوف لي بوعدي من جهة ظبية القناص ودرة الغواص فقال عباد يا نازح أنت وأهل القبيلة تعلمون ان دماء ناطريه عند بني عبس وعدنان لانهم قتلوا أخا بشر بن وهب وأخي فاذا أتيتني بفارس مشهور من بني خزيمة أو من بني زياد أو من بني قراد أو يكونوا اثنين سيد بن حتى أني أقضي منهم الدين وازيل العار والشين وبعد ذلك خذها وهذا الشرف لي ولك وأنا أرى منك ان تكتم هذا الحال عن النساء والرجال وان قلت لا أملك فانه لا تدعك ان تروح لانه انخاف عليك من فرسان عدنان أرباب الحرب والطعان ولعمري انهم فرسان وسادات وأصحاب حروب وغارات فان كنت عنهم عاجز فلا تحمل نفسك مالا تطيق فقال له نازح يا مولاي بالتدبير يهون العسير وأنا قاصدي خمسين فارسا

من

من بني القيان يكونوا لي اتباعا واعوانا فقال له خذ لك ستين وعمران بن الجراح (قال الراوي) ثم أحضرهم وأمرهم بالمسير معه الى الغارة فأجابوه بالسمع والطاعة ثم أنه ودع أمه فسألته عن سفرته فقال لها غارة قريبة فقالت له غارة عدنانية أو قحطانية فقال لها لا ادري فقالت يابني اياك اياك والحذر ثم الحذران تغير على الطائفة العدنانية فانهم فرسان الطعان وأنا أخاف من الفارس الاروع والبطل الامجد الذي اذل الفرسان وأباد الشجعان وأهلك الاقران حامية بني عدنان الطويل النجاد وحية بطن الواد وسافك الدماء المسمى بعنتر بن شداد فقال لها ياأماه زوديني بدعاك فقالت له روح الله يسهل عليك أمرك ويرفع قدرك ثم انه خرج من عند أمه وقد اعتد بعدة حربه وجلاده ثم انه سار وتبعته الرجال وفي أوائلها عمران ابن الجراح (قال الاصمعي) ثم أنهم ساروا أول يوم والثاني والثالث نزلوا على غدران الحجاز ومن هناك صاروا يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل مدة سبعة أيام الى أن وصلوا الى بلاد جشم وهوازن ثم انهم عرجوا على سقط اللواء ومنعرج النقا وقطعوا تهامة في خمسة أيام وفي اليوم السادس أشرفوا على العلم السعدي فكمنوا في وادي الظبا ووادي الاراك ثمانية أيام وفي تاسع يوم رأوهم نيام في الوادي المذكور فقبضوهم وساروا يقطعون الربا والبطاح سبعة أيام وهم يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فتاهوا عن الضرب وكمنوا في ديار سبأ وحمير القديمة وربوعها فقال بعضهم لبعض نحن نعرج عن أسودهم فقال نازح اسأل الرب اعظيم رب زمزم والحطيم ان يجمعني أنا وأسود بني عبس ثم أنهم جدوا في المسير وهم يقولوا

لهاناندرك سنية العوسج قبل الصباح ثم ساروا الى أن قاربوا السنية
واذاهم أعترضهم عشرين فارس عشرة من اليمين وعشرة من
الشمال وفارس بارزعهم وهو أدهم وجواده أدهم وهو كأنه
قطعة جبل وهو ينادى أين تذهبون ونحن لكم فى الطلب ياأنذال
العرب قد أتاكم فارس الجلاد ومقنص الاسود يوم الطراد
ومفتت القلوب والاكباد الامير عنتر ابن شدّاد (قال الراوى)
فعندها أجابه نازح أهلا وسهلا فأنا والله لى أفتش عليك زمان
طويل والحمد لله المولى الجليل الذى جمعنا فى هذا المكان قال
وكان قدوم عنتر فى ذلك اليوم له أمر عجيب وحديث مطرب
غريب وذلك أن عنتر والحارث ابن زهير لما أتوا القوم وقتلوا
الخيتعوس ابن عراعر وأتوا الى الحى فرأوه مقلوبا والناس تقول
قد فقدت السادات من بنى خزيمة وهم سادات عبس وعدنان من
وادى الاراك فاغتاظ عنتر وقال للحارث أقعد هنا يا مولاى ثم أخذ
عروه وعشرين فارسا من رجاله وترك الحارث فى فرسان بنى عبس
الكرام وسار عنتر وشيبوب قدامهم يقفز قفزات الغزلان الى أن
وصلوا الى وادى الاراك وسار شيبوب يقتنص الاسد أوّل يوم وثانى
وثالث ورابع الى أن دخلوا ثنية العوسج فوقف شيبوب وكمن
بهم فى الوادى ثم قال يا ابن الام قص هذا الاثر وانظر ما يكون وفى أى
وقت يأتوننا فسار شيبوب الى ثنية العوسج وقال هيهات هيهات قد
أنقضت الحاجات وسبقناهم ولو كانوا طيورا سادات ثم انهم
باتوا تلك الليلة وذلك اليوم وقد التقى نازح وعنتر وقد زعق فيهم عنتر
وقال لهم دعوا سادات بنى عبس وذبيان وانجوا بالامان قبل
أن تعودوا الى نقصان ثم أنه همر وزمجر ولعب برمحه الاسمر

واشتد وقال صلوا على الرسول وأرفق بنفسك يامن سار متعوب
وأعلم بأنك يا مغرور مطلوب
كيف التخلص من رمح ومن ترس
ومن حسام صقيــــل الحد منسوب
ملكت ساداتنا والخمر خامرهم ❋ وأذقتهم لمذلاتي وتعذيب
أما سمعت باسمي ويلك في مــــلاء
وعن حروبي وعن من صار مغطوبي
أما علمت بأني سوف أطلبهم ❋ ولو بلغوا الى السدين في التغريبي
ياويح من بات لي في حيه طلب ❋ يمسي ويصبح متعوب ومكروب
ياعبل كم فارس أرديت منجدلا
فوق الرمال وهو بالدم مخضوب
وكم عجاج غبار خضت غمرته ❋ وقدت فرسانه قهرا ومغلوب
والسمهري مع الصمصام يعرفني ❋ عند النزاع وعقل المرء مسلوب
ويل الى أم نازح حين تعدمه ❋ تبكي عليه بدمع وهو مسكوب
فسوف تعلم من منا يكون غدا ❋ قتيلا وهو فوق الترب مسحوب
اني أنا عنـــتر أوما سمعت به ❋ بطل كمي يرد القرم ملهوب
(قال الراوي) فلما استتم عنتر كلامه ومابدا من نظامه حتى صار نازح امامه وقد انقلبت عيناه في أم راسه وقد أنزعج عقله وحواسه وقد أخذته النخوة العربية والنفس الابية وصار في حمية الجاهلية ورقرق رقرقة مثل النار المحرقة أو الصاعقة المبرقة وأجابه على شعره يقول
يا أسود الجلد يا خيوب ❋ ويا قليل الاصل يا معيوب
اليوم أرديك في هذا الفلا ❋ بطعنة تلقيك لي مقلوب

واسال الادرم عن نازح * كيف أنه أضحى وهو ملهوب
طعنته فى الحرب منى طعنة * فهوى بها فوق الارض مكروب
وتركته جزرا لوحش تنوشه * فوق الحصا وجسمه منهوب
وكذاك جر كان ابن خويلد * كالكلاب مشدود وهو مسحوب
ولسوف أبد عنـــترأ امثالهـــم
وأجرى دماه على الارض وهو مسكوب
يبدى أنينا فى القفار مجندلا * فوق الرمال وبالدما مخضوب
(قال الاصمعى) فلما فرغ نازح من شعره وسمع عنتر ما قاله من نظمه ونثره زادت به الغموم وقد صار العنيا فى عينه ظلام وقال له يا ابن الليام دونك والصدام وأثبت الى طعن القنا وضرب الحسام ثم أنهما أصطدما كأنهما جبلين والتطما أو بحرين زاخرين أو كأنهما أسدين ضاريين وقد تعجب منهما كل من واهم بالعين هذا والامير أسيد كلما رأى حرب نازح يتعجب ويزيده الطرب وينظر الى خفته ورشاقته وحسن حربه وشجاعته وهو مع ذلك صغير السن فاخذته عليه الشفقة والحنه وقد صار يتامل الى هذا العمل ويقول فى نفسه والله ان هذا الغلام ما يجوز أن يقتل ثم أنه نادى بعنتر وقال له بالله عليك يا فارس البدو والحضران قدرت على هذا الغلام لا تنزل به العبر ولا تتركه قتيلا معفر وتدعى عليك أتحسر (قال الاصمعى) الى هذا الكلام ثم ان عنتر البطل الهمام لما سمع هذا النثر من مولاه أسيد زاد به الابتسام وجد مع نازح فى الخصام وأخذ فى الصدام الى أن جرى منهم العرق وزاد القلق ورأى عنتر من نازح طعنا يقلب الحدق ويشبه البرق اذا برق فاحترز منه على نفسه خوفا ان يسكنه رمسه فافترقا عن

31

الطعان وقدوقفا فى الميدان فصار عنتر يعدله باللسان وهو لايعرف انسان ولم يأخذ كلام عنتر بقبول واشار اليه ينشد ويقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول

دع عنك عزلى فلم أصغى الى عزلى * ولم أجبك فى قول ولا عمل
موت الفتى وسيوف الهند تنهبه * أخير من عيشه فى الذل والخبل
ليس التقدم فى نهار الحرب يهلكنى * ولا الفرار ينجينى من الاجل
من كان يكره ان يلقا منيته * فالموت أحلا على قلبى من العسل
قابلتنى الآن ياعبد الليام ولو * عرفتنى كنت تخشانى من الوجل
لان جنسك عبد أسود كدر * من يصطفى العبد لا يأمن من الذلل
فاليوم أرديك فى البيدا منجدلا
رزقا لوحش الفلا فى السهل والجبل
لاننى ذكر فى الحرب ذو اذكر * مقلد ذكرا أهوى به القلل
انا الذى قد أسرت سراة سوف تلحقهم
لاننى فارس والناس تشهد لى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وفهم شعره ونظامه وما لفظ به من كلامه فاشار برد عليه جوابه وانشد يقول صلوا على طه الرسول

ياقاصدا بغى قتالى فى الفلا * ويرومنى عند اشتباك قناها
كم قد ابدت كتائبا ومواكبا * وجعلت فيها كى تدور رحاها
وبريق سيفى فى العجاجة لامع * يغشى عيون الناظرين ضياها
وسنان رمحى فى الصدو رمشرق * ومغرب حتى يشك كلاها
وأنا الذى لو مثلوا لى صورة * الموت يوم الحرب لم أخشاها
أحمى بنى عبس على طول المدا * حتى أموت ولم يمت ذكراها

(قال الاصمعى) لما قدم عنتر من أرض العراق حكى له أبوه شداد

على ماجرى لبنى عبس الاجواد وقد تبع منهم الاثار فقال له
شيبوب اتبعنى فى وسيع القفار وأنا يا ابن الام أسبقهم بيومين
ولو كل منهم يطير بجناحين والحقك بهم فى أقل من طرفة عين ثم
أخذ بهم فى عرض البر أول يوم وثانى الايام طلع بهم من جبل وتحدر
منه ونزل وفى ثالث يوم أشرف بهم على تلك الثنيه وصار يتأمل
فى جوانب البريه فقال له عنتر سير ولا تخشى من نكير فقال له
هيهات هيهات سبقناهم ولو كانوا طيور طائرات فباتوا وأغير قليل
حتى بان لهم النور وهم على تلك الامور فاشرف عليهم نازح وهجم
عليهم وقد أنشد الشعر الذى أنشده وأجابه عنتر وحمل كل واحد
منهم على صاحبه وقد داق طعنه ومضاربه واصطدما كانهما بحرين
والتقيا كانهما جبلين هذا وعنتر كلما رأى رشاقة نازح وحربه
على صغر سنه وهو يتعجب من ذلك هذا وأسيد صاح بالله عليك
يا عنتر يا أبا الفوارس لا تقتل نازح بل انك تأسره وتبقيه لان قلبى
عليه فى احتراق ولم أدرما السبب فى ذلك الاشفاق هذا وعنتر قد
رأى من نازح طعنا مثل الجمر الى أن سال منهما العرق وقد زادهم
القلق وكان الامير نازح معه ثلاثة من الحرب الذى من قديم الزمان
يتعاربوا بها فى بلاد السودان وكان اذا رشق بها خصمه أو زجها اليه
تنفذ من الحديد والزرد الذى عليه لانها تخرج من يده مثل البرق
اذا برق أو مثل السهم اذا مرق فاغتصبت منهم واحده من يده
والاثنين كانوا تحت فخذه فلما تعب من عنتر وحل به الخوف
والضرر فزجها اليه فخطفها عنتر من الهوى فاخذ حربة أخرى من
الحربتين اللتين تحت فخذه وقد غضب الذى خابت حربته ثم أنه
زاوغ عنتر وأشار اليه بها وقد هزها الى ان حر طرفها وقال خذها

فى نحرك يا أسود يا حجام ويا راعى الاغنام فجعل عنتر ترسه على صدره ووجهه فلما رآه نازح قد استتر من فوق فرجها الى صوب مشعره لتشقه فوقعت الحربه فى قربوص سرجه وكان من الحديد الصينى اليابس وهو من سروج كسرى فخرقته وكان قد انحرف الى ناحية عن السرج فضربه بالحربه التى كان قد خطفها من الهوى فسبقته حربة نازح فجاءت فى السرج ونفذت منه ووصلت فخذ عنتر فجرحته (قال الاصمعى) فلما حس عنتر بالم الجرح الذى فى فخذه فاغتاظ وقد هز تلك الحربه الى أن التف طرفاها على بعضها البعض وقد طار منها الشرار ثم أرسلها اليه فخرجت من كفه مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف فوقعت فى لبة جواده الزعفران فرقت من بين فخذيه مثل السهم اذا مرق فوقع الجواد الى الارض فاراد نازح ان يوثب من على ظهره الارض فما أمهله عنتر بل هجم عليه وأخذه أسيرا (قال الراوى) هذا ولما ان رأت بنو القيان ما حل بنازح حملوا الجميع على عنتر لما ان رواف رسهم معه أسير طمعا فى خلاصه من يد قناصه فعندها رمى عنتر نازح من يده الى وجه الارض كاد ان يرض عظامه رض واذا بشيبوب قد انقض عليه مثل الريح الهبوب و فى عاجل الحال شدّه كتاف وأوثق منه الاطراف ثم ان عنتر زعق على من معه من الفرسان وأمرهم بالقتال والضرب والنزال فعندها حملوا عنتر ووضع الطعن بالرماح والضرب بالصفاح فثار عليهم الغبار الى أن سد البطاح وقل الفلاح وكثر النواح وقد تجندلت الفرسان على البطاح هذا وقد صار الغبار من فوق رؤسهم مثل الدخان فهرب الجبان ويشتت الاقران

وكانوا فى ذلك المكان كانهم العقبان فصار هذا يكر وهذا يفر وهذا يزير كأنه السبع الغضنفر وكانوا فى ذلك البر الاقفر ما يطلع أحد منهم على خبر فما كان للجبان صبر ولا مستقر ولم تكن الاساعة من النهار حتى وقع الفنا فى فرسان بنى القيان وقد اشتدت عليهم المصايب والاحزان فقتل منهم ثلاثين بطل وأسروا خمسين وانهزم فى تلك البرارى عشرين (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب بعد الصلاة والسلام على صاحب القضيب والبردة والنجيب الذى كل من صلى عليه قطعا لا يخيب وكيف يخيب وهو يصلى على الحبيب ثم ان عنترة تقدم الى الملك زهير وأطلقه من الشد والوثاق هو ومن كان معه ماسور من اخوته وأولاده وسائر الرفاق ولما استقر بهم القرار تقدم عنتر الى الملك زهير وقبله بين عينيه فشكره الملك زهير واثنى عليه بكل خير وحكى له على ماوقع لهم من الهم والضير وسبب أسرهم وماوقع لهم ونالهم وهم نيام فى البر والآكام فقال عنتر يامولاى يجب على كل أنسان لا يأمن غدرات الزمان فانه لم يزل غدار وأنا أشكر ربى الكريم على هذا الخلاص والتيسير من قريب لانه هو الذى سخر لنا الامور والابقينا معيره فى سائر الآفاق ثم ان عنتر بعد ذلك حدث الملك زهير بما جرى له فى أرض العراق وكيف سرقت خيولهم فى الطريق وكيف أنهم راوا شيبوب والحارث والبنات مع بنى زهره وهم فى غاية مايكون من الاسر وبعد ما أيقن كل واحد منهم انه مقبور وهذا والملك زهير يسمع وأجفانه من العبارات تدمع ثم انه قال ياأبا الفوارس اليوم ولدى الحارث فى الحياة وهو فى الحلة سالم فقال له نعم أنه فى الاحياء ماتم عليه من الشر شى

تخشاه فقال له لله درك يا أبا الفوارس فوالله لقد أزلت عني
ما كان اعتراني من الوساوس والفكر لانه كان قلبي من ولدي آيس
ثم أنه قال يا أبا الفوارس سر بنا في هذه القفار واطلب بنا الاهل
والديار من قبل ان يشيع عنا هذا الاخبار ولكن قبل المسير
أضرب رقاب هؤلاء الكلاب واعلم أن قتلهم عندي فيه الصواب
واقتل هذا الولد الزنا قبلهم وأنزل به الذهاب قال فلما ان سمعوا
الحاضرين من الملك زهير هذا الكلام قالوا له الجميع والله لقد أشرت
بالصواب هذا وقد تقدم شيبوب وأخذ نازح وقدمه في الاولى
وعراه في عاجل الحال من ثيابه فبان له جسم أبيض كأنه البلور
ثم ان شيبوب بعد ان عراه كشف راسه فبان له شعر اجعد اسود
فتأمله أسيد ابن جزيمة ورأى الى هذا القد الرشيق وتلك الخلقة
العظيمه ورأى في ذراعه عضدية وفيها سالفة صمين وهما مع الخرز
المجزع منظومين وهما على هيئة الآلهة والاصنام وكانت تلك
العضدية لا يلبسها الا رجل جليل عاقل لبيب هذا وبنو عبس
قد ارادوا أن ينزلوا بنازح التنكيل هذا وقد تقدم اليه بكل
سيف صقيل فقال لهم أسيد اصبروا يا بنو عمي على قليل حتى انني
أنظر ما قد تحقق عندي من بعض ما أريد ثم انه تقدم الى عند نازح
وقد حل العضدية من على ذراعه وقد قبلها ساعة وبكى
وان واشتكى ثم أنه قال لنازح من أين لك هذه العضدية يا غلام
(قال الراوي) فعندها بكى نازح وقد نزلت دموعه مثل الغمام
وقد قال له أعلم ان هذه قد اعطتها الى أمي واذا اعتراني أمر فببركتها
يزول همي وغمي (قال الراوي) فلما ان سمع أسيد ذلك الكلام
نزلت دموعه على خدوده سجام فقال لنازح يا هذا ومن يقال

لابيك بين الفرسان فقال نازح والله يامولاى انى لاأدرى
من هو أبى ولاأعرف من هم من القبائل عربى ولاربيت
الاغريب يتيم فى غيرهذه البلاد وقد انتشيت فى نعمة مولاى
عباد وأن له بنت يقال لها ضمية وقد هويتها أيام الصبا وبسببها
نازلت الابطال وقاسيت الاهوال وسرت كل ما أهم أطلبها
منه فيمنعنى الحياء وأقول فى نفسى بالامس كنت يتيما بينهم
واليوم أطلب بنته فوالله لافعلت ذلك أبدا ولوانني اشرب كاسات
الردا وأنى لم أزل أتقرب اليه بكل ما يرضيه ثم انى سرت ابالغ
فى خدمته وأكتم فى قلبى هوى بنته وكلما اشتدبى الغرام اشكو
الى أمى مابى من الهيام فكانت اذا سمعت مقالى تبكى على أحوالى
فيسمع أبوها بقصتى وقصتها ورأنى قد تفرست وقهرت الابطال
فطلب منى مهرها سادات بنى عبس وعدنان وقد ذكر ان له
عليهم ثار من قديم الزمان وهومن أجل ذلك يتقلى مقالى النار
واذا تذكر فعالكم تدمع عيناه كالغدران وكان قبل ذلك
قصدكم مرار ويعود بالخيبة ولم يحظ بطائل فقال لى أن كنت تريد
تحظى بالقصد فسر الى أرض الحجاز وتأتى بغرمائى فى الاصفاد
ولما ان رأت أمى ماعزمت عليه أعطتنى هذه المعضدية وقالت لى
ياولدى أعلم ان هذه تكون لك حما أن أراد نصرك رب السماء
لان فيها أسم محيى العظام وخالق النور والظلام وأعلم ان أبوك
قد أعطانى اياها وقال لى احفظيها ولا تعطيها الاحد وكان ذلك
اليوم حملت بك ولم أدرى بعد ذلك ما يكون من مكتوبى ومكتوبك
من جميع الاعداء ثم انها قالت لى ياولدى أن أنت ظفرت باعداك
وبلغت مناك فأحمد رب زمزم والمقام ومتى أنت أخذت

اسير فمن بركتها انك تخلص من البؤس والعنى فربطتها فى عضدى
وقد ظننت أن أنال بها مقصدى ثم انى بعد ذلك عرضت المسير
على قومى فأجابنى منهم مائة فارس فأوعدتهم الغنائم وقد سرنا الى
وادى البان وقد ظفرنا بكم من غير تعب بامان هذا وقد لاح
لى قول أمى فى المعانى وقطعنا بكم البرارى الى أن لقانا هذا
الفارس الاسود الذى مثله فى هذا الزمان لا يوجد وقد جرى لى معه
ماقد جرى وحل بى معه النكبة وها أنتم قد قدمتمونى لضرب الرقبة
وقد ايقنت من ساعتى بالوفاه وأيست من الحياه (قال الراوى)
نجد فلما سمع أسيد من نازح هذا الكلام لاح له من الحق لائح
والسلام فعند ذلك تقدم اليه وقد ضمه الى حضنه وقبله بين
عينيه وقال له انت ولدى وقطعة من كبدى واعلم ان هذه
العضدية قد أعطيتها الامك ليلة دخولى عليها وها اسمى مكتوب
فيها ثم انه التفت الى أخيه زهير وقال له يا أخى ان الزمان قد عاد
وعلى جاد وقد رد على ماذهب واعلم اننى عن أم هذا الغلام
كنت احدثك بقصتها (قال الراوى) فلما سمعوا الحاضرين
كلام أسيد تعجبوا وحل بهم الانذهال وقد بكوا وجرت دموعهم
هذا وعنتر قد بكى وتعجب ولحقه الفرح والطرب وفى عاجل
الحال جاء الى نازح وقبله بين عينيه وقد زال ما فى قلبه من
الاحقاد عليه لانه قد رآه فارس غضنفر وبطل قسور فقال نازح
يابنى عبس ما أنتم الا معدن الجود والفخر قال الاصمعى وبعدها
عادوا طالبين الطريق المستقيم هذا ونازح سائر بجنب أبيه
أسيد بن جزيمة يتحدثوا وأسيد يعطيه صفة أمه وأحكامها وما كان
من أمرها ونازح يقول له صدقت وقد صح عندى انك أبى ولا بقالى

صبر عنك ولا عن قومي وعربي وأنا متفكر كيف اقيم عندكم في بني
عبس وأمي اتركها بحسرتها في بني القيان تقاسي من شوقها لهب
النيران ولاسيما اذا سمع عباد انني من بني عبس فوالله ما كان
يتركها على الارض تمشي وأموت أنا بحسرتها ثم حسرتي في ابنته
ضمية لان في رجلي قيد ثقيل لا ينفك من محبتها الا بوصل الاجتماع بها
وصحبتها فقال له أسيد وكيف يا ولدي اخلي أمك في يد العدا
واخلي من ضمية في قلبك غصة ثم انهم لم يزالوا سائرين الى أن
امسى المسا فنزلوا وهم فرحين حتى أكلت الخيل عليقها وركبوا
وساروا على ما هم عليه حتى وصلوا الى وادي البان فوجدوا
فرسان بني عبس وبني زياد وهم في تلك الروابي والهاد وقد
أتت تقتفي الملك زهير وأخوته فسار وراءهم حتى يحظى بفعل
الجميل معهم فخاب أمله وحظي بالفعل غيره الا انه لما أبصر الملك
زهير وأخوته فحدثه بما جرى لهم مع نازح والقصة التي جرت
من أولها الى آخرها (قال الراوي) فلما سمع الربيع ذلك الكلام
تقدم بمكره ودهاه الى عنتر وسلم عليه وشكره على فعله وقال له
لا كان يوما لا نفارك فيه لانك ذخيرة لاصدقائك ووصية على
اعدائك يا سيفنا القاطع ورمحنا الساطع فلما سمع عنتر مقاله
استحي منه وشكره على فعاله وقال له هل أنا الا عبدكم
بسيفكم اضرب وبعزمكم اغلب ثم انهم ساروا الى المسا اشرفوا
على وادي الاراك فباتوا هناك الى أن بدا الصباح عولوا على
الرحيل والرواح فقال أسيد أنا ما أقدر أعود معكم الى الاحياء
حتى امضي واخاصر زوجتي سلما وابلغ ولدي نازح المنا ويزول
عن قلبي العنا واذا لم نفعل معه هذه الاشياء والا ما يطيب له عندنا

مقام ولا يزداد الا قلقا وهيام قال الاصمعي فلما سمع الملك زهير من
أخيه هذا الكلام قال له يا أخي كلنا نسير معك الى بلاد اليمن
وننزل بكل من فيها المصائب والمحن ولا نعود الا ببلوغ المقصود
فقال عنتر لا وحق من أخرج الماء من الجلمود وأهلك قوم عاد
وثمود ولا سار في هذا الامر الا أنا ولا احوجكم الى تعب ولا عنا
فقال الربيع لله درك يا أبو الفوارس ويا زين المجالس وأنا
واخوتي نسير بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك وكان
قول الربيع مكر ومحال حتى يرمي عنتر روحه على
الاهوال ويتمنى له عثرات الزمان أو مصيبة تصيبه في بلاد اليمن
فشكره عنتر على مقاله وهو يعرف مكره ومحاله ثم اقسم بمن
يعلم عدد النبات لا سار في هذا الامر غيره هو والامير عروة ومن
صحبه من رجاله السادات فقال الملك زهير هذا الامر لا يكون
وكيف نترك مثلك يخاطر بنفسه ويرميها في البلاء والمحن
وتريد ان تهلك روحك في بلاد اليمن بل كلنا نسير معك وعلى
ما تلقاه نساعدك والا خذ معك ألف فارس من بني عبس
الاشاوس فقال عنتر أيها الملك الهمام لا وحق زمزم والمقام
لو أني سائر افتح بلاد الشام لا اخذت معي ألف فارس تمام وهل
هي الا قضاء حاجة ونعود ولكن يا مولاي ما يطيب على قلبي المسير
الى هذا المعنى حتى يدخل الحارث على لبنا (قال الراوي)
وكان الحارث قد برى من جراحه وقد بدا صلاحه هذا ولم يزالوا
بنو عبس سائرين حتى وصلوا الى الديار ونزلوا وقر بهم القرار
وقد أخذوا في الولائم والهنا وجدوا في عرس لبنا وهم في فرح
وسرور وذبحوا في عرس الحارث خمسمائة ناقة وألفين رأس

من الغنم هذا وقد وقع فى العرس الخاص والعام سبعة أيام وزفوا لبنا عليه ودخل بها وطاب وقته بقربها وأقاموا بعد العرس سبعة أيام فأتى أسيد الى عنتر وشكا اليه مافيه ولده نازح من الغرام فقال له عنتر والله لو أرسلت الى بعض العبيد ماكنت تأخرت عن السفر رأيها الملك السعيد ثم انهم قالوا للملك نحن معولين على المسير فقال امضوا بسم الله لكم ماتعسر ثم أرسل معهم مائتين فارس غضنفر وعقد لاخيه أسيد راية وقدمه عليهم وسار معهم للوداع حتى بعدوا عن المنازل وودع بعضهم البعض وسار عنتر وأسيد قاصدين بلاد اليمن وكملت عدتهم ثلثمائة فارس وهم المائتين الذى أرسلهم معه الملك زهير والمائة فارس رجال عروة بن الورد ومع نازح ثلاثين فارس من قومه صحبة عمران ابن الجراح فجدوا فى قطع البرارى والبطاح فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك زهير فانه رجع الى الديار فوجد الدنيا منقلبة بالنواح فلما نظر الملك زهير الى ذلك حار ولحقه الانبهار وقال على من هذا المصاب والبكاء والانتحاب فتلقاه ولده الحارث وهو مسلوب الحواس وقال له انه أخى شاس فكاد ان يقع من على ظهر الجواد وقال له ومن أتاكم بهذا الخبر من العباد واذا بعبده سالم تقدم وأشار يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

قتلت عامر شاسا ❁ بسهام قاتلات
صاده الصياد غدرا ❁ فوق ظهر الصافنات
لوجاه بسهم بليل ❁ فهوى فى الفلوات
بعد ذا فأم نحره ❁ ظالم ذو غدرات
ثم أمضى بعد قتله ❁ دفنه فى الربوات

36

فأتيت اسعى اليكم * ساداتى ذوالمكرمات
فاعلموا حقا يقينا * صدق قولى يا ثقات
واطلبوا الثار سريعا * يا كرام السروات
فهو فى عامر حقا * مع على بثبات
بينهم قد راح شاس * بسهام قاتلات

(قال الراوى) ثم أن العبد ابتدأ يحكى الى الملك زهير ماوقع لولده شاس وكيف حمل ناقته طيب وكيف تعالج مع بنى فزارة ورافقهم وكيف رافق الشيخ مجيد وكيف حلف مولاى ما يرافق أحد وسرنا يا مولاى حتى اتينا غدران جعفر والنظيم فصادفنا رجل كريم وقال لسيدى بات عندنا واصبح سافر لان كل ليلة يداورنا سلال وهذا الليل عاكر فقال سيدى وحق ذمة العرب ما أنا بايت الاقدام فسرنا يا مولاى الى نصف الليل فاشرفنا على غدير وكان بالقضاء والتقدير عليه صياد وكان الصياد قد أتى اليه وكاد ان يقع فى اشراكه فنفرمنا فقال الصياد ما هذا الظلم الذى بدا منكم الينا يا انذال العرب احرمتمونا رزق العيال ونفرتم عنا الصيد بعد ما كاد يقع فى الحبال فقال شاس ويلك يا نسل الحرام نحن معنا خير منك ومن صيدك فى هذه الآكام فقال الصياد لمثلى يقال هذا الكلام خصوصا فى مثل هذا الظلام ولكن خذ ما جاءك وأبشر بالحمام ثم انه فوق سهما وضرب به مولاى فى صدره أخرجه من ظهره وزوده باخرى فى ظهره اقلبه وهجم عليه وبرك على صدره وفى يده خنجر كأنه القضاء والقدر فصرخت عليه فقام الى كأنه فرخ من الجان والخنجر يقطر دماء قولانه نحره وقال عدياكلب العبيد لاتقرب منى فخفت أن يقتلنى

ولا اصل اليكم فركضت فى عرض البر الاقفر حتى وصلت اليكم
لتأخذوا بالثار وتكشفوا العار ثم ان العبد بكى وأنشد يقول
صلوا على طه الرسول
اياعين ابكى بالدموع السواكب
على شاس مولاى وعينى وحاجبى
وياكبدى الحراعليه تقطعى * فلا كانت الدنيا بغير حبائبى
فلو حل بالافلاك مافى قلب مكتوبنا
تساقطت الافلاك من كل جانب
فكم مصابهم الناس شرقا ومغربا
على سيد من نسل قوم اطائب
وذلك مررنا مذ أتينا العامر * فصاد فنا ندلا يصيد ارانب
وصاح على شاس تحاولا تكن * جريئا واخشى سطوتى ثم جانب
فلم يصغ شاس للكلام لانه * من الملك فى امن وأعلا مراتب
ففوق سهما للقضا صاب نحره * وأنلبه عن سرجه فى الغياهب
فحققت مولاى على الارض ثاويا
ببعض الحصا ملقا على فرد جانب
وصاح ولم يقدر يتم كلامه * وارى دماه الحصا والسباسب
وقد أخذ البهلول اعنى جواده * وغيبه فى الارض تحت الترائب
وقد صاح جهرا بعد قتلة سيدى * ورام هلا كى بعد قتلة صاحب
فأسرعت يامولاى هاربا فى الفلا
اجوب الغيافى مسرعا والترائب
اخبركوا بالامر ياملك الملا * لتسرع اليهم سائرا بالكتائب
فوالله لاطابت حياتى بعده * ولالذلى عيش لفقد حبائب

(قال

(قال الراوى) فلما فرغ العبد من شعره نزل الملك زهير وأقام بالفلا ثلاثة أيام وركب فى أولاده فى بكاء وانتحاب على فقد أخيهم شاس وزهير ساير فى أوائل الناس مقروح الفؤاد والضمائر حتى أشرف على بنى عامر فركب عشر ملاعب الاسنة فى قومه الى ملتقى الملك زهير الى أن قاربه وترجل وسلم عليه وقال له ما هذه الهمة العليه يا ملك الزمان لم تعلمنا بقدومك الينا حتى كنا نتاهب الى لقائك بالاكرام فقال زهير اسمع يا غشم أنا ما جئت لكم زايرا ولا ضيف بل أتيت أضع فيكم السيف فقال غشم وما الذى بلغك عنا وأنت ملكنا فاخبره بما جرى على ولده شاس وكيف قتل فى أرضهم وأتى عبده وأخبره بذلك فقال ملاعب الاسنه وأنت يا سيدى تأخذ بقول عبد علينا واذا كان الامر صحيح يا سيدى يرد على الماء بالليل من قاطع طريق وعابر سبيل وربما اتفق له انسان بريب وكان منه قريب فقتله وأنت ملك كريم لا تأخذ البرى بالسقيم فان كنت يا ملك لا تسمع كلامنا سلمنا أنفسنا اليك وأولادنا وأموالنا تفعل فينا ما تريد يا ابن الكرام ولا تجرد فى وجهك حسام فاستحى الملك زهير بقاتلهم من غير سيئة صدرت على هذا الكلام فرجع هو والاولاد وقد زادت النار فى فؤاده وكان أعظم أولاده حرقة قيس لان العرب تسميه قيس الرأى فلما رجع الى الديار دعى بدايته وقال لها يا خاله أريد منك أن تسيرى الى بنى عامر وتأخذى معك على هذين الناقتين الشحم والدقيق وأظهرى ان عندك بنت وفى مرادك تزوجيها وأنتسبى الى غير قبيلة عبس ولا تبيعيه الا بطيب يكون زكى الرايحه وعلامته ان تكون رايحته فائحه واسالى عنه من اين انجاب

عسى ان تقع على خبر او حلية أثر فاجابت بالسمع والطاعه وأخذت
الناقتين وسارت وأرسل معها فرسان تخفرها الى قرب بنى عامر
ورجعوا فسارت العجوز حتى دخلت بين الحلل والمضارب فاجتمعت
عليها النسوان من كل جانب وكانت سنة غلاء وقحط وقد
عم على جميع الناس وكان بالامر المقدر زوجة الصياد ثعلبه
ابن الاعوج محتاجه الى الزاد وعيطوا عليها الاولاد فاتت الى
العجوز فرأتها والنسوان حولها وكلما جابوا شيأ تقول أريد خيرا من
هذا فقالت لها زوجة الصياد ياخالتى أنا عندى مطلوبك فقومى
معى الى بيتى وأنا اقضى حاجتك وابلغك أمنيتك فقامت
العجوز وهى تقول يابنتى جميع ماتفعليه مع هذه البنيه اليتيمة تلقيه
فقالت ماهناك الا الخير لان أنا عندى طيب مايوجد عند خطار
ولا هوا لا عند الملوك الكبار ولكن ما أدفع لك الطيب حتى
تعلمينى من أى القبائل أنت فقالت ياسيدتى أنا من بنى دودان فما
معنى هذا الكلام يابنت السادة الكرام فقالت اسمعى
ياخاله ان زوجى رجل صياد يقال له ثعلبه ابن الاعوج وقد رزق على
فقره مالا يرزقه أحد لانه كان فى بعض الليالى يصطاد فرعليه غلام
من بنى عبس يقال له شاس بن الملك زهير فنفر الصيد عنه فضربه
بسهم قتله ودفنه وكان معه عبد هرب وخلاه فاتى بمركبه
وناقته فوجدنا حملها كله طيب من هذا فذبح الناقة وفرقها على
المساكين وأخذ الجواد والعده يبيعهم فى بلاد اليمن ويرجع
وأنا ما أدعك تسيرى من عندى حتى تحلف لى أنك لم تعلمى أحدا
بهذا الكلام فقالت ياستى وأنا لا أعرف هذه القبيله من أى قبائل
العربان ولا أعرف أن فى العرب قبيله تسمى بنى عبس وعدنان

ثم أنهـا المتهـا بشيء من الشحم والدقيق ورجعت على عقبها تقطع الطريق الى أن دخلت على قيس وأعلمته بجميع الخبر وكان الملك زهـير بعد رجوعه أتاه حـذيفه وطائفه بنى فزاره يعزوه فى ولده فقال زهير والله ياحذيفه ما أتيت معزى ولكن شامت لان ما فرط فى ولدى غـيرك ولا قتل الا بسببك ولكن اذا ظهر قاتل ولدى قابلناه بما فعل فطلع حذيفه من عنده حردان وهو يقول وحق ذمة العرب لا كنت له معاون ولا مساعد لانه لا يخلع نعال التكبر والتجبر من رجليه فهذا ما كان من حذيفة وأما الملك زهير مقيم فى مضربه واذا بولده قيس دخل عليه وأعلمه بما دبر وكيف أتت العجوز بالخـبر فلما سمع الملك زهـير هـذا الكلام قام واقف على الاقدام وصاح يال عبس الكرام فاتت الاكابر فقال أركبوا فقد ظهـر قاتل ولدى فى بنى عامر فركب الفرسان من بنى عبس وعدنان وزهير قدامهم ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

كانت تمر بنا طارقات الليالى ❋ وفؤادنا من الحوادث خال
فأتتنا رزية عـرفتنـــا ❋ بالرزايا وبالهـموم الثقـال
يال قومى فقدت من كان سيفى ❋ ويمـــينى عند اللقا وشمال
كان تاجا على بنى عبس ❋ وبدرا يزدرى بعد الكمال
فأتاه المحاق والنقص لما ❋ رشقته أيدى العدا بالنبال
يابنى عامر أما خفـتم البغى ❋ الذى أهلك القرون الخوال
أى ارض تلقا كم بعد شاس ❋ أو تظلكـم من الوبال
خيلنا ضمـر لاجـل حروب ❋ وسيوف بها تقرع الاجال
وعوالى الرماح تشهـــدانا ❋ فى المعالى لنا بيوت عوال
ومـلوك الزمان فى كل أرض ❋ يخدمونا ونحن فيهـم موال

أبشروا بالدمار من حد سيفي * وخيول لنا تحاكي السعال

(قال الناقل) ثم انهم جدوا المسير وفي قلوبهم نيران السعير حتى أشرفوا على بني عامر وكان المقدم عليهم أمير يقال له خالد بن جعفر وفارسهم غشم بن مالك وبني عبس المقدم عليهم الربيع بن عقيل وبني كلاب المقدم عليهم جندح ابن البكاء وهذه الثلاث قبائل نازلة في فرد مكان وبينهم أهليه ومناسبه الاان الحاكم على الجميع خالد ابن جعفر وكان في هذه الايام غايب في أرض العراق عند الاسود أخو النعمان لانه كان متزوج بنت أخيه الاخوص وكان اسمها سعاد لانه لما سمع بز واجه باخت حذيفة أخذ جماعة من بني عامر وسار بهم نيه فحاشته بنت أخيه وقالت له أقم عندي حتى أبصر كيف يكون حالي وكان كلما سمع منها ذلك المقال يقل صبره من هذا الكلام فلاجل هذا اقام وفي غيبته جرت هذه الاحكام ووصل الملك زهير الى بني عامر في تلك الايام فوجد الاحياء خاليه من الابطال وما فيها غير ملاعب الاسنه في نفر قليل من الرجال وهم لا يثبتون قدام بني عبس وعدنان في قتال (قال الراوي) فلما انهم راوا بني عبس ركبوا الى لقاه وخضعوا له في الكلام وسألوه عن عودته وسبب قدومه في سفرته فاخبرهم بالحيله التي دبرها ولده قيس حتى بلغ المراد وأعلمهم بأن قاتل ولده ثعلبه بن الاعرج الصياد فلما سمعوا ذلك المقال وحققوه طلبوا ثعلبة فما وجدوه فاحضروا زوجته فقرروها وبالقتل هددوها فقرت بما فعل زوجها وأحضرت ما كان بقي من الطيب عندها فلما صح ذلك المقال عند الملك زهير صعب عليه وقامت في أم راسه مقل عينيه وقال يا بني عامر أريد منكم ثلاث

خصال

خصال والا امكنت منكم السيوف الصقال (قال الراوى)
فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال قالوا أيها الملك المفضال وما هى
الثلاث خصال قال الاولى تعيدوا ولدى كما كان حيا والا سلموا الى
نساء بنى عبس وأطفالها أقتلهم بثار ولدى وان لم تفعلوا املؤا لى بردتى
من نجوم السماء (قال الاصمعى) فلما سمعوا ذلك المقال قالوا تعديت
وبغيت فيما أشرت لان ما يحيى الموتى ويميت الاحياء الا الله وأما
قولك نملا لك بردتك من نجوم السماء فهذا محال لانك تعلم ان بيننا
وبين السماء سفر خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك ولا يقدر أحد
على ذلك الكلام وأما قولك نسلم لك نساء بنى عبس وأطفالهم حتى
تذبح الجميع فهذا شىء مما تقول انك تفعله وأنت ملك عادل كريم
لا تأخذ البرى بالسقيم وأما اثارة الحرب بيننا وبينك فمعاذ الله
ان تفعل ذلك ولا نثير الحرب بين الفرسان ولكن نحمل اليك
عشر ديات ونسألك ان تعتق نساءنا والبنات ونكون لك عبيدا
ونساءنا أموات ونطلب ثعلبة بن الاعراج أينما كان ونأتى به اليك
تنزل به الذل والهوان ومازالوا القوم على ذلك الشان حتى رق
لهم الملك زهير ولان والتفت يشاور الربيع فى العودة الى الديار
فقال له أيها الملك المفضال وأى شىء هذا المقال كيف تبقى رأسنا
بين العرب تشتال وولدك قد دق الاحتيال حتى عرف قاتل
ولدك من الرجال وبعد ذلك تخدع بالمحال ثم انه جذب الحسام
ونادى الثار الثار وضرب فى بنى عامر بالبتار فنادت أولاد زهير مثل
نداه فارتجت لصيحتهم الفلاه ومدوا قطع الرماح وعملت بينهم
الصفاح وعلا الصياح ولبست أبطال بنى عبس السلاح ودافعوا
بنى عامر عن أنفسهم وقد اشتد الكفاح وكثر القتل والجراح وجرى

الدم وساح وطلع الغبار حتى غشى المقل الصحاح وانتثرت
الجماجم عن هيا كل الاشباح وقاتل بنو عامر عن أولادهم وقل
صلاحها وكثر فسادها وماقاتل ذلك اليوم قتالا ردا الاعنة الا
ملاعب الاسنة لانه كان من الفرسان المشهوره والابطال المذكوره
ولكنه أبصر جميع بنى عبس قد تفرقت وجميع قومه قد تمزقت
فخاف من انقلاع الآثار وخراب الديار فاخذ من قومه جماعة من
الرجال الكرام وقصد الملك زهير تحت الرايات والاعلام ومن
حوله أولاده فترجل اليه وقبل فى الركاب قدميه وقال له أيها
الملك لا تفعل فعال الجاهليه الاثام وأنت السيد الهمام فادفع عنا
الحسام واقبل منا السؤال حتى نخرج لك هذه القبيله التى قتلت
ولدك من بيننا ونذل ساداتهم الكرام ونسلمهم اليك وتبلغ منهم
المرام ولا تؤاخذهم بذنوب غيرنا وتتركنا مطروحين فى الفلاه
وتطا البنا بشىء مافعلناه وتصبر علينا بقية هذا اليوم وعند الصباح
دونك والقوم ولم يزل يرق لهم فى السؤال ويخضع لهم فى المقال
حتى أجابهم الى ماطلبوا وقد استحى ممن حوله من العرب وقال قد
أمهلتكم بقية هذا اليوم حتى لا يبقى علينا عتب ولا لوم ثم انه
فى ساعة الحال انفذ عبيده ترد الرجال وما انفصل القتال حتى
أقبل الليل بالانسدال ثم ان ملاعب الاسنه عاد الى قومه وقال لهم
حصنوا حريمكم والعيال فى رؤس الجبال لانى خدعت زهيرا بالمقال
حتى تمضى هذه الايام ويدخل الشهر الحرام ويرحل عنا هذا
الجبار الذى لا يرام فلعل يقدم علينا خالد من أرض العراق ويدبر
هذه المصيبه التى لا تطاق والا تشتتنا فى الآفاق (قال الاصمعى)
فلما سمعت بنو عامر هذا الخطاب رأوه عين الصواب وتبادروا

وقلعوا المضارب والقباب وشال كل واحد منهم ماله وحصن في الجبال جماله وعياله وما أصبح الصباح الا والمنازل من سكانها قفار وهم يموجون في أعلا الجبال مثل ماء البحر الزخار وكان الملك زهير قد ركب عند الصباح وزحف في بني عبس يريد الكفاح فرآهم على هذه الفعال فعلم ان ملاعب الاسنه قد جاءهم بالمحال فزاد حنقه وعظم قلقه وزحف في قومه والابطال وحصرهم في الجبال وكل من وقع في يده أسقاه كأس الوبال وتعى من حوله الابطال بهذا المقال

حدوا بنا يا معشر الاناس * ومكنوا السيوف وسط الراس
لا أقلع البيضة واللباس * ولا أزال قابض الانفاس
حتى ترد والحياة شاس * والا فلا تركت منكم باسى

(قال الراوى) ولم يزل الوافى حرب وخصام مدة خمسة أيام ودخل الشهر الحرام وهو شهر رجب الذى تعظمه العرب وتبطل فيه القتال واذا التقى الواحد بقاتل أخيه أو ابيه فلا يكلمه ولا يؤذيه وتسير فيه العرب بغير سلاح في جميع الاماكن والنواح ولاجل ذلك سمى الشهر الاصم لان الاذن تعدم فيه قعقعة الحديد ويامن فيه الوحش قريب و بعيد وقيل الشهر الاصب لان الله يصب فيه الرحمة صبا وكانت العرب تحج فيه الى بيت الله الحرام وتزور زمزم والمقام و يطلبون المغفرة من الملك العلام فلما رآى زهير هلال شهر رجب احترق فؤاده والتهب وتأسف كيف ما بلغ من بني عامر ارب و بطل القتال حتى لا يسن في العرب سنة قبيحة المنوال وقال لولده قيس اذهب ياولدى وهات أملك حتى أقضى الشهر الحرام عند زمزم والمقام فانا مابقيت ارجع الى الديار حتى

آخذ ثاري وأكشف عاري (قال الراوي) فلما سمع قيس من أبيه
هذا الكلام أجابه بالسمع والطاعه وسار قاصدا لى الديار وأما
زهير فانه سار طالبا البيت الحرام حتى وصل اليه وطاب المقام
حتى قدمت زوجته وأولاده وهم لابسين ثياب الاحزان فنزلوا
في منزل بني عدنان لانه في كل حرب لهم منزل معروف بهم أيام
الزياره ومما اتفق من العجب ان خالد بن جعفر قدم من ارض
العراق فاتى قاصدا البيت الحرام وكان حج جماعة من بني عامر
الكرام وكان من جملتهم ملاعب الاسنه فاعلموه بما جرى لهم مع
زهير فاحمرت من خالد عينيه وكاد يغشى عليه وقال واأسفاه
الذي ما كنت حاضرولكنه اغتنم غيبتي مثل الكلب الغادر ثم
انه بات الى الصباح وسار الى الطواف بالبيت فرأى زهيرا
في الطواف فقال له ويلك يا زهير اغتنمت غيبتي وخلو الديار وهتكت
الحرام فقال له الملك زهير والله يا خالد ما ادركت ثار ولا كشفت عار
ولولا الشهر الحرام دخل علينا في هذه الايام ما كنت أبقيت
أحدا منكم في الديار ولا بد ما أنهب جميع أموالكم وأخرب دياركم
اذا انقضت هذه الايام فقال له خالد أما تخشى عاقبة البغي وأن تدور
الدوائر عليك وعلى أهلك وتنقطع أثارك كما انقطع من كان من قبلك
ولكن وحق البيت الحرام لو كنت حاضر في الديار لقابلتك على
صنيعك وأريك من يكون الخاسر ولكن بعدما وقع بيننا الدماء
سوف ترى ما يحل بك من البلا وتعض كفيه ندما فقال له الملك
زهير وقد اشتد به من هذا الكلام الغيظ والله يا خالد لو كنت
تكلمت بهذا الكلام في غير هذه الايام ما كان لك جواب غير
الضرب بالحسام فقال له خالد كذا يكون ان شاء الله الملك العلام

وانا

وأنا أشتهي ان اجتمع أنا وإياك في يوم معركة وصدام واسأل
الرب القديم ان لا يفرق بيننا الا بانفصال امان يكون بي او بك
(قال الراوي) فلما ان سمع الملك زهير منه ذلك الكلام وعلم
أنه من عجبه وتجبره فضحك وقال هذا يكون قريب غير بعيد وتبلغ
بدعائك ما تريد فوالله يا خالد لو كنت أنا نائم ما قدرت توقظني
من منامي ولا تبلغ ريقك قدامي فكيف اذا سللت حسامي فعند
ذلك استقبل خالد الكعبة وقال اللهم يا من رفع هذه الاركان
وعظم قدر هذا المكان وجعله للابيض والاسود امان لا يمضي
هذا العام حتى أمكن كفي هاتين الضعيفتين من عنق زهير بن
جزيمة وأصل اليه وأكون منصورا عليه يا الله (قال الراوي)
فعند ذلك تقدم زهير بعظم تجبره وتكبره وقد زاد به الغيظ
والغضب وقال اللهم يا ربّاه لا تترك هذا العام ينقضي حتى
تمكن كفي هاتين القويتين الشديدتين من عنق خالد بن جعفر
وخلني أنا وإياه فاني قادر عليه ولا اريد معاونا ولا ناصرا منك
عليه وكان حولهم جماعة من العرب قيام فسجدوا اقدام
الاصنام وقبلوا أركان البيت الحرام وقالوا اهلك زهير في هذا
العام بتجبره على الرب القديم الباقي على الدوام فقال زهير
وقد تاه عن المعقول ولا بقي يعرف ما يقول اعذروني يا فتيان
العرب في الكلام ولا تجعلوني في مقام الملام لان الغيظ
يعمل في اكباد الرجال عمل الحسام وأنا أقسم لولا حرمة البيت
الحرام والاوثان والاصنام كنت شربت من دم خالد مثل المدام
فقال خالد يا زهير أما هذه الايام فانها سوف تنقضي وتسير ومن له
دين يستوفاه بلا تعسير ثم انه انصرف وفرقت العرب بينهما

وزهير يعض على يديه من الغيظ الذى جرى عليه وأما خالد ما أقام في مكة غير ثلاثة أيام وسار يطلب دياره والآكام وهو يتذكر قول زهير في البيت الحرام وينشد ويقول هذه الابيات

تعدى زهير والقى الزماما * واجرى الدماء وحل الحراما
فهز وا همي يابنى عامر * صدور القنا وسلوا الحساما
ولا تلبسوا العار في يوم الطعان * وبيعوا النفوس وموتوا كراما
وان خيم الذل في أرضكم * فجدوا رحيلا وخلوا الخياما
بنى عامر قد أفاق الزمان * وفوق نحو الاعادى سهاما
ولاقوا زهيرا وأولاده * اذا فارقوا زمزما والمقاما
وميلوا عليهم بحد الصفاح * وزيلوا اللحوم وأفروا العظاما
فنهدم اركان عبسيهم * كما قد هشموا لشاس عظاما
ونرمل نساء ابطالهم * ونبقى البنين لدينا يتاما

(قال الراوى) ثم انهم جدوا في المسير وفي قلب زهير نيران السعير وجدوا في قطع البرارى والقيعان حتى وصلوا الى الاوطان فوجدوا بنى عمهم نزلوا من الجبال وضربوا مضاربهم على الغدران وهم في أمن وأمان ولكن أكثر المضارب فيهم البكاء والنواح على من قتل من الرجال الملاح فعند ذلك نزل خالد عندهم وطيب قلوبهم ومن يومه جمع الثلاثة قبائل واعلمهم بما جرى له مع زهير في مكة وقال لهم يابنى عمى انا قد عولت على غزو بنى عبس واطا لهم بالدماء واذا قتلنا زهيرا رجعنا بعد قتلته الى نهب الحلال عنتر عنهم غائب وهم آمنون من المصائب وان لم تجتهدوا وتغتنموا هذه الفرصة جرعونا ألف غصة فماذا أنتم قائلون وما الذى تفعلون (قال الاصمعى) فلما سمعت بنو عامر ذلك الكلام أخذهم الفرح

والابتسام

والابتسام وقالوا نحن لك وبين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك لانك ماخليت عليك ملام ونحن ماهبنا زهير وتحصنا منه فى الجبال الالاجل مصاهرته للملك النعمان يا ابن الموال ولاجل بعدك عن الديار والاطلال فدبر نفسك الآن بما تحب وتختار فى الامر الذى لايضرك ولتنظر منا مايسرك فقال خالد يا وجوه العرب الكرام أما خوفكم من النعمان فما نبالى به لان أخوه الاسود زوج بنت أخى مردعنا شره ولايدعه يؤذينا ولكن جهد النعمان مايعمل فينا اذا وصلت اليه أخبارنا فذلك الوقت يكون ربح من ربح وخسر من خسر على اننا نكون الرابحين وهذا الذى فتح على من الرأى وهو النصر المبين قال وكان خالد جيد الرأى والتدبير ومع شجاعته ومعرفته بعواقب الزمان بصبر وله فى الخداع والمكر امور كثيرة (قال الراوى) فعند ذلك قال يابنى الاعمام تاهبوا فى هذه الايام التى بقيت من الشهر الحرام حتى أسير بكم والتقى زهير عند عودته من مكه واعجل له بالمهلكه لان مامعه غير ولده قيس فى نفر قايل من فرسانه وأصحابه واقرانه واذا نحن قتلناه وقلعنا شأفته رجعنا وجمعنا حلفاءنا وأصحابنا وسرنا الى بلاده وارضه وأنزلنا عليها المصايب ولانعطى أحدا منهم زمام لان عنتر عنهم غايب وان لم نجد فى اغتنام هذه الفرصه والاجرعتنا بنو عبس أعظم غصه (قال الاصمعى) فلما سمع بنو عامر هذا المقال أخذهم الفرح والاستبشار وقال جميع الابطال والله ياوجوه العرب ماترك خالد لذى شعر رأيا ولا مقال ولا دبر الا تدبير الرجال الذى يبلغون به الامال وها نحن هنا عشرة آلاف فارس حلاحل سوا حلفاءنا وكبراء القبائل فكم تريد أن يسير معك منا فقال خالد جميعكم لعل ان نبلغ

الى فانى أريد اقسمكم على سائر الطرقات حتى لا يفوتنا المقصود فتأهب القوم وساروا الى منازلهم وأصلحوا احالهم وتجهزت الثلاثة قبائل وهم من بنى عبس وعامر وكلاب وأقامت الرجال الاجواد وقد بقى من الشهر الحرام عشرة أيام ففرغوا من أشغالهم فى سبعة أيام وساروا فى البر الاقفر وفرقهم خالد كل ألف فارس على طريق ومعهم مقدم وقال لهم خالد يابنى عمى ومنهم قرابتى فانتم عمدتى فى كل خطب جسيم يكون الملتقى بيننا أرض هوازن وحى بنى منصور القديم وكذلك أوصى جندح ابن البكا وكان على فرقة أخرى وخالد يحث الشجعان الفرسان ويوصى الشجعان من شدة شوقه الى الحرب والطعان ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى أرض هوازن وحى بنى منصور الذى هو المطلوب فنزل خالد هناك ونزلت رجاله من على كل جواد منسوب وبقوا هناك مثل الفخ المنصوب فهذا ماجرا لخالد بن جعفر واقامته فى أرض هوازن ابن منصور القديمه (قال الاصمعى) واما ماكان من الملك زهير بن جزيمه فانه قضى حجه وعاد راجعا وفى قلبه النار على بنى عامر لأجل أخذ التار ولم يزل يجد المسير بالليل والنهار حتى وصل الى بعض اصدقاه بسوق عكاظ فاقام فى ضيافتهم ثلاثة أيام وبعد ذلك رحل وهو على بنى عامر مقهور حتى اشرف على أرض هوازن ابن منصور فنزل على بعض المياه وماعنده خبر من قضاء رب السما والنهار قد ولى فقال لولده قيس أيش قلت فى المبيت هنا فقال له قيس أرحل بنا يا ابتاه وادلج بنا فى هذا الليل المعتكر حتى نترك أرض بنى عامر خلفنا لانك اثرت فى قلوبهم أثرا وأنا والله خايف عليك من مكر خالد وأخاف ان يدهمنا فى هذا البر الاقفر فاقبل منى يا أبتاه ومن رأيى فى هذا المره حتى

تقطع هذه الارض وتتعلق ببلادنا قبل أن تثور مفسدوا العرب علينا
عند فراغ الشهر الحرام فلما تكلم قيس بهذا الكلام زاد بزهير
الابتسام وقال ويلك يا قيس ايش هذا الكلام ومن هم بنو عامر
وخالد بن جعفر وكل من سكن البر الاقفر فوحق الرب القديم
الواحد المنجي من الشدائد لا رحلت من هذا المكان الابعد
ثلاثة أيام وثلاث ليال ولو مالت على الجبال في صورة الرجال وسالت
من كل جانب مثل الرمل السيال حتى لا تقول العرب وسائر الابطال
انني جزت أرض بني عامر وقطعتها تحت سور الاعتكار وخفت
من جوازي عليهم بالنهار خوفا من بني عامر الذي رفعت عنهم الحسام
الباتر (قال الراوي) فلما سمع قيس من أبيه زهير هذا الكلام
علم انه قد دنا منه الحمام فعند ذلك نبه أصحابه للمشورة والكلام
وباتوا القوم جميعهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر
سيدنا محمد سيد الملاح (قال الاصمعي) فبينما زهير وولده قيس
في الكلام واذاهم بفارس قد أقبل من ناحية ديار بني عامر وهو
مجد في السفر فتثبتوه واذا به عمرو بن الشريد أخو تماظر
وأولاده وكان شيطان يحوس وقد أتى من عند بني عامر في صفة
جاسوس لانه كان نازل عندهم وتزوج من نساء جندهم وكان
يبغض زهير بغضة عظيمة لانه نفاه من أرض بني عبس ولولا أخته
كان قتله لانه كان قتل لزهير عبدا من عبيده وكان شاطرا فرحل
والتجى الى بني عامر وقد تزوج منهم فلزمه ما لزمهم وكان هذا الرجل
في سائر الحالات يتمنى له الآفات وقد ذكرنا ان خالد بن جعفر قد
كمن لزهير في ذلك البر الاقفر وهو منتظره ومن معه من العسكر
وقد فرق جنده كل ألف في طريق وصار كل قسم في فريق فابطأ عليه

أخبر زهير وعودته من سفره (قال الاصمعي) فعندها قال لاصحابه من يمضي الى أرض هوازن بن منصور القديمه ويجيب انا خبر زهير بن جزيمه حتى لا نضيع تعبنا وتدبيرنا لان البر مثل البحر عجاج ونخاف يفوتنا في هذا العجاج وتزيد في قلوبنا نار الهياج فقال له قومه والله ياخالد ما لنا مثل عمرو بن الشريد لانه صهر زهير وخال أولاده وهو صاحب رأى سديد ولم تنكر عليه الموالى والعبيد لانه يقول أنا أتيت اهني اختى بقبولها وقدومها من مكة وبعد ذلك ينظر نزولهم فى أى مكان وتصح البراهين ويأتى لنا بالخبر اليقين والا فكل من سار منا وقعوا به احرموه الرجوع الى أولاده ويقطعون منه الانين (فقال) خالد يابنى عمى أخاف من عمرو يخوننا ويعلم قومه بفعلنا ولم نبلغ قصدنا ويضيع تعبنا فقالوا هذا شىء لا تخاف منه وقل من تردداه فاننا نعلم ان الرجل يبغض زهير وأولاده ولو قدر على لحمهم جعله زاده وان خاننا قبضنا عليه ونحرناه هو وأولاده (قال الراوى) فلما سمع خالد هذا الخطاب علم انه صواب فادعى بعمرو واعلمه بما جرى من الامر فقال يامولاى انا أكشف لك الخبر لكن على شرط ولا يكون لكم من هذا الشرط مفر وذلك انكم اذا قتلتم زهير وصار فى المقابر طميرا لا تسبوا اختى ولا من معها من الاولاد لا كبير ولا صغير فقال خالد لك ذلك علينا وهو بعض ما يجب لدينا وبعد ذلك سار فى ذلك البر وكان قيامه من بنى عامر نصف الليل فصبح على مياه بنى هوازن فابصره قيس نعرفه فعاد الى أبيه وقال يا ابتاه هذا خالى أتى على انه زاير واقول انه ما أتى الا جاسوس لبنى عامر وسوف أبين لك الحق من المحال وأريك ما أفعل من الفعال فما تم هذا الكلام الا وعمرو وصل الى الخبا وهنى الملك زهير بحجه

وزيارة

وزيارة البيت الحرام بعدما اجتمع باخته وسلم عليها أحسن سلام
وأخذ أخبار الفرسان وقعد يتحدث معهم بشيء كان وشيء ما كان
فعند ذلك قال له قيس يا خالاه فيما ذا أتيت فقال عمرو وزايرا لكم
ومهني بقدومكم لان خالد رجع من مكة وجميع سادات بني عامر
وبكى بين أيديهم وجميع ما جرى له مع أبيك أعاده عليهم فثارت
في قلوب القوم الاحقاد واتفقت ساداتهم على انهم يقلعوا منكم
الاوتاد ويطلبوكم برجالهم الشداد وقد ساروا في عشرة آلاف
فارس من كل مدرع ولابس وقد أخبروا خالدا انكم ضيوف سوق
عكاظ وبني عامر من حيث ساروا عشرة أيام وأنا وحق البيت الحرام
من عهد ساروا ما ذقت منام وبقيت خايف عليكم وحاير فيمن يوصل
الخبر اليكم فسرت في اثرهم حتى قاربوا مكة وأنا أقول ما أفارقهم حتى
انظر ما يجري بينهم حتى علمت انهم أيسوا منكم ورجعوا متفرقين
في اقطار البر خايبين فرجعت على هذا الطريق وقد طاب قلبي
بسلامتكم وعلمت انكم من الاعداء أمنتم وأنكم لا تركبوا هذه
الطريق فان ركبتموها انصرتم على أعداكم ولو انهم عدد رمل
وادي العقيق وتمام افراحي ملتقاكم بهذا المكان واعادة خوفكم
امان فقال له الملك زهير يا ابن الشريد لا خوف علينا وحق من يعلم
اين تضع النملة رجلها في الليل الهادي لان لقاء الاعداء أكبر مرادي
وأنا في انتظارهم حتى اشفي منهم فؤادي لاجل شاس أكبر
أولادي وان كانوا ارسلوك جاسوس فارجع وقل لهم اننا لا نبرح
من هذا المكان الا بعد ثلاثة أيام حتى اني القاهم وابيد اقصاهم
وأدناهم (قال الراوي) فلما سمع عمرو ذلك ازورت منه العينان
وقال لزهير يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان وبغضتي ما زالت

في قلبك والله لقد ضاع تعبي الان وصار جميلي قبيح وعدوان ولكن أيها الملك المفضال أنا ما فعلت هذه الفعال وخاطرت في هذا البر والوهاد الا لاجل اختي ومن معها من الاولاد وما دام رأيتها سالمه فقد اطمأن قلبي وان رأيتموني مرة غير هذه فلا تغفروا ذنبي ثم ان عمرو بعد كلامه نهض قائما على اقدامه ليركب جواده فما مكنه قيس بل مسكه وشد كتافه وقوى سواعده واطرافه ولولا انه خاله أورثه تلافه وقال والله يا خال لا بد ان تمضي معنا في هذا الرباط القبيح حتى نجوز هذه الارض ونقرب منزلنا الفسيح ونشم بعترانه والشيح لان قلبي حدثني بشيء واظنه صحيح فقالت تماظر ويلك يا قيس أيش هذه الاعمال التي ما يعملها الا الجهال تقبض على خالك وتجعل جزاه على زيارته لنا شده بالقد والحبال ثم تذكرت ولدها شاس وبكت لان شاس كان يحب عمرو حبا شديد ما عليه من مزيد فاشارت تنشد وتقول

عجزنا عن مراغمة الحمام ❋ وداب الموت مغرم بالانام
وما جزع الجزوع وان ثناها ❋ بمنتصف عن نوائبه العظام
وكيف نحيد عن طرق المنايا ❋ وفي أيدي الردا اطراف الزمام
هي الايام تأكل كل حي ❋ وتغدر بالكرام وبالائام
وكل مقارف للعيش يلقى ❋ كما لقي الرضيع من الفطام
وما يغتر بالدنيا لبيب ❋ يفر من الحياة الى الحمام
رأيت الموت يبلغ كل وقت ❋ على بعد المسافة والمرام
كذا شاس أتاه الموت حقا ❋ وكان مماته تحت الظلام
ولم نعلم بقاتله حقيقا ❋ فتأخذ ثاره كل الكرام
ومن عظم الرزايا هل مجير ❋ يخاصمنا من المحن العظام

(قال

45

(قال الراوي) فلما فرغت تماضر من كلامها حتى ابكت كل من كان عندها وبكى مالك ابنها على أخيه شاس واشتعلت النار في ضمائره فباح بما في خاطره وأشار يقول صلوا على طه الرسول

جدوا الاخذ الثار بالاشطان * حتى يعود النوم في أجفان
أنتم بنو عدنان سادات الورى * تتفاخروا بالضرب في الميدان
ما كل ميال العمامة فارس * يلوى العنان على أعز مكان
في كل ناد داو بكل ملمة * يتذكرون مفاخر الفرسان
اذا لا يضيفون المعايب بينهم * وبيوتهم وقف على الضيفان
الطاعنون رماحهم مهج العدا * من كل ضرب صادق وطعان
الراكبون الخيل تعرفهم بها * تحت العجاج اذا التقى الجمعان
قوم اذا هطلت سحاب أكفهم * هطل الحيا متفارق الهطلان
واذا تحاربت القبائل خلقوا * غرر السوابق بالنجيع القان
واذا أتيتموا على صهواتها * ابصرت عقبانا على عقبان
واسود حرب لا يهابون الردا * تحت الظبا واسنة العيدان
يا آل عدنان الذين تشرفوا * في المجد على كل ممنع الاركان
قد راح شاس وكان تاج روسكم * فاقفوا العامر يا بني عدنان
وكذا عامر مع كلاب بضعوا * يا آل عبس مع ذوي ذبيان
قد لاح أخذ الثار من افترى * قودوا الطعان وجندلوا الاقران

(قال الراوي) فلما سمع قيس هذا الكلام والنعي من أمه وأخيه فقال هذا الكلام لا أسمعه ولا اعيه والذي مضى ندبر روحنا واحوالنا فيه واما حالي هذا فانا أعرف انه لا يشتهي انه لا يرى لي يوم مليح ومراده لو كنت على الارض طريح فقالت أمه دع هذا الهذيان وراقب في ذلك الرحمن فقال قيس دعيني والا قتلت

روحى ومنى تستريحى لانى أقسم بمن قسم الارزاق مافكه
من الوثاق الابعد ثلاثة أيام بلياليها حتى نفوت هذه الارض
التى تعكر خاطرى فيها أو يعطينى عهدا من الله الذى يعلم
مافى الخواطر انه لا يذكرنا بلسانه الى أحد من بنى عامر ولا يسمى
منا بشرا لا انثى ولا ذكر الى ان نصل الى ديارنا ويقر قرارنا فقالت
تماظر لاخيها أعطى ولدى عهدا من الاقسام فعندها حلف
عمرو بالبيت الحرام وزمزم والمقام وحرمة الرب الذى خلق الانام
وسير الغمام ورزق الوحش والهوام انى لا اذكركم لاحد
الابعد ثلاثة أيام فحله قيس من وثاقه والاصفاد فقام قائما
وركب الجواد وطلب من اخته شيئا من الزاد فاعطته زقاقية
لبن فأخذها وسار فى الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة وبعد رواحه
قال الملك زهير لقيس ايش هذا الفعل الذى فعلته الردىء أكل
هذا من خوف الاعداء فقال له نعم لان العاقل ان كان له عدو
يجب عليه ان يتجنب طرق الرداء ولاسيما نحن فى نفر قليل
واعدانا قريب ولنا فى هذه الارض محب ولا حبيب فقال
الملك زهير أنا الداعة قد اقسمت بالاقسام انى لا ابرح من هنا
الابعد ثلاثة أيام فانى اذا دهمنى عدو سوف أريك كيف اطعن
فيهم بالرمح الهدام وافنيهم بالحسام فسكت قيس وعلم ان أبيه
فرغ أجله فنبه الفرسان وجعل لهم ديدبان ينتظر نوائب الزمان
وطوارق الحدثان فهذا ماكان من هؤلاء وأما ما كان من
عمرو بن الشريد فانه لما فارقهم جد المسير وقد زاد به الغيظ على بنى
عبس لاجل ما فعل معه قيس ومازال سائرا حتى اشرف على
بنى عامر وقد ركب خالد الى لقاه وما صدق انه يراه فلما قرب

منه استخبره عن حاله فارد عليه جواب ولا ابدى خطاب بل عدل
الى شجرة هناك وهي مغروسة فى ذلك الحجر والتراب وصار يقول
لها ايتها التى لا تردى جواب ولا تسمعى خطاب ولا تعدى من
الحيوان الناطق ولا تفرقي بين الحديث الكاذب من الصادق
أنا قد تزودت لبنا من ابن بني عدنان وأنا من عاقبته فزعان
واريدان تذوقيه وتعلمي ماطعمه حتى أكون من شربه فى أمان
وصادق اللسان فى الايمان (قال الراوى) فلما سمع خالد ذلك
الكلام قال لمن تبعه من الابطال الرجل وقع بالاقوام وحلفوه
لايذكرهم لاحد من الانام ولولا ذلك ما انفلت منهم والصواب
ان تذوقوا هذا اللبن وتبصروا ما طعمه فان كان حلو فزهير وجماعته
قريب منكم وان كان حامض فهم بعيد عنكم فعندها وثبت جماعة
من رجاله وشربوا فوجدوه حلوا على حاله وهو طيب ما تغير فقالوا
لخالد أبشر فانّ القوم قريب وما بيننا وبينهم الا مرحلة فقال خالد
صدقتم وما كذبتم واظن الرجل ما فارقهم الا من مياه هوازن بن
منصور وقد أتى الينا بصحة الامور وربما يكونون بعد فراقه لهم
رحلوا طالبين أهلهم والديار فالرأى عندى اننا نسير من هذا الوقت
ولا نتهاون فى الامور فان وقعنا بهم والا رجعنا على الطريق
الاعظم الى مياه هوازن بن منصور فنجدهم فى تلك الساعة نزول
لاجل طلب الراحة فى تلك الطلول فقال له بنو عامر افعل ما بدا لك
فما منا من يخالف مقالك ولعل بعض قولنا يقوى بهم وتستريح
خيلنا من الجد والشقا فقال خالد وذمة العرب وشهر رجب
ما يقع بهم أحد ولو داروا على طول الابد لان أصحابنا تفرقوا
فى سائر الاقطار ومسكوا الطرقات التى لا يسلكها

الا كل خائف والملك زهير بتجبره قد سار على الطريق الواضح
ولم يسمع نصيحة الناصح ولهذا قصدت أنا المسير الى هذا المكان
وحسبت حساب الفرسان الذى عركتهم نوائب الزمان ولما
انتهى خالد من مقاله رحل بفرسانه وأبطاله وقد أخذ فى عرض البر
حتى نصف الليل وعادوا الى الطريق الواضحة وأرخوا اعنة
الخيل واستقبلوا مياه هوازن وخالد مثل الواله المفقود فزعان
ان يفوته المقصود الى أن أصبح الصباح اشرفوا على الماء الذى قدمنا
ذكره وأبصر قيس الى الغبار الذى قد ظهر فايقن بنزول
القضاء والقدر ثم انه نزل من الجبال وعاد الى أبيه وقال خذ اهبة
الحرب والقتال واحذر من خالد بن جعفر فقال له لا تخف على
وأنا قادر على ضرب السيف وطعن القنا واليوم افرج على
ما يجرى ثم انه لبس عدته وركب جرته القعسا وهو يقول أهلا
وسهلا بك يا ابن جعفر اليوم يبان من استجاب الله دعاه ويبلغ من
خصمه مناه ثم انه خرج يطلب الغبار فتبعه أولاده من كل
جانب ومن معه من أخوته والاقارب ولما ابصر خالد ذلك الامر فرح
واستبشر ثم انه صاح فى بنى عامر فتسابقت اليه وقدمت الرماح
وقد ثاروا وزعقوا واختلطوا ببعضهم بعض وجالوا طولا وعرض
وحكم الحسام وفلق الهام وهشم العظام واشتد الزحام وقل
الكلام وثبتوا الكرام وفروا اللئام وقد دارت عليهم
الكاسات بشرب المنون الوان وقد هدر الملك زهير وزمجر
وبان ما فى قلبه وظهر واشهر سطوته فى بنى عامر ونثر الجماجم مثل
الاكر وكان اذا طعن خرق واذا ضرب محق واذا زعق فى جيش
تفرق وترمى ارواحها الفرسان من زعقته على الارض والقيعان

وما

وما انكشف النهار حتى عولت بنو عامر على الفرار لانها ابصرت
من بني عبس قتال ما ابصرته في سائر الاقطار وماثبتت على الويل
والضر الا ثبات خالد بن جعفر لانه اختار القتل على الهرب وكافح
زهير حتى اشرف على العطب وفي تلك الساعة وصلت باقي الفرق
والابطال فرأت الحرب عمال فطلبوا الحرب والقتال وكانت
بني عامر عولت على الهرب مما قد ذاقوا من البلا والعطب فقويت
قلوبهم بقدوم أصحابهم لانه كان فيهم فرسان مثل الاسود منهم
الربيع بن عقيل وجندح بن البكا والطفيل بن تهامة المعروف
بفارس اليمامة وحماة القبائل الكرام الذي ذكرناهم قبل
هذا الكلام فحملوا عليهم في ذلك الجمع والملا وارتفع الصياح
وعلا وكثر على بني عبس العدد وتزايد المدد قال الاصمعي وأين
العشرة آلاف من المائة فارس ولكن المائة فارس اقارب وأخوة
ونسائب فبان لهم البركه رماح وسيوف وسلاح وأما قيس
وأبوه زهير فان كلا منهم قد اشرف على شرب كاسات الردا من
كثرة العدا وقاتل زهير قتالا ما ابصرت مثله الاقيال لانه أبصر
بعينه الهلاك وأيقن أن ما بقي له من الموت فكاك حتى بقي جسد
بلا روح وجندل من بني عامر مائة وخمسين فارس ما بين مقتول
ومجروح فابصر خالد فعاله فالقي نفسه عليه وقصد بالحملة اليه هذا
وزهير مال في حومة الميدان وقد افتخر على الفرسان وصال وجال
وأنشد وقال صلوا على باهي الجمال

يا جبيرة بين اللواء والشائق ❁ يعطون للاعداء ثوب التمالق
تخبر قومي والرفاق بانني ❁ لقيت العدا مني بخيل سوابق
لعلهموا ان يدركونا فاننا ❁ قليلون والاعداء جمع مطابق

يزاحمون خفاقة وقلوبهم * اذا شهدوا الهيجاء غير خوافق
كان فتات المسك در سحيقة * مع الصبح فى كاساتهم والنمارق
أسيد سباقى ثم نازح بعده * وعنتر مقدام ليوم العوائق
هموا يأخذوا بالثار من آل عامر * لشاس اذا ما حق يوم الحقائق
ولما دعا داعى النوى واستمعا * تجاوبت الغربان ما بين باك وناعق
فصرت انادى من عيون قريحة * أنا الوجد الى ان تجود البوائق
فخلى دموعى تستهل فما الهوى * بدارى ولا وعد اللسان بصادق
منعت الكرى اذ لم اقد ها عوابسا * تثير عجاج المارق المتطابق
يجيد عليها الكر كل صميدع * ينال العلا والمجد غير مسارق
تحايد امذوردوا المياه ظمية * فلا وردا الامن دما الفيالق
خوارج من ليل الغبار كأنها * نجوم رجوم أو سهام رواشق
فاشفى بها من آل عامر عصبة * وأأخذ ثارى بالقنا والبوارق
فان لم انل قصدى فلا عدت بعدها
ركبت على ظهر الخيول السوابق

قال الاصمعى فلما فرغ زهير من هذا النظام التقى خالد وحمل عليه من غير ملام واصطدما الاثنان كأنهما جبلان ودمدماوهمها والتحما وافترقا والتزما حتى تكلا بعراو دالعمى وغابت عنهما الارض والسما ونعوذ بالله من احقاد جاهلية العرب لانها تعمل عمل النار فى الحطب لاسيما الملك زهير الغضنفر وخالد بن جعفر لانه قد جرى بينهما قتال وضراب يشيب من هوله الغراب وما بقى فى أيديهما من الرماح غير الاعقاب فأرموها فى البطاح وسلوا اشفار الصفاح وتماشقوا على الفرسين حتى تثلمت فى أيديهما السيفين وتعاركا الاثنين مثل من له على صاحبه دين ولم يزالوا على هذا المنهاج حتى

وقفا

وقعا فى وسط العجاج فتماسكوا بالذقون وهان عليهم شرب كأس
المنون حتى وقعوا على وجه الارض وبعضها عالق ببعض الأن
زهير لاجل تجبره فى البيت الحرام وقوله الفاسد وقع تحت كلكلة
خالد وصار خالد فوقه وملك ساعده وزنده وأراد يسل سيفه من
غمده فما تمكن ولا بلغ مراده فصاح بما فى بطنه وفؤاده الى فرسانه
واجناده يا بنى عامر انجدونا وأقتلوا زهير اسر بعاو اذا لم تقدروا على
ذلك فاقتلونا جميعا (قال الراوى) ولم يكن وقت الصباح اقرب
اليهما من ورقة ابن زهير نصاح وا أبتاه وارمى روحه على خالد وضربه
بالسيف على كتفه فلم تحمل شيئا من المآثر فكادت روحه
أن تخرج من الضمائر ووصل بعده جندح ففتح يده بالسيف
وضرب زهير على مفرقه اضاع عمره وسمع لسيفه فى رأسه رنة وطنين
وقال لخالد قم فوثب خالد عن صدر الملك زهير وعاد الى حجرته أخذها
وصاح فى بنى عامر ارفعوا السيف فقد انقضت الحاجة فقال له
الربيع بن عقيل وكان قد أتى على حس الصياح فابصر ما تم له
وللملك زهير لان المعمعة قد انقلبت كلها على صياحه وازدحمت
فى ذلك المكان فصاح الربيع على خالد وقال له لا لك ولا لكرامة
ولم نرفع السيف عنهم ونحن ابدا ما نجد لنا فرصة على الاعداء مثل
هذا اليوم فدعنا نسقيهم كؤس الردا فقال لا يا ربيع اننى أخشى
عواقب البغى والاعتدا أوان يحل بنا ماحل بزهير لما بغى واعتدا
وقد قلت لعمرو بن الشريد يعافنى وما اسبى لهم حريم وحلفت
بالله رب العالمين وظفرت بالمنى ولا بقيت اتعدى هذا الكلام
خوفا من البغى بين الانام فأجابه الربيع وتبع خالد وهو طالب
أرضه وديار حتى وصل لها وقر قراره وهدأ لهيب ناره وهو يقول

بجندح ان سيفك لم يعمل ابدا وتشمت بنا العدا فقال جندح
والله يا خالد ضربت به ضربة لوجاه توفيق من الجبل الاعلا ماعاش
ابد الا انك تعلم ان ساعدى شديد وعزمى ماعليه من مزيد وانى
لما ضربته فرأيت على السيف شيئا ابيض مثل السمن فلحسته
فوجدته مالحا فعلمت ان زهيرا مات وناحت عليه النوائح فهذا
ماكان من هؤلاء وأما ماكان من قيس و بنى عبس فانهم
لما علموا بموت زهير طلبوا الهرب حتى انقطع عنهم الطلب فقال
قيس عودوا بنا الى ابينا ننظر حالته ان كان فيه رمق حملناه الى الديار
لان الاعداء لاشك أتاهم شغل أشغلهم فى هذه القفار ثم ان قيسا
عاد بهم الى أن وقف على مصرع أبيه فوجده يتململ مما أصابه
ودهاه فنزل قيس اليه كلمه ففتح عيناه وقال له ما الذى تريده منى
يا ولدى اذهب فأنت الخليفة من بعدى على بنى عبس وعدنان
ومالى عندك وصية الا أخذ تارى من خالد بن جعفر ولكن اياك ثم
اياك بالاحتفاظ بابن عمك عنتر ولا تسمع فيه كلام الاعداء
والحساد أولهم عمارة والربيع أولاد زياد فانهم له أشد عداوة
وعناد فاياك به فان ملكك مايدوم الا به ثم أنشأ يقول صلوا على
طه الرسول

لك الحمد يا ربى عشيا و باكر * فأنت كريم غافر الذنب ساتر
وحكمك ماض فى العباد جميعهم * بامرك يا مولاى تجرى المقادر
فارزقنى صبرا جميلا فاننى * فقير ومحتاج الى عفو غافر
واقبل منى توبتى عند موتى * فانك تواب رحيم وجابر
احس بروحى اذ يدب دبيبها * حرير على شوك وقلبى صابر
تموج باعضاى وترجع غيرة * تودع جسمانى وعقلى نافر

أباعنتر قصدی افوز بنظرة ✽ ابل بها شوقا وتهدی السرائر
فلو كان فی ذی الیوم حاضرا ماجرا ✽ لكان لاخذ الثار حقا مبادر
فیا قیس اصبر للزمان وجوره ✽ فخاب عبد للمقادر صابر
فلا خسیر فی عیش یدوم بلذة ✽ اذلم یكن العبد لله شاكر

(قال الراوی) ثم انه بعد كلامه عاد الی حال غشوته فضجوا أولاده بالبكا والانتحاب وأرخوا العمایم فی الرقاب فقال قیس لابیه وهو فی كرب من هذا الامر العظیم والخطب الجسیم ما تحملك معنا الی بنی عبس وعدنان فقال زهیر لا یا ولدی لا تزعجنی ولا تتعجب من حالات الموت لان الضربة التی فی راسی أحس بها فی سائر جسدی والاعصاب وما للمیت دواء یا ولدی الا التراب فانه یستره من نهش الوحوش والذئاب ثم انقطع كلامه وفی عاجل الحال شرب كاس حمامه (قال الراوی) فعند ذلك حفروا له وواروه بالتراب وشقوا ماعلیهم من الثیاب وعادوا طالبین المنازل والاطلال وهم حیاری فی أسوء حال وما كان فیهم اشد حزنا وانتحاب مثل ورقة الذی ضرب خالد وما قربت ضربته منیته وخاب فبقی ماشی وهو مطاطی الراس بین اخوته وجمیع الناس وهو یتمنی الموت من عظم ماجری علیه ودموعه علی خدیه وهو ینشد ویقول

رأیت انی من تحت كلكل خالد ✽ وقد عمیت عنه وجوه المقاصد
ینادی الینا یا آل عبس تلفتوا ✽ الی وعینونی علی قتل خالد
فبادرته والخیل تعثر بالقنا ✽ وبیض الظبا والموت صعب الموارد
لكن نبا سیفی بكفی وخاننی ✽ جنانی وما طاعته كفی وساعدی
ویا لیتنی من قبل ضربة خالد ✽ أتانی نزاع الموت بین العواید
ولا بشرت بالخیر امی تماظر ✽ كما بشرت بی الرجال الاماجد

لقد بشرت بي وهي ترجوا معونتي * فخاب رجاها عند يوم الاوابد
وصرت حديثا بعد ضربة خالد * اردد ما بين العدا والحواسد
ويا ليتني في قفرة منه دهمة * طريحا بها والطير نحوي عائد
ويا ليت أمي لم تلـدني بفرحة * ويا ليت شل الله كفي وساعد
سقاك اله العرش يا ابن جعفر * كؤس الردا والموت حر و بارد
بنو عامران كنتموا قد ظفرتموا * بقتل زهير واشتفى قلب خالد
فمهلا قليلا تنظرون فوارسا * تهز المنايا والقنا في السواعد
الا يا بني عبس وغطفان بادروا * الا واسعفوني في الرجال الاماجد
ويا عنتر العبسي لهفي لما جرى * فانت رجانا في يوم عظيم الشدائد
لقد باتت الحساد في فرش الهنا * بقتل زهير والندب بين البوائد
سنقتل من فرسانهم كل سيد * ونسبي نساءهم بالولا والقلائد
ونفني كلابا مع غني وعامر * ونهلك افاضل الرجال بواحد
فنهدي به والعرب تخشى من الله * وتطلب منه العفو عند الاوابد
فلا كانت الدنيا اذ لم يكن بها * ولا طاب عيشي بعد فقدي لوالدي
لقد اصبحت عبس بغير مقدم * عليها يحمى وكهفها في الشدائد
اذا ما رأيت الدهر يا صاح قد بدا
فكن في اجتماع الشمل من غير فاقد
وسارع اذا ما ساوع الغير وانتبه * فمن الفتى لا شك همة راقد
(قال الراوي) ثم انه لما فرغ من هذا الكلام بكت الكبار والصغار وقامت النوادب واطمت اللواطم وصار القوم طالبين الديار وهم في هموم وانتكار وتساطوتا كل لحم يديها وكفيها وتلطم على خدها وقد أكثرت من تعديدها وتهم ان تقتل روحها فتمنعها خدامها وعبيدها ومع ذلك كانت أكثر النساء عقلا

واعلاهن

واعلاهن حسبا ونسبا واشارت تقول صلوا على الشفيع المشفع يوم البعث والنشور

ليت سكان النقا والابارق * علموا بالحزن منا وبالشقا
ساعدوني بالبكا عند اللقا * فلقد صار بكانا علقا
اكثروا النواح على اطلالهم * بعدما ساروا واوحشوا الانقا
مذ ناوا عني وغابت عيونهم * وحدا حادي المطايا مشرقا
رحلت روحي وسارت معهموا * وكذا قلبي غدا منطلقا
قلت يا روحي ارحلي لا ترجعي * وأنت يا قلبي المعنى استفقا
جاو بتني الروح والقلب معا * هل لنا من عودة أو ملتقا
ذهب العيش باكناف الحما * وتقضي باب شيلات النقا
ماظننت الدهر ان يجمعنا * لا ولا ايقنت ان نفترقا
كيف صبري بعدكم من بعدكم * ليس لي صبر وقد عز الملتقا
واحيائي من عداتي كلما * نظروني كنت منهم مطرقا
فعل الدهر بنا فرقنا * شتت الشمل فلا نرجي اللقا

(قال الاصمعي) ثم انهم ساروا وهو لم يقم قامته بل يبكي ويقول وامصيبتاه كيف قعادي بين السادات أم كيف خروجي الى المهمات ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

رأيت أبي قد خر ملقى أناظره * فاقبلت اسعى نحوه وأغادره
أرى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان حد السيف والسيف باتره
فشلت يميني يوم ضربة خالد * ويمنعني عنه حبيبه وناصره
فاضربه والقلب ليس بحاضر * وعقلي مما ان يرى القلب حائره
فياليت أمي لم تلد وليتني * فقدت ولم اعرف من الدهر ضائره
ويا ليتني من قبل ضربة خالد * وقتل زهير لم تلدني تماظره

فقد بشرت بى وهى ترجوا معوقتى
فخاب رجاهـــا الارتفاق تناصره
ستعلم قومى ان أعيش وان أمت ✻ بقلبى الاحزان والنار ثائره
فصرخالدا ان كنت تقدر طايرا ✻ لان تلقـــنى فعقلى طائره
(قال الراوى) فتباكوا عليه الجميع وكان أكثرهم هما وغما قيس
فانه صار يقول القلب من فراق عزى قد احترق والدمع على الخدود
اندفق وهو ينشدو يقول صلوا على محمد الرسول
نخطوا وما خطونا الا الى الاجل ✻ ونقضى وكان العمر لم يطل
والعيش يوردنا بالموت أوله ✻ ونحن نرغب فى الايام والدول
يأتى الحمام فينسى المرء صرعته ✻ وأعضد المرء ماتثنى عن الامل
ترخى النوايب فى ابياتنا طرفا ✻ فنستمير وقد أسكنت بنا الطول
لاتحسب العيش ذا طول فتركبه
ياقوب مابين عنق المرء والكفل
نروع من طرق الدنيا ونطلب ما ✻ يدنى الزمان بارماح من الاجل
سلوا عن العيش انه لايدوم لنا ✻ فاهون العيش مايشفى من العلل
ينقذنى الموت من دار فاتبعه ✻ وقد هززت باطراف القنا الذبل
فالمرء يدركه حتفا فيدركه ✻ وقد نجا من قراع البيض والاسل
يبكى الفتى وكلام الناس يأخذه
والدمع يسرح بين الغــدر والعلل
ليس الفناء بمأمون على أحد ✻ ولا البقاء بمقصود على الرجل
وفى الجفون دموع غير فايضة ✻ وفى القلوب غرام غير مرتحل
هذا العزاء وذى الدنيا مفارقة ✻ والعمر يصطلى المغرور فى شعل
فلا تسل لزمان وأنت فى يده ✻ رهنا فمالك بالاقدار من قبل

قد راح شاس ولم نظفر بقاتله * كيف القرار مع الجيران في الحلل
وقد مضا والذي من بعده وغدا * رهين رمس فيا ذلي ويا خجلي
اقسمت بكعبة البيت الحرام ومن * أتى لها قاصداً حاف ومنتعل
لابد ما اقتفي اثار قاتلهم * وآخذ الثار بالعسالة الذبل
سقى الاله ترابا ضم أعظمهم * مجلل الودق محروما من العلل
ولا يزال على قبر تضمنهم * برق يشق جيوب العارض الهطل

(قال الاصمعي) فهذا ما كان من بني عبس ورجوعهم واما ما كان من بني عامر فانهم وصلوا الى ديارهم وهم فرحين مستبشرين وكان ملاعب الاسنة مقيم في الاحياء والاطلال في نفر قليل من الرجال خوفا على الحريم والعيال فركب عند قدوم خالد والتقاه وسأله عما جرا له مع أعداه فبشره بكل خير واعلمه بقتل الملك زهير وأوقفه على جلية الخبر فهناه بالنصر والظفر فقال له والله يا خالد بئس ما فعلت من سلامة قيس واخوته لان الانسان اذا فعل شيأ يتمه ويعمله جيدا لان ترك العدو لا يفيد فقال خالد والله يا ابن العم انني خفت من عاقبة البغي واليمين الغدر الذي أرمى زهير لما تجبر في الكعبة على رب العالمين فاصبح في المقابر رهين فقال ملاعب الاسنه والله يا خالد ما هذه فعال الرجال ولكن دلني عليهم حتى الحقهم بالابطال وبلغت ما انزل بهم من النكال وبعد ذلك نسير كلنا الى ديارهم ونقطع آثارهم فقال خالد يا ابن العم الامر قد فات وأما قولك نطلب ديارهم فهذا اما يتم لنا الا حتى نهلك عنتر بن شداد فاذا اقتلناه بلغنا منهم الارب والمراد وافعل به كما فعلت بزهير واتركه على الارض عفير لانه مضى الى بلاد اليمن مع غلام قد ظهر

لاسيدابن جزيمه فنسير من هاهنا ونكمن له في الشعاب التي بيننا
وبين بلاد اليمن وهي شعاب المسارح فلما سمع ملاعب الاسنة
ذلك صعب عليه وأخذته حمية الجاهلية لانه كان من الفرسان
القويه وقال لخالد أنت ما وجدت لي فضيلة الا قتل هذا العبد الاسود
وحق ذمة العرب انا ما أرضى بقتل ساداتهم الاماجيد فكيف
ارضى بقتال العبيد وقد رأيت لما أتاني كتاب الاسود أخو
النعمان وطلب مني النصرة عليهم فما رضيت ان أسير اليه حتى
لا اقاتل عبد الاقدر له ولا قيمة فان أردت ان تسير اليه فسر انت وأنا
أقيم عند المال والحريم حتى انك تعود وتقضي الاشغال فقال خالد
دعني أنا أقاتله والبس العار ويلحقني الذل والشنار ثم انه نزل الى
الراحة ومن الغد انفذ الى سائر الاقطار ليأتي الى معونته كل
فارس مغوار وبعد ذلك أخذ ثلاثة الاف فارس من كل مدرع
ولابس وفي جملتهم جندح ابن البكاء والربيع ابن عقيل الفارس
النبيل وسار قاصدا شعاب المسارح الى ان أتى اليها وأقام مكمنا
فيها فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عنتر بن شداد فانه
سار مع أسيد ونارح يقطعون البر والوهاد ويتذكر ما لقي من حب
عبلة وما صفا له من الزمان وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا
على صاحب الآيات

شكواي دهري للضميري وضيغم * وأغيظهم جمعهم عن مغنم
لا بسلوة بل صبوة لمتيم * يرجو الوصال له مود مغرم
خير الوداد وداد الف ناطق * ان اعجبت به الاهوال يتصرم
حتى المنيع الجار يقرب باسه * السابقات الى جزيل الانعم
غرس الفصيح بلا لسان صامت * دون الثنا ولا وفي عجم

لي

لى نفس مشغوفة بسالف عهدها * لم ترض نسيان الرفيق الاقدم
مطروفة بشفا الخطوب ينوشها * بالجود غايات العز بزالازلم
يابنت مالك زادني شــوقي الى * ذاك الجمال فانعمي وتكرم
سعدا لجهول لقد أراح على يدى * عما اروم فليتني لم أعلم
يلوى مواعدها الزمان فتنقضي * انجازه فالى متى والى كم
يا بنت مالك زادوجدى والاسا * وسكت حتى لا يقال تكلمى
وصبرت خوف الحاسدين على الهوى
وسترت وجدا فى الفؤاد مخيم
وهيام وجدى فى الضلوع مخيم * لولا اصطبارى ماسميت متيم
والآن قد سافرت مع ملك له * فضل وفى كل الحروب غشمشم
كل القبايل تخش من سطواته * متواضعا ذواعفة وتكرم
يوم الحروب تكاد زرق رماحه * عند الطعان بان تنال الانجم
ياسيدى اسمع لشرح ماقد قلته * لازلت من جور الزمان مسلم
(قال الاصمعى) فطرب أسيد من شعره وكلامه ونظامه وزاد به غرامه فباح بما فى جسمانه من هيامه يقول هذه الابيات
أنا محبك ياسلما فحيينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعيتى الى غرز مكرمة * بيوم سارت كرام الناس فادعينا
ان تبتدر غارة فى يوم معركة * تلقى السوابق منا كالشواهينا
انا بنو اعبس لا ندعى باذناب * عنه ولا هو بالانباء يسونا
وليس يهلك منا سيد أبدا * الا أتينا غلاما سيدا فينا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا * ولو بشاهها فى الروع اهلينا
بيض مفارقنا تغلى مراجلنا * تبذيل أموالنا آثارايدينا
(قال الراوى) فلما فرغ اسيد من هذه الابيات هاجت بنا زح

ولده الزفرات وأشار بمدح عنتر بهذه الابيات يقول

يكاد الدجى يغدوا صباحا مدثر * اذا عد دالمثنى مناقب عنتر
ويزكوا نسيم الجو عند مديحه * كان باعلا وجهه نشر عنبر
اذا ماسد رمحا أسمرا فى نزاله * فلا طعن الا فى ضمير ومحجر
وتشكى طغاة القوم صورة فتكه * بظلمة ليل مع صباح ومسفر
فللوحش رزق من مواهب سيفه * وللطير جسمان الكماة المعفر
تمنع عن سكن الجفير سهامه * فيغمده ما بين راس ومنحر
وتكره ورد المياه خيوله * فيوردها من ناقع اللون أحمر

(قال الراوى) فتقدم عنتر اليه وقبل يديه وشكره واثنى عليه وقال له ياسيدى جميع ما طلع من فيك فهو فيك لانك أنت بالمديح أولا لاننى أنا العبد وأنت المولى ثم انهم ساروا يجدون المسير وأخذوا فى الجد والتشمير واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار وعلا وسد الاقطار ساعة من النهار وظهر من تحته جيش جرار كأنه البحر الزخار وفى المقدمة فارس كانه طود من الاطواد او من بقايا قوم عاد وذلك الجيش من خلفه يسير وانه لما رأى جيش عنتر وقد اعترضه فى الطريق فأرسل بعض عبيده يكشف له الخبر وكذلك فعل عنتر لانه لما ابصر الغبار ارسل أخاه شيبوب يأتيه بالاخبار فالتقوا الاثنين فى الطريق فقال لشيبوب جئتم ياابن الخاله من العرب من أين والى أين أنتم سايرين ومن هو مقدمكم وقايد جحفلكم فقال له شيبوب نحن من بنى عبس الذئاب الطاس المعروفين بين العرب الكرام بفرسان المنايا والموت الزؤام وأما مقدمنا أوحد هذا الزمان وفريد العصر والاوان حامية عبس وعدنان الذى قال فيه الشاعر مالك ابن حسان هذه الابيات الحسان

هذا الذى شاع فى الافاق فخرته ✽ هذا المسدد عند العجم والعرب
هـذا المعد لدفع المعضلات ومن ✽ يسطو ابرهفه فى الموقف الرهب
ما ان يرى فى اللقا فى يوم معركة ✽ الاوقد زلت الابطال للهرب
هذا المؤمل والضرغام تعرفه ✽ كل الصناديد والفرسان فى العرب
لم يعدل مثلا له ظهر الجواد ولم ✽ يرى شبيها له فى سالف الحقب
يسوق اعداه سوق السرح فى ملا ✽ ويات بالمال والانعام والسلب
أبو الفوارس سموه بعنـــترة ✽ شداد أباله فاصغى لذى العجب

(قال الراوى) ثم انه قال وأما سؤالك عن مسيرنا فان بعض ملوكنا أسرت له زوجة فى بلاد اليمن ونحن سائرين الى خلاصها فأنتم من أى البلاد ومن أى العرب ومن قائد جيوشكم والى أين أنتم سائرين فقال العبد وقد تبسم وزاد به السرور وقال له اما قولك من أى العرب فاننا من بنى هبيرة وأما قائد جيشنا وسيدنا ومالك قيادنا المعروف بمشبع الاطيار وأما الى أين رايحين فاليكم قصدنا وأنتم طلبتنا ثم ان العبد سار طالب قومه وعاد شيبوب الى أخيه عنتر قال الاصمعى وكان السبب فى مجىء هذا الجبار كلام عجيب وذلك ان هذا الفارس شيطان من شياطين اليمن يقال له سابق بن طود الجيوش وكانت العرب تسميه مشبع الاطيار وكان خروجه من أرضه طالب لعنتر بن شداد وهو فى جملة من الفرسان الاجواد وذلك انه لما بلغه الخبر بان عنتر قتل صديقه خطاف القنا الذى قتله وهو عائد من عند النعمان فى وقعة الخيشعور والميثم بن نضالة وهو اوفى من فرسانهم بلا اطالة فسار حتى يأخذ تاره ويكشف عنه عاره الى ان التقى بعنتر ونزل شيبوب يكشف الخبر ورجع كل واحد الى رفيقه وأقبل العبد على طرد الجيوش

وأعلمه ان مقدم هذا الجيش عنتر بن شداد ففرح فرحا شديد ماعليه من مزيد ودعس جواده الى الميدان واشتهر بين الفرسان وصال وجال وطلب الحرب والقتال وأنشد وقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

اليوم اكشف مافي القلب من غصص

ولي اصطبار على هذا ولي جلد

كم ذا انضام ونحمل كل نائبة * من المذمة والاحشاء تتقد

لاصبر لاصبر بعد اليوم ان لنا * نارا قل لظاها يحرق الكبد

فاطمسوا بذباب السيف أعينهم * فأين مجاهم ان مالت الاسد

فأين هو عنتر يبرز الى رجل * يبرى الرؤس بسيف يفلق الخود

سآخذ الثار والجمعان ناظرة * هاذي فعالي وجمع الناس لي شهد

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره ونظامه وقف في ميدان حربه مقامه وسمع عنتر كلامه وكان أخوه شيبوب أعلمه بما اتى فيه هذا الفارس بقوة اهتمامه فحمل عنتر عليه وساق الجواد وقصده وهو يجيبه على شعره ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كم خضت معمعة بحد حسام * واخمدت نار ضرامها بضرام

ماراني يوم الحروب مجالد * الا ازات جلاده بمرام

لامرحبا يامن أتانا قاصدا * اليوم تلقى فارسا قمقام

أنا عنتر العبسي والبطل الذى * ذكرى ثرى فوق الثرى واكام

(قال الراوي) ثم انهما حملا كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه هذا وقد مالت بنو عبس على بني هبيرة وقلوا في اعينهم ومالت بنوا هبيرة عليهم ولم يعلموا ان فيهم مثل نازح وأبيه وأسيد وعروة بن الورد وشداد بن قراد (قال الاصمعي) فعند ذلك

التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وعمل السيف القضاب وقل اللوم والعتاب وتعثرت الخيل برؤس الشيوخ والشباب ودارت طواحين الاجال ومال عليهم نازح واستطال وكذلك عروة بن الورد عمل عملا عظيما وقاتل قتالا جسيما ولم يزل القتال يعمل الى ان قامت الشمس فى كبد السماء وقد خاضت الخيل فى الدماء وقد اشرفت الناس على الهلاك والعمى فبينما هم على أشد مايكون من القتال والطعن والنزال واذا بصائح قد صاح وهو على أعلا البطاح وفى يده رمح عالى عليه سنان وسن فوقه رأس انسان كأنها رأس شيطان وهو ينادى ويلكم ياأوغاد غير امجاد وهذه رأس سيدكم قد قتله عنتر بن شداد الذى سلطه الله على أهل العناد قال الاصمعى وكان قد جرى بين مشيع الاطيار وعنتر قتال يتعوذ منه القمقام لانهما تطاعنا حتى تقصفت الرماح ورجعا الى ضرب البيض والصفاح وأخذا فى الانطباق والالتصاق فضايقه عنتر ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه فخطف شيبوب الرأس من الهوى بالعجل وجعلها على رأس سنان رمح معتدل وقصد بها ذلك التل والجبل واعلن بالندى كماذكرناه هذا وقد أبصر وابنو هبيرة رأس سيدهم كما وصفنا فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وبنو عبس تعمل فى اقفيتهم بالسيف البتار والرمح الخطار ومارجعوا من ورائهم الا آخر النهار وعنتر بين أيديهم ينشد ويقول

كفى ملامك عن لومى وتفنيدى * صبابتى بالعلى والخرد الغيدى
اطلت حتى حسبت المجد منقصة * كلا ولوانه حتف الاماجيدى

لما رأيت غراما حل عن عدد * تركت نومي وقد داومت تسهيدي
لما أتى مشبع الاطيار يطلبني * بثار صاحبه والدهر مكدودي
ضربت قنته بالسيف مقتدرا * وجلت في قومه بقلب الصناديدي
وكم لقيت بقلبي كل نائبة * والخطب يجلب في سادات رعاديدي
والخيل تجري خفافا في اعنتها * وهن ما بين مقتول ومطرودي
تكر تحت غبار النقع في وهج * على نجيع من دما الفرسان مسرودي
وآل عبس عـــلى صهوات اظهرها
قد حطموا في التراقي كل معدودي

(قال الراوي) وقد دبات في تلك الارض باصحابه الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت الصلاة سيد الفصاح سيدنا محمد بن الملاح ورسول الملك الفتاح فجمعت بنو عبس الخيل والاسلاب وساروا الى أن قربوا أرض بني القيان فأراد نازح ان يسبقهم الى الحي ليعلم أهله بما قد جرى له فسار ومازال سائرا الى أن وصل الى الحي فأبصر في أرضهم طيورا طائرة وهي في الجو حائمة وبريق صوارم لامعة وصياح نسوان وبكا صبيان وأمورا تدل على وبال وشر وقتال (قال الاصمعي) فلما رأى نازح هذه الاحوال عاد الى عنتر في عاجل الحال وقال له دهينا يا حامية عبس اسرع في القتال حتى اننا نخلص الحريم والعيال من ايدي هؤلاء الاعداء الانذال فقال له الامير عنترا أبشر يا ولدي بما يسرك ودفع جميع ما يضرك ثم ان عنتر قسم الثلثمائة فارس الذي معه ثلاثة أقسام وأمرهم بالحملة سوية على هؤلاء الاعداء اللئام وكان عروة مقدم رجاله ونازح مقدم اقياله والامير شداد مقدم المائة الاخرى وترك أسيد واقف تحت الاعلام في خمسين فارس

تمام وأمره ان يردمن يعود عن الحرب والصدام وكان أسيد أراد أن يحمل معهم فى الاول ويجادل ويكافح لان القتال من اجل ولده نازح فما مكنه أبو الفوارس عنتر من ذلك بل قال له يا مولاى ما هذا صواب ان تقاتل أنت معنا فى هؤلاء الكلاب ولكن كن أنت فى مكانك تحت هذا العلم حتى تعلم هؤلاء الاعداء أن لنا رأس ومقدم واذا رأيتنا قد ولينا منهم مدبرين فاحمل أنت وانصرنا ولا تدع الاعدا تملكنا فعندها أجابه أسيد الى ما طلب وحمل عنتر بالخمسين فارس الذى معه على أعدائه كأنه الأسد الاغلب عندها رأى بنى عبس حملت ولاعنة خيلها أرسلت وعلى القتال عولت وصاحت ودمدمت وسيوفها فى الرقاب ارسلت فحمل الامير عنتر الى معونتهم كأنه البلاء المسلط وأخيه شيبوب الى جانبه كأنه الثعبان الارقط أو الذئب الامعط وانطبقت فرسان بنو عبس على بنى الارقط (قال الراوى) وكانت هذه العساكر أشد عرب اليمن وأجبرها وأصبرها على نوائب الزمن وكذلك كان مقدمهم أعظم الملوك وأجبرها وأشدها جهلا وكفرا وأوحشها صورة ومنظرا وكان شديد الباس صعب المراس كثير الفرسان والابطال والاقران وانه اذا ركب الى الميدان تخضع له رقاب الشجعان من أرض السواد الى جبل الدخان وكان مولعا بحب النسوان وله عجائز تدور فى الاحياء ويدخلون على بنات السادات فاذا نظروا بنت عربية حسنة أتوا اليه وأعلموه بها فينفذ الى أبيها ويخطبها منه فان أرسلها اليه كان وان أبى أرسل اليه العساكر وخرب دياره والاوطان ويأخذها منه غصبا بلا رضا ولا يزال معها الى ان يسمع بغيرها فيجعلها من جملة

امواته الى أن سمع بحديث ضمية بنت عباد فأنفذ يطلبها من أبيها
فرد أبوها رسوله خائبا وقال أنا ما ازوج ابنتى لرجل جبار لا يعرف
العار ولا يغار على النساء الاحرار (قال الراوى) فلما سمع نقمة كلامه
اشتدّ به الغضب وانفذ اليه كابوب فى سبعة آلاف فارس من بنى
الارقط وقال لولده كابوب لا تعود الاوعباد معك ذليل حقير
واتنى به بين الفرسان والابطال فقال ولده السمع والطاعة
وحق الليل اذا اعتكر والقمر اذا ظهر ما اتركهم الا مثلا يذكر
بين البشر وعبرة لمن اعتبر (قال الراوى) وكان هؤلاء القوم
يعبدون القمر ويستغيثوا به فى المهمات وضلوا عن رب الارض
والسموات وسار كابوب بعد وصية أبيه نقمة الى بنى القيان وحصل
لهم ما حصل ووصل نازح وبنى عبس وعنتر وأسيد ووجدوهم
نهبت اموالهم وهتكت نساؤهم وسبيت بناتهم وحمل عنتر
عليهم وفرق من الاعداء كتائبها واخرق جوانبها ونكسها عن
مراكبها وسمعت فرسان بنى عبس صياح عنتر فدخلت فى قسطل
الغبار فرجعت بنو الارقط الى وراها وأبصرت البلاء قد أتاها فعادت
من بين المضارب والخيام وهى نافرة مثل الوحوش الشاردة
والرزايا عليهم واردة قال الاصمعى فعند ذلك سال كابوب ابن نقمة
عن الخبر وقال ما بالكم هاربين قالوا أنار أينا العبر وكان كابوب
واقف خارج المعمعة وهو ينظر السبى الذى يأتوا به بين يديه وكان قد
ابصر فرسان بنى عبس لما حملت بابطالها وجالت بفرسانها ولكن
نظر الى قلتهم فما خطر بباله ولم يعلم انهم فرسان المنايا الزؤام الا انه
لما نظر رابطاله نافرة يمين وشمال أخذته البهتة والاندهال
فنادى يا ويلكم ايش هذه الفترة يابنى الاندال اعلموا ان هذه

غنيمة قد أتتكم من غير هذه البلاد وهى نجدة للعباد وهى أكثر
من ثلثمائة فارس وفرد رجل واحد ماشى على الاقدام (قال الراوى)
ثم انه حمل وزعق وقسم أصحابه ثلاث فرق فحملت كل فرقة على
فرقة فرؤا بنو الارقط فوارس لاترد وابطال لاتعد ولاتبالى
بالعطب ولا تطلب الهرب بل تحمل حملات الاسود فيفرون البطون
وظهرت من الرجال النخوات وعنتر يطعن فيهم طعن المماة فما
استطاعوا الوقوف بين يديه فولوا هاربين والى النجاة طالبين
وما سلم منهم غير القليل فساروا يستغيثوا بابن ملكهم كلبوب
وهم يقولون يا ويلنا من هذا الفارس المنتخب والرأى عندنا انك
يا كلبوب تطلب الهرب من قبل ان يقدم عليك وينزل بك العطب
ويخطف روحك من بين جنبيك ويترك أهلك ينوحون عليك
(قال الراوى) فلما سمع كلبوب منهم ذلك المقال سحب حسامه
وضرب منهم عشرة رقاب وقال اذلكم الله بين العرب يا ويلكم
ألف فارس تنهزموا من مائة فارس ولكن لوأنى أريد ان أوريكم
ماافعل بهذا الفارس الذى ذكرتوه ما يأتينى منكم أحد فى هذه
الساعة ثم انه خرج من تحت الاعلام وقال لبعض رفقاه تقدم
وأسأل هذا الشيطان من أى قبيلة فسار من عنده جماعة الى عنتر
وقالوا لمن حوله ولم يقدروا يسألوه من يقال لهذا الفارس الذى خاب
امله ودنا مرتحله فسمع عنتر فلم يمهله أن يتم كلامه حتى طعنه برأس
السنان كركبه عن جواده وضرب الذى حداه بالرمح فى قفاه
فخرج يلمع من نقرة قفاه وضرب الثالث بالحسام طير منه الهام
وحمل على مقدمهم كلبوب وانطبق عليه وحملوا على بعضهم كأنهم
بحرين التطما أوجبلين اصطدما وحمى بينهم الطعن والضرب وقد

طلبوا أصحابه ان يعينوه فما مكنهم من ذلك واراد ان يوريهم
قتاله ومقاله ففزعق واوقفهم وقد دام القتال واشتد النزال وفى دون
ساعة انكسرت الالف الذى كانوا قدام نازح (قال الراوى)
وقد انهزمت الطائفة التى قدام عروة بن الورد وقد أوسعوا
فى الهرب وولوا فى البر والسبسب وقد نادى عباد فى بنى القيان
يا بنى الأعمام ابشروا بالنصر والمصالح فقد وصل الينا نازح ومعه
العصبة القوية الفرسان العدنانية فقاتلوا معه بنية قوية
(قال الاصمعى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل
ونار الحرب تشتعل الى ان انكسرت بنوا الارقط وسار نازح
ومن معه يطلبون عنتر هذا وبنو القيان لما رأوا الى ذلك الفرح
تصايحوا وحملوا وطعنوا فى العدا بالرماح الى ان انكسرت بنو الارقط
وهجوا فى الربا والبطاح وقد رجع نازح وبنو عبس وأما عنتر
فانه مازال مع خصمه فى قتال وطعن ونزال الى أن كل كلبوب ومل
وانحل عزمه واضمحل وطلب الهرب من قدام عنتر فاظهر له عنتر
الفتور فطمع كلبوب وأشتد وطعنه طعنة قوية وعنتر صابر لها وهو
متنبه للضربة الى أن قاربه السنان ووصل الى نحره وجذب سيفه
وضرب به رمح كلبوب براه وورد عليه بعد ان امهله الى أن قاربه وصار
بين يديه فضربه على وارديه اطاح رأسه من بين كتفيه ولما
ضربه عنتر ووقع على الارض قتيل وفى دمه جزيل فحملت الطائفة
التى كانت معه وقصدت عنتر من كل جانب ومكان واقبلت عليه مثل
فروخ الجان وعنتر قد هاج كأنه البحر العجاج المتلاطم بالامواج وكان
شيبوب أخذ رأس كلبوب ووضعها على الرمح وصار ينادى يا ويلكم
عن من تقاتلوا يا عباد ين الليل والقمر وصاحبكم كلبوب قد مات

وانقهر فلما عرفوا راس سيدهم كابوب ولوا الادبار و ركنوا الى الفرار
وتشتتوا فى اقطار القفار بعدما فنى منهم خلق ما يقع عليهم عيار
(قال الاصمعى) فلما نظرت بنى القيان الى عنتر وما فعل ترجلت
اليه الابطال والشجعان وقال عباد يا نازح من تكون هؤلاء القوم
الذين قاتلوا معنا من غير معرفة فقال نازح وقد تبسم هم بنو عبس
وعدنان وأما دخولهم معى فى هذا المكان فليس بعجب لان ملكهم
أبى و يليهم نسبى (قال الراوى) ثم انه حدثه بحديثه وما جرى له
فى سفرته وكيف كانت معرفته بهم فى غيبته فلما سمع نازح
تعجب وحصل عنده غم وارتعب لانه لما ذكر له بنو عبس ضاقت
منه النفس و بعدها راقت أحواله وأخذه الفرح واتسع صدره
وانشرح وقال والله ما كان عندى قبل اليوم أشد بغضة من بنى
عبس ممن طلعت عليه الشمس لاجل ما كان بيننا من الغارات
والقتل والآن وحق من رفع السموات و بسط الارضين على الماء
وجعل البيت الحرام أمنا وحما انا عدنا لهم عبيد ونساءنا لهم
أموات وحق من هو عالم بما كان وما هو آت ولكن يا ولدى من
أبوك فيهم فقال له اعلم ان أبى اسيد ابن خزيمة الذى على رأسه العلم
صاحب المهابة العظيمة وهو زوج امى سلمه التى هى اختك بعهد الله
وميثاقه (قال الراوى) ثم انهم ساروا الجميع الى ناحية الامير
اسيد ابن خزيمه وسلم بعضهم على بعض وانبسطوا فى تلك الارض
وقد علم عباد انهم طائفة كريمه من ذوى الرتب فاكرمهم وشكرهم
وحياهم بتحية العرب فقال أسيد اعلم يا عباد وحق الملك الجواد
انه قد صار فضلك الينا واحسانك لانك قد ربيت لنا هذا الولد الى
ان صار من الفرسان و يعد من الشجعان ولم يبق منا تقدر على

مكافأتك طول الزمان وأنا ما أتيت هذا المكان الامن أجل ضميه بنتك بدر التمام ونريد ان تتم احسانك وتوصل النسب بيننا وبينك فقال عباد يا مولاى ومن أين لى بهذا الامر وحق زمزم ومنى لا أخذ منه مهرا معدود ولا أطالبه بصداق ممدود قال فشكره أسيد ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى الاحياء فتلقتهم النساء والبنات يضربون بالمزاهر والآلات وخرجت أم نارح وسلمت عليه وقبلته بين عينيه فاخبرها بما كان من أمره وانه عرف أباه أسيد وأعطاها ملبوسا من ديار عبس فلبست ضميه بنت عباد وفرحوا بذلك الابراد (قال الراوى) فلما علمت أم نارح أن أباه قد أتى معه فى طائفة بنى عبس وهم شداد وولده عنتر وعروة بن الورد زادت افراح على افراحها وقد لبست ثيابها وزالت اتراحها ونظرت الى بعلها أسيد فعرفته فهرولت اليه وقبلته وسلمت عليه ففرح بها وسلم عليها واعتنقها وبكى وما فيهم الا من ذكر العهد القديم واشتكى وحدث كل واحد منهم صاحبه بما لاقى بعد فرقته فكانوا كما قال الشاعر حيث قال

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ❋ يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

(قال الاصمعى) فلما دخل الليل الا وضربت لهم الخيام ونقلوا اليهم البسط والفرش ومدت لهم أوانى الطعام وصافى المدام وعند الصباح وصلت اليهم من عباد الهدايا والتحف وما تضاحى النهار حتى صارت أمورهم نافذة فى بنى القيان وقد عزت انفسها بعد ما كانت تضام وهذا حكم الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان (قال الراوى) وقد اصطنع عباد وليمة عظيمه جمع فيها سائر بنى عبس وسادات قومه الكرام وصارت جميع فرسان بنى

القيان تخدم عنتر بن شدّاد وتزيد له فى الاكرام وبعد ذلك
طالب اسيد عباد ابزفاق صمته على ولده نازح فقال له سمعا وطاعه
لكن اعلم ان بنتى قد انحزام رها وفرغ شغلها ولو أمرتنى الليلة ان ازفها
لزفيتها ولكن قلبى خايف من هذا الجبار الذى قتلتم ولده كلبوب
ولا بد ان يسير الينا فى عالم عظيم ويقطع منا الا آثار فقال عنتر يا عباد
ومن هو هذا الجبار الذى تقول عنه هذا المقال فوالله اننى لا أخرج
من هذه الديار واترك احدا يحكم عليك من العباد فوحق ذمة
العرب وشهر رجب لاقودن هذا الجبار من رقبته اليك وأريك
فيه ما تقر به عينيك واجعل كل من على وجه الارض فى جبال
الدخان طعما لوحش الفلا والغربان وان شاء الله تعالى أسير
فى مائة فارس اصرم عمره واقطع أصله وفرعه فقال عباد يا أبو
الفوارس لا تخلف ولا تحدّث بما ليس لك به علم ولا تظن ان هؤلاء
القوم مثل غيرهم لان أرضهم ضيقه ما للفوارس فيها مجال وان هذا
الجيش الذى أهلكناه ماهو الا نقطة فى تيار أو شرارة من نار
ولكن أصبر حتى اننا نكاتب الحلفا والاصدقا وسائر العربان
ونسير كلنا الى جبل الدخان ونبذل المجهود مع هذا الشيطان
وان كان يطلب منا فديه دخلت له تحت كل ما يريد وان لم يرض
بذلك قاتلناه وطلبنا النصر من الملك المجيد (قال الاصمعى) فلما
سمع عنتر من عباد هذا الكلام قال يا اسيد أيش هذا الكلام
فوحق من سطح المهاد وجعل الجبال أوتاد وكسا الليل حلة
السواد لاسرت اليهم الا فى مائتين فارس من بنى قراد وعروة بن
الورد وأبى شدّاد ولو انهم بعدد قوم ثمود وعاد صاحب ارم ذات
العماد قال ولما ان سمعوا من عنتر هذه الاقسام تعوذوا برب

زمزم والمقام والمشاعر العظام وما فيهم من ردّ عليه كلام الا ان أسيد قال له يا أبو الفوارس ان كان ولا بدّ فارحل من غد ونحن نلحقك لا ننام نأمن عليك تسير فى ارض لم تعرفها وتريد ان تلقى أهلها فى هذا النفر القليل فقال عنتر يا مولاى الامر اليك وآنا ارجو ان شاء الله تعالى امضى هذا الشغل قبل ان تلحقونى (قال الراوى) وكان هذا القول عند المسا ولما ان هود الليل وطلع نجم سهيل أمر عنتر أباه شداد وعروه ابن الورد ان ينتخبوا فوارس انجاد يكونوا معدودين للحرب والجلاد فاخذهم وقت السحر وساروا يقطعون البرارى والقفار ولما ان خلا عنتر بنفسه تذكر محبوبته عبله فبكا وان واشتكا لانه رأى أسيدا اجتمع بزوجته سلمه ونازح بضميه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم يا رباه انت تعلم بما أنا فيه من البلا وما قاسيت بين الملا وجميع الناس انتظم أمرهم وما بقي الا انا فاجبر خاطرى بعبله لان قلبى قد انكسر وانشد يقول

حسناتي عند الزمان ذنوب * وفعالى مذمة وعيوب
ونصيبي من بعد الحبيب جلادة * ثم غيرى له الذنوب نصيب
كل يوم يبرى الزمان سقاما * من محب وما السقمى طبيب
ان طيف الخيال يا عبل يحيي * ان هو زار قلبى المكروب
كيف يسرى ودونه فلوات * دون تقطيعها الصبا والجنوب
يا نسيم الحجاز لولاك تطفى * نار قلبي اذ ازداد قلبى لهيب
نارى تزداد اذ تنفست لهبا * وفاتلى فرقة وخطوب
ولقد ناح فى الغصون حمام * فشجانى حنينه والنحيب
بات يشكو فراق ألف بعيد * وينادى أنا الوحيد الغريب
قد تنفست من فؤاد عليل * تنفسا يستعيذ منه الطبيب

ياحمام الغصون لو كنت مثلي * عاشقا ماحواك غصن رطيب
فاترك العشق والهوا لمحب * قلبه قد زاده التعذيب
كل يوم له عتاب دهر * اذا اجتمعت عليه الخطوب
وحروبا لاتنقضي ورزايا * مالها آخر يكون قريب
سلي ياعبل عني خبيرا * وشجاعا قد جربته الخطوب
فهو يخبرك ان في حد سيفي * ملك الموت حاضر لايغيب
وسناني في يوم الطعان عليهم * جالية كلما في القلوب
كم شجاع دنا الي ونادى * انني ذاك الشجاع النجيب
مادعاني حتى صار مائلا * قتيلا تنشق منه الجيوب
يضحك السيف في يدي وبناني * وله في بنان غيري نحيب
فهو يحمي مهي اذا حضر الحرب * كما يحمي النسيب عن النسيب
وكأني شارب كاسات خمر * مع جوار لهن مسك وطيب
فدعيني أجرأ ثواب فخري * فلها في العلا ثنا وضروب
وأنا عنتر المتيم حقا * لازال طول عمري يطيب
لوتكني غيري بما أنا فيه * ذاب جسمه حقا من التعذيب
لكن الحكم للمهيمن ربي * يقضي مايشاء وهو المجيب

(قال الراوي) ولما ان فرغ عنتر من انشاده رق له قلب أبيه شدّاد وكذلك عروة ابن الورد ومازالوا سائرين طالبين أرض السواد وديار بني الارقط وبين أيديهم شيبوب وهو مثل الذئب الامعط أو الاسد الارقط (قال الاصمعي) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نعمة بعدا نفاذ ولده كليوب الى بني القيان فانه بقي متطلع الى خبره ومنتظرا الى أن يأتي بضميه بنت عباد وماعلم ان الزمان أخلف عليه الميعاد وارسل له عنتر ابن شدّاد ينزل به البلا والانكاد ومازال

فى انتظاره الى أن وصل اليه المنهزمون من عشرة وعشرين وهم
فى البر متفرقين ونعوا اليه ولده كليوب وما أصابه من شرب كاس
المنون فقامت قيامته وزادت حسرته ولعبت النار فى أحشائه
ومهجته وقال لهم يا ويلكم أنتم سرتم فى سبعة الاف عنان ومعكم
ولدى كليوب يعد بألف من الشجعان وجرت عليكم هذه الامور
من بنى القيان وأتيتم وتركتم ولدى قتيل فى الصحصحان فقال رجل
منهم يقال له عنان ياملك الزمان أما بنى القيان ابدنا منهم
الفرسان وأهلكنا منهم الابطال والشجعان وانما وصل اليهم نجدة
وهى ثلثمائة فارس مع بطل أسود مثل الظلام لا يسمع من أحد
كلام ولا يرد جواب بل يطعن برمح الجواد والاجناب والرجال
الذى معه تنثر سيوفهم الجماجم والرقاب وذلك الفارس الاسود
أشدّ منهم باس واقواهم مراس وهو الذى قد طعن بقوته فرساننا
وقتل ولدك كليوب وحمل علينا حملة الجنون ونهب الارواح وشق
البطون وكسرنا وأخرجنا من تلك البلاد بعد ما ملكنا المضارب
والبيوت ولو شاء لتبعنا ولا خلا منا واحد يفوت (قال الراوى)
فلما ان سمع نقمه كلامه جذب حسامه وضربه على وارديه
اطاح رأسه قدامه وقال للعبيد اقبضوا عليهم وقدموهم بين يدى
فوحق القمر اذا شرق والليل اذا غسق لا أبقين منكم أحد ففعلوا
العبيد فصار يضرب منهم الرقاب فتقدم أخو نعمه وأخذ السيف
من يده وكان نعمه رحيم القلب يحب العدل والانصاف ويقول
ياخا الزمان فجعت فى ولدك قتب عن بنات العرب فقال نقمه
أنت معارضى هل أنت ما كامثلى كيف أكون ملك اليمن وأترك
شهوة من شهوات الزمن فوحق سواد الليل والبدر التمام الذى

يعرفنا عدد الشهور والايام ان عدت تعارضنى لارمى رقبتك بهذا الحسام ثم انه صاح فيه وقال له اخرج من قدامى والا رميت راسك بحسامى (قال الاصمعى) فصاحوا العبيد فيه وأخرجوه من قدامه قال ولما ان خرج نعمه من قدام أخيه ركب جواده وسار يطلب منازله فالتقوه فرسانه واجناده ومعه فى ذلك اليوم ثلاثة الاف يسمعون كلامه ويبغضون أخاه كثير الاجل تجبره وسماجته ولما أن اجتمع نعمه بقومه حدثهم بما كان بينه وبين أخيه من الكلام وكيف هدده بالقتل وضرب الحسام فصعب عليهم وقالوا له قاتلنا لك ألف مره لا نعده ولا تجل له قدر ولا ترفع له راس وأنت ما تقبل كلا منا فدعنا نحمل عليه ونضرب رقبته ونملك مملكته فقال لهم هذا أمل بعيد أنا لابد لى من المسير فى هذه الامصار واجلب العرب من ساير الاقطار واقلع منه الاثار وأول ما أقصد أقصد اهل الحجاز الذين قتلوا كابوب فى أرض بنى القيان لانى قد سمعت ان فيهم فارس كرار يعد بالف فقالوا له افعل ما تريد (قال الراوى) ثم انه قال لهم نسير من الصباح الى بنى القيان ونكون لهم من جملة الاعوان وما نسير الا بجميع الاموال والعيال والنساء والبنات والصبيان (قال الراوى) ثم انه أمر عبيده بشيل الاثقال فشالت رجاله وعياله وقد ركبت فرسانه وجميع ابطاله وساروا يقطعون الفلا بالاولاد والنساء والعيال قال فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نعمه فانه بقى بعده رواح أخيه من عنده محترق القلب على ولده كابوب وقد زاد به الغبون وقال لقومه انا أسير الى بنى القيان واذبح الرجال والنساء والاولاد وافنى هؤلاء الانذال الذين قتلوا ولدى والا ما تنطفى نار كبدى ثم انه بات تلك الليله الى الصباح فارسل

الى بنى رباح والى بنى وشاح وأمر الجميع بالحضور اليه من غير مهل
وكانت هذه القبائل تطيع امره وتحمل اليه الخراج وكانت
منقطعة عن الارض الطيبه وكان هذا الجبل من عجايب مخلوقات
الله تعالى لان الدخان كان يطلع منه ومن أرضه مثل الغمامه
السود الا ينقطع منه لا صيفا ولا شتاء وكان كلما اهل الهلال يسمع له
انين مثل أنين المرأة الثكالى ويطير منه جمرات نيران الى عنان
السماء وهو أسود عالى الجنبات ولا فيه شعب ولا نبات ولا يقدر
أحد يصعد اليه ولا يعلم ما فى أعلاه الا الذى خلقه وسواه سبحانه
لا عين تراه (قال الاصمعى) قد ذكر كعب الاحبار ان الاسكندر
ابن زاراب الرومى لما ان عبر الى ذلك المكان ورأى انعقاد الدخان
فسأل أبو العباس الخضر عليه السلام فقال له يا أخى اعلم ان هذا
الجبل قد سخط عليه الله بعد خلق الدنيا وقد خصه بالعذاب وحكم
عليه يوم القيامة يكون حجرا من حجارة جهنم لانى قد اطلعت عليه
فى بعض السياحات فرأيت فيه أمورا هائلات ورأيت راسه
مقسومة قسمين ومفروقه فرقتين وفى وسطه بحر من نار لا يعرف له
قرار يوهج لهيبه ليلا ونهارا مختلط بغضب الجبار وعليه ملائكة
الغضب لا ينامون ولا يأخذهم تعب من عذابه طول الابد وذلك بأمر
الواحد الاحد الفرد الصمد فقال له الاسكندر يا أخى هذا الجبل
لا يعقل ولا يفهم وقد سخط الله عليه وجعله حجرا من حجارة جهنم
فقال له الخضر يا أخى ان الله سبحانه وتعالى لما خلق السموات
والارض وقال لهما ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين الا هذا الجبل
اللعين فانه شمخ من دون الجبال وعلا وتجبر وطال وما أجاب فانزل
الله عليه ذلك العذاب (قال الراوى) فلما سمع الاسكندر من الخضر

عليه السلام هذا الكلام تعجب غاية العجب ثم انه رحل طالبا
عين الشمس ومطلعها وهو يسبح الله ويقدسه ويمجده على الطاعة
والمعرفة (قال الاصمعى) وعدنا الى الكلام الاول وعند الصباح
سأل نقمه من بعض السادات عن أخيه نعمه فتقدم اليه واحد
وأخبره بخبر أخيه وقومه برحيلهم فصعب عليه وكادت روحه ان
تخرج من بين جنبيه وقال أنا الذى فرطت لو كنت ضربت رقبته
ما كان فعل مافعل ولكن لابد لى من لحاقه ثم انه ركب فى ثمانية
آلاف فارس وعليهم العدد والزرد والخود وقال لهم أنا ما أريد الا
انجاز أمر أخى وأكون أنا معكم فى المقدمة وبعدها اسير الى بنى
القيان وأفنى منهم الرجال واسبى منهم النسوان وبعد ذلك ارحل الى
أرض الحجاز واضع السيف فى فرسانها والابطال وآخذ نسوانها
والاولاد واهدم مكة واجعل حج العرب الى جبل الدخان وكل من
عصانى تركته رزق النسور والعقبان قال الاصمعى ولما أن
سمع بنو الارقط كلامه أجابوه وتنصف النهار وهو سائر بهم
سير الجبابرة فى الاستعجال الى أن أظلم الليل نزلوا عن الخيل لاجل
الراحة وان تأكل عليقها ثم انهم أكلوا الآخرين شيأ من الزاد
ورحل بهم على عجل من حنقه على أخيه نعمة ومازال يقطع بهم
البطاح الى الصباح فنظر بين يديه سواد فبشر أصحابه وقال لهم
بان لنا غبار وأقول انه غبار أخى فأدركوه وحوشوه عن المسير
وسيروا للطعن واتركوا الخيل للراحة فركبوا الجنائب وتركوا
الخيل للراحة وساروا فأدركوهم فلما أدركوهم قال لهم نعمة ضعوا
السيف فيهم والقواضب ولا تتركوا منهم لا ماشى ولا راكب ومن
ظفر منكم بأخى لايقتله بل يأسره ويأتى به بين يدى حتى اعذبه

باشد العذاب وبعد ذلك اصلبه على قرون الجبال قال الاصمعي
فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نعمة فانه لما سار بالعيال وهو
مجد خوفا من الالحاق ورأى غبار أخيه نقمة والرجال فقال لاصحابه
ها قد لحقنا القوم ثم انه وقف هو وبنو عمه ودخل الحريم بين
الروابي والكثبان ورجال نقمة صاحوا عليه ومنهم الصياح قد علا
ودكدكوا اقطار الفلا ونعمة وقف ينظر ما الخبر فابصر المواكب
عليه اقبلت والفرسان بالقنا والقواضب وسدت عليهم الطرق
والمذاهب (قال الراوي) فعندها تغير لونه واضطرب ثم انه
شاور ابطاله فيما يعمل وقال لهم اريد منكم ان تحسنوا التدبير
ومافيكم الامن يسميني بالامير ويلزمني في القتال ما يلزمكم فقالوا
انما ما سرنا معك الا محبة لك وبغضة في أخيك واليوم نريك
منا ما يرضيك فانا وحق من برد سواد الليل بياضا ونجينا
من الاعلال والامراض ما فينا من يبخل عنك ولا عن الحريم
والاولاد حتى تلعب برؤسنا حوافر الخيل قال ثم انهم هزوا قطع
الرماح وتأهبوا للحرب والكفاح وهان عليهم بذل الارواح
وفي تلك الساعة اشرف عليهم عنتر بن شداد وهو راكب على
الجواد مثل الأسد وعروة بن الورد وشداد في فرسان بني عبس
وعدنان الانجاد وأبصروا الخيل قد ملأت القفار فأنكر ذلك
عنتر غاية الانكار ثم قال لشيبوب البلاء المصبوب ما هذه الغبرة
يا أبا رياح انطلق الى هذا الغبار وأتينا بالخبر لان فيهم نساء ورجال
وعيال وفيهم هارب وطالب ومنهوب وناهب فعندها انطلق
شيبوب مثل الريح الهبوب الى أن وصل الى أصحاب نعمة
ونادى يا وجوه العرب الكرام اخبرونا ما حالكم ومن أي العرب

أنتم فتقدم اليه نعمة فقال له يا فتى ما الذى تريد بسؤالك عنا وعن
أحوالنا فنحن قوم هاربون من الجبار المتكبر نقمة ابن الاشتر الذى
قد طغى وتجبر فأنتم من أى العرب فأخبرونا لعل أن يكون لنا على
أيديكم فرج فقال له شيبوب ابشر يا وجه العرب بكشف هذه الغمة
ان كنتم من اعداء نقمة لاننا قد أتيناله طالبين وعليه واردين
ونحن الذى قتلنا ولده كلبوب وأما سؤالك عن انسابنا فنحن من بنى
عبس الذئاب الطلس (قال الراوى) فلما سمع نعمة من شيبوب
ذلك الكلام داخله السرور وعلم ان صلاحه قد بدى وانصلح
واتسع صدره وانشرح ثم قال لشيبوب يا فتى اعلم وحق ما تقدم
اننا كنا اليكم سائرين والى نصرتكم طالبين ومن اجلكم
جرا علينا ما جرا ثم انه حدثه بحديثه على جليته وارجع الى قومك
وقص قصتنا عليهم وقل لهم يقاتلوا معنا ويستبشروا منا بالغنى
ونيل المنا قال الاصمعى فعندها رجع شيبوب الى أخيه عنتر
وأعلمه بالخبر ففرح عنتر واستبشر وقال لابيه شداد والله ان
الامر قد تيسر الا أننى أخاف ان تكون مكيدة أو حيلة حتى نبقى
فى أوساطهم فعندها ينطبقوا علينا وتميل علينا المواكب فقال
أبوه يا ولدى ان هؤلاء هاربين ومعهم عيالهم وعازمين على القتال
فاحمل أنت يمينا وأحمل أنا شمالا لعلنا ان ننجز هذه الاشغال ونعود
الى أهلنا والاوطان فقال له عنتر صدقت يا أبتاه قال الاصمعى
ثم بعد ذلك حمل على بنى الارقط وحده وأخيه شيبوب بين يديه
وكانت ابطال نقمة اختلطت بابطال بنى عبس وطعن بعضها بعض
وقد انطبقوا فى تلك الارض وما لوا طولا وعرض والاسنة فى الصدور
قد حصلت والرماح اليهم قد وصلت وقد اشتد الامر على نقمة

وبنى عمه وزادهم النكال وخاض العجاج أبو الفوارس عنتر بن شداد وكسر وحده الميمنة والقى فى قلوبهم الخوف والهيبة وأعانه أخوه شيبوب وفرج عنه الكروب وحمى ظهره مع جولته كما تحمى الاسود أشبالها وملأ عنتر الارض من القتلى وأبهر الاعداء بقتاله وطعانه وهو يجول فى ميدانه وأما عروة بن الورد وشداد ومن معهم من الاجواد حملوا على الميسرة حملات منكرة وقد اخروا الفرسان وراءهم فابصر نقمة وأصحابه افعال بنى عبس الاقيال وقد رأوا منهم ما هالهم ففرحوا بهم فرحا زائدا وقد قام الحرب على ساق وقدم والسيف بينهم قد حكم ومازالا الى ان أقبلت جيوش كالظلام وقد اسودت الاقطار ورجعت الطوائف عن بعضها البعض ونزلوا الاجل الراحة فى مقاومة الشجعان وأصحاب نقمة صاروا يستعيذوا من فعال بنى عبس وعدنان ونزل نقمة وعقد عزمه قد انحل وصارم همته قد فل ولما ان جلس فى مضاربه قال لاصحابه يا ويلكم وبهذه القلوب تريدوا ان تسيروا الى أرض الحجاز وتلقوا ابطالهم عند البراز وأنتم لقيتم أخى فى ثمانية آلاف والحى فى ثلاث آلاف وقد فعلوا بكم هذه الفعال (قال الاصمعى) فعند ذلك تقدمت اليه ارباب دولته وقالوا الا تأمنا على حربنا وقتالنا لاننا رأينا فى هذا اليوم فرسانا ما رأينا مثلهم فى مدى الزمان ولا ندرى من أى طريق وصلوا ونظن انه قد كاتبهم أو يكونوا اتفقوا له اتفاق ورأينا فى ذلك اليوم الى الفارس الذى حمل فى الميمنة بين يديه يا ملك رجل يقاتل على اقدامه وهو يهمز على الارض كانه يهمز الغزلات فان كنت رأيته يا ملك ولمتنا فانت والله عاقل قال لهم أنا نظرت الفارس الذى فعل هذه الفعال وقد كنت عولت ان أحمل عليه

بنفسى واردشره عنكم فخفت من ذلك الفارس فلزمت ناموسى
فرعا من الخسارة وخرق الهيبة وأنا والله قد عزرتكم لانهم والله
فرسان أوقاح ولا يوجد مثلهم فى سائر البطاح ولكن فى غداة
غد ابرز اليهم فى الميدان وكل ما قتلت منهم فارسا اقتل منكم
عشرة حتى لا يرجع أحد منكم بنفر من قدامى العساكر الاان
يتشحط بالجراح أو يصير ملقا فى البطاح (قال الراوى) فلما ان
سمعوا منه ذلك الكلام خافوا على انفسهم من ذلك الجبار فقالوا له
أيها الملك الهمام والبطل الضرغام نحن نشهد على انفسنا اننا
عاجزين عن بعض اعمالك لانك سيف البدو والحضر واوحد اهل
العصر وغدا يا ملك تحمل على الاعداء فى غداة غد فلما ان سمع منهم
نقمة هذا الكلام عذرهم وأقاموا الى الصباح (قال الراوى)
فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نعمة ورجاله الاوقاح فانهم كانوا
خائفين على النساء والصبيان الذين معهم فلما ابصر بنو عبس
وقد كسروا العساكر وصدم عنتر الميمنة وكسرها وكذلك شداد
ابن قراد وعروة بن الورد كسر الميسرة طاب قلب نعمة وزال عنه
الكرب وزغرتة النسوان وهلت الفرسان وفرحت الشجعان
بعد ما كانوا ايقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ونزلوا على الغدران
ونحروا النوق السمان والبقر والغنم وأصلحت النسوان الطعام
وروقت العبيد المدام وأشعلت النيران فى سائر الخيام والمضارب
من كل ناحية وجانب (قال الراوى) فما امسوا حتى راج لهم الطعام
فى الاوانى والجفان وقد حملوا العبيد من جميع الاطعمة المختلفة
الالوان هذا وأراد الملك نعمة ان يقف للخدمة مع جملة أصحابه
والخلان فقام له الامير شداد وأخذ بيده واقعده الى جانبه وقال

ابشر ببلوغ الآمال واعلم يا وجه العرب اننا ما دخلنا تلك الارض
الا فى حاجة انفسنا الا لاجل حاجتك واما هذه الاسباب فانها
جرت بسعادتك ثم انه حدثه بحديث نازح بن أسيد وكيف انه
تربى عند الامير عباد سيد بنى القيان وكيف انه قد هوى ابنته ضمية
وحدثه بحديث أسيد مع سلمة واننا آلينا على أنفسنا اننا لا نخرج
من هذه الارض ونترك لعباد اعداء يخاف منهم فنزلنا نطلب أخاك
نقمة ونلحقه بولده كلبوب فعندها تعجب نعمة والحاضرون غاية
العجب قال الاصمعى فعند ذلك صار لبنى عبس فى قلبه هيبة
وقال نعمة فى نفسه لولا ان يكونوا هؤلاء القوم اشجع أهل الارض
ما أتوا الى أخى نقمة وديار الارقط يطلبون قلع آثارهم وخراب
ديارهم وهم فى مائتين من الفرسان فقال لهم نعمة يا وجوه العرب
وحق ما اعتقده من اعتقادى والدين الذى وجدت عليه آبائى
واجدادى اذا أنتم قتلتم أخى نقمة وقلعتم آثره من جبل الدخان
لا أكون الا خادما لكم بطول الزمان واذا أراد الامير عبادان
ازوجه بنتى ست العرب حتى يبقى بيننا علاقة ونسب وأنا ما كنت
أرضى لأخى نقمة بالظلم ولا وقع بينى وبينه هذه الاحوال الا من
أجل عباد لانى أدخلت أخى وهو على ولده مقروح الفؤاد فذكرته
عاقبة البغى فاخرق فى غاية الاخراق وقد افضى بى الامر الى هذا
الحال وقد وصلتم أنتم ونحن على نية الحرب والقتال فكان
وصولكم لسعادتنا وأتمنى أن تكون هذه الارض لى وتلك
الاطلال ولكم يا وجوه العرب النوق والاموال والجمال (قال
الراوى) فلما ان سمع عنتر ذلك الكلام قال له اعلم أيها الملك أننا
ما نأخذ على فعل الجميل جزاء وما دمت أيها الملك على هذه النية

فنحن نتخذك لنا صديق في كل شدة وضيق وأنا أيها الملك اقسم
وحق من أمر بالحج الى الكعبة الحرام لابد ما احمل غداة غد على
أخيك وأضرب رقبته واملكك مملكته بعد ما اصرم عمره واقطع
من الدنيا خبره ثم انهم قدموا مناسف الطعام وأكلوا وصار بينهم
حرمة وزمام وباتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره
ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي والبطاح وسلمت على
زين الملاح ورسول الملك الفتاح تبادرت الفرسان الى الحرب
والكفاح وقد أبصر عنتر الى عزم أصحاب نقمة فقال اعلم أيها
الملك ان اعداك اليوم مظهر بن النشاط فخذ أنت ورجالك الميسرة
ونحن الميمنة وان رأيتم مالا طاقة لكم به اندفعوا بين أيديهم حتى
يتبعكم كل طامع فانطبق أنا على أخيك نقمة وأتركه ملقى على
الرمال (قال الراوى) فلما سمع نعمة من عنتر هذا الكلام
انعزل بقومه في ناحية عن بني عبس فلما رأت بنو الارقط الى بني
عبس وقد انعزلت عن أصحاب نعمة علموا ان الطائفتين يريدوا
ان يقاتلوهم فعند ذلك حملت وقد تبادرت وخافت من سطوة ملكها
فعندها التفت عنتر الى أبيه شداد ورجاله الاجواد وقال لهم
اعلموا يا وجوه العرب ان الامر قد هان عليكم فاقصدوا معي الى ذلك
العلم الازرق الذي عليه صورة القمر فانه على رأس نقمة بن الاشطر
واعلموا أننا ان لم نقتله زاد علينا جهله فعند ذلك اقتحمت بنو عبس
انفوسها وسلت سيوفها وانطبقت على بني الارقط انطباق الغمام
وأما عنتر فانه همز جواده الابجر بالمهاميز وقد اذعره فخرج من تحته
كأنه البرق في لمعانه أو الغيث في انهماله وبني عبس من وراء ظهره
كأنهم الشواهين الطائرة أو العقبان الكاسرة فما كانوا بني عبس

تصدموا موكبا الا فرقوه ولا جمعا الا مزقوه ولا طائفة الا ويكسروها ولا خيلا الا ويطحوها ولا جماعة الا ويهلكوها (قال الراوى) فلما طلع النهار وظهر تدبير الافكار وقد قتل بنو عبس الفرسان وأهلكوا الشجعان ونكسوا الرايات وأكثروا العيطات والزعقات وأبصرت بنو الارقط قتال بنى عبس وتواترت طعناتهم فتأخروا الى وراها وقد أحاط بها بلاها فهجمت من الميمنة واندفقت عن الميسرة فكثر على نعمة العدد وزيد عليه المدد فعول نعمة على الهرب فاندفعوا بين يدى اعداءهم فتبعوهم بنى الارقط قدر فرسخ فعندها وقف الملك نعمة قدام الاعدا وثبت قومه وقال لهم يا وجوه العرب الرجعة الرجعة واثبتوا قليل ولا تهربوا فتفضحوا عند العرب وعند هذا الفارس المنتخب الذى بذل مهجته فى هوانا (قال الراوى) وصار نعمة يرد الابطال ويغرى بنى عمه وأصحابه على الثبات عند الجولان ومقابلة الاهوال فبينما هم واذا بمناد ينادى ويقول يا معشر بنى الارقط الآن نقمة قد قتل وانقطع منه الاجل من الفارس الغضنفر والليث القسور فارس البدو والحضر أبو الفوارس عنتر فلما سمعت بنى الارقط هذا الندا احتارت امورها وحارت فى قتل ملكها عقولها وقد عادت الفوارس الذى لنقمه على الاعقاب وانكشفت عن القوم الغمة والعذاب قال وكانت قتلة الملك نقمه على يد شجاع المعامع والاسد المدارع مفنى العساكر يوم الجلاد أبو الفوارس عنتر ابن شداد لانه لما حمل على بنى الارقط صارت الفرسان تتكسر بين يديه وهو يقتل الشجعان ويشتت الفرسان من بين يديه ورأى نقمة مهمما عليه فعندها حمل عليه وصوب الرمح اليه فتلقاه

65

وتقاتلا وتناصلا وتضاربا بالرمحين الى ان تقصفت وبالسيوف
الى ان تثلمت فى ساعة من الزمان وقد كل نقمة ومل فرأى عنتر
منه ذلك فرمى الرمح من يده وجذب سيفه الضامى الابتر وضرب
رمح نقمة بعد ان صار بحذاه فجاء فى صدره وعبر الى قلبه ونفذ
من ظهره وكان لابس أربع دروع فخرق الجميع وشاله عنتر
على الرمح وقال يابنى الارقط هذا ملككم الجبار الذى كان يهتك
البنات الابكار ويغربهم عن الاوطان والديار أهلكه الله العزيز
الجبار (قال الراوى) فعند ذلك وقفت الخلايق واشتغلوا عن ماهم
فيه وصاروا ينظرون الى ملكهم وهو قتيل فى يد الفارس النبيل
ولما ان فرغ عنتر من كلامه نفضه بقوة ذراعه فتدحرج أوفى
من عشرين ذراع وقد خرجت روحه ومات ونزلت عليه الآفات
والبليات فلما علموا القوم بقتله وتحققوا أمره جردوا سيوفهم وارموا
الى الارض نفوسهم وقد انضموا الجميع الى أخيه نعمه وقالوا الامان
من فارس الزمان وسيد الشجعان ونادوا نعمه يامنصور أدام الله
عليك السرور وحفظ لنا أبا الفوارس عنتر البطل الغيور والاسد
الكسور وأخيه شيبوب البلا المصبوب (قال الراوى) وما انتصف
النهار الا ونعمه لابس التاج وهو فى جيش جرار مثل أمواج
البحار وعلى رأسه الرايات والاعلام ودقت الكؤسات وما كان
يوما بعد من الاعمار وتقدمت بين يديه الحجاب وولاة البلاد
وخاطبوه بالملك والتمت عليه من الفرسان احدى عشر ألف عنان
وسار فى تلك العساكر الى ناحية بنى عبس وعنتر ماسك بعنان
الجواد الى ان عبر الى الصيوان فعند ذلك اجلسه عنتر واجلسه على
سرير الملك الذى كان لاخيه نقمه وعنتر سل سيفه الضامى وأشار

الى القوم وقال لهم اعلموا يا عرب ان كل من كان له باب مغلوق
لايفتحه ومن كان له باب مفتوح لايغلقه ومن كان له اقطاع فهى له
أو ديوان فهو على حاله والامير أمير والوزير وزير وكل من لقلق أو أكثر
كلام اطحت عنقه بهذا الحسام فماذا أنتم قايلون (قال الاصمعى)
فعند ذلك كلهم أجابوا بالسمع والطاعه فعند ذلك دقت الطبول
والكؤسات ونفرت البوقات وباتوا تلك الليلة فى امان
واطمان ولما ان كان عند الصباح أمر عنتر الناس بالرحيل
الى جبل الدخان فرحلوا وساروا الى أن أشرفوا على جبل الدخان
وكان بعد خروج الملك نعمة اجتمعت العربان من جميع الوديان
والبلدان الذين هم من اعمال جبل الدخان وكان جملتهم ثلاثين
ألف عنان فأجابوا جميعهم بالسمع والطاعة ودخل الملك نعمة الى
جبل الدخان وجلس على سرير مملكته ولما ان نظر عنتر الى ذلك
امر أن ينادى فى البلاد بالامان والاطمان فخرجت المناديين ينادوا
يا معاشر الناس من العربان القاصى والدان انه قد أمر الامير
جمال الدولة عنتر بن شداد انكم تبيعوا وتشتروا وتأخذوا وتعطوا
وانه يحذركم وينذركم ان كل من تعرض أو تكلم فى حق الملك
نعمة كان ماله وحريمه وعياله لعنتر بن شداد ويكون أول مقتول
وقد حذر وانذر ومن لا يصدق فليجرب (قال الراوى) وبات
الناس من فعل عنتر يتعجبوا الى أن أصبح الله بالصباح عملت الولائم
وذبحت الاغنام وأكل الخاص والعام مدة ثلاثة أيام وبعدها
انصرفت القبائل الى مصالحها وأما الملك نعمة فانه ما خرج من
عنده أحد حتى البسه من الخلع السنية وأركبهم الخيول العربية
ففرحت العرب بذلك (قال الاصمعى) فعند ذلك قال له عنتر اعلم انه

يجب عليك ان تتلطف بالرعية فأجاب وقد أطعم الفقير من أفخر
الطعام وكسا الارامل والايتام وأقام بواجب الرعية والعوام
قال ولما ان تمهدت لنعمة قواعد مملكته وجلس على كرسى
سلطنته وبسط العدل وهابته جميع الفرسان وقد اطاعته
العربان فعند ذلك استأذنت بنو عبس في العودة الى ديارها
والاوطان فقال لهم الملك نعمة والله يا وجوه العرب ما هذا شرط
المروءة فكيف يجوز لكم ان تعودوا من غير فائدة ولا مال وذمة
العرب ما يرجع معي مما صحبني من مال أخى عقال بل انكم تأخذوه
وتعذرونى فى التقصير فقال له عنتر يا ملك وحق من أنطق الالسن
وشق الاعين ان الذى قد فعلناه نحن لنا فيه الحظ الاوفر وأنت
عندنا اليوم الملك الاكبر والسيد الافخر فقل لنا يا ملك ان كان
بقى لك عدوّ فأنا أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه واقلع آثاره
ولا نعود كلنا من عندك الا وأنت وافر الحظ فقال الملك نعمة
يا مولاى ما بقى لى بعد أخى عدوّ ولا من يريد لى سوءا ابدا وان كان
ولا بدّ لكم من العودة الى دياركم فما يمكننى ان تسيروا من عندى
من غير فائدة لكن خذوا من هذه النوق والجمال فانها تعينكم على
قطع الطريق واعلموا انها غريبة من هذه الديار وأرض الحجاز
لانها سوداء حالكة السواد وليس لها مثيل فى السواد وليس لها
مثيل فى سائر البلاد ولا توجد عند أحد فى غير هذه الارض
(قال الراوى) وكانت هذه الجمال من عجائب الدنيا لانها كانت
حالكة السواد زرق العيون لطاف الاجساد طوال الوبر قصيرات
فى الدواب فعند ذلك أقطع الملك منها عشرة آلاف ناقة وجمل وسلمها
الى مائة من عبيده ومائة أمة وقد أمرهم يسوقوهم معهم فأراد عنتر

ان يحلف ويردها فما تركه شيبوب ان يفعل بل قال له سر واترك
عنك الفضول فضحك عنتر من كلامه وقال له ويلك يا شيبوب تأخذ
مال الرجل وتفقره فقال له دع عنك هذا الكلام فلولاك
ما كان له فى هذه الديار مقام ثم انهم رحلوا من جبل الدخان وساروا
وما زالوا سايرين الى أن امسيا المسا فنزلوا على غدير وباتوا هناك تلك
الليلة وعند الصباح جهزوا رحالهم وركبوا وساروا فاراد الملك نعمه
ان يسير معهم فلم يمكنه عنتر من ذلك بل حلف عليه ورده الى دياره
وسار عنتر ومن معه من الاصحاب فى ذلك البر الى ان أقبل عليهم
الظلام فنزلوا للراحه وناموا فى تلك الارض ولما ان كان من الغد
رحلوا وساروا فما ساروا غير قليل حتى ظهر لهم غبار من قدامهم وفى
قدر ساعه قد انكشف وبان من تحته جيش جرار فبهتوا له واحدقوا
بالابصار وسار عنتر وأبوه شداد وعروه ابن الورد قدام وأرسلوا
شيبوب يكشف لهم الخبر فغاب وعاد وقال لهم هذا الامير أسيد
ونازح وعباد وبنى القيان (قال الاصمعى) فبينما هم فى الكلام واذا
باسيد ونازح وعباد وفرسان بنى القيان وما لهم من الحلفا والاصدقا
وهم فى عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وهم فى فرح
برؤية عنتر ومن معه من الرجال (قال الراوى) وكان السبب
فى مجى هؤلاء القوم انه لما سار عنتر من عندهم هو والثلثمائة من
الاصحاب وسار بعده هذا الجيش بعد عشرة أيام كما جرا بينهم الشرط
والميعاد على أنهم يلحقوا الى جبل الدخان ويقاتلوا معه الفرسان
فالتقوا به وهو راجع وقد بلغ من أعداه المراد باذن رب العباد
فهنوه بالسلامه وسألوه عن حاله وما جرا له مع نقمة فاخبرهم بما جرا
وكيف حصل له من السعود اذ انه هم فى أمر من الامور وساعدته

67

المقداد بن الاسود باذن الواحد الغفور (قال الراوى) ثم انهم عادوا راجعين الى ديار بنى القيان فوصلوا الى الحى وقضوا اكثر أيامهم بالفرح والسرور وزفوا ضميه على ناذح وقضوا أيامهم بالدعوات والمواسم وهم فى أكل وشرب الى يوم من بعض الايام أراد اسيد التخفيف على عباد فاستأذنه فى المسير الى أهله وأرضه فقال عباد والله يشق على ذلك لكن أنا ما أمنعكم عن أوطانكم فعندها أمر اسيد بنى عبس بالرحيل فرحلوا واجتمع شمله بزوجته سلما وولده ناذح بزوجته ضميه وساروا مقدار مرحله وبعد ذلك ترحلوا وحلفوا على عباد وودعوه وساروا يقطعون الارض الى ان قاربوا الاوطان وعنتر كثير الاشتياق والهيمان الى عبلة ثمرة الفواد فعندها قد تذكرها فان أنين المشتاق وأنشد يقول

أسير وفى قلبى جوى وسعير * الى منزل اشتاقه واشير
وان المشوق يا ابنة العم عاجز * عن الصبر والافكار فيه تحير
وانى سائر فى القفار موله * وقلبى فيه نار تؤج زفير
أيا عبل انى قد لقيت فوارسا * لهم من طعان الرمح ثم بشير
ففرقتها بالطعن حتى تركتها * ترى الارض من خوف تجلد بعير
قتلت الكلوب ونقمة بعده * وهذى فعالى والخيول تغير
أموت وأحيى كل يوم وليلة * وما وجدت لكبير العاشقين جبير
وكل الذى قدمت من أجل ناذح * غلام مجيد الطعن وهو خبير
فيا جبل الدخان لازلت فى لظا * وزادك من نار الجحيم سعير
ويا علم السعدى حييت منزلا * وأسقيت هطلا دائما وغزير
به منزل اشتاقه كل ساعة * ولى فيه الف لا يفك أسير
وانى على طول التنا عدوالها * ونار قلبى لها زفرة وسعير

في منزلٍ أشواق اقل مسيرها * على السفن لوحطت الكان مغير

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره طربت له السادات وما زالوا سايرين الى ان قاربوا الى شعاب المسارح وتلك الهضاب وهى التى أمسكها وكمن فيها خالد ابن جعفر لاننا قد ذكرنا بعد قتل الملك زهير وولده شاس أخذ خالد قلع بنى عبس وأنفذ الى سائر القبايل وترك ملاعب الاسنة فى الاحياء يلم العرب والعساكر وسار خالد فى ثلاثة الاف فارس ومعه الربيع ابن زياد وعقيل وجندح ابن البكا وأقاموا فى هذا الشعب ينتظرين قدوم عنتر ليقتلوه ويهلكوا الذى معه ويضعفوا قوة بنى عبس بقتل حاميتهم عنتر (قال الاصمعى) وقد كان عنتر وصل الى هذا المكان وكان لما ان أشرف عنتر ومن معه فنزلت النظار من على رؤس الجبال واعلموا خالد وقالوا الله اعلم اننا أيها الملك الامير أبصرنا خيل وقد نزلت على الغدران لترد الماء وما ندرى هل هى خيل عنتر أو غيرها (قال الراوى) فلما سمع خالد منهم هذا المقال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأمل ان يبلغ ما يريد ثم انه صبر الى أن عسعس الليل وطلع نجم سهيل فعند ذلك أمر عبدا من عبيده ان يسير الى الماء الذى نزلت عليه الخيل وينظر ان كان هو عنتر أو خلافه من الفرسان وقال له لا تعود الا أن تعرفهم من أى العرب هم لان لنا فى بلاد اليمن أعداء كثيره فعند ذلك تجهز العبد من وقته وساعته وسار كما أمره مولاه ولما ان سار ذلك العبد غاب وما عاد الا نصف الليل ودخل عليهم وانحشر بينهم وتحققهم انهم من بنى عبس ورأى عنتر فعندها رجع لما ان صح عنده الخبر وما زال الى ان وصل مولاه وقال له يا مولاى ابشر ببلوغ المراد ومجى عنتر ابن شداد فنبه يا مولاى

عزمك

عزمك وأصحابك للحرب والكفاح والجلاد واعلم انى دخلت عندهم فى الليل بين البيوت واذا أنا بعنتر وأخيه شيبوب وهم يتحدثان فى حرب الفرسان وعنتر يشكى مابه من شوقه الى عبله وبعد ذلك يامولاى انشد أبياتا مافهمت منها الا هذين البيتين شعر

أيابانة العلمين هل من مخبرى * خال المشوق الهايم المتغيرى
وبما لقيت من المهالك والعدا * بالله ياريح الجنوب فخبرى

(قال الراوى) فلما ان سمع خالد هذا الكلام نبه رجاله واشهر حسامه والتفت الى قومه وقال لهم اعلموا ان الرأى عندى ان نكبس على عنتر عند السحر لانه يكون أتم لحالنا وبلوغ أمالنا فقالوا الرأى رايك فهذا ماكان منهم وأما ماكان من الفارس الهمام ومن معه من الكرام فانهم نزلوا فى ذلك المكان وباتوا على الغدران وأقام عنتر على حرس القوم هو وأخوه شيبوب وتذكر محبوبته عبله ففاض دمعه وانحدر وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

يابانة العلمين هل من مخبرى * خال المشوق الهايم المتغيرى
وبما لقيت من المهالك والعدا * بالله ياريح الجنوب فخبرى
قولوا لعبلة اننى من أجلها * لاقيت أهوالا تزيل تصبرى
قاسيت أهوالا وعدت بنعمة * تدعو الفقير بها على أن نظورى
ياعبل ويحك لونظرت لعنتر * بين الجحافل والعداة الاكثرى
والخيل فى وسط المضيق تطابقت * تحوى كمثل العارض المتفجرى
فى معرك سد الفضاء قتامه * ظهروا على الخيل العتاة الضمرى
من كل أدهم كالرياح اذاجرى * وباشهب عبل البطون وأشقرى

فصرخت فيهم صرخة عبسية * كالرعد صارت في جميع العسكري
وعطفت نحوهم واوصلت عليهم * وصدمتهم صدما بصدر الابجري
واذقتهم ضربا وطعنا هائلا * بالمشرفي وبالكعوب الاسمري
فجعلتهم مثل الحصاد كانهم * أعجاز نخل في خصيب المحجري
دماهموا فوق الصعيد تخضبت * منها الجلامد كالعقيق الاحمري
وجرى النجيع كانه نهر جرى * كالارجوان ومثل بحر يهدري
ورجعت تشبه للعقيق سواعدي
والمهر مختضب بدم كل غضنفري
وأنا أنادي تحت مشتجر القنا * والنقع فوقي والغبار الاكدري
يا آل عبس أنا الغشمشم في الوغا * افني الفوارس بالحسام الابتري
وخرجت من تحت الغبار بحوشني
مثل العقايق أو كصبغ العصفري
وقتلت كابوبا ووالده الذي * يدعا بنقما ظالما مستكبري
ولامهب جرعته كاس الردا * وأفنيت أيضا كل ليث قسوري
رديتهم جمعا بضرب قاتل * بحسامي الضامي الثقيل الابتري
وقبائل العرب الجميع تفرقوا * في كل طود شاهق متوعري
وجماعة الفرسان صاروا في الفلا * لم يبق منهم داعيا أو مخبري
وملكت أموالا وكم نحرت غنايما * تملا الفلا والسهل ذاك المقفري
شهدت لي الابطال أني فارس * اقوى من الليث الهمام القسوري
ما نال قبلي فارس مانلته * من ارتقاء سعد شالف كلا ولا في أعصري
امي زبيبة لست انكر اسمها * وأنا ابن شداد الزكي العنصري
سوداتها كي الظلام ووجهها * كالصبح في الليل البهيم الأكدري
نلت السعادة والفخار مع العلا * بعزيمة من فوق ذاك المشتري

والموت

والموت حقا لورآنى لانثنا * عنى وولى خوف سيفى السمهرى

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره ترنحت السادات ثم ان عنتر أقام فى ذلك المكان الى أن مضى من الليل هجعة وهى الاول (قال الراوى) فعند ذلك أمرهم بالرحيل فقال له أخوه شيبوب يا أبا الفوارس مرادك ان تدخل المسارح فى هذا الظلام فقال عنتر نعم دعنا نسير لاننا شبعنا من بلاد الغربه فقال شيبوب يا ابن الام تأنى تأمن عواقب الزمن فقال عنتر ومن أيش تخاف وتفزع فان كنت تخاف من عرب تقطع علينا الطريق أو عدو يمسك علينا راس المضيق لا تخف فانى لملاقاتهم حقيق فقال شيبوب وذمة العرب يا أبا الفوارس ان قلبى يحدثنى ان هذه الطريق لنا فيها تعويق فقال عنتر ارحل ودع عنك الفضول (قال الراوى) فعندها عاد شيبوب ونادى فى بنى عبس بالرحيل فقال أسيد يا شداد ولدك انتشق نسيم عبله وقد زاد به اللهيب عند قربه من ديار الحبيب وما عاد يقدر على المقام ويحق له ان يفعل هذه الفعال لان قصته قد طالت وأنا وذمة العرب لا بدّ ما أتولى نوبته وأفرج كربته ثم ان القوم سار والى أن تقربوا من الشعاب وقد بقى من الليل شىء يسير فعندها قال عروة يا عنتر الصواب انك تترك هذه الضعن يسير بين أيدينا ونسير نحن فى تبعه حتى لا يكون أحد يطمع فى تبعنا ليأخذ النوق والجمال فقال له عنتر دبر كلما تريد واحترزوا على أنفسكم واعلموا انه لو جاءتنا الجن لقاتلناها وحاربناها فعندها وقفت الفرسان والشجعان عند سماع هذا الكلام الى أن عبر الضعن جميعه (قال الاصمعى) هذا كله وقع من بنى عبس وعنتر وخالد ينظر الى الجميع وهو فوق الجبل فعندها أمر خالد

الى بثلثمائة فارس من أبطاله وقدم عليهم ابن عمه فاخذهم ونزل
من الشعاب وصبر خالد الى ان عبر عنتر وأبوه شداد وأسيد وولده
نازح وعروة بن الورد وقد تتابعت الفرسان واسرعت فى دعوتها
الى ذلك المكان فقال شداد لعروة ان قلبي فزعان فقال
عروة وكذلك أنا (قال الراوى) وكان خالد بعد عبور القوم أقام
الصائح فى بنى عامر وكان قد بقى معه سبعمائة فارس فجردت
الصفاح وهزوا قطع الرماح وقد حملوا من كل جانب بالقنا والقواضب
فما كانت الاساعة حتى انطبقت السبعمائة العامرية على الفرسان
العبسيه انطباق الغمام وكان أسبق الكل الى عنتر الربيع بن
عقيل وقد طعنه طعنة اسبق من القضا والقدر كفته على عنق
الجواد فعند ذلك سل عنتر سيفه الضامى وضربه طيراعلا البيضة
عن رأسه وقد عمر على صدغيه فغيب رشاده حتى لم يعلم الربيع
ابن عقيل ان كان هو فى أرض ام فى سما ولما وقع الى الارض
أدركه شيبوب مثل الريح المهبوب وكتفه كتاف وقوى منه
الاطراف وكان جندح بن البكاحل على نازح بن أسيد وتقاتل
معه وتكافح وتتابعت الفرسان وازدحموا فى المضيق حتى صار
لا يعرف العدو من الصديق وعنتر قد استيقظ لنفسه وطعن
فى صدور الفرسان طعنا يشفى الغليل من ألم الصداع قال الاصمعى
لهذا الايقاع فهذا ما جرا وأما شيبوب فانه لما أن شد الربيع بن
عقيل وأخذه أسير فسار به الى عند من يحفظه وعاد فرأى
جندح ابن البكاح مبهوتا من تلك الوقعة فعارضه شيبوب وضرب
حصانه بنبلة فانصرع وشب به على قوائمه فانقلب من عليه
قال الاصمعى فعندها هم نازح ان يترجل اليه ويشده كتاف فادركه

شيبوب

شيبوب وقال له يا مولاى لا تتعب نفسك فى شده ورباطه فأنا
اكفيك أمر هذا الشيطان ثم ان شيبوب دنا منه وشده كتاف
وأخذه ومضى به الى عند الربيع بن عقيل فتركه وعادوا واقتتلت
الفرسان وركضت وعلا الصياح وقد خرجوا من بين الشعاب
كأنهم اسود الغاب واشتد القتال والكفاح وقد عظم الامر
وكثرت الجراح وجرت الدماء واشتدّ البلاء ووقع بالجواد الغائر
العى والملل حتى صارت تلك الوقعة يضرب بها بينهم المثل
والسيف انثلم وجعلوه الفرسان بينهم حكم وقتل عنتر من كان
أجله قد انصرم (قال الراوى) وأبصر خالد الخسارة قد وقعت
بهم وغالب فرسانه قهرت وأسرت فحار واندهل وندم على
ما فعل وصار يصيح فى فرسانه فلا تسمع وقد ولت الادبار
وفوارس بنى عبس تطعن فى صدورها فتهدها وتضرب فى جماجمها
فتقدها وصار كل واحد منهم أراد انشاء الطعنة فلا يقدر يعدها
بل ان القوم تكردست على بعضها وكثر همها وغمها ولم يزل
والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن طلعت غرة
الصباح وبانت الوجوه القباح من الوجوه الصباح فعند ذلك
تفلغل جيش بنى عامر وفى البر تمزق وقل عدده وقد انمحق وما حوى
خالد بن جعفر من الفرسان الا من يخاف على نفسه من العار
(قال الراوى) فعندها أبصر خالد عين الهلاك والوبال فعاد الى
الخديعة والمحال فرمى الرمح من يده واغمد السيف فى غمده وقد اقبل
على عنتر وتحته جرة الملك قيس ومتقلد بسيفه ذوا النور وقد نادى
عنتر بصوته المشهور وقال يكفاك يا وجه العرب من هذا الطعن
والعطاب وقل من هذا الجلاد ان كنت من الفرسان الاجواد

فنحن نبلغك المراد وأنت قتلت ساداتنا وأسرت حماتنا واننا
قداعترفنا بخطانا وغر رجالنا الطمع وقد حل بهم الهلع والعجلة
ندامة والخبرة سلامة واعلم انني مقدم القوم وعلى العتب واللوم
فبحق ذمة العرب من أنتم ولمن تنتسبوا من الفرسان أصحاب النسب
أهل الفضل والادب وقل لاصحابك يغمدوا الحسام حتى
ينتهى مابيننا من الكلام لعل أن يكون هذا الامر يعقبه
صلاح من بعد الفساد ولعلكم تكونوا لنا بعد ذلك اصدقاء فبحق
من أرسى الجبال أكشفوا لنا عن هذا الحال ولا تخفوا عنا
حسبكم ولا نسبكم قال فلما ان سمع عنتر كلام خالد ظن ان
قوله صحيح فعند ذلك أمر عنتر شيبوب ان يرد فرسان بنى عبس عن
القتال حتى يعلموا ما أتى فيه خالد فلما ان وقف عنتر عن القتال
وتمهل عن الحرب والنزال قال خالد ياوجه العرب ان كنت تريد
تسأل عنا فاننا عابر سبيل وخرجنا نطلب المعاش والمكسب
كما جرت عادة العرب وأنت تعلم ان العرب طماعين وطول عمرها
تجرى على المكسب فأنتم من تكونوا من العرب فقال له عنتر
وقد أنطلى عليه محاله اعلم ياوجه العرب اننا من بنى عبس الكرام
وأنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد وكان لنا فى بلاد اليمن
شغل فقضيناه وعدنا طالبين أهلنا ولكن ماتريد من سؤالك
عنا وقد ثارت الفتن بيننا قال الاصمعى ولما انتهى عنتر من كلامه
زعق خالد ملء رأسه وقال واحرباه واحراه على كبدى لان الليل
اخفى عنا كل ويل على انى وحق البيت الحرام قد ازددت فيكم
محبة وصارلى فيكم رغبة وهذا أمر مايفرق بيني وبينكم
فى الحسب والنسب ولالى فيه عليكم عتب لاجل هذا السبب

وما

وماقتل الامن دنى أجله وانقطع من الدنيا رزقه وحان مرتحله فعند
ذلك تعجب عنتر من كلامه وقال له ومن أنت من السادات
ومن تكون من أصحاب النخوات وأى جامعة بيننا و بينكم
فقال له أعلم ياحامية عبس وعدنان أننى قد اجتمعت بالملك
زهير الذى فضله عم على جميع بنى عامر الكبير منهم والصغير وقد صار
لنا حصنا وحما وقد اجتمعت به فى البيت الحرام وزمزم والمقام
وصار بيننا حرمة ولما ان عدنا من مكة حلفت عليه وأخذته الى
ديار بنى عامر وانزلته هو وأولاده فى خيامى وفعلت معهم ماقد
وصلت يدى اليه واضفته مدّة عشرة أيام ومارجع من عندى
حتى اتصل بينى و بينه النسب وصرنا روحين فى جسد ثم ان الملك
زهير خطب منى ابنتى بدر الحلال لولده شاس وقد بذل لى من المهر
مالا يقدر عليه أحد من الناس وأركبنى جرته العسا وقلدنى
بسيفه ذى النور وقد صار من عندى وهو محمود مشكور وبعد
مضيهم من عندى همت أنا فى شغل بنتى بدر الحلال وقلت اريد ان
اجهزها بما لا يقدر عليه انسان فى هذا الزمان لعلى اجازيه على بعض
ما أولانى من جميل الاحسان فعندها أخذت ثلاثة آلاف فارس
وسرت طالب بلاد اليمن لاجل المكسب ونزلنا فى هذا المكان
أمس وعولنا على المسير فوصل ضعنكم قدام الشعب فظنوا الرجال
انها غنيمة من بلاد اليمن فطمعوا فيها فجرت بيننا ياأبا الفوارس
هذه الاسباب قال فلما سمع عنتر ذلك الكلام ورأى جرة الملك زهير
تحته وتحت فخذه سيفه ذى النور أخذه الانبهار وقد اطرق الى
الارض من شدة الحب فعرف خالد انه قد انطلى المحال فى خبثه
ودهاه ترجل عن الحجرة وسعى الى عنتر وهو يقول ياحامية عبس

لا تعتب على ما فعلت لانك غير عالم بهذه الحادثة والاسباب التى
تمت علينا (قال الراوى) ثم ان خالد أراد أن يقبل رجل عنتر
فى الركاب فمنعه ورمى روحه عليه وقبل رأسه وبين عينيه
وقال يامولاى أن القتل عندى كان أهون من هذه الفضائح ولكن
اعذرنى فى هذه الامور والكريم مسامح قال فلما ان كان بعد
أن اعتذر الفريقان لبعضهم تعجب بنو عبس من هذه الامور
والاتفاق المقدور وفى عاجل الحال صاحت بنو عبس على العبيد
وأمروهم باطلاق الاسرى وكانوا أوفى من أربعمائة فارس من
الابطال وفيهم مثل جندح بن البكا والربيع بن عقيل وغيرهم
من الشجعان فاطلقوا الجميع من الاعقال وقد انصلح الحال ثم ان
خالد قال يا وجوه العرب من بنى عبس بالله عليكم سامحونا بما قد جرى
وبما صدر منا فى حقكم والذى مضى لا يعاد وسيروا معى الى أرضى
وبلادى وهى ديار بنى عامر حتى افوز بخدمتكم لانه لابد لى من
العودة الى الديار لانى قد علمت ان هذه السفرة غير محمودة وقد أتتنا
فيها تلك النائبة وأنا أريد أن أسير الى غيرها من غير هذه الطريق
فقال أسيد لا وذمة العرب لا نتبعك ولا نسير معك لاننا فى نيتنا
أن لا نعلم أحدا بما جرى بيننا ولا نقول أننا رأيناك ولا رأيتنا ثم أنهم
ودعوا خالد وأبطاله وخالد يقول لهم سلموا لى على الملك وأولاده
وعرفوه أنى مشغول فى شغل ولده شاس قال الاصمعى ثم أن خالد
بعد ذلك مضى وهو لا يصدق بالنجاة ولما ان بعدوا عن بنى عبس
قالوا والله يا أمير لقد أحكمت التدبير وخلصتنا من هذا الامر
العسير وقد كفيتنا شر الاعدا وسلمتنا من الردا فقال خالد وحق ذمة
العرب لولا فعلت معهم هذه الحيلة وخدعتهم بالمحال ما كنتم خلصتم

من

من الاعتقال ولو كنتم وصلتم الى ديار بنى عبس ما كان يقع على
الارض من دمكم قطرة (قال الراوى) فعندها قال الربيع
ابن عقيل والله يا خالد ما رأيت أشد من هذا العبد باس ولا أقوى
مراس ولا يقدر يقاومه أحد من الناس وانه والله ضربنى
بسيفه صفحا على رأسى ولو كانت الضربة بحده كان أخمد أنفاسى
وما أقول ان عدوه يبلغ منه مقصود الا أن يكون بكثرة الفرسان
او الجنود فقال خالد والله لاجمعن عليهم كل من فى الصحرا واترك
ديارهم خراب قفرا وأجعلهم عبرة بين الانام وافنيهم بالحسام
الصمصام قال وما زالوا على مثل ذلك الكلام الى أن وصلوا الى
ديارهم والخبا فرأ وها ملآنة جيوش وفرسان وكانوا هؤلاء الذين
كاتبهم خالد قبل مسيره لعنتر فتبادروا اليه من كل جانب ومكان
وما فى تلك القادمين الا من هو بقتل الملك زهير فرحان لاجل ما فى
قلوبهم عليه من الاحقاد القديمة ولما أن وصل خالد الى الديار ركب
الى لقاه ملاعب الاسنة فى جماعة من الابطال قال الاصمعى
ولما ان سمعوا هذا الكلام قالوا وما نبتك فلما ان قاربوه رأوا
عليه آثار الذل والانكسار فسألوه عن ما جرى له فعدثهم بما جرى
وما كان ولولا أنه احتال ما خلص هو ولا من معه من الابطال
(قال الراوى) ولما ان سمعوا هذا الكلام قالوا وما نبتك ان تفعل
بعد هذه الفعال فقال لهم خالد والله العظيم لولا انى خدعته بالكلام
ما كان خلص منا الا شيخ ولا غلام وان لم ندهمهم على غفلة منهم
ما نبلغ منهم آمال لا سيما عبدهم عنتر الذى كنا له فى الانتظار لانه
فارس لا يصطلى له بنار وقد سمعنا عنه ما حير الافكار وما نقدر
عليه الا بكثرة الفرسان من الرجال الاخيار فقال غشم وقد تبسم

من ذلك المقال ابشر يا خالد بما تحب وتختار لاننا اليوم قد صرنا في
ثلاثين ألف فارس كرار والعرب متواصلة الينا من جميع الاقطار
وأما عنتر فأنا أريك ما أفعل به عند القتال والطراد وما أنزل به
من الانكاد قال الاصمعي ثم أنهم عادوا ونزلوا في الخيام وقد
اجتمع على خالد سادات القوم الذي عنده فاكرمهم غاية الاكرام
وفرق عليهم السلاح والعدد وأمرهم ان يأخذوا الاهبة للرحيل
الى ديار بني عبس واعتدوا بالرماح ولبس الزرد وتقلدوا بالصفاح
(قال الراوي) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر ومن معه
من بني عبس فانهم ساروا سائرين وهم مجدين في السير وشيبوب يقول
لهم والله يا بني عبس انها مكيدة من بني عامر وعملت علينا الحيلة
والصواب أننا كنا نقبض عليهم ونسيرهم الى الحلة ونفظر ما قد
تجدد من الاحوال فوالله ان قلبي فزعان فقال لهم أسيد سيروا بنا
يا بني الاعمام لاني من ذلك الامر حيران فساروا يقطعون البراري
والقفار وعنتر يتنشق نسيم العلم السعدي والاوطان فهاج به الوجد
والغرام وزاد به الهيمان فأنشد هذه الابيات

أسير وفي قلبي جواو زفير * ووجد شديد دائم وسعير
وعندي من الاهواء يا عبل فاعلمي * بما حل بي اني اذا الصبور
أيا عبل كم من مهمه خضت في الفلا * وأسد الشرا خوفا الي تشير
أنا عنتر وكم من فارس قد تركته
جديلا يعض الارض وهو عفير
وكم من شجاع قد رأى عظم سطوتي * فولى هزيما في الفلاة يخور
وكم جحفل قد لقيته تحت قسطل * ومهري له عند اللقاء هدير
ومن فوقه ليث هزبر غضنفر * كريم عليم بالطعان خبير

تركت كلبوباونقمة بعده * تحوم عليهم حدأة ونسور
وكل الذى قدتم من أجل نازح * غلام يجيد الطعن وهو خبير
أياجبل الدهنان لازلت فى لظى * وزت من نارالجحيم سعير
وياعلم السعدى عليك تحية * واسقيت وبلاهاطلاوغزير
أياعبل قدشط المزارمتى اللقا * فهل الى لقيا كى يأت بشير
أرا كل مشتاق ينال مراده * سواى وانى فى هواك اسير
فان كان لونى ياابنة العم اسود * فلى بيض افعال تضى وتنير
ولى مقعد فوق السماك محله * ونجمى وسعدى مالهن نظير
وكل ملوك الارض تخشى سطوتى * وانى على اموالهم لقدير

قال الاصمعى ولم يزالوا سايرين الى أن وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى واذاهى تموج بالعساكر والبر يرهج من لمعان الزرد والخود والعدد والسلاح واسنة الرماح فقال عنتر لمارأى ذلك والله انها نائبة نزلت على قومنا من بعدنا وماهى والله علامة خير وانى خائف على الملك زهير فقالوا والله انك صادق لان الزمان كثير البوائق ثم انهم حثوا المسير وتركوا الظعن خلفهم على مهل (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الامر ان الملك قيس لماعاد هو وأخوته بعدقتل أبيهم نعوه وحزنوا عليه وقدأقبلوا الى الابيات والمضارب وانفجعت لهم الحلل والكتايب ووصلت لهم بنو غطفان وبكوا بضجة وأنتحاب وكانوا اذاعزوه يهنوه بالملك الذى وصل اليه فيقول لهم ياقوم لاتهنونى بالملك ولا بالغنى حتى انى آخذ تارى بالسيوف وبالقنا وأبلغ من خالد بن جعفر المنا وأنزل بساداتهم الفنا فقول فرسان بنى عبس ياقيس وحق ذمة العرب وزمزم ومنا لانعود الى أهلنا حتى تراما يسرك منا ثم انهم انفذوا عبيدهم

ليأتوهم بالخيل والعدد والزرد قال ولما أن رأى قيس طاعة العرب وتلقيهم اليه خف عنه الكرب والوبال وتلقى الرجال والابطال فنحر لهم النوق والجمال وفرق عليهم السلاح وآلة الحرب وكان الملك زهير فى حال حياته قد أنفذ جماعة من العشرة فتلقاهم قيس وحياهم وردهم الى أوطانهم وأما الربيع ابن زياد فانه صار صاحب الامر والنهى لان قيس تزوج بنته وصار مدبر دولته ولما أن عزم على المسير الى ديار بنى عامر اجتمعت عليه العشائر فقال حذيفة بن بدر الفزارى يا ملك اصبر على عشرة أيام حتى اننى اكاتب حلفائى من بنى مرة وأطلب فارسهم الحارث ابن ظالم لانه اليوم صديقى و رفيقى ومقاربى فى النسب ولا بد انك سمعت بفعاله وأنا أعلم انه اذا سار معنا الى ديار بنى عامر تركها قاعا صفصفا فقال قيس نعم سمعت عنه ما لا يوصف بلسان من زيادة شجاعته على عنتر فى الميدان فقال حذيفة ومن هو عنتر اذا حضر الحارث الطعان لان الحارث له وقعات تحير الفرسان وقد قتل من بنى لحيان خمسمائة اعيان وقلع عين فرعون ابن صخر فى الميدان وكبس فى وادى العفريت قبيلة بنى الزيان وفى هذه النوبة اريك فعاله من نصره لكم على مدى الزمان (قال مجد) ثم ان حذيفة كتب الى بنى مرة كتابا وحيى الحارث وأثنى عليه فى الكتاب وطلب النصر منه والمعونة على بنى عامر وأخبره بقتل الملك زهير وما جرى عليه من الامور وأرسله مع فارس من بنى فزارة وأمره بالجد فى قطع القفار فأخذ الفارس الكتاب وسار وأقام حذيفة فى الانتظار للجواب (قال الاصمعى) وكان الحارث بن ظالم جبار لا يصطلا له بنار ولا يرعى جار ولا يحترم البيت الحرام ولا يرعى حرمة

الطعام وكان كثير الغارات والافعال القبيحات ان رافق رفيقا
قتله وان ظفر بصديق عجل مرتحله ولا يسترحمه ولا يرعاذمة وكان
من حين نشا وترعرع بالحرب لا يغفل عن أخبار عنتر ويترك عليه
العيون والارصاد وأضمر في نفسه له الشر والفساد وذلك من
وجهين (الوجه الاول) انه كان له على عنتر ثار لانه كان أسر أبوه
ظالم وجز ناصيته ولما أن حضر أبوه الموت أوصاه بأخذ ثاره (والثاني)
انه كان يحسده لما وصلت اليه الاخبار فأراد قتله لاجل أن لا يبقى
في العرب من يذكر بالفروسية غيره وكان يأتي في طلب عنتر الى
أرضهم في كل عام واذا لم يره ولم يقع به فيقتل كل من وقع به ويأخذ
سلبه ويعود وكان خالد قد كتب اليه كتاب وقال له في الكتاب
ياحارث الحرب اعلم أنني قد قتلت شاس وأبيه زهير الذي ما كان
ترك لكم بين العرب رأس تنشال وقد تجبر وظلم وقد جمعت عليه
كل من له ثار ودم وعولت أني ما أترك من قبيلتهم من يمشي
على قدم وأنت تعلم ما فعل عبدهم بأبيك ظالم من قطع رأسه وخلاه
موعظة بين الناس وهذا الوقت ما يكون أحسن من أخذ الثار
واريد منك النجدة والافتخار لانك تخشى العار وتزيل
الشنار وأبشر مني بالمنا وبلوغ المنا وأريد ازوجك بنتي بدر
الحلال (قال الاصمعي) لما بلغ هذا الحديث الى الحارث ظالم
في الكتاب جمع من قومه الاعيان خمسمائة فارس وعول على
المسير الى بني عامر فوصل اليه كتاب حذيفة فقال ما كان
حذيفة يحتاج ان يبعث الى رسول أنا اليه كنت واصل وها نحن قد
شدينا الخيول فعد اليه وأعلمه أنني سابقه الى ديار بني عامر وربما
قتلت أنا خالد بن جعفر قبل أن يدركني بالقبائل فرد الرسول

فى ذلك اليوم ورحل بعده بيوم فى خمسمائة فارس كأنهم أبالس
ولما انه صار فى البر قال لولده رفقاه حدثنا ياحارث بما تريد أن تفعل
فقال يابنى عمى أبشروا بالغنا وبلوغ المنا ولا بد لنا مانلتقى فى القفار
وننظر من يكسر منهم فنبيد رجالهم وننهب اموالهم فقال له رفقاه
فى نصرة من تكون قال فى نصرة بنى عامر وانما قلت لرسول
بنى عبس هذا القول حتى لا يقطعون الآمال ولا يستكثرون
من الرجال ويأتوا طمعا فى نصرتى بالمقال فتنقطع منهم الآجال
ونبيدهم بالسيوف الصقال ونبلغ منهم الآمال ونحظى
بالغنائم والاموال وآخذ لابى بالثار وان وقع اسودهم فى يدى
لاقطعن ناصيته كما جز ناصية أبى (قال الراوى) وكان
الحارث بعينه على هذه الاحوال حسامه ذو الحيات وهو سيف
ورثه من أبيه وقد ذكر الاصمعى انه سيف الاقرن ابن تبع وكان
اذا ضرب به حامله فى الصخر قطع واذا برق ولمع رؤى منه هول الطمع
وهذا السيف هو الذى يرميه فى المصائب الهائلات ويلتقى به
الرجال والسادات وماسار قط الا وهو من تحت ثيابه ولا يأمن عليه
وهو فى قرابه واذا نام يخفيه عن أهله وأصحابه (قال الاصمعى)
فسار الحارث هو ومن معه من أصحابه وتعجبوا من خديعته ومن
خباثته فهذا ما كان منهم وأما ما كان من رسول حذيفة ابن بدر
فانه لما سمع كلامه عاد الى بنى عبس وحدثهم بمقالته ومسيره
الى بنى عامر ففرح حذيفة ودخل على قيس وقال يامالك الرجل
عقل شديد الرأى فلاجل هذا عاد الى بنى عامر وتجنب المجىء الى هنا
لاجل مافى قلبه من عنتر لما جز ناصية أبيه والصواب يامالك
ان نسير عاجلا ونلحقه (قال الراوى) فقال له قيس افعل ماتراه

ثم

75

ثم انه شاور الربيع وأعلمه بمسير الحارث فقال والله أن صح وصدق الحارث أفنينا بني عامر وفي ذلك اليوم وصل عنتر وأسيد بن جزيمة وولده نازح وأبصروا الارض منزعجة فاشتغلت قلوبهم من أجل ذلك فركبت الخيل من بني عبس للقادم وفي أوائلهم مالك بن زهير والحارث فعرف مالك عمه أسيد وعنتر ففاض الدمع من عينيه وتحدر ورمى نفسه عن الجواد وكذلك من كان معه من بني عبس وكثر بكاهم وانتحابهم ونادوا أدركنا وأسيداه وما زالوا ينادوا مثل ذلك حتى هاجت الاجساد للنخوة والحمية فاندهل عنتر وأصحابه من تلك القضية وأرما عنتر لروحه وبكا وقال لمالك يا مولاي وأيش السبب في هذه المصائب فقال يا أبوا الفوارس هذه مصيبة لا تنسا ومحنة قد عمت الرجال والنساء وحدثه بقتل شاس وأبوه الملك زهير فكاد أن يغشى عليه فقال ومن الذي قتل الملك وولده وقدم على هذه الاهوال والفعال قال يا أمير هو خالد ابن جعفر (قال الراوى) فلما سمع عنتر ومن معه ذلك الكلام دقوا على صدورهم ولامهم شيبوب على انفلات الرجال وحدثوا مالك بن زهير وما أخذوا من الاسارى في الحبال مثل الربيع بن عقيل وجندح بن البكا وكيف أطلقوهم وكيف دخل عليهم من خالد المحال فقال مالك ان جندح ابن البكا هو الذي ضرب أبي بالسيف وهو عائد من مكة (قال الراوى) فلما سمع عنتر بذلك نادا واحرباه عليك يا خالد كيف انفلت من يدي والله لا قابلنك باشيم النكال وأنشد يقول شعرا

مصاب خليلي من أعز المصائب * وندب خليلي من أجل المراتب
لفقد زهير السيد الملك الذي * حمى آل عبس بالقنا والقواضب

وكل همام قسورى صميدع * يذوب جناه عند جمع الكتائب
وكان يخوض النقع فى كل قسطل
يجرد من الخيل الجياد السلاهب
يعز علينا فقد ملك مهذب * كريم السجايا كان لنا عزا وصاحب
أنوح على ملك اذا شجر القنا * يشعل نار الحرب من كل جانب
وفقد الفتى شاس لقد هد قوتى * وطفا كبدى نار الفقد حبايب
سابكى لفقد السيد بن بهمة * زهيرا وشاسا سيدا كل صاحب
سنيد بهم باصاح طيرا بايكة * وماسارت العتاق من تحت راكب
بنى عامر لابد من أخذ ثارنا * الا فابشروا منى بقتل الحبايب
ساترك أرضا أنتموا سكانها * يصيح عليها البوم من كل جانب
الا فابشروا بالويل والسبى والوبا
وحوز المواشى وانهتاك الكواعب
وأسقى غداة الحرب كاسا لخالد
كذا جعفر بالقضب ماضى المضارب
أنا عنتر العبسى أحمى عشيرتى * وجار وخلان وأهل وصاحب
سأروى حسامى من دماء عشيرة * حوت خالدا ذاك الرفيع المراكب
(قال الراوى) ثم انهم دخلوا بين المضارب والقباب ولهم ضجة وانتحاب فجددوا على بنى عبس الاحزان فاجرت الدموع على الاجفان وأرادوا أن يدخلوا على قيس وهم باكون فلاقاهم الربيع بن زياد وقال لهم أعلموا ان الملك قيس قد أخذ الاهبة للقاء العدا لاجل أخذ الثار وكشف العار فاطفوا عنه وعن أنفسكم هذا النار ولا تتعرضوا اله واتركوه فى حميته الى أن يأخذ ثار أبيه وأخيه من الذى قتلوهم واعتدوا عليهم فطلبوهم (قال الراوى)

وكان

وكان قصد الربيع بن زياد بهذا الكلام انه يكسر نفس عنتر فما خفي عليه الحال بل اغتاظ ودفع الربيع في صدره القاه على ظهره وتركه ودخل على الملك قيس وبكا بين يديه وكذلك فعل أسيد ومن معه من سادات العرب وعنتر زادت به الحسرات وتناثرت من جفونه العبرات وأشار يرثي الملك بهذه الابيات

أفل البدر بعدما كان تماما * واختفا نوره وعاد ظلاما
وأحاط الكسوف بالشمس جهرا * وترى الصبح فارق الابتساما
وكذا الغيم في السموات أضحا * باهت الضوء وعاد فيه غتاما
وجميع البحار غارت وجفت * وعدمنا مياهها والغماما
حين قالوا زهير ذاق قتيلا * نزل الذل عندنا وأقاما
ملك كانت الملوك تهابه * ثم تخشا سطواته وانتقاما
كان عوني وعدتي وفي الرزايا * كان درعي وخودتي والحساما
ياجفوني اذلم تجودي بدمع * فلذيذ الكرا عليك حراما
واذا الدمع خانني وجفاني * اذرف الدمع ثم أبكي سجاما
قسما والذي أمات وأحيي * وهو خالق الضيا والظلاما
لاضربن الحسام في الحرب حتى * تبق منه العدا حيارا يتاما

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره بكا الملك قيس الى أن غشي عليه ثم انه أفاق بعد ساعة فرأى عنتر عند رأسه يبكي وينتحب وينشد هذه الابيات

جفوني فجودي بالدموع السواكب
على ماجرا من فجعتي ومصائبي
ولا تنشفي من فوق خدي واهملي * بدمع همي مثل فيض السحائب

ويا نائحات الحى نوحوا بشجوكم
وزيدوا معى الاشجان فى كل جانب
لفقد الذى قد كنت أرجوا جنابه * بعزولا اخشاملامة صاحب
لقد كان كهفا للضيوف وملجأ * لكل فقير يشتكى بالنوائب
مليك له ذلت رقاب ملوكها * وخافت حماه الاسد من كل جانب
زهير لقد كنت المعول والرجا * وكنت لنا ذخرا لكل المصايب
زهير لقد احنيت ظهرى وطال ما
رددت العداعنى بحد المضارب
فيا آل عبس قد فقدتم لسيد * رحيم كريم فى جميع المطالب
وقد أظلمت أيامكم بعد نورها * وقد خمدت نيرانكم والمذاهب
بنوا عامر قد بلغوا جل قصدهم * وخالد أضحاوهو بالقتل عاجب
سابليهموا ماطار طير مغرد
وماهمعت بيض السحاب السواكب
وآخذ ثارى من بنى عامر الذى * طغوا وبغوا دون كل الكتايب
وأفنى نوالهم بطعن مواصل * قوى وبالهندى ثم الكواعب
وان لم أكن فى القول حقا بصادق
فلانلت ما أرجوه من كل طالب
وسوف أنال القصد منهم بصارم * وأهدم منهم ركنهم والجوانب
وأتركهم فى البر مابين شارد
ومابين مطروح جديل السباسب
وأترك فى اطلالهم كل ساعة * عويلا وندبا لاجل فقد حبايب
أنا عنتر المعروف بالحرب واللقا
اذا فرت الابطال خوف المعاطب

ولكن

ولكن دهرى قد رمانى بنكبة * لفقد زهير أصبح الرأس شائب
قال فعندها بكى الملك قيس وبكى كل من فى الحى واجرى عنتر منهم العبرات لما أنشد هذه الابيات ولم يزالوا على مثل ذلك الى أن أصبح الصباح ورحل الملك قيس بالعساكر فأراد عنتر أن يسير معهم فأتى اليه صديقه مالك وقال له يا أبا الفوارس لا تسر مع القوم والزم ناموسك فانك ان سرت معهم أتعبت أخى قيس من أجل بنى فزارة فقال عنتر ولم يا مولاى فحدثه بالحديث الذى جرى من جهة الحارث بن ظالم وقد قال البارحة الربيع بن زياد انك لا تسر معهم وأشاروا على أخى بمنعك عن المسير وقالوا اذا سار معنا ورآه الحارث قتله وأن لم يقدر عليه عمل معنا بالخلاف وقد وصف له ما فيه من الفروسية وكيف أنهم فضلوه على ابطال الجاهلية قال فلما سمع عنتر من مالك ذلك الكلام كاد ان يشق قلبه من الغيظ لاجل ما جرا على قلبه من خالد وقد علم أن سيفه قد تثلم وحيط مجده قد انهدم وان عمه مالك عاد يسخط عليه ولا يلتفت اليه بل يميل الى بنى زياد ويرجع الى ما كان عليه من العناد والغدر والفساد فعندها قال لمالك سر أنت يا مولاى والحق بأخيك وعاونه على أخذ ثار أبيك وان عادوا وسمعت ببقاء أحد من بنى عامر وخالد فعلت ما أقدر عليه ولا أقعد عن أخذ ثار مولاى زهير وولده شاس الذى الحقنى بالنسب وتركنى اشيل رأسى بين سادات العرب وان رجعوا وهم مكسورين نصرتهم ولا أؤاخذهم بقبيح أفعالهم وان هم طردونى خرجت من ديارهم وها أنا الساعة لازم الخبا كما أمرونى الى أن أبصر ما الذى يشيروا به على لانى معدود عندهم من جملة العبيد والعبد لا يجوز له أن يعصى مولاه فقال مالك والله يا أبو الفوارس لولا أننى أخشى

معيرة العرب وقولهم عند مالك عجز عن أخذ ثار أبيه ما تبعت أخى
فى هذه النوبة لاجل بنى فزارة والربيع بن زياد ثم ان مالك ودع
عنتر وسار ولحق بأخيه وتبعت قيس الابطال والكتائب وقد
خلت الديار والمضارب قال وما كان فى السرية التى سار بها قيس الا
من ظن أن عنتر معهم ولما افتقدوه فلم يجدوه قالوا انه ما تخلف الا لبل
شوقه من عبلة والساعة يلحقنا قال ثم ان عنتر كان عاد بعد ان
مضى مالك بن زهير ودخل المضرب ودمعه قد انسكب وهو غارق
فى بحار الفكر فقالت له امه زبيبة يا ولد الشوم الى كم هذا اللجاج
والى كم ترمى نفسك فى المصائب وتحفظ قدر من لا يرعى لك جميل
أرحل بنا عن هؤلاء القوم العتاه وأنزل بنا فى بعض الوديان ونعيش
فى هذا الرزق الواسع وأترك بنى عبس سنة واحدة تنهبهم
العربان الذى لهم عليهم الدما فقال لها ويلك وأخلى عبلة وأرحل حتى
تتحكم فيها بنو زياد ويشمتوا بى الاعدا والحساد لا كان ذلك ابدا
ولو شربت كؤس الردا وسوف اريكى من فعالى ما ينسيكى ما قد
تقدم وآخذ عبلة ولو عاندنى كل من مشى على قدم وأنا عنتر الأسد
الغضنفر فقالت زبيبة والله ان عبلة عليك مشومة ولا بدّ ان تهلك
فى حرتها بين الاسنة والرماح وأما قعودك عن هذه السفرة من
سعادتك لانه ما فى القوم الذين سافروا مع قيس من لا يشتهى ان
ينظر الى صورتك فقال شيبوب ان الحق قد نطق على لسانك لان
حذيفة ابن بدر والربيع بن زياد أنت تعلمى ما فى قلوبهم من الاحقاد
وهذا الشيطان الحارث بن ظالم الذى حصل فى قلبه ما حصل لانه
جرناصية أبوه ظالم فأراه تارك عليك العيون والارصاد فقال عنتر
وحق ذمة العرب اننى قد سمعت بهذا الطلب ولكن ليس له

عنـدى من اقدران أجعله عـلى بالى ومادام انه قد كاشفنى بهـذه
العـداوة سوف أريك فعـالى والله لا أتركه يعود من هـذه
السفره الى الديار الا وهو مذلول قليل الانصار (قال الراوى) ثم
انه سأل امه عن عبله هل ذكرته فى غيبته هـذه أم لا فحـدثته امـه
انهـا كانت تسأل عنه فى كل ساعه وتأخـذ خـبره وتبكى عـلى
فراقـه وسمعت نسـاء عمتـه بانه قـد تخلف عن المسير وانه مقيم
فى الاحياء فأتوا اليـه وهنوه بالسلامه وكانت عبله وأمها فى جملة
النساء فسألوه عن حاله فاخبرهم بمـا جرى له وسألهـم عن الذى جرى
بعده من الوسواس فقالت عبله يا أبوا الفوارس ماجرا الا ما علمت به
من قتل الملك زهير و ولده شاس وكنا منتظرين قدومك حتى تأخذ
لهـم بالثار ونرى الناس كلهـم سار وأنت مقيم فى الديار فقال لهـا
يا ابنة العم قد وقع لهـم حامية غيرى فابعدونى وأردت ان أسير معهم
فطردونى ثم انه حدثهم بما قال له مالك بن الملك زهير فتعجبت النساء
من ذلك الامر الشنيـع وقالوا كل هذا من الربيـع لانه صاحب الامر
والنهى فى العشيره وقـد جعله قيس وزيره ونحن نسأل الله السماء
خالق النور والظلماء ان يكفينا شر مشورته الذميمه فقال عنتر والله
ما لتدبيره عندى قدر ولا قيمـة الا ان تعرض لمولاتى عبله بحـال من
الاحوال هنالك تخرج الارض ما فيهـا من الاهوال وترى العرب من
هو أحق بالقول والفعـال فقالت عبلة وقـد رجعت من خلف أمهـا
ويحك يا ابن العم يزوج الرجل ابنته اذا كانت راغبة فى الزواج
وأنا قد مل قلبى من الغربه ومن الهـياج وأنا لا آخـذ ابيض ولا اسود
فضحك عنتر من كلامها ونظر الى طلعتهـا وقوامها وقال حاشى ان
يكون مثلك له غرض فى العبيـد لان العبـد ان جاع سرق وان شبـع

فسق فتعجبت النساء من كلامه ومنادمته وعولن على الانصراف من عنده فحلف عليهن وأعاقهن للمضاف وأمر أخاه ان يوقد النار ويذبح الاغنام ويروح الطعام وقد أظهر ما كان قد صحبه من بلاد اليمن من الثياب الملونات والعقود المثمنات وفرق على نساء عومته وطالبت عبلة لعنتر بسهمها من الهديه فقال لها يا مولاتى انا وما أملك لك وقد وقع قسمى فى هذه النوبه خمسمائة ناقه وجمل حسان من أرض السواد وجبل الدخان وهى زرق الاعين سود الاحداق طوال الوبر والاعناق لطاف المسير وهى غريبة فى ذلك المكان فقولى لعبيدك سوقوها الى المرعى فى البطاح ودعوها تسرح مع النياق العصافير واعذرينى يا بنة العم فى التقصير لانى ما سرت فى طلب معاش ولا غنيمة وما كنت الا فى حاجة ابن جزيمه (قال الراوى) وعند ذلك أنشد وقال

ياعبل لى قلب بحبك عالق * كئيب الى لقياك ما زال شائق
ياعبل رفقا فى الهوى بمتيم * مدامعه مثل البحار دوافق
ياعبل قد تيمت قلبى بطلعة * سناها على الشمس المنيرة فائق
ياعبل يحكى وجهك الصبح فى الضيا
وشعرك مثل الليل أسود غاسق
ياعبل ما فى الغانيات جميعها * جمالك بل والله حسنك فائق
ياعبل يحكى خدك الورد حمرة * ويخجل منه فى الرياض الباسق
وفى صدرك الرمان أطلب قطفه * ولو لمعت من دون هذا البوارق
ياعبل جودى بالوصال لهائم * محب له قلب لوصلك شائق
فان تصلى تحيي من الهجر مهجتى * وان تهجرى قد صار ماء دمى دافق
(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت نساء العرب

السادات وقلن له لارد الله فاك ولا كان من يشناك فهذا ما كان
من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس ومن معه من العساكر
والعربان فانه قد سار الى ديار بنى عامر فى مقدمتهم حذيفة فى ألف
فارس طليعه وقد أظهر النصيحه وهو قوى القلب بالحارث بن ظالم
وشجاعته وهو يتحدث مع قومه و رفقته وشجعانه وفرسان قبيلته
وكانوا يتحدثوا فى أمر القتال والحرب والنزال فقال حذيفة
وحق الواحد المتعال ما نصل الا والحارث بن ظالم قد قضى
الاشغال و بلغنا جميع الامال وكان يقول هذا المقال لما يعرف
من شجاعة الحارث عند النزال (قال الراوى) ولما توسطوا
فى الطريق العامر ظهرت لهم طليعة بنى عامر وكانوا مائة فارس فيهم
ملاعب الاسنة غشم بن مالك وبجانبه الحارث بن ظالم لانه لما سار
رسول حذيفة قدم على خالد بن جعفر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر
وخلع عليه وعلى قومه الخلع التمام واكرمهم غاية الاكرام
وقال له يا سيد بنى مره قد أتيتنى وأنا معول على الرحيل وأخبرتنى
على قومك وجازيتنى بالخير الجزيل وما أقدر اجازيك بسوى هذه
الحجرة القعسا التى كانت للملك زهير فاقبلها وخذها لك مركوبا
فانها والله قليلة المثال صبورة فى المجال وهذا سيفه الذى كان
يسميه ذا النور ثم أعطاه الجميع فشكره الحارث على ذلك الصنيع
وركب الحجرة وترك السيف تحت ركابه وقال هذا يكن فى حيزى
على طول الايام وسيفى ذو الحيات ما يكون له بديلا فى الشدايد
الهائلات وقد أقسمت أنى أخضبه يوم عنتر بن شداد (قال الراوى)
ثم انه التفت فوجد العرب وقع فى جنباتها الرحيل والنفير وقد كان
هو معولا على الرحيل وابصر ملاعب الاسنه قد رحل فى المقدمة

فأوصى خالد بأصحابه وسار بجد المسير فالتقى بطليعة عنتر بنى عبس
كما وصفنا وكان حذيفة أنكر الحارث وخاب ظنه فيه لما رأى
طليعة بنى عامر فلما وقعت العين على العين رفعوا أصواتهم بالصياح
ومدوا الى بعضهم الرماح فنبه حذيفة أصحابه للضرب والطعان
وقال لهم دونكم وهؤلاء الاقران فما هم أكثر من مائة فارس
فانهبوهم بحد المشرفيات القواضب الى أن نصل بنى عبس السادة
الغوالب (قال الراوى) وسمع حذيفة الحارث وهو ينادى يا آل
مرة أنا الحارث بن ظالم سيد الفرسان القشاعم فلما سمع حذيفة
سوطه انقطع ظهره وحار فى أمره وقال له ويلك فعلتها وقطعت ما بيننا
من النسب وسمت نفسك بالغدر بين فرسان العرب فقال له أى
والله سمت نفسى بالغدر واليوم افنى بنى فزاره وآل بدر (قال
الراوى) فقال له ويلك يا حذيفة كيف يطيب على عقلك انى
أعين قوما يجعلوا عبدهم من بعض ساداتهم والله يا حذيفة
ما بقيت ارجع عن بنى عبس حتى اقتل عبدهم وافنى ساداتهم
واذا أردت السلامه فعد الى قومك وقبيلتك وأرضك ودع عنك
الفضول والا تكون أول مقتول ويلك يا حذيفة أنت كنت
مع أبى وأبصرت ماجرى عليه لما جز عنتر ناصيته فلم تذكر
الثار وتقاتل لمن ألبسك العار (قال الراوى) فلما سمع حذيفة
قول الحارث علم انه وقع فى قبضته فأخذه الانذهال وعلم انما بقى
ينجيه الا القتال فهانت المائة فارس عنده وحمل وحملت معه
رجاله وطلبت باسنة الرماح المقاتل وبذلت الصفاح فى الاعناق
والهيا كل ولعب ملاعب الاسنة بأنفس الرجال والفرسان وسطا
وتجبر على الشجعان (قال الراوى) وقامت المائة فارس العامرية

بالالف

80

بالالف فارس الفزارية وما زال الطعن يعمل والدم ينزل والرجال
تقتل ونار الحرب تشتعل حتى تلاحقت بهم المواكب وأشرفت
عليهم الكتائب وتنافرت الوحوش من كل جانب وحامت بالشجعان
المصائب وكان كل من وصل ورأى القتال يعمل يحمل ويصيح الى
أن زاد الامر عن الحد وعظم الويل وأشتد وأظلم النهار واسود
وأشرف قيس فى باقى بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وجميع
من معه من العربان وما فيهم الامن ينادى يا آل ثارات الملوك
والفرسان زهير وولده شاس سلاطين الزمان وزعقوا كلهم
وحملوا من جميع الاقطار (قال الراوى) وقام بينهم الحرب على
ساق وقدم وماج بحر المنايا والتطم وعاد الوجود فى ذلك اليوم
عدم وشابت المفارق واللمم وحل بالجبان الندم وصف
كأس المنايا واحتكم وفعل الحارث بن ظالم فى ذلك اليوم فعل
حير به النواظر وأدهش الخواطر وجعل قصده بنى عبس من
دون العشائر ونكس راياتها واباد حماتها وقتل جماعة من
ساداتها وما أمسى المسا الا وقد بانت الخسارة على بنى عبس وبنى
فزارة وافترقت الطائفتين عن القتال والطعن والنزال وكان
قد أخذ الضياء فى الارتحال وأقبل الليل بالانسدال والبرسار
ملآن من القتلا والارض بقت ريانه من الدما (قال الراوى) وكان
الملك قيس نزل وهو نادم لكونه اتبع حذيفة بن بدر والربيع
الكشهان وكيف انه ترك مثل عنتر فى الاوطان (قال الراوى)
فلما ان نزلوا واستقربهم القرار قال الملك قيس والله لقد كان تدبيرنا
بئس التدبير وقد اخرقنا حرمتنا عند الكبير والصغير فقال
حذيفة وقد عرف ان الكلام له والقول عليه يا ملك وحق القديم

الازل ماعلمت ان هـذا الغدار يعمل هذا العمل وماقلت انه
يخدعنى ولايحرد فى وجهى حسام ولايضيع حرمتى ولايقطع
نسبته من نسبتى وماقلت الا انى أكسر به بنو عامر ولا أدع منهم
لابادى ولاحاضر فخاب ظنى فى هـذا الخائن الغادر فقال الربيع
والله ياأباجار ماكنت اعرفه الا خبيث غدار وماقلت انه
يظاهرنا بهذه العداوة الى هـذا الحد كله وما كنا الا رابحين عـلى
بنى عامر ولولاه كنا افنيناهـم بالبواتر (قال الراوى) فقال قيس
يابنو اعمى مضى مامضى ونحن قد جئنا نأخـذ بالثار فاكتسبنا عار
عـلى العار ومابقى فى الامر الا اننا نطاول القوم بالبراز يوم بعـد يوم
حتى يأتينا من الحلفاء والقرائب من يعيننا عـلى هـذه المصائب
فقال له مالك والله ياأخى اذا كان الامر على هذا الايراد فانفذ الى
خلف عنتر بن شداد فهو الذى يدفع هـذه الحوادث ويقتل هذا
اللئيم الناكث فقال الربيع بن زياد يامالك عوض ماتفعـل ذلك
الفعال تنفذ نحو الملك النعمان وتعلمه بهـذا الامر والشان فينجدنا
برجاله وأبطاله ولاتذكر عنتر بحال من الاحوال وهؤلاء بنو عامر
فى ثلاثين ألف عنان والعرب اليها متتابعة مثـل العيون النابعـة
واذا جاء عنتر بن شداد لاقدرة له بهؤلاء الاجناد فقال مالك
ابن زهـير تقول ياربيع بعـقلك هـذا المقال وأين الحجاز من
العراق ومن يبقى سالم من الفرسان الى ان تأتى عساكر النعمان
كان يصح فينا المثل المضروب فى سائر الآفاق الى ان يأتى الترياق
من العراق يكون الملسوع مات واستراح الراق ولكن والله
يامالك ان لم يأتينا عنتر بن شداد والا لم يبق منا من يعاد ولا أحد من
الفرسان الجياد (قال الراوى) فعند ذلك قال أسيد أبو ناجح

القسو روجماعة من محبين عنتر والله لو عرفنا انكم تركتم عنتر
فى الخيام ما كان أحد منا تبعكم الى هذا المقام والصواب انكم
تنفذون اليه و تجعلون معولكم عليه والا طمعت فيكم الاعداء
وتشتت شملكم فى البيداء (قال الراوى) فعند ذلك قال قيس
هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه أرسل خلف عنتر نجاب
وبات يتفكر فى هذه الامور والاسباب قال فهذا ما كان من هؤلاء
وأما ما كان من بنى عامر فانهم لما ان افترقوا من الصدام باتت جميع
فرسانها تشكر الحارث بن ظالم وتثنى عليه وخالد يتقرب بالخلع
والهدايا اليه ويمدحه بكل خير ويثنى عليه بعدان قبله بين عينيه
فعندها قال الحارث لا تمدحنى ولا تشكرنى الا ان نظرت عنتر وهو
ذليل محير وتنقار رأسه على رمح طويل أسمر على انى والله جعلت
بنى عبس قصدى وطفيت بقتل فرسانها نار كبدى وقد درت
فى جوانبها وأوسطها على هذا العبد الاسود فما رأيته ولا وقعت
عينى عليه وما أظنه الا غائب أوضاع من بين الكتائب ولكن
فى غداة غد اطلع الى الميدان وأطلبه بين الفرسان فان برز لى عجلت
عطبه وجعلت المقابر محله فقال له خالد هذا هو الصواب والامر
الذى لا يعاب ثم انهم أقاموا تلك الليلة فى حديث وكلام الى ان رحل
الظلام وأصبح الله بالصباح وعادوا الى الحرب والكفاح وقد تلاطم
الفرسان وتضارب الشجعان الى ان خاضت الخيل فى الدماء وطلع
الغبار الى السماء وحامت الوحوش على قتلاهم وحار شيخهم
وفتاهم وقد نادى المنادى بناديهم الا ان جيش بنى عبس قد ضعفوا
عند المساو تأخروا الى وراء قدر نصف ميل والتمت أطرافها وقد
انتشرت بنى عامر حولها وفاوقوهم من كل جانب واستدت عليهم

المذاهب وقد نزل الملك قيس وقد خنقته العبرة زادت به الفكرة
وقد علم ان رأيه سيء حيث انه ما أتى بعنتر معه فقال عمه أسيد
ياقيس تأدب بهذه المرة واتعظ ولا تعد تسمع فى حق عنتر كلام
الحساد الذين لم يكشفوا ضيم ولا مضره وان دمت تسمع فيه كلام
الاعراض فيقع فى بنى عبس الاغراض والامراض ووالله يا ابن العم
لو كان معنا عنتر بن شداد ما احتجنا الى بنى فزارة ولا بنى زياد ولا أحد
من العباد لان عنتر رجل مسعود ولا عانده أحد الا ومات مكمود
ثم انه أخبر بما جرى له فى بلاد اليمن وما فعل من المصائب والمحن وكيف
قتل كليون وأورثه البلا والغبون وما فعل فى نقمة وكيف سلطن
أخاه نعمه ثم انه قال للملك قيس الصواب انك لا تسمع فيه كلام
ولا مقال لا من عال ولا من دون فتصبح خاسرا محزون فقال له والله
ياعماه أنا ما أعده بخاطرى وانما لما كان معك فى بلاد اليمن احتجت ان
أتركه حتى يستريح فى الديار ووافقت الربيع بن زياد وأخيه عمارة
القواد والآن آل الامر الى الانكسار وان هربنا ركبنا العار والذل
والشنار وما فى الامر الا انى اصطلى الحروب بنفسى ومعى اخوتى
وعشيرتى ونضرب فى الاعداء بالحسام حتى نشرب كؤوس الحمام
ومازالوا بنى عبس على ذلك الكلام حتى ذهب الظلام وركبوا
على الخيل وهم من الجراح فى ويل الاان بنو عامر أكثر وأنشط
وأجلد واقوى همة وأشد وعولوا على الحملة فبينما هم فى الكلام
اذ قد برز عليهم حذيفة بن بدر على حجرته الغبراء وكانت حجرة يدخرها
للشدائد والاهوال ثم انه طلب القتال وصال وجال وقال يا بنى عامر
اعلموا ان الدماء بيننا قد احتكمت وما بقينا ننفصل الآن هلك
أقصانا وأدنانا وأنتم وان كنتم أكثر منا عددا الا ان الكثرة لا يفتخر

بها عاقل وانما الفخر اذا تطابقت الاعداء وصارت فى مقام الاخطار والردا فأبرزوا فارسا لفارس ان كان فيكم انصاف واتركوا طريق الجور والاعتساف ثم انه دنا من الصفوف وقلبه على بنى عامر ملهوف ثم انه أنشد وقال

بنوا عامر ما الفخر جمع الجحافل
فعودوا الى الانصاف عودة عاقل

وكرّوا الينا فارسا بعد فارس * ترونا جلادا عند وقع الدوابل
فوالله لولا ان ابن ظالم * غبى وفى افعاله غير عادل
لكنا أخذنا بالفنا من سراتكم * ومن خلفكم كل حق وباطل
ولكن بغى والبغى يلقاه عاجلا * ويبقى حديثا شائعا فى القبائل

(قال الراوى) ومافرغ حذيفة من شعره حتى برز اليه الحارث ابن ظالم وفى يمينه سيفه ذو الحيات وكان ملاعب الاسنه أراد الخروج فأقسم الحارث عليه بأجل الاقسام أن لا ينزل أحد سواه وفى الحال همز الجواد وصار فى الميدان وبقى عنده وساواه وهو راكب على جرة الملك زهير القعسا وقلبه عليه قد قسا وقال له ويلك يا ابن بدر ارجع الى وراك ودع طرق المهالك لسواك ولا ترم نفسك للهلاك وسوء الارتباك فان فرسان بنى عامر شجعان ولا يفوتهم فى الحرب فوات وفيهم مثل الربيع بن عقيل وجندح ابن البكاء الفارس القيل وملاعب الاسنه الذى تفر الشجعان من رمحه والسيف اليمان وقد أراد أن يخرج اليك ومراده يأخذ روحك من بين جنبيك فمنعته أنا وخرجت اليك من طريق الشفقة عليك لاردك عن موارد العطب لاجل ما بينى وبينك من النسب فارجع الآن من حومة الميدان وقل لعنترين

شداد ينزل الى الحروب والجلاد حتى آخذ بثارى منه على رؤس الاشهاد واسأل فيكم بنى عامر الجياد قال فلما سمع حذيفة منه هذا الايراد زاد به الحنق والكياد وقال له ويلك يا ابن الملعونة ان عنتر بن شداد من أجلك قد طردناه وأبعدناه وقد أتينا طامعين منك بالوعد والميعاد الذى قد أوعدتنا به على لسان رسولنا فوجدناك عاملتنا بالخيانة والبهتان وفعلك كفعل الشيطان ولو كنا علمنا ما فى نفسك من المكر والخداع والكياد ما كنا طردنا عنتر بن شداد وكنا تركناه يفعل بك مثل ما فعل بأبيك ويقابلك على فعالك ويجازيك ولكن اعلم ان هذا ما يفوتك يا ملعون يا قليل الاصل يا مجنون لان الملك قيس قد أرسل خلفه نجاب ولابد ان يأتى فى جماعة من الاصحاب وترى يا خبيث ما يحل بك أنت وبنى عامر من العذاب لانك قد بالغت فى الخبث والغدر والعداوة وقتلت من ساداتنا جماعة وتناهيت فى البغى والوقاحة وما يكفيك هذا حتى انك أتيت تجاربنا على حجرة ملكناها كنا وتقاتلنا وبعد عنادك ما بقى لك عندنا جزاء الا السيف (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة الرائقة الفائقة الغريبة وما فيها من أخبار العربان الذين كانوا فى ذلك الزمان بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان الذى كلمه الضب ونطق له الثعبان يا سادة يا كرام فما استتم حذيفة هذا الكلام وانتهى فى الخطاب حتى ضحك الحارث بن ظالم وابدى الابتسام وقال له والله يا أبا جعار لو تدبرت هذا الكلام بعقلك لكان هذا عليك فيه العار وعلى جميع من معك من الكبار والصغار يا ويلكم تعجزون عن لقاء الفرسان الصناديد والابطال الاماجيد وصرتم كل وقت تنتصرون بالعبيد والله لاقطعن منكم نسبى فلا أنتسب

لكم أبدا طول الزمان ولا تستهزئ بى سائر العربان ولا حسدنكم
بهذا الحسام حصد الهشيم الا أن تتركوا الافتخار بهذا العبد الزنيم ثم
انه زاد به الغيظ وقد صرخ على حذيفة وحمل عليه ومال بكليته عليه
ومد السنان اليه وجال معه فى سعة الفضاء وقد تطاعنا طعنا أسبق
من القضاء وأحر من جمر اللظا ساعة من النهار وقد اختلف بينهما
طعنتان وهما تحت الغبار وكان الاسبق بالطعنة منهما الحارث بن
ظالم وقد فاجأه وطعنه وزعق فيه فعاد الى ورائه وقد أيقن من تلك
الطعنة بعدم الحياة وحلول الوفاة فرآه أخوه حمل وهو على تلك الحالة
فصاح وأعظم مصيبتاه ثم انه حمل على الحارث وقد صاح من ألم جواه
وقال ويلك ياحارث لعن الله أباك وبطنا رماك ما أخبثك وعلى
الشر أجراك هذا جزاء حذيفة منك يانذل ياجبان يامهان فقال له
الحارث يا أخس العربان يا أرذل العرب ومن ضرب فى البيداء
أومد طنب هو الذى قد اشتهى لنفسه الذل والعطب وقد نهيته فما
انتهى كان أجله قد اقترب ثم انه صاح عليه وحمل وقد صبر عليه الى
ان وصل بحملته اليه وضرب رمحه براه وثنى عليه بضربة على رأسه
قطع الخوده والرفاده وصل الى رأسه فاسال دمه ووقع على الارض
وغشى عليه وبقى الحارث واقفا على رأسه الى ان ردت روحه
فقال له الحارث عد الى أهلك ولا تعد الى مثلها فتهلك ودع
غيرك يبرز لى (قال الراوى) فرجع والنهار قد أسود فى عينيه
وسار مثلا ولما صار هذا عجب الحارث بنفسه وجال وصال
وركض بجحرة الملك زهير حتى قارب الاعلام وقد دنا من طائفة بنى
عبس الكرام ثم نادى بأعلا صوته يابنو اعبس وعدنان أنتم أصحاب
القريحة وقد أتيتم تطلبوا من بنى عامر أخذ الثار وتزيحوا عن قلوبكم

هذا العار فابرزوا الى الان فارسا لفارس ولا تحتجوا بالكثرة فما بقى أحد يدفع عنكم الى ان أشفى غليلى من جمعكم وأطفى نيران قلبى بسفك دمكم ثم أروى هذا الحسام من نحور رجالكم وساداتكم (قال الراوى) فلما ان سمع الملك قيس وسمعت فرسان بنى عبس من الحارث ما أبدأه من القول والخطاب ولما رأوا ذلك الجهل والتجبر والاشراك هان عليهما الهلاك وقد زادهما الارتباك وقد غلب على عقولهم الانذهال وساروا فى أسوأ حال فسارت بنو عبس تخرج اليه واحدا بعد واحد وهو يعدمها أرواحها ويبرى بسيفه رماحها ويسلم الى رفقته عددها وسلاحها ومازال معهم على مثل ذلك الحال الى ان تنصف النهار وقد لحق الابطال من فعاله الانبهار والانذهال انقطعت منها الآمال وخافت منه الفرسان وهابته جميع الاقران والشجعان فعند ذلك صال وجال وافتخر فى المقال وأنشد هذه الابيات لعنه الله هو وأبياته ومقاله (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس كلامه علت منهم النخوات وهان عليهم نزول المحن والبليات فتبادروا اليه للحرب والجلاد وقصدوا الطعن فى الاكباد فخرج فى ذلك الوقت عروة بن الورد وشداد ابن قراد ومالك بن الملك زهير والربيع ابن زياد ومافيهم الامن حلف على صاحبه وأراد أن يسبقه الى القتال والطعن والنزال وقد خافوا واختشوا من العار واستحسنوا حلول الوبال فرد الكل الامير نازح ابن أسيد وقد حلف واقسم بالايمان العظيمة انه لا ينزل أحد الى قتال الحارث بن ظالم فى ذلك النهار غيره لانه صاحب أفعال قبيحة وقد زاد علينا فى الكلام واستهان بنا فى هذا المجال وان سبقنى اليه أحد من أبناء جنسى قتلت

بذلك الحسام نفسى ثم انه همز جواده وكان ذلك الجواد منسوب
مجرب فى الشدائد والخطوب وعلى عاتقه رمح غليظ وهو مقلد
بسيف عريض عتيد وقد ذكرنا ما كان لنازح من الفروسية
والشجاعة ووصفنا لكم ماهو فيه فى غير هذه الساعة وقد انطبق
على الحارث بن ظالم من غير كلام ولا سلام وكان الحارث بن
ظالم لما رأى سادات بنى عبس وطلبهم له وعودتهم عنه من طابق
المجال وقد رأى ناز حا صدمه من دون ذلك الابطال فعلم عند ذلك
ان القوم قد اكتفوا به عن غيره قال الراوى وكان فارسا شديدا
وبطلا صنديدا فجال معه وجال كما جال مع غيره من الابطال
وقد علا عليهما الغبار الى ان غابا عن الابصار واحتجبا عن أعين
النظار وقد أيست فى ذلك الوقت من ناز ح الطائفتين وخافت
الفرسان والابطال وقد علا عليهما الغبار وقد بكى عليه أسيد
ابن جزيمة وحسب حساب امه سلما ان تفقده فتصير نائحتها
عظيمة أو يموت وفى قلبه حسرة من زوجته ضيه الدرة اليتيمه
فصار يتطاول الى صوب المعمعه وكل واحد قد أطال فى النظر
لصاحبه ودموعه من أجفانه تنحدر كالمطر وجميع الناس كلهم على
مثل ذلك وهم وقوف واذاهم بفارس قد خرج من طائفة بنى عامر
وظهر بين الطائفتين واشتهر بين الفريقين وقد رمقته كل عين
واذا به بدوى حاله شين ولكنه فارس طويل كأنه من أولاد
قابيل عريض الاكتاف غليظ السواعد والاطراف أسود
اللون أغبر أشعث الحال ملعون الفعال وحش الثياب لكنه
مفتول السواعد والاعصاب وعدته لا تصلح لحرب ولا القتال ولا
تكشف شدائد ولا تبلغ آمال وعليه ثوب خام قصير الا كمام ردى.

الهندام وهو مكشوف الرأس حافى الاقدام عبرة فى نفسه والسلام
وعلى أكتافه رمح مكسر مشدود بالقد والعصب وتحت سرجه
مسمر بألواح الخشب وركابيه من ليف لكن من القديم
الضعيف راكب على جواد رقيق الجسم نحيف حالته ملعونة
مشؤمة لا يصلح فى هذا الزمان الا للطاحونه متقلد بسيف خلق
العمد والحمائل أسفله مكسر وأعلاه مائل وهو على الابطال
صائل (قال الراوى) فلما رأينا ذلك الفارس ركض وطلب الحارث
ابن ظالم والجواد يقوم ويقعد ويتمامل من تحته من ثقل جثته وهو
متكلف لحمله ومازال راكضا الى ان قارب الحارث وصار يرمقه
بالنظر فظن الحارث انه من عبيد خالد بن جعفر وقد أتاه برسالة
أو بخبر (قال الراوى) ولما ان وصل اليه وقرب منه صاح صيحة
عظيمة ارهق منها الاثنين فلما سمعا صياحه افترقا الاثنان عن القتال
بعدما كانا منطبقين على بعض مثل الجبال فقال له الحارث ويلك
وما الذى تريد بصياحك علينا وما الذى أقدمك علينا فقال له
ذلك الفارس الويل لك يا ابن الزوانى وتربية الخنا الا وقيت من الردا
واشمت الله بك العدا وسيكون هذا اليوم آخر أيامك من الدنيا ولا
تبلغ قصدك ومرادك لانك قد أخذت وحدك الميدان وقد أخرقت
حرمت من اجتمع من العربان فى هذا المكان يا اندل العرب وأقل
من مد فى البيداء طنب يا كلب يا شيطان فمن تكون أنت يا ابن
الالف قرنان لم لا تقعد وتترك غيرك يطلب تاره ويكشف عاره وأنت
واقف بطرطورك هذا ترقص فى الميدان ولا جعلت لاحد قدرا
ولا شان كأنك أنت ملك أو سلطان أو من تكون أنت أخبرنى
يا شيطان يا ابن الاندال اللئام أما تعلم أن هذه القبائل التى قد

اجتمعت والابطال الذى قد التمت من سائر الاقاليم والحلل لها على
بنى عبس دماء وقد أتت تطلب ثارها وتكشف عارها وتنال من قتل
أعدائها مرادها فمنعتها أنت بخبثك ومكرك وقد قصدت عنادها
بشؤملك وغدرك وأولهم أنا يا ابن الانذال أوما تعلم انى قد قطعت
وادياوجبالا وكثبانا ورمالا واراضيا وتلالا وفلوات وأوعارا وبرارا
وقفارا وصخورا واحجارا أتيت اريد أن أكسب شيئا من المال
وأعدبه الى الاهل والعيال فحلت أنت بينى وبين بلوغ الآمال
فارجع الآن ودع غيرك ينزل ودع عنك القتال باذليل ياجبان
يامحتال والا وحق اللات المتعال الذى أربى شوامخ الجبال أطعنك
فى صدرك بهذا الرمح العسال الكعوب أجعلك على الارض مجندلا
وبالدماء مخضوبا وبالتراب معفرا واقاتل مع بنى عبس الغر واسهل
عليهم هذا الامر الذى تعسر وفى أست امك على ام خالد بن جعفر
لانكم أنتم من أنذال العرب وأخس البشر فوحق ذمة العرب
وشهر رجب والرب الذى من توكل عليه غلب لابدلى ان أخذ
لك أنت ومن معك (قال الراوى) فلما ان سمع الحارث من ذلك
البدوى هذا الكلام القبيح شخر ونخر وطفى وكفر وطار من عينيه
الشرر وأسود وجهه وتغير لونه وصار عبرة لمن اعتبر وهاج وماج
وصار كأنه الاسد اذا انذعر وهدر ثم انه زعق من صميم فؤاده
ومافتر وقام فى ركابه وتمطى على جواده وطعن البدوى فى مثل لمح
البصر طعنة تسبق القضاء والقدر فزاغ عنها ذلك البدوى أسرع
من البرق اذا برق وقد أفسدها وتأخر ذلك البدوى الى ورائه وأراد
أن يطعنه جواب طعنته فخرج جواده فخانه ذلك الجواد وقصر عن
بلوغ المراد فلم يتمكن منه لضعف فرسه وقلة نشاطه فضربه بالرمح

فوقع بين أكتافه فغيب صوابه وأشرف على تلافه ومن شدة تلك
الطعنة انكسر الرمح أربع قطع (قال الراوى) فلما ان أبصر نازح
ذلك الفعل من البدوى اندهش مما جرى منه وماقد صنع وأما
الحارث لما ان أحس بتلك الطعنة خاف أن يقع فهمز الجحرة
فخرجت من تحته كأنها البرق اذا برق ولما ان تباعد الحارث نزل
البدوى عن جواده الى الارض وصار ينظر الى العسا كرطولا
وعرض وصار يلم قطع رمحه من على وجه الارض والرمال ثم شد
منه تلك الاوصال هذا كله جرى وسائر العربان تنظر اليه وتتعجب
من فعاله ومما قد شاهدوا منه ومن أعماله ومافيهم الامن ظن انه
مجنون والجميع عليه يتفرجون هذا ونازح قد انفرجت عنه تلك
الكربه لانه كان مع الحارث فى شده وقد عاين منه الهلاك
وأشرف منه على الوقوع فى الارتباك وزال عنه ماهو فيه من الضيق
مع ذلك الجبار (قال الراوى) ولما ان رأى نازح الى ذلك البدوى
وهو يشد فى رمحه أخذته عليه الحنة والرحمه وقد حرك جواده وسار
الى عنده ولما ان قاربه و بقى عنده قال له يافتى دع عنك هذا الذى
أنت فيه وخذ فى هلاك عدوك ولا تبقيه لانه قد جهل أمرك وازدرى
قدرك ولم يعرف لك قيمه وخذ أنت هذا الجواد فانه يعينك على
بلوغ المراد ولو كنت فى الاول على ظهر هذا الحصان لكنت
أهلكت هذا الشيطان ونلت كلما تشتهى وتريد من هذا
الخوان الغدار وكنت تسير معى الى بنى عبس وعدنان وتصير لنا من
جملة الاخوان فشكره البدوى على ذلك الكلام ثم انه مد يده
وأخذ الرمح من نازح وركب جواده فلما ان سار على صهوته قال
انازح يافتى بحق رب العباد اركب أنت على ذلك الجواد ولا ترجع

الى قومك والاجناد بل قف مكانك حتى اجازيك بشيء من أسلاب
هذه الاقوام الانذال ولوانك غير محتاج الى هذا الحال وما يخفى
على انك من أمراء العرب الابطال ولكن يا أمير صيد الحروب
مثل صيد البر محبوب وترتاح فى آخره القلوب ثم ان البدوى بعد ذلك
عاد الى عند الحارث وصار له مقام وكان الحارث فى هذه الفترة
قد راق انفسه وعادت اليه روحه وهدأ عقله من الحقد الذى
كاد أن يطير مقل عينيه لاجل ماجرى فى ذلك النهار عليه وأما
البدوى فانه لما ركب ذلك الجواد وقد صار تحته علم انه جواد
موصوف وللحرب مألوف فلعب عند ذلك بالرمح فى الميدان بين
الصفين وقد حير بفروسيته الفرسان الوقوف حتى خيل للجبان
انه بالقد مكتوف أوكانه بين الشجعان مثل الطير المنتوف وقد زعق
زعقة عظيمة ارتعدت منها الابدان وذلت لها الشجعان ثم انه
حمل على خصمه وقد انطبق عليه وقاربه وأبعد عنه واطلق الرمح
من يده ودحاه الى ان صار فى أعلا الجو والتقاه ثم انه قلب السنان
الى خلفه وهجم على الحارث وطعنه فى صدره بعقب الرمح على الارض
كركبه وعن حجرته أقلبه فمن شدة الوقعة كاد ان يخلط بعضه
فى بعض ثم انه أشار على نازح البطل الهمام وقال له تقدم أيها الفارس
والقرن المداعس وخذ هذه الحجرة فهى القعساء حجرة الملك زهير
التى كان يدخرها لكل شدة وضير وهى يا هذا نظير جوادك الذى
تكرمت على به قال نجد بن هشام فعندها نزل نازح عن جواد البدوى
وركب القعساء وقد كان الملك قيس كلما نظرها وهى تحت الحارث
ابن ظالم يذوب جسده من شدة الغيظ والغضب وقد عجبوا من ذلك
كل العجب ولما ان رآها الملك قيس فى ذلك الوقت وهى تحت ابن عمه

نازح زال مابقلبه من الغم وقد فرح بما جرى عليه الحارث من الاسر
وما حل به من العطب فقال لمن حوله ياقوم واحد منكم يمضى
الى هذا البدوى ويوعده عنا بكل مايشتهى من المال وما
يطلب وجميع مايريد ويسوق الحارث بن ظالم الينا وهو فى غاية
الهوان والاذلال والتنكيد من قبل أن تحمل قومه عليه ويخلصوه
من يديه ثم يهونوا عليه ماهو فيه من النكال والوبال وتشترى به
من هذا الرجل الصعلوك الفقير الحال بقدر مايطلب من المال
وندعه عندنا فى أعز مكان وأنعم بال ونترك هذا الاثيم عندنا
فى الاعتقال والقيود والاغلال لاسيما ان رجع هذا الرجل
الاعرابى الى بنى عامر وشد معهم بقتال تلك العشائر يكونوا كلهم
علينا (قال الراوى) فبينما الملك قيس فى ذلك الكلام مع
الفرسان واذا بالبدوى قد اومى الى الطائفة التى قد خرج منها
ونادى بأفصح كلام الى مفرج فخرج اليه فارس حالته مثل
حالته الا أن صورته أحلا من صورته ولما ان وصل اليه وقدم
عليه وصار بين يديه وقال له ما تريد يا أخى فقال له دونك وهذا
الشيطان وشد وثاقه واوثق أطرافه واعلم اننى ما كاف هذا الامير
الخطير الذى قد تكرم على واعطانى عدته وجواده وذلك من
عظم نخوته ولا يخفى على انه من ملوك العرب وهو من أصحاب الحسب
والنسب وانا اريد اليوم ان اساويه فى المكسب واجازيه بكل
ماطلب واقسم بينى وبينه ماقد اخذته من جميع المكسب فعند ها
نزل ذلك البدوى القادم على الحارث بن ظالم بركب كانه ساركب
البعير فكاد ان يخسف أضلاعه وقد زاده أوجاع على أوجاعه ثم انه
قد أدار كتافه وذلك البدوى الاول واقف على رأسه الى ان تمكن

من الحارث رفيقه فعندها تركه وعاد بوجهه الى صوب بنى عامر وهو يجول فى الميدان ويطلب الحرب والطعان (قال الراوى) وكان خالد بن جعفر قد أبصر ماجرى على الحارث بن ظالم من ذلك البدوى وقد خرج اليه من بين قومه لما رأى ماجرى عليه من الخطر ثم نظر خالد اليه وسمعه وهو ينادى يامفرج وقد خرج آخر من بين عشيرته وهو رفيقه فسد عليه سائر المذاهب ومابقى يقدر أن يبلع ريقه وقد اختنق من شدة غيظه ثم ان خالد قال وذمة العرب لابد ان يكون فى هذه الطوائف من هو مخامر لنا أو ان أحدا من بنى عبس قد اختلط بنا ودنا منا الى ان احتال هذا البدوى أو رفيقه قد وصل الينا أو يكون الحارث قد رجع الى خبثه ومكره ودهاه وغدره والا فما كان هذا البدوى الصعلوك يقدر عليه ولا يصل اليه وماقدر على أسره الا بمشورته والصواب أن تمنعوا هذه القبائل عن القتال الى أن ينكشف لنا باطن هذا الحال (قال الاصمعى) ثم انه أمر جماعة من قومه أن يردوا الفرسان عن القتال ففعلوا ذلك الحال وقد وقفت الفرسان عن القتال والحرب والنزال ثم ان خالد بعد ذلك أمر من ينزل الى ذلك البدوى ويستخبره وينظر من أين هو ومن أى القبائل يكون فعند ذلك خرج الى البدوى جندح بن البكا وقال لخالد سوف آتيك أنا به عاجلا من وسط الميدان وابين لك حقيقة هذا الحال وذلك الامر والشان ثم انه همز جواده وحركه وقد طلب الميدان وهو مثل الاسد الغضبان وقد ذكرنا ان هذا جندح بن البكا الذى قد شارك خالدا فى قتل الملك زهير وما قصر وقد تركه على الارض معفر وهو الذى ضربه بالسيف على رأسه وفرق بينه وبين دنياه وناسه قال وكان ذلك الملعون بطلا من الابطال

وجبارا من الجبابرة الاقيال (قال الراوى) ولما ان طلب جندح للبدوى كما قد ذكرنا وركض بجواده الى ان وصل اليه وصار قدامه وبين يديه وقد رمقه بعينيه ناداه وقال له أنت من أى القبائل تكون والى أى العرب والقبائل تنتسب فاذكر لى نسبك وأوضح لى حسبك والا عجلت فى هذه الساعة وهذا الوقت عطبك وأعدمك حس نظرك واقطع من الدنيا رزقك فتكلم وأوجز فى الكلام يا نذل يا ذليل يا مهان قال نجد فلما ان سمع البدوى من جندح ذلك الكلام قال له ويلك يا نسل اللئام وولد الزنا وابن الحرام دع عنك ذكر الآباء والاجداد والقبائل والاخوال والاعمام واعلم أن هذا الكلام الذى تذكره لا يكون فى هذا المقام ولا فى موضع القتال والحرب والنزال والصدام وانما يكون فى الموسم وقت شرب المدام والمفاخرة فى الكلام لان هذا المقام لا يقع فيه الا السؤال عن ثبات الجنان والصبر على الضرب والطعان بين الفرسان والشجعان الكرام قال نجد بن هشام ثم ان البدوى بعد ذلك الكلام جذب الحسام وزعق على جندح وحمل عليه فلما ان رأى جندح هذا البدوى فعل هذا الفعال فعل مثلها وجذب الآخر حسامه وقد انطبقا الاثنان انطباق الجبال وهما الى ان اهتزت لهما الاطلال وهم كل واحد منهما مثل ما يهم الاسد الريبال وقد طحنت أرجل خيلهما الحصا والجلمود وقد اقشعرت من هول ما جرى بينهما الاكباد والجلود وقد عرفت الفرسان مرارة العدم من حلاوة الوجود وافترقا افتراق وادى زرود وقد التصقا التصاق جبال الاخدود وقد صار الغبار كالرواق الممدود وأصواتهما فى آذان الابطال مثل الرعود وما زالا على مثل ذلك الى ان اشتد الهجير

وهبط

وهبط الطير ووقف كل سائر عن المسير فعند ذلك رمى الاثنان
الرماح من أيديهما الى الارض وتماركا على ظهور الخيل طولا
وعرضا وقدما لا على بعضهما بعضا ولكن البدوى كان أشد قوة
وحيل وأخبر بالحرب وأعرف بمراراة الفرسان فجذب البدوى
جندحا جذبة الاسد الغضبان فرحله عن جواده وكركبه عن
ظهره الى وجه الارض وقد أخذ سيفه من يده وطلب أن يسوقه
الى عند الحارث من ذلك المكان فصار يتململ ويتمنع وهو يطلب
الخلاص من يد ذلك القناص فعند ذلك ضربه البدوى بالسيف
صفحا على قفاه ألهب مهجته وقد أعدمه قواه وقد أحس جندح
بأن رأسه طارت من على جثته فداخ وضاقت منافسه ولولا انه شد
حيله لكان وقع الى الارض على أم رأسه فسار قدامه وقد ساقه
ذلك البدوى وهو صاغر ذليل حقير على رغم انفه الى ان قارب رفيقه
وصاح بأعلى صوته من غير مهل يا مساعد فخرج اليه فارس من
المكان الذى خرج منه الفارس الاول وسلم عليه وقال له أتاك يا شيخ
العرب هذا وجندح قد وقع به الانذهال وأخذه الانبهار وقد
طاش عقله وحار (قال الراوى) فلما ان أقبل ذلك الفارس قال له
البدوى خذ هذا اليك وكتافه واحفظه الى أن يمضى النهار
ويقبل الليل بالاعتكار ونبصر من يقع بعد هؤلاء فى أيدينا وندبر
بعد ذلك تدبير يعود نفعه علينا ثم يصل خبره الينا فعندها
نزل اليه ذلك البدوى وشد يديه الى رجليه قال مجده هذا كله جرى
والخلائق قد كثر بينهم الكلام والقيل والقال وزاد الكلام
فى حق هذا الفارس الهمام والبطل القمقام فقال الملك قيس يا بنو
الاعمام اعلموا انى قد احترت فى هذا الفارس والقرم المداعس

وهذا الذى أراه فى اليقظة قد رأيته فى المنام فوالله لقد أتانا النصر
فى هذه الوقعة وحق خالق الانام لان الذى قد ضرب رأس أبى
قد وقع بغدره والحارث بن ظالم قد كفينا شره ومابقينا نشتهى
ونريد الامن يستميل لنا قلب هذا البدوى الفارس الصنديد الذى
قد بلغنا فى هذا اليوم كلما نشتهى ونريد لان هذا البدوى وحق
ذمة العرب لا يكون مثله عنتر ولا غيره من سائر الفرسان ولم يقدر
أحد أن يبرز اليه بعد هذا من الابطال والشجعان فى حومة الميدان
وهو مع هذا الحال عريان الجسد عاريا من الدرع والزرد وعلى
جسده ثوب خام وهو قصير الاكمام وقد بلى بمثل هؤلاء الفرسان
فى مثل هذا المقام فهل أحد منكم يتقدم الى هذا الفارس الصنديد
ويضمن له عنى كلما يريد قال فجد فعند ذلك قال شداد لما سمع كلام
الملك قيس بين أهل ذلك الحضر يا ملك لماذا تحط قدر ولدى عنتر
وترفع قدر غيره ان غاب أو حضر أنت ثبت عندك ان هذا الفارس
الذى ذكرته هو واحد عصره وفريد أوانه ودهره وزمانه فقال له
قيس بلى يا شداد وذمة العرب والسادة الامجاد فقال شداد والله
يا ملك الزمان وحرمة زمزم والمقام والمشاعر العظام ان هذا الفارس
الذى هو فى الميدان هو ولدى عنتر الفارس الغضنفر والاسد القسور
وهذا الفارس الذى أتاه الآخر وطلع فى الاول وسماه مفرجا
هو شيبوب وقد عرفته وصح عندى هذا الخبر والفارس الذى أتاه
ثانيا وناداه يا مساعد هو أخوه جرير فقال عروة وحق ذمة العرب
الاجواد والسادة الامجاد انك صدقت فى هذا الكلام
يا شداد ولكن يا أمير شداد الفارس الذى زعق عليه
فى الاول وسماه مفرجا وخرج اليه من ذلك المكان هو شيبوب بعينه

لانى عرفته بركبته لان ركبته ماتشبه ركبة الفرسان لانى رأيت
الفرس من تحته يخب به وهو من فوقه يهتز ويكاد انه يسبقه فى وثبته
فقال الملك قيس هذا هو الجنون الزائد ياقوم تقولوا شيبوب وعنتر
الآن فى أبياتنا وبيننا وبينهما مسافه فتى أتى عنتر من ديارنا وفعل
هذا الفعال فى يوم واحد أو يومين أو ثلاثه ونرجع نقول اذا كان
تهيأ وجاء الى هنا فى يومين ومعه هذه الاخبار فكيف كان يلتجى الى
بنى عامر و يصير معهم فى جملة الناس ويقاتل معهم وقد علم انهم قتلوا
ابن الملك زهير وأخى شاسا فقال له شداد ياملك أما أتباعه لنا فما
فيه شك ولا ريب ولا محال لانه خاف علينا من الاعداء وانه ولدى
عنتر سيد الفرسان وأنا أقول انه ما أقام بعدنا الا ليلة واحدة وأما
اختلاطه ببنى عامر فاهو فى هذه الفعال ظالم لانه قد سمع انكم فضلتم
عليه الحارث بن ظالم فمال الى أعدائكم ليريهم شجاعته ولا قدرة له
على الاختلاط بالاعداء الا أن يكون بهذا الزى واللباس حتى
لا يعرفه أحد من الناس ولو كان يعلم ان الحارث معهم وقدمال بخيشه
اليهم وفعل هذه الفعال ما كان أتى الا الينا من كثرة شفقته علينا
وذلك انه ما يفعل معه الغضب الى أن يشتهى ان تشمت بكم العرب
فقال له الملك قيس وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام والمشاعر
العظام ان كنت صادق ياشداد فى هذا الكلام والله لاخرجن اليه
وأقدم عليه ثم أتلقاه أنا بروحى وأقبله بين عينه وأقبل بعد ذلك
قدميه ولا أتكبر عليه بعد هذا اليوم وكلنا نسير بين يديه (قال
الراوى) رحمة الله عليه ثم انه أراد أن يفعل ذلك الذى قد عزم عليه
هو ومن معه من الاقربين فرأى عنترا ونازحا مقبلين وهم متبسمين
وعليهم واردين ونازح بجانب عنتر الفارس القسور قال الراوى

وكان الخبر الذى أخبره شداد عن ولده صحيح لان عنتر لما تخلف
فى الاحياء وجرى له مع عبلة ما قد جرى وبل شوقه منها بالنظر وأصبح
وهو كثير الفكر قال لشيبوب والله يا أخى لا بد لى أن ألحق بنى عبس
وأتبعهم الى ديار بنى عامر وأبصر ما يفعل فى حقهم الحارث بن ظالم
الغادر وأخرج اليه وآخذه أسيرا واعرف حذيفة بن بدر والربيع
ابن زياد شؤم هذا التدبير فقال له شيبوب وفى أى حيلة تدخل
عليهم تخفى بهاء حالك فى بنى عامر فقال له فى زى العبيد أنا وانت
وأخى جرير نلبس لباس الضعفا واعتقل أنا بعقال مشرذم الاطراف
فقال له شيبوب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب اعلم انهم اذا
انتصروا على بنى عامر بسيف غيرك ما يرجع الملك قيس والربيع
يلتفتوا اليك وربما يكون سببا لخروج عبلة من بين يديك (قال
الراوى) ثم انهم بعد ذلك قد ركبوا فى تلك الليلة الخيول الضعاف
وقد لبسوا اللباس البدوى الذى قد ذكرناه ووصفناه وساروا على
أثر الجيش كما قدمنا فقال شيبوب يا ابن الام اذا أنت اختلطت
ببنى عامر ورأيت الحارث تقدر ان تلقاه بهذه العدة وهذا الجواد
فقال عنتر وحق الملك العلام اننى أقدر ألقاه بالعصى التى كنت
أرعى بها الجمال وآخذه أسيرا بحالة الذل والخبال ثم انهم ساروا ولو
كان لهم أجنحة لطاروا الى أن وصلوا الى القوم وقد اختلطوا بهم
فى ذلك اليوم وعنتر ما كان فى حسابه ان الحارث الا مع بنى عبس
فلما ان برز فى الميدان كأنه فرخ من فروخ الجان وقد رأى أفعاله
وما أبداه من أعماله وخرج اليه حذيفة وأخوه وجرى لهم معه
ما جرى وبرز اليه نازح فقال لشيبوب والله يا ابن الام ان نازح ما هو
من ابطال هذا الجبار وان غفلت عنه قتله فقال له عنتر ها أنا خارج

اليه

اليه من قبل أن تصل الاذية اليه فخرج عنتر اليه وجرى له معه ماقد جرى وكان عنتر لما برز للحارث انحل لثامه فعرفه نازح فدنا منه وسار قدامه وقد فرح بلقاه وقال له والله يا أبو الفوارس لو كنت أنا وأبى عرفنا انك ما أتيت فى هذه السريه ما كنا تبعنا قيس الى هذه الارض بالكليه وكنا تركناه يتكل على الربيع وحذيفة ومن معهم من الطائفة الفزارية (قال الراوى) ولما ان سمع عنتر من نازح ذلك الكلام قال له يا مولاى ما يجب على العبد أن يأخذ مولاه بالخطا ولا يشمت به الاعداء وهذا الذى شارك خالد فى أفعاله وقد القاه الله فى غيه وأعماله فعد بنا الساعة الى قومنا حتى اننا نطيب قلوبهم برؤيتنا ثم انهم عادوا وسار عنتر بين الصفين وبين يديه الاسيرين فى الذل والهوان ثم أشار يقول شعرا

لله در بنى عبس وما فعلت * أسيافهم فى العدا والطعن بالاسل

لى بالحرب رأى وعزم لو ضربت به

صم الجلاميد للانت خشية الاجل

تبيت أعداءى منى على وجل * ولا يبيت لى جار على وجل

وقد أسرت لفرسان العداة ضحا * وأمسيت من فرحى كالشارب الثمل

فانى بطل من فخر ما انتسبت * شدادها وهى بالهيجاء فى شغل

(قال الراوى) فلما سمع نازح شعره طرب لنظمه ونثره وكان الملك قد خرج للقاء عنتر ومعه جماعة من عشيرته فسمعه وهو ينشد تلك الابيات فقال له والله يا ابن العم انك لفوق ما تقول ثم انه أعتقه وقبله بين عينيه ثم اعتذر اليه وقال له يا أبو الفوارس فهل تظن ان بعد قتل أبى وأخى بقى لى عقل أدبر به نفسى بل كل من أقبل على وأشار بشىء قبلت مشورته وتلافيت قصته وكل ذلك فزعا من

اختلاف العرب فى بداية أمرى وولايتى على موضع أبى فعند ذلك
قبل عنتر عذره وقبل يده وسلم اليه قاتل أبيه فأخذ سيفه من
عاتقه وقال له ويلك ياجندح بهذا السيف قتلت أبى فقال له نعم
ومهما أردت أن تفعل فافعل بى وان كان أجلى فرغ على يدك
فاقتلنى فقال له قيس وبه أضرب رقبتك فقال ها أنا بين يديك
قال نجد فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام انتدب بالسيف وهزه
الى ان ظهر الموت من افرنده وضرب به جندحا فأطاح رأسه عن
جسده ثم انهم بعد ذلك قد عادوا الى قومهم والحارث معهم وقد
أيس بعد قتل جندح من الحياه وأيقن بالموت والوفاه وكان الليل
قد هجم وولى النهار وأقبل الظلام فتلقوهم الاصحاب والمحبين
وسلموا على عنتر وفرحوا به وبقدومه وأما أصحاب الحارث فانهم
لما ان أسر أميرهم كان الليل قد أقبل ولولا ذلك لما صبروا عن الحملة
فى طلب خلاصه فعادوا هم وبنو عامر الى خيامهم وباتوا تلك الليلة
فكانت عليهم ليلة منحوسه وقد نزل خالد بن جعفر وهو متفكر
فيما جرى وتدبر وكان من حذره على نفسه قد أوصى بنى عمه
وحذرهم مرة بعد مره وقال لهم اجعلوا بالكم من بنى مرة الى غداة
غد نخرج ونبصر ما يفعل بنو عبس بالحارث وما ينهون من الامور
(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنو عبس
فقد ردت اليهم أرواحهم بعدان كانت ذاهبة منهم وقد باتوا وهم
فرحين بوصول حاميتهم اليهم وبصلاح حالهم بعد فسادهم (قال
الراوى) ولما ان استقر بهم الحال فى ذلك المنزل جمع الملك
قيس ساداتهم وشاورهم فى قصة الحارث وما يفعل به من الفعال
ان كان يقتله أو يتركه فى الاعتقال لانه ما خان وكذب فى المقال

ولانه عوناً للاعداء علينا فى القتال وقتل منا فرساناً ورجالا وأبطالا (قال الراوى) فكان أول من تكلم فى حقه وأراد تخليصه من أيديهم الربيع بن زياد لانه علم انه يكون له ذخيرة وعوناً على عنتران سعى فى اطلاقه فقال يا ملك اعلم ان الرأى عندى ان تطلق سبيل هذا الرجل وتكشف كربته وتسامحه من ذنبه لوجوه عديدة وأنا أيها الملك أوضح لك دليل قولى اعلم ان الوجه الاول قربه من نسبنا وقد رأيت أنت بعينك شجاعته وما عمل فينا والوجه الثانى اننا طالبين أخذ الثار وكشف العار واعداءنا كثيرة وان أقلينا عقولنا وقتلناه طالبنا بنو مره بدمائه وكما تعلم ان ما فى بنى فزاره الا من يريد بقاه لاجل قربه منهم وكونهم انسباه ويفتح علينا باب فى هذه الوقت لا نقدر نسده بحال من الاحوال ولا بسبب من الاسباب فقال شداد والله يا ربيع ما الرأى الا ضرب رقبته وتلاف مهجته وأى شىء هو هذا القرنان وما تكون قيمته لانه كاب خوّان غدار قليل الانصاف دعنا نقطع شافته ونعزم على نهب قومه وعشيرته ولا نترك هذا المكار الخائن لا هو ولا قبيلته لانه ما فعل معنا هذه الفعال الا مراده خراب ديارنا والاطلال (قال الراوى) ولما ان فرغ شداد من كلامه لم يبق من تكلم بكلام على قدر ما فى قلبه من الحارث من الاوجاع والآلام فقال أسيد عم الملك قيس يا قوم احضروه حتى نسمع كلامه ونفهم مرامه فان كان فيه موضع للصنيعة اصطنعناه وان رأيناه ناوى الخيانة قتلناه (قال الراوى) فلما ان حضر قام اليه الامير عنتر بن شداد والسيف فى يده مشهر وصاح عليه وقال له ويلك يا ابن الانذال ما الذى حملك على هذه الاحوال وقابلت أصحابك بهذه الفعال وقد سعيت فى حقهم

بالرداء وأعنت عليهم الاعداء فقال الحارث وحق ذمة العرب
الكرام يا أبا الفوارس انى صادق فى هذا الكلام ما حملنى على
ركوب هذه الاهوال العظيمه والاحوال الجسيمه الا أنت واعلم
ان الصدق فى الكلام من شيم القوم الكرام والكذب قبيح على من
يدعى حفظ الزمام أنا لى مدة من الزمان أترك عليك العيون والارصاد
حتى انى أقع بك وأقتلك وأريح منك سائر العباد ولما ان جرت
هذه النوبة العظيمة الكثيرة الاخطار وقتل الملك زهير وصار ملقا
فى القفار والاودية والاوعار وسمعت ان قومك سائرين الى بنى
عامر بسبب أخذ الثار وكشف العار علمت انك تكون فى جملة
الابطال ففعلت هذه الفعال وقد قلت فى بالى انى آخذ منك
تارى فاكتسيت عارا على عارى وقد ظفرك الله بى وقد صرت أسيرا
فى يديك على كل حال فعند ذلك قال له عنتر ويلك يا حارث أما كنت
تسمع بفعالى ولا بلغك شىء من أعمالى حتى كان يردك عن حربى
وقتالى فقال بلى يا حامية عبس وعدنان انى كنت أسمع بأوصافك
فى كل موضع ومكان ولكن جهلى كان يزين لى الطغيان
والطمع والهذيان لاننى من حين ركبت الجواد ما أسرت ولا
قهرت قط فى ميدان بطول الدهر والازمان ولقد لقيت فرعون
ابن صخر فى أرض اليمامه وحاربته وقهرته بالشجاعة والبراعة
وأسرت ابن عباد فارس النعامة ولا جرى على أمر من الامور الى هذا
الآن ولا قدر على أحد من الفرسان ولا قلت ان الزمان غادر خوان
والآن قد لزمت الادب وعلمت ان الزمان ينقلب بأهله أى منقلب
وقد وقعت فى يدك ورأيت الهوان وبليت بالذل والحرمان وما بقى
فى الامر الا حالتين أما ان تقتلنى وتستريح من فعالى واما تعتقنى وتقبل

سؤالى

سؤالي فقال له عنتر وحق ذمة العرب لو علمت ان فيك موضعا للصنيعة لاصطنعتك وجعلتك لي صديقا واطلقتك ولكن أنا سمعت عنك من بعض الاقوام الكرام انك رجل خبيث لا تعرف الذمام ولا ترعى حرمة من أكلت معه الطعام ولا تحفظ يمينك اذا حلفت باليمين ولا تكرم قريب فقال له الحارث صدقت يا أبا الفوارس وسيد الفرسان قد كان هذا طبعي من قديم الزمان وقد كنت أحلف وأخون في الايمان واليوم قد فضحتني في الميدان وذليتني بين الشجعان وحق الاواخر من الامم والاوائل لقد هانت نفسي عندي وما بقي لي قلب ألتقي به فارسا ولا راجلا وان أنت أطلقتني وعدت بعد ذلك وغدرت بك لعنتني سائر القبائل وما عليك في ذلك ملام وان خنتك بعد هذا الكلام فانت قادر على أسري وتكون محكما في أمري فقال له عنتر أنا أطلقك من الوثاق لكن وحق الملك الخلاق ان خنت العهد والميثاق لانزلن بك المحاق ثم انه أمر الملك قيس باطلاقه وقد قال له أيها الملك أطلقه ودعه يرجع الى أهله وقبيلته فاننا في غناء عن نصرته فقال الحارث لا تفعل يا حامية عبس وتكون غير شاكر فاصبر علي حتى انني أكسر بني عامر وأبيض وجهي عند القبائل والعشائر وبعد ذلك أعود الى أهلي وأنت عني راض غير مغبون فقال عنتر أنت يا حارث تكسر جيش بني عامر وحدك بشجاعتك والا بالفرسان الذي هم من قبيلتك فقال له يا فارس الخيل ما أكسرهم الا بألف وخمسمائة بطل من أبطال قبيلتي وسادات عشيرتي فاذا رأوني عند الصباح وقد خرجت الى الميدان وطلبت الحرب والكفاح وأنا سالم من الاذا والجراح يزداد بهم السرور والافراح ويعرفون ان حالي معكم

قد انصلح وقد تخلصت من قبضة الاسد الكاسر وحملت على بنى عامر
فتضرب بنو عمى فيهم بالسيف البا تر فتنكسر قبائلهم والعشائر
وما يسلم منهم الامن جواده ضامر واجله باقى غير حاضر وبعد ذلك
احمل بالى الى سيدهم خالد الاسد الغضنفر لاننى أعرف مكانه من
حين كنت له مسافر فان ظفرت به أكون قد بيضت وجهى معكم
ومع هذه العشائر فقال له الربيع لقد أصبت فى ذلك وأنت لم تقدر
على بنى عامر الا فى المجال فقال عنتر الفارس الهمام والاسد الدرغام
وفارس عبس وعدنان لعن الله من لم يقدر يفنيهم بحد الحسام
فى أقل من خمسة أيام ولا يترك منهم شيخا ولا غلاما فقال الربيع
صدقت فى هذا الكلام يا ابن السادة الكرام تقدر تكسرهم
وتبلغنا منهم الغرض والمأمول ولكن الشرح هنا يطول اعلم يا أبا
الفوارس وزين المجالس ان كان قلبك نافر من الحارث بن ظالم ولم
تقنع منه باليمين فانا يا فارس الخيل أكون له ضمين فقال الملك
قيس ما بهذا الرأى من باس ولا يذمه أحد من الناس يا فارس
الميدان وحاوى قصب الرهان وحامية عبس وعدنان أن بنى
عامر فى زيادة ونحن فى نقصان قال الاصمعى المصنف لهذا الديوان
وقد بلغنى أن عدتهم ثلاثين ألف عنان ثم استقر الحال والامر
على تلك الفعال وأخذ الربيع الحارث معه الى خيمته ولما خلا به
ساله عن حالته وما فى قلبه من الغدر لعنتر وكان الحارث يعلم
ان الربيع يبغض عنتر فقال له ايش هو عنتر الكلب الالكن
والذئب الاجرب وذمة العرب لا بد ما أتسبب فى قتله بكل سبب
لاننى أتيت آخذ ثارى فازددت عارا على عارى ولو عرفت أن ذلك
العبد الزنيم خرج يحاربنى ما كان غلبنى ولا قهرنى بل كنت أضحكت

عليه

عليه الصغين وتركته مجندلا بين الفريقين ولكن لما رأيته
ورأيت حالته ازدريته وفي عيني احتقرته فقال له الربيع بن زياد
والله ياحارث لقد صدقت في هذا الايراد وقولك كله صواب
وما فيه شيء يعاب وأنا أساعدك على هذه الاحوال وأعاونك
على ما تريد من الفعال ولكن في غير هذه الاوقات يافارس
الدهر وشجاع العصر لاننا والله محتاجين اليه واليك في هذا الامر
واذا اشتغل كل واحد منكم بصاحبه ضاعت مصالحنا ويكون
أكبر أعاديك حذيفة بن بدر وهو ابن عمنا والصواب ان توفي بما
ضمنت أنا عندك حتى تطيب قلوب الفرسان وبعد ذلك فالزمان
طويل وأنا أعاونك على هلاك هذا العبد الذليل ولا أتخلى عنه
حتى أراه قتيل ولما أصبح الصباح خرجت الرجال تطلب الحرب
والكفاح فظهر من وسط بني عامر صياح وقبائلهم قد
هاجت في اقطار البر والبطاح والسيف قد عمل في المفارق وقد
انخسفت الصدور من الطعن الخارق قال وكان السبب في ذلك
الامر المنكر خالد بن جعفر لانه كان أنفذ جاسوسا من أول الليل
يكشف له خبر الحارث بن ظالم وما يجري له من بني عبس
من الامور العظائم وأوصاه أن يعرف خبر الفارس الذي
أسر الحارث ومن أي العرب هو فمضى العبد من وقته وساعته
ليكشف الخبر فغاب عنهم رقدة من الليل ورجع وقت السحر
واعلم خالدا ان الفارس الذي أسر الحارث هو عنتر وان الحارث قد
انصلح حاله مع القوم وقد وعدهم بهلاك أبطالنا وقتل رجالنا ونهب
أموالنا وسبي عيالنا فقال خالد بن جعفر لما سمع هذا الخبر
لعن الله مقاله وهذا الطبع الذي فيه عنه لا يتغير حتى يموت

ويقبروانه لا يصفو الصديق ولا يراعي رفيق والرأى عندى ان
نبيده قبل أن يبيدنا ونضع السيف فى قومه ونذيقهم المهالك ثم انه
أمر بنو عامر فساروا الى بنى مره وأنزلوا بهم الويل والمضره وتم
السيف يفعل فيهم حتى ساروا بين القبائل شهره فسمع الحارث
صياحهم ونداهم فصعب عليه ما دهاهم وصاح يا آل مره
هلكت السادات فى هذه الكره ثم حمل بريد اغاثتهم وحمل
معه الربيع واخوته وطائفة من فرسانه ورفقته وتبعهما ألفان
من بنى فزاره لان الملك قيس أمرهم بذلك وحملت بنو عبس على
ميمنة بنى عامر وفى أوائلهم عنتر بن شدّاد وأبطال بنى قراد وكان
ضياء الصبح قد ارتفع وشعاع الشمس قد طلع واشتدّت
الشجعان وزمجرت الاقرانت وازدحمت الخيول الاعوجية والرماح
السمهرية ولعبت الحوافر بالجماجم الآدمية وفعل عنتر فعال
تعجز عنه الفرسان الجاهلية ونكس اعلام القبائل الذى قدامه
وأوصى سنانه بهتك استار القلوب فما خالف الوصيه (قال الراوى)
وكانت بنو عبس تطعن طعنات نافذات مالها من قياس وتنادى
بثار الملك زهير وولده شاس هذا والعساكر قد دام بينهم القتال
وقبائل بنى عامر متفرقين فى الجبال حتى أقبل الليل بالانسدال
وكان الحارث قد لقى فى ذلك اليوم الاهوال الى أن وصل الى أصحابه
وأعانهم فى القتال هذا وبنو عبس قد دعسوا فى بنى عامر وعروة
ابن الورد يقول وحق من يعلم وساوس الصدور انى اذا دار الطعن
والضرب وكنت وحدى لا ألقى أكثر من فارس واذا علمت ان خلفى
عنتر أرمى روحى فى ألف فارس أو أكثر وأكون فيهم بالسيف
داعس ولا أتقهقر (قال الراوى) هذا والفرسان قد دار بينهم القتال

وقبائل بنى عامر تفرقوا فى التلال وهربت فى رؤس الجبال هذا والحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والجبان يتامل والشجاع بالدماء تسربل وكثر الوجل وزاد الضجر وضرب بالناس المثل وهم فى عمى واعل الى أن ولى النهار والليل انسدل هذا والحارث بن ظالم قد لقى فى هذا اليوم الاهوال ووصل الى أصحابه وأعانهم فى القتال وقتل فى ذلك اليوم مائة فارس من سائر الابطال (قال الراوى) ولما ان كشف عنهم الشدة والاهوال وزال العناد اختلط قومه مع بنى عبس الاجواد وأصحاب الربيع بن زياد ثم رجع الى الميدان فالتقى بملاعب الاسنة ذلك اليوم فى الميدان وجرى بينهم من الطعان ما شيب رؤس الولدان وفى آخر النهار جرح كل واحد منهما صاحبه وأشرفا على المهلاك (قال الراوى) ولما انفصلت الطوائف عند اقبال الظلام واستقروا فى الخيام جمع خالد سادات بنى عامر ورحل بهم يطلب الديار وقد علم انه ان أصبح عليهم الصباح قلعت بنو عبس منهم الآثار ورءا انهم لا يقدروا على الهزيمة بالنهار (قال الراوى) لهذا الكلام هذا وبنو عبس قد باتت فرحانة بالنصر والظفر ومافيهم الامن يثنى على أبى الفوارس عنتر وكانوا قد علموا برحيل بنى عامر فأراد عنتر أن يتبعهم ويسقيهم شراب المهالك فما مكنه قيس من ذلك وقال وحياتى عليك أرفق بالناس يا ابن العم فانهم قد باتوا فى غاية التعب والنصب وفيهم جرحا باسوأ حال وان رجعت وخالطت بهم العرب المجمعة فقد تساوينا نحن وهم فى القتال لانهم الجميع عرب جهال ومافيهم من يعرف خصمه من الرجال ونحن ما قصدنا الا خالد بن جعفر من دون جميع البشر ولكن نحن ما بقينا

نظفر به الا في وقت آخر فقال عنتر لابد لنا من ذلك ولو قطعنا من خلفهم المسالك ثم انهم باتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح نهض بنو عبس بجمع الإسلاب ولم الخيل الشاردة في الهضاب وبعد ذلك قال عنتر للملك قيس من الصواب ان لا نأخذ أحدا من المعانيين ونعطى لبني فزارة هذه القيمة والاموال ثم نجزى القوم خيرا ونردهم الى ديارهم والاطلال ويكون معهم كل جريح وضعيف ونطرق نحن ديار بني عامر ونحن خفاف الظهور ونعانى بأنفسنا هذه الامور لان حذيفة توهن من الوقعة وماله أوفق من الرجعة (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام رآه صواب فرد الحلفاء والاصحاب بعد ما فرق عليهم الغنائم والاسلاب وقال لحذيفة يا ابن العم ما بقينا نتركك تلقى أكثر مما لقيت لانك من أجلنا جرحت وشقيت والذى جرحك هو أقرب الناس اليك والحارث قد أصلح نوبته معك وهو عائد الى أرضه في صحبتك ثم أصلح بينهم ورد الكل مكرمين ومعهم الضعفاء والمجروحين وقد سار وا في أربعة ألف فارس وعنتر في مقدمتهم مثل الاسد وقد فرح بقلة العدد ولما ان تمادى به المسير في البر والفدفد تذكر ما جرى عليه فسار ينشد

اذا نحن حالفنا حداد البواترى * وسمر القنا فوق الجياد الضوامر

على حرب قوم كان فينا كفاية * ولوانهم مثل البحار الزواخر

وما الفخر في جمع الجيوش وانما * الفخر في تفريق جمع العشائر

سلى يا بنت عمى عنى وقد أتت * قبائل كانت مع غنى وعامر

تموج كموج البحر من كل جانب * مكدرة من نقع وقع الحوافرى

وكيف تولوا والقنا فى ظهورهم
تشك الكلا بين الحشا والضوامر
ولو ثبتوا اخلفت فى الارض منهم وا * عظاما ولحما للطيور الكواسر
وما غرا قومى غير قول ابن ظالم * وكان خبيثا قوله قول غادر
طغى وادعى ان ليس فى الارض مثله * فلما التقينا بان فخر المفاخر
وكان لاعدانا معينا وناصرا * فعاد بسيفى خاسرا غير ناصر
أحب بنى عبس ولو سفكوا دمى * محبة عبد صادق القول صابر
بذلوا اذا ما أبعدونى والتقى سهام * العدا عنهم بنور نواظر
تولى زهير والرماح قواصد اليه * وأطراف السيوف البواتر
فوا حزنا كيف اشتفى قلب خالد
بتاج بنى عبس وشمس العشائر
وزادنى حزنا عليه فقد شبله
من يسمى بشاس كان عزى وناصر
أنا عنتر العبسى واحد عصره * وأفرس أهل الارض باد وحاضر
ولم يك قولى دعوة بل مروءة * وأنى وحق الله نسل الاكابر
(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه طربت بنو عبس من ألفاظه وجدوا فى سيرهم وهم يقطعون البيداء طالبين أرض الاعداء وهى أرض بنى عامر (قال الراوى) وكان خالد بن جعفر لما وصل الى دياره ما تبقى معه من تلك الجحافل أكثر من عشرة آلاف وباقى القبائل تفرقوا وطلبوا دورهم والمنازل وما بقى معه الا من لزمه من بنى عامر من أولاد عم وأقارب (قال الراوى) ولما وصلوا الى الاطلال أشاروا على خالد برفع العيال الى رؤس الجبال لان بنى عبس لابد ان تتبع آثارنا الاجل رحيلنا والصواب

اننا نحرص على أنفسنا ونقاتل القوم عند وصولهم الينا واذا رأيتنا
انهزمنا من الضراب وتركناهم ودخلنا في الشعاب فعند ذلك
حصن بنو عامر المال والعيال فوق الجبال ومن الغد أشرفت بنو
عبس ولمع حديدها في شعاع الشمس وحملة من غير راحه تطلب
الثار ودارت ببنى عامر من سائر الاقطار فابصر خالد عددهم
قد قل ففرح وصاح في بني عامر يا بنو العم أبشروا من بني عبس
بالاموال الجليلة فاوصلوا الاوهم في طائفة قليلة ثم حمل وطلب
اعلام الملك قيس وحملت خلفه الفرسان وعمل الحسام وطلع القتام
وجرت المقادير والاحكام وعمل عنتر في بني عامر مالا تعمله السهام
لانه كان أشار على قيس برد بني فزاره وغطفان وأوعده بالنصر
والامان وعلم انه في ذلك اليوم متكل عليه ففعل أكثر مما كان
قد وعد وعمل عملا لا يقدر عليه أحد وما أمسى المساء حتى أهلك
هو وبنو عبس أوفى من ألف فارس ومائتين من القناعس وعاد
عنتر وعليه من الدماء حلة أرجوان وهى تجرى مثل جريان
الماء والغدران على درعه وهو مسرور فرحان وقد أهلك تحته
في ذلك اليوم خمسة وعشرين حصان وشيبوب يأتيه بغيرها من
الميدان وما وقع أكثرها الا من شدة نهضاته عليها والانحراف
لان عنتر ما كان يثبت تحته الاجواده الابجر وكان قد تركه في ديار
بني عبس لانه ذكرنا لكم حالته التي أتى فيها هو واخوته (قال
الراوى) وكان لما عاين في الحرب قتاله مال له قلبه لما شاهد أعماله
وعلم ان ملكه لا يدوم الا به فاخلص له نيته واستقبله عند دعوته
وشكره هو واخوته قال وكانت بنو عامر قد عادت وهى تشكى حالها
لابن جعفر وما قاست من سيوف بني عبس وعنتر فقال لهم خالد

وذمة

96

وذمة العرب ان عذركم يا بنو الهم واضح وان عنتر هو الذى أهلك
فرساننا وتركهم مثل البطائح وهذه النوبة ان لم أفصلها أنا والا خسرنا
واشتفت الاعداء منا فقـالوا له وما الذى تريد ان تفعـل فقـال لهـم
أخرج الى الميدان وأطلب أخصامى وادعوهم الى الضرب والطعان
وهـم قيس واخوته ومن خرج الى منهـم أسقيته كأس منيته وقد
انفصلت هذه النوبه أو أقتل وأستريح من الذل والخيبه لان القتل
تحت الغبار أهون من الهرب والفرار ثم انه بات على هذه النية الى
أن أقبـل النهار وسارت الابطال من سائر الاقطار واصطفت
الصفوف واشتهرت السيـوف فنزل من بنى عامر فارس صغير
السن أمرد وعليه درع من الزرد وعلى عاتقه حسام مهند وفى يده
رمح مسدد وتحته جواد أجرد (قال الراوى) فلما توسط الميدان
جال وصال وفعل فعل الابطال ودنا من طائفة بنى عبس وقال لهم
يا سادات العرب الكرام وحق البيت الحرام والركن
والمقـام والمشاعـر العظام ما عمـرى اليوم الاعشرين عام
ولاخرجت قط من المضارب والخيام ولا حضرت عمـرى حرب
ولا طعان ولا صـدام وما تعلمت الكر والفر الا من بنى الاعمام
وذلك من محبة أمى لى وشفقتهاعـلى فلاتدعنى أركب حصان
ولا أباشر حرب ولا طعان وأنا أريد اليوم أجرب روحى فى هـذا
المقام وأحمى فرسان عشيرتى والحريم والصبيان وأخالف أمى
فى المقام وأطلب منـازل أبى واعمـامى والاخوال أو يكون
عمرى قرب فاهلك فى المجال قبل بلوغ الآمال واقتل على يد بعض
فرسانكم والابطال فابرزوا الى من يقضى حاجتى ويبلغنى المراد
وأجرب معـه فروسيتى ولكن يكون نسـبه كنسبى وحسـبه

لحسبي لأني وحق ذمة العرب من قوم كرام غير لئام ومعودين بالصبر في وقت الصدام ومبارزة الابطال الكرام وأنا يقال لي عامر بن الطفيل ما في نسبي عيب ولا ميل وملاعب السنة ابن خالي ولولا انه مجروح ما كان طاوعني على ارادتي على ان أمي كبشه منعتني وعن القتال عزلتني فما قبلت ولا امتنعت ولا طاوعتني نفسي على القعود لما رأيت الاعلام والبنود والغبار الممدود فخرجت الى مقام أهل الجود وهذه الخلائق شهود ثم انه جال وصال وطلب الحرب والقتال وأنشد يقول

لا تلحي يا أماه في اشفاقي واصبري * عند مصرعي للفراق
واتركيني أجد في طلب * المجد بحد المهندات الرقاق
وأنادي في سوق ربع المعالي * بعوالي سمر الرماح الدقاق
فاني أطلب الفخار وأرى * ان هذا المقام مر المذاق
فلعلي أطفي بحد حسامي نار * حرب شديدة الاحراق
وأرد العدا وأعتق قومي من * اسود على خيول عتاق
أو لا في منيتي بسنان * خارق ما لا سعه من راق
وأخلي أمي تصيح مع الثكالى * ضجيجة ودمعها مهراق

قال الراوي) وما تم عامر كلامه وشعره ونظامه حتى خرج اليه فارس من بني عبس الاشاوس عظيم الهمة شديد العزمة فارس عليه درع مانع وفي يمينه سيف قاطع ورمح بارق وتحته جواد سابق ولما قاربه اراد ان يجول معه فصاح عامر فيه روعه وضايقه وطابقه وسد عليه طرائقه وطعنه صرعه ولما ان قتله زاد في العبسي طمعه وطلب البراز فحمل عليه فارس ثاني ودا ناه غاية التداني ولكن ما طال عليه المطال حتى تركه عامر مطروحا على الرمال وبعدها طلب

القتال ولعب في الميدان لعب الدلال بشجاعته وقتل الابطال بالكلام قبل السنان وصاح يا بني عبس وحق اللات والعزى أنتم فرسان الزمان ابطال عدنان فدعونا من هؤلاء الرجال القليلين الخبرة بالقتال واخرجوا الى شجعانكم الابطال ولا تحقروني لصغري واختبروني ببعض صناديدكم وقد بان لكم صدامي وفعالي (قال الراوي) فلما سمعت أبطال بني عبس هذا المقال وابصرت ماقد تم لعامر من الفعال تبادرت من كل جانب وخرجت اليه خروج السلاهب وهزت القنا والقواضب ولكن كان أسبقها اليه مليح القوام قليل الكلام حلو الابتسام من كملت فيه جميع المعاني يقال له قرواش ابن هاني • وكان ابن عم الملك قيس بن زهير وكان أعظمهم عنده قدرا وانفذهم في العشيرة أمرا (قال الراوي) ولما أبصره الفرسان قد تقدم تأخرت ووقفت وجال قرواش على عامر وأخذ معه في المجال والميل وتطاعنا حتى قل منهم القوى والحيل وكان عنتر قد استقبح خروجه الى عامر بن الطفيل لما رآه قريب العهد من الرضاع وما علم بأنه بطل شجاع هذا وقد اشتد بين الفرسان الضرب بالبتار وانكشف عنهم الغبار واذا بقرواش مع عامر أسير وقد بقي ذليلا حقيرا وبعدها قصرت الفرسان وهابت الخروج الى الميدان وهم عنتر بالخروج اليه فسبقه نازح بن أسيد وقاتل عامر الى أن أقبل الليل وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وهو يصف مالقي من طعنه وضرابه (قال الراوي) ولما عاد عامر الى مضاربه تلقاه قومه وأقاربه وزادت بهم المسرات وأما أمه كبشه فما وسعتها الدنيا من الفرح والسرور وكانت من وقت خروجه الى الحرب تتقلى مثل الحب على المقلى وأما خالد فانه فرح

وامل النصر والظفر (قال الراوى) ولما كان عند الصباح خرجت بنو عبس تطلب الحرب والكفاح وكان أشرهم غيظا عنتر مما نظر من عامر واذا به قد برز الى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب الحرب والقتال وتذكر كلام أمه والمقال فأنشد وقال

أسرفت أم عامر لى فى التنادى * من ركوبى فى حروب الاعادى
منعتنى خوفا على من القتل * بحد المهندات الحدادى
لا تحزنى يا أماه فالموت حتم * وهو فى القرب مثل حال البعادى
دعينى أخوض بحر المنايا * بالخيول المضمرات الجيادى
يا بنو عبس مالكم من حسامى * وسنانى عن الموت فادى
فاحملوا وتقدموا تجدونى * فارسا لا أمل من الطرادى

(قال الراوى) هذا الكلام فلما فرغ عامر من شعره طلب القتال والحرب والنزال فقفز اليه عروة بن الورد على جواد أجرد واراد ان يحمل عليه فلم يتركه عنتر بل قال له تمهل يا أبا الابيض وتأنى حتى أقطع رزق هذا الغلام من الدنيا لانه قد أغاظنى باعجابه وفرحه بشبابه وبت طول ليلى من فعاله أتلهب بنيرانى وأنت اذا خرجت لا تقدر عليه فيذهب ويقتل قرواش ويفوت الامر فيه وهو يقوم مقامه ومقام قبيلته ثم ان عنتر قفز اليه وصار قدامه وناداه دونك والجدال يا ابن الانذال فقال له عامر يا ولد الزنا والله ما كانوا أبائى أنذال وانما كانوا سادات وأبطال اذا ركبوا تهتز لهم الجبال وتخضع لهم الاسد فى الدخال ولو كان معك انصاف كنت رجعت على نفسك بالملام والمقال على انى ما أقاتلك ولا أدخل معك فى المجال لانى لا أقاتل الا من يكون نقى الجد كريما أصيل الحسب عظيم الجد

رفيع الاصل فى الحسب والنسب ولا أرضى أقاتلك مخافة أن يقال
عنى اننى قاتلت عبدا ولدزنا ولا تظن انى قلت لك هذا فزعا
ولا جزعا الا ان أمى رأت لى مناما قبل قدومك فى هذا
المقام وخافت على من شرب كأس الحمام ومن
خوفها مضت الى كاهن العرب وفسرته
عليه فقال لها لا تترك ولدك يقاتل عبد
أسود نسبه خفى غير واضح فانه
يكون معه خاسر غير رابح
ولولا هذا الامر والسبب
لفضحتك بين سادات
العرب وأريك
فى القتال العجب
من طعن الرمح
والحسام
المشطب

تم الجزء السابع من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس
عنتر بن شدّاد فى منتصف شهر جماد الثانى سنة ثلاث وثمانين
ومائتين بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أحسن وصف
صلى الله عليه وعلى آله والذين انتظموا فى سلك منواله

الجـزء الثامن من قصة فارس الطراد
من زلزل جميع الاوهـاد وأذل
من في الحصون والاوتاد وحير
العقول وفتت الاكباد
وأذل كل بطـل من
الامجـــادأبو
الفوارس
عنـتر بن
شدّاد



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا
السبب زاد به الغيظ والغضب وقال له ويلك يا ابن الملعونة ومن
يصل الى هذا المقام ويقتل الفرسان الكرام يعرف بدميه
النسوان يا قرنان يا ابن الالف قرنان دونك والقتال والحرب
والنزال ثم انه حمل عليه حملة الاسد الضرغام وزعق عليه وصاح
فتغير لونه وارتعش كفه ولكن تعين عليه حربه وقتاله
وطعنه ونزاله فأوسع بين يديه فى مجاله وطاعنه وطاوله وكان
قد أراد أسره حتى يكون فداء القرواش بن هانى فلما أعياه الامر

وضايقه وزعق فيه فأرعبه ثم حاذاه وقاربه وحذف الرمح من
يده وطبق على جلباب درعه وجذبه عن جواده وملأ أسره
وقياده ونادى لشيبوب يا ابن الملعونة فخرج اليه مثل الليث
القسور والنمر الغضنفر فأخذه منه شده كتاف وقوى منه
السواعد والاطراف (قال الراوى) واذا بأمه كبشه قد خرجت
من بين الصفين واشتهرت بين الفريقين وهى حاسرة ومدانية
غاية التدانى وخلفها بعض العبيد يسوق قرواش بن هانى
فلما انها قاربت عنتر بن شداد نادته يا وجه العرب لا تشد ولدى
كتاف ولا تذيقه العدم والتلاف وخذه صاحبك واعتقه
ومن عليه بروحه وأطلقه (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامها
وشدة شوقها وغرامها رق قلبه ورحمها وزعق على أخيه
شيبوب وقال له اطلق ولدها ثم انه أخذ قرواش بن هانى وساربه
الى بين يدى الملك قيس فهنأه بالسلامه وشكر عنترا على
حسن اهتمامه وأراد أن يأمر العساكر بالحملة واذا بخالد بن جعفر
قد خرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وهو على حجرة
بزقه كأنها الليلة الزرقه وهو كأنه سد من حديد أو قطعة
من بعض الجلاميد ثم انه ركض الى أن قارب أعلام الملك قيس
ونادى ما ويلكم يا بنى زهير الى متى هذا ونحن نجمع القبائل
والفرسان ونلقى الفتن بين العربان ونهلك الابطال كلها
والشجعان فأنا الذى قتلت أباك وما أهجع حتى ألحقك به أنت
واخوتك وأقرباك وأبيد أقصاكم وأدناكم واهلك شجعانكم
واقنا كم وعبيدكم واماكم وما بقيت أعانى الامر الابروحى
فأخرجوا الى واحدا منكم وبعدها أقاتل الدانا واياه وبعدها أخرجوا الى

واحدا بعد واحد وقد انقضى الامر وهان الشر بلا معاون ولا مساعد ولا يخرج الى الا الملك قيس فى الاول لانه قد سار فى مقام أبيه وهو الحاكم على بنى عبس وعدنان كما أنا الحاكم على بنى عامر وغنى وكلاب ومن قتل منا صاحبه بلغ الغرض واشفى قلبه من المرض ونال المنا وأراح العربان من التعب والعنا ومن القتل والفنا (قال نجد) فلما سمع الملك قيس من خالد ذلك الكلام وما أبداه بين العربان من المقال اشتد به الغيظ وقد زاد به الغرام فعند ذلك هاجت بنو عبس وما فيهم الا من اعتدوا اشتد وعول على الخروج من الفرسان والسادات أهل الرتب وقد أبصر عنتر فعالهم فقال لهم أنا فداكم من التعب وها أنا أسبقكم اليه وأسقيه كأس العطب فقال الملك قيس لا وذمة العرب يا أبا الفوارس لا يخرج اليه فى الاول الا أنا حتى لا يكون نودى بى لاخذ الثار فتأخرت عن ذلك (قال الراوى) وكان عليه من الدروع والزرد مالا يقدر عليه أحد ثم انه ركب على جرته القعسا وتقلد بسيفه ذى النور واسبل عليه من الزرد مالا يقدر عليه أحد ولما استوى فى سرجه استلم الرمح وحمل طالبا خالد بن جعفر مثل القضاء المنزل وقد فعل خالد مثل ما فعل واصطدما والتقيا (قال الراوى) وكانا الاثنين من شدة ما بينهما من الحقد والغيظ والحنق ما فيهم من أنشد شعرا ولا نطق بل صاحا وزعقا وعلى بعضهما انطبقا وجالا على ظهور الخيل الى أن طلع عليهما الغبار وتمردقا وصار بينهما طعنا يسبق الحدقا ويأخذ الشجعان منه الحمقا ودام الامر كذلك حتى تقطعت من الطعنات والضربات صفاق الدرق ولمع صارم المنايا وبرق وانهتك

ستر

عنترنا موسهم وانخرق والتهبت نيران الغيظ وزاد الحنق وعنتر
قد ضاق صدره على الملك قيس وتمنى أن يكون مكانه وقد تحير
فى قضاء هذه الاشغال و بلوغ الامال وقد تأهب للقاء الرجال
وأمر بنى عبس بالاحتراز وكذلك قد فعلت بنو عامر وقد تهيأت
للموت الغامر (قال الراوى) ومازالا الفارسين فى حرب وكفاح
الى أن تثلمت الصفاح وتقصفت الرماح وقد تقابضا ومالا على
بعضهما البعض وقد وقفا على وجه الارض من شدة الحنق
وصاح كل واحد منهما وزعق والتفت الى أصحابه يطلب منهم
معينا أو نصيرا وأيقن كل واحد منهم انه قتيل أو أسير فعندها
حملت الفرسان من كل جانب وهزت القنا والقواضب واندفقوا
اندفاق السيل اذا كان ساكب وكان أسبق الناس الى الملك قيس
من بنى عبس عنتر بن شداد وأسبق الناس من بنى عامر الربيع
ابن عقيل الذى كانت العرب تسميه الفارس الصدام وقد صدم كل
واحد منهما صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وهما مواجهة
الاسود فى الدحال اذ سلبت منها الاشبال وكان قلب كل واحد
منهما على خصمه ملآن من النوبة الاولى لما التقيا فى الشعاب
وما قد جرى بينهما من الامور والاسباب (قال الراوى) وقد جدا
فى الطعان وقد مالت الشجعان كلا منهم الى ناحية ملكهم
والمقدم عليهم مثل السحاب وقد قاتلوا فى ذلك اليوم اخوة الملك
قيس ومن حوله أشد قتال وكذلك الربيع بن عقيل واخوته
ومن يتعلق بهم من الفرسان والابطال وقد تتابعت فرسان
بنى عامر تتابع الغيث الهطال واشتبكت الابطال بالابطال
والرجال بالرجال وقد قد الحسام فى الاجسام ومالت الفرسان

وتساقطت من على ظهور الخيل العوال وبطل القيل والقال. وجرى الدم وسال (قال نجد) وكانت لهم ساعة تشيب رؤس الاطفال وعنتر يقاتل الربيع بن عقيل وقلبه على الملك قيس ومن شدة غيظه مال على خصمه وضايقه وزعق فيه زعقة الحرد وقد صار كأنه الاسد ثم طعنه طعنة جبارية لاقى منها النوائب والاخطار فشك اضلاعه مع الزرد وقد أخرج الرمح من ظهره أشبار ثم بعد ذلك جذب الرمح منه فانقلب وصار كأنه عمود يتشحط في دمه ويضطرب في عندمه وقد عاد عنتر الى بني عامر فنكس فرسانها وحاق جماجهامن على أبدانها وقد أعدمها أرواحها ومازال حتى فرقهاعن قيس وخالد وقد صار واقفا على رأسي الاثنين وقد كانا أشرفا الاثنين على الهلاك من دوس الخيل وشدة العراك فعند ذلك أراد عنتر أن يقتل خالدا ويخلص الملك قيس ويعيده على ظهر جواده فصاح به الربيع بن زياد وقال ياأبا الفوارس لاتفعل فصديقك مالك بن الملك زهير قد أسر ومعه أخي عماره وان قتلت خالدا فيقتلوا الاثنين بشاره (قال الراوي) فلماان سمع عنتر من الربيع ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه ثم انه ضرب خالدا بالسيف صفحا فأرماه وقد أمر أخاه شيبوب أن يشده ويكتفه فشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وكان مماجرى عليه قد غاب عن الدنيامن شدة تلك الضربه وقد أيقن بالتلاف والنكبه (قال نجد) ولماان رأى قيس عنتر وقد فعل مع خالد مافعل قام على قدميه وسعى من شدة فرحه بالنصر وقد عضه عنتر عند قيامه ولماان وقع خالد من ضربة عنتر أغمى عليه ساعة زمنيه ووعى الى نفسه فلما

أفاق على نفسه أبصر شيبوب بين يديه وهو يوسقه بالقد الذى
فى يديه وكان قيس الآخر قد أغمى عليه فلما أفاق وجد شيبوب
وهو يكتف فى خالد فشكره وأثنى عليه وعلى أخيه عنتر فعندها
تركهم شيبوب وعاد ومعه فرسه فركبها ولما ان صار على
ظهرها قال له عنتر يا مولاى أخرج من غبار الخيل الى البرى
فسار الى خارج المعمعة وقد حمل عنتر على الخيل ففرقها والدما
أهرقها وفرق المواكب ومزقها فعند ذلك قد انكسرت
بنو عامر عند المسا وتضعضع حالها وقد عادت بنو عبس بعد ان
أشفت غليلها ومابقى الا نفر قليل من أبطالها وقد نزلوا
فى خيامهم واستقر قرارهم (قال الاصمعى) ولما ان نزلوا هنوا
الملك قيس بالسلامه وقد أعلمه الربيع بن زياد بأسر مالك وأخيه
عمارة فصعب عليه وكبر لديه فقال الملك قيس للربيع اعلم
انما أسر أخى وأخيك الا السلامة هذا القرنان ولولا هذا السبب
ضربت رقبته وشربت دمه لكن احتفظ عليهم يا ربيع الى
أن تفادى بهم أخى وأخيك عند الصباح ثم ننظر له غير هذه الوقت
فقال عنتر يا ملك لا تضيق صدرك من خلاص أسرانا بهذا الشيطان
واعلم انه ان سلم اليوم منى ما يسلم غدا ولولا شغل قلبي بالربيع بن
عقيل وقتله فى حومة الميدان لكنت أتيت اليه وأسقيته كأس
الحمام من قبل أن يجرى هذا الحال على أصحابنا وان بنى عامر كلهم
الليلة قد باتوا عند الحريم فى رؤس الجبال وساروا عند الحريم
والعيال وعند الصباح نترحل عن الخيل ونطلع اليهم بالسيوف
والدرق وننثرهم من على الروابى والتلال نثر الورق فعندها
فرح الملك قيس بكلامه وقد طاب قلبه وخف غرامه وشكر

عنتر على مقاله ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما ان أصبح الله بالصباح
وأضاء بنوره ولاح أحضر واخالد وقد أطلعوه على ذلك الخبر من
أسر مالك وعمارة وقد طلبوه بالفدا فأجاب الى ذلك وحلف باليمين
الصعب الذى كانت العرب تعتمد عليه فى الامور والصعاب فعندها
أطلقه الملك قيس وفى قلبه نيران لا تطفا ولهيب لا يخفا وقد
تضاعف ضعفا (قال الراوى) ولما انطلق خالد من الاسر من
عند بنى عبس سار الى قومه ولما ان وصل الى عند عشيرته فتلقوه
وسلموا عليه وهنوه بالسلامة وأراد أن يعلمهم بما جرى عليه فسألوه
فحدثهم بالحديث كله وما اتفقوا عليه وقال لهم أطلقوا مالك وعمارة
فما طاوعوه بنو عامر على ذلك بل قاموا كلهم عليه ومن جملتهم أهل
القتلا وقالوا له والله لا بد لنا من صلب الاثنين على قرون الجبال
ونأخذ من هولاء بالثار وهو ثار بعض من قتل منا من الفرسان
الاخيار لان بنى عبس هم الذين فعلوا فينا هذه الفعال وما بقوا
يرحلوا عنا الا أن قلعوا آثارنا وخربوا ديارنا وبهلكوا جميعنا
ويبيدوا أبطالنا وربما سبوا الحريم والعيال ولا يبقوا منا على
انسان فانظر ما يكون عندك من الرأى والسلام قال محمد بن
هشام فلما ان سمع خالد منهم هذا الكلام وعلم ان هذه الامور
عظام حار وقال لهم يا بنو عمى أى شى هذا الكلام وأنا قد
اقسمت بأعظم الاقسام والا كان نحرنى الملك قيس نحر الاغنام
وما يمكننى ان أغدر فى الايمان يا بنو الاعمام وأكون باغى غدار
ونحن فى هذا الانكسار والادبار ويبقى علينا العتب والملام وأنتم
تعلموا ان أعظم حسرتى قطع بنى عبس وأثر بنى زهير ولكن
الزمان قد خانى والرب العظيم قد خذلنى ولا أعاننى ولا بد ما أبذل

المجهود فى معاداتهم وأجمع كل من له عليهم دم وأوعدهم
بالاموال لهلاك ساداتهم والابطال وأبذل للعربان والفرسان
كلما تملك يدى من الحطام والاموال حتى أقلع أثر بنى عبس وأبلغ
منهم الآمال وأترك ديارهم العامره قفرا خرابا أو أبقى طريحا على
الرمال فقالوا سادات بنو عامر وقد طابت نفوسهم بكلامه
ان كان الامر كذلك وأردت أن تفدى ايمانك وأقسامك حلف
هذين الاسيرين وخذ عليهما العهد والميثاق انهم يرحلان عنا
فى هذا العام ويمضوا بأهلهم عنا بسلام وان لم يحلفوا لنا والا
صلبناهم على قرون الجبال وانتقمنا منهم غايه الانتقام ثم دبرنا
نحن أمورنا بما يعود به علينا الصلاح فقال لهم خالد هذا رأى صواب
وأنا أطاوعكم عليه (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك الكلام
أحضروا مالك وعمارة وكان عمارة مجروح جرح وثيق فلما حضروا
قص عليهم خالد القصة وما قد جرى من قومه وعرفهم ان قومه قد
اختلفوا عليه وعولوا على صلبكم ان لم تحلفوا لهم انكم ترحلوا
عنهم بقومكم من هذه الديار وتكفوهم شركم وتصبروا عليهم
بقية هذا العام وان لم تفعلوا ذلك وتطاوعوهم والا ما أطلقوكم
ولوانهم جرعوا كاسات الحمام (قال مجد) فلما ان سمع مالك وعمارة
ذلك الكلام أجابوا وقد حلفوا لما ان عاينوا الاهوال والهلاك
وما صدقوا بالخلاص من قيد الاقفاص فعند ذلك حلوهم وأنزلوهم
عن الجبال وقد أركبوهم على جوادين وصيروهم مكرومين قال
ولما وصلوا الى بنى عبس حدثوهم بما جرى لهم من القوم فقال الملك
قيس لعن الله بنى عامر لان الغدر فعالهم والخبث أبدا خصالهم فقال
الربيع والله يا ملك ما لخالد عندى فى هذه النوبة ذنب لاننا لو كنا

خليناه فى الوثاق وأرسلناه اليهم فى الفداء لكان صواب والآن فما خلاص أخيك الامن فم الاسد والا كانوا قتلوهم وربما خلاص منا الاسرى ولكن كان الذى كان ومابقى غير الرحيل والصبر الى أن تنقضى هذه المدة المقدرة وبعد ذلك ندبر على قدر مانرى ومانسمع لان خالدلا بدله من مكاتبة القبائل ونحن فى هذه النوبة الثانيه نقطع منهم الآثار ونخرب منه المنازل والديار (قال الراوى) فلما ان سمع الملك قيس من الربيع هذا المقال استصوب رأيه وأمر بنى عبس بالرحيل ثم انه رحل وقد علم أن بنو عامر فى رؤس الجبال وانه ما يبلغ منهم آمال اذ هو قائم فى ذلك الاطلال فسار يطلب الديار واخوته والكل من حوله وعنتر وعروة فى المقدمة وليس لهم غرض فى هذا الصلح مع هذا القوم والرحيل عنهم غير انه قد علم ان الملك قيس مادام مشغول القلب بحزنه على أبيه يطلب الثار من خالد بن جعفر ولا يقدر يتكلم فى أمر عبلة ولا يطلبها وكان الآخر أيضا عنده من هم الملك زهير غم عظيم فصبر وهو على ماهو عليه وقد سار وهو يذكر ماجرى له ولقومه ويذم الزمان ونوائب الحدثان التى قد تعرضت له من دون سائر العربان فأشار ينشد ويقول

ألا يا عبلة قد ذهب اتعابى * وطال زمان هجرك فى عذابى
وصعب هواك ينمو كل يوم * كما ينمو أمشيب الشباب
عدلت صروف دهرى فيك حتى * فنى عمرى وصبرى فى عتاب
ولاقيت العنا وحفظت قوما * أهانونى ولم يرعوا جنابى
سلى يا عبلة عنا يوم زرنا * قبائل عامر وبنى كلاب
وكم من فارس خليت ملقا * خضيب الراحتين بلا اخضاب
يحرك رجله عبثا وفيه * سنان الرمح يلمع كالشهاب

وكم

وكم ليث أتى نحوى مذل ✿ بجــر قناته فوق التراب
ونادانى فكنت له مجيبا ✿ بطعن منصلى قبل الجواب
قتلنا منهــم مائتين صبرا ✿ وألفا بالقــلاع وبالرواب
أيفرح خالد بمصــاب قوم ✿ ويوم فنائه أعظم مصــاب

(قال الراوى) ومازالوا القوم يقطعون الارض والبلاد وهم طالبين الديار ليلا ونهار وعنتر يحرسهم فى الليل الى أن يطلع النهار وهو سائر على مقدمتهم الى أن قاربوا أرضهم وبقى بينهم و بين أهلهم ليلة واحدة وقد باتوا تلك الليلة ولما ان أصبحوا عوّلوا على الرحيل فانتظروا عنتر فلم يجدوه ولا رأوا له خبر ولا وقفوا له على أثر فتحير الملك قيس من ذلك الحال وكذلك اخوته أما المبغضين فانهم قد تباشروا بهلاكه لاسيما الربيع وأخيه عمارة القوّاد وأبو عبلة مالك بن قراد فعند ذلك منع الملك قيس الناس عن الرحيل فى ذلك اليوم وقد أراد بالمقام كشف أخبار عنتر وقد أنفذ الخيل فى طلبه يمينا وشمال وأقام منتظرا مايكون من ذلك الحال وقد سارت الفرسان يتحدّثوا فى غيبة عنتر وأكثرهم يقول انه قد سبق الى الاحياء ليفوز بالحديث والنظر من بنت عمه عبلة وأبيها يسمع ذلك ومرارته تتفطر قال ولما كان عند المساء عادت الخيل خائبة وما فيهم من قال انه رآه ولا سمع له خبر فقال الملك قيس وحق ذمة العرب ما أبرح من هذا المنزل الى أن أبصر ماقد جرى لابن عمنا عنتر ونكشف حاله فقال عمارة لاجل زهلته على الملك قيس لانه زوج ابنة أخيه والله يا ملك ان هذا الذى قلته غير صايب وكيف تقيم سادات بنى عبس وعدنان تنتظر عبد اليس له قدر ولا شان فقال الملك قيس وقد اغتاظ من كلامه ويلك يا عمارة أى شىء

هذا الكلام أما تختشى أن تنسب ابن عمك فى غيبته للعبودية وهو
أمس قد خلصك من الاعتقال ولولاه لكانت نسوة عامر قطعوا قطع
الحطب للنار فوالله لو كان حاضر وتكلمت قدامه بهذا الكلام
ما أمنت عليك منه فقال عمارة واذلاه واضيماه من قولك ابن عمك
وادخاله فى حسبنا ونسبنا وحق الكعبة ان الموت دون ذلك
فقال له الملك قيس وقد أراد بذلك غيظه ثانى مرة أعظم من الاولى
ماهو الا ابن عمك ان شئت أو أبيت وأيضا هو سيدك وأنت له
تبع فاترك قولك هذا والبدع لانك ما أنت فى الحرب الا جبان
ما تنفع ولا لك فى الشجاعة مدخل ولا مطلع بل ان عينيك
من شدة الخوف تدمع وأنت لا تصلح الا طنجير مطبخ قم من قدامى
لا كنت ولا استكنت فلولاه ما كان ارتفع للقبيلة عامود
بيت فعندما نظر عمارة الى قيس وقد احمرت عينيه احس بانه لوث
على نفسه فقام ولعن أباه (قال الراوى) فلما سمع الربيع بن
زياد ذلك الكلام ذاب جسده وتفتت كبده لكن أخفى
الكمد وأظهر الجلد فقال لقيس يا ابن العم دع هذا الكلام
واترك أخى والحديث معه لانه كثير اللجاج والصواب اننا
نقيم فى انتظار ابن عمنا فان أتى والا رحلنا بالناس فانهم شكوا
من كثرة الشوق الى أهلهم واعلم ان فيهم جرحا فى أسوء حال من
الجراحات التى بهم وعنتر ما عليه خوف ولا حذر ولا بد ما نلحقه
فى الاحيا عند ابنة عمه عبلة وهو يحظى منها بالحديث والنظر
والمقال ويغتنم غيبة الرجال عن الاحيا طول ما هو خالى من
العوارض (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من
الربيع بن زياد الكثير اللجاج فعلم مقصوده فما أمكنه المقام بل انه

أمر بالرحيل فرحل بالناس عند السحر وهو مشغول القلب لغيبة
عنتر لان ما أعطاه أحد عنه خبر فقال الملك قيس والله انهم
قد ظلموا الرجل لانهم قد تحدثوا فيه بشيء ما فعله ولا تدعه مروءته
ان يفعل ذلك (قال الراوي) وما زالوا سائرين الى أن أشرفوا على
الديار فأرسلوا من يبشر بقدومهم وسلامتهم ولم يزالوا يجدون
المسير والترحال الى أن دخلوا الى الديار وفرحت المقيمين بالقادمين
وبعدما استقروا بالابيات سمع مالك أبو عبلة كلاما من بعض
الاماء بما جرى لابنته مع عنتر لما رحلت السادات الى غزو
بني الاشرار وقت ما خلت الديار فدخل على زوجته وفي قلبه
لهيب النار وسل عليها الحسام البتار وقال لها يا الخنا كل هذا
منك وانتي تحسني لعبلة الوقوف قدام عنتر صاحب الوجه
الاغبر كلما غاب أو حضر وتطالبيه بالهدية كلما قدم من سفرته
والاموال وتأمريها تضحك في وجهه ولا تتركي رأس تنشال
ثم انه عول أن يضربها بالحسام فرقت له في الكلام وقالت له
والله يا ابن العم أنا ما فعلت هذه الفعال الا المار أيتك ملت للرجل
وأنعمت له بالزواج ومكنته من الدخول عليها والخروج قبل
مسيره مع أسيد بن جزيمة الى بلاد اليمن والآن ما دام قلبك قد تغير
عليه ما بقيت أرجع أمكن ابنتي من نظره ولا من الوصول اليه
فقال لها مالك يا الخنا أنا ما كنت أفعل ذلك الا من أجل الملك زهير
وولده شاس والآن فما بقي أحد يشهد لهذا العبد الولد الزنا ولا
يرفع له راس وأنا ما أزوج ابنتي الا لمن يكون سيد من سادات
العرب وغلام صنديد ولا أزوجها الا قل العبيد على ان عنتر اليوم
في العدم وما أقول انه بقي يسلم ولا بد له في هذه النوبة من شرب

كأس النقم وان سلم وعاد وسمعت ان واحدة منكن أرسلت
اليه أوسلمت عليه أوكلمته بكلام قطعت رأسها بهذا الحسام
أي وحق البيت الحرام (قال الراوى) ومن الغد أتى حذيفة بن
بدر واخوته ومعه جماعة من بنى فزارة ووجوه عشيرته وهنوا
قيس بالنصر على بنى عامر فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبر خالد
ابن جعفر وسلامته وقال يا بنى عمى لاتهنونى الابعد قتله لانه
لايتركنا ولابد ما يجمع علينا الابطال والقبائل ويبذل فى قتالنا
المجهود فقال حذيفة اذا فعل ذلك يا ملك كنا نحن ومن نقدر عليه
لك وبين يديك فشكر قيس على مقاله ودعى له ولرجاله وعمل
وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأحضر سادات بنى عبس وعدنان
وفزارة وغطفان وعلم حذيفة بقدوم عنتر فاستوحش له وأظهر
خلاف ما أضمر وأخذ الناس فى أكل الطعام وشرب المدام
ومناشدة الاشعار حتى نصف النهار واذا بصياح قد عم سائر
الاقطار وكان الصياح يدل على فرح واستبشار فقال الملك قيس
ما الخبر فقالوا له يا ملك لك البشارة قد أتى شيبوب الغضنفر أخو
أبا الفوارس عنتر وهو قادم عليك يعلمك بالحال وعن سبب غيبته
وماجرى له من الامور الثقال فقال الملك قيس أحق ما تقولون قالوا
أى وحق من لاتحيط به الظنون (قال الراوى) فبينما هو فى الكلام
مع الجماعة والكل مجتمعون فى ذلك الساعة على شرب المدام واذا
بالامير عنتر قد قدم ووصل وعينه تقدح الشرر من شدة غيظه
لان عروة كان قد حدثه بما جرى ومافعل الملك قيس وبما تكلموا
فى حقه الحساد والاضداد وكيف عايره عمارة بالعبودية والسواد
ولما ان عبر على الملك قيس والجماعة قاموا له الجميع الرفيع

منهم والوضيع وقد خرجوا من الابيات ولاقوه وسلموا عليه وهو
على صهوة الجواد فأبصروا على درعه دما طريا فسألوه عن حاله
وعن سبب غيبته فقال لهم اعلموا أن السبب فى غيبتى هوانى
كنت فى خدمة من لا يستحق أن يخدم ولا يرفع له رأس ولا يعلو له
قدر لانه خبيث الطبع ردى الاصل والفرع ولا يزال يسبنى
بلسانه فلا يرجع حتى أهدم بهذا السيف أركانه فقال له
الملك قيس يا أبا الفوارس أى شىء هذا الكلام المبهم فقال الامير
عنتر يا ملك عبس وعدنان اسمع حديثى وتبين خبرى وان
كنت مستحقا ما يقولون فى حقى فقال له الملك بين السادات وضحه
لنا حتى اننا نسمعه فقال له الامير عنتر أيها الملك وهوانكم
ليلة ما فقدتمونى وأنا فى الحرس فقد كنت تباعدت فى البر خوفا
عليكم من الشر ومن لص أو طارق يطرقكم فبينما أنا كذلك
اذ لاح لى شبح مخاطر فتثبته فاذا هو رجل أعرابى وهو راكب على
مطية تسعى به تحت ظلام الليل فى تلك البريه وهى كأنها ذكر
النعام فصرخت عليه وقربت منه فوقف وقال ما تريد منى دعنى
أمضى الى حال سبيلى فسألته عن حاله وما الذى جرى له فعندها
اطمأن قلبه وقال لى يا فتى اعلم انى رجل مظلوم وأنا قاصد الى
ديار بنى عبس لصديق لى يقال له الربيع بن زياد أسأله أن يعيننى
على كشف ظلامتى لان بينى وبينه صداقه وذمام من مدة شهور
وأعوام (قال الراوى) فلما ان سمعت منه يا ملك ذلك الكلام
فقلت له بذمة العرب ما الذى جرى عليك وما قد أصابك
أخبرنى به واعلم فاننى أنا عبد الربيع بن زياد وانه قد أنفذنى
فى أمرهم فقال يا فتى اعلم انى أنا يقال لى بشارة بن معبد ولى بنت

قد خطبت مني فأنعمت بها على من أرسل لي بسببها فأخذت
من مالي مائة ناقة وسرت بها طالبا وادي النقا وقد أردت أن أبيعها
وأشتري بها ثيابا وطيبا لأجمل به حال ابنتي وأستر عورتي فبينما
أنا سائر فلقيتني خيل غائرة آخر النهار فطلبتني وقد أخذوا
النوق مني وقد هربت أنا على ظهر هذا النجيب وسلمت من
القتل والتعذيب واني كنت قبل هروبي عرفت القوم وعلمت
انهم من بني كنانه ولما قربت الآن من بني عبس قلت في نفسي
اني أسير الى صديقي الربيع ابن زياد واسأله ان يركب معي
في جماعة من قومه الاجواد ويخلص لي منهم مالي ويكشف عني
سوء حالي ويجيب سؤالي والآن قد لحقتني أنت وأعقتني عن المسير
وقد ذكرت لي انك عبد لصديقي الربيع فان كنت كما ذكرت
فابصر ما قد تفعل في حقي فلما ان سمعت حديثه يا ملك بني عبس
قلت له ابشر بقرب الطريق وأعلم انني انا أنوب عنه لانه مولاي
ولا أدعك تسير اليه والآن سر قدامي وأوصلني الى أعداك حتى
أبلغك منهم مناك فعندها عاد بين يدي راجعا وأنا أركض خلفه
وما زلنا على ذلك الحال من أول الليل الى أن طلع الفجر وقد بان
ضياه فلحقناهم عند طلوع الشمس على ماء يقال له قرير وارض النقير
وكانوا أربعين فارس فلما ان تميزتهم وعلمت عدتهم حملت عليهم
وقتلت منهم خمسة وعشرين فانهزم الباقون فعندها يا ملك أخذت
جميع ما كان معهم للرجل وأيضا جمعت اسلاب القتلى وجمعت
الخيول الشاردة ودفعتها لذلك الرجل وقلت له خذ هذه الاسلاب
والخيل وبعها وتساعد بثمنها على حالك واشكر مولاي الربيع على
ذلك الصنيع وتركته وعدت عنه بعد أن أوصلته الى مكان يأمن فيه

وقد

وقد بنيت لك بيت مجد وحزت لك فيه شكرا وحمدا هذا وقد سمعتهم يذكرونني بالخيانة وانهم يعايرونني بالسواد فهذا جزاء من يفعل هذه الفعال وبهذا تعرف أولاد الزنا من أولاد الحلال (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك الكلام التفت الى عمارة وقال له ويلك ياعمارة الكلب الى متى هذا التعدى يا ابن زياد فوحق ذمة العرب الاجواد ومن كسى الليل حلة السواد وجعل النهار معاشا للعباد وقد تنزه عن الزوجة والاولاد وأنبع الماء من الجماد ان لم تنتهى عن الفساد وتحسن خصالك وترفع العناد ولاقطعن بسيفي هذا أوصالك وأعجل الى المقابر ارتحالك (قال الراوى) فلما ان سمع الامير عماره من عنتر ذلك الكلام وكان جالسا بين اخوته والخمرة قد لعبت فى رأسه فاستحى من ندمائه وجلاسه وقد قام قائما على قدميه وسل حسامه وقال لعنتر ويلك ياولد الزنى وتربية الامة اللخناء ايش الذى بلغ من قدرك حتى تقابلنى بهذا المقال قدام سادات عدنان ولى مثلك ألف عبد فى المرعى سوى غيرهم من الغلمان ثم ان الامير عماره قد طلبه والسيف فى يده مشتهر فقامت اليه الرجال وقد دارت به الابطال فعندها صاح به أخوه الربيع وتقدم الى نحوه وقد لطمه ودهاه وأخذ السيف من يده وقال له ويلك ياندل يكون جزاء ابن عمنا منك هذا الامر وقد بذل نفسه من دوننا وخدمنا حق الخدمة (قال الراوى) هذا كله يجرا من الربيع وعنتر يقول والله ياعمارة الكلب ما أريدك ان تسل حسامك وتطلبنى الا فى قفر خالى ما فيه أحد غيرانا وأنت ولا يكون معى غير عصاى التى كنت أرعى بها الجمال حتى تسمع مايكون بيننا من الفعال ويحققون فعالى من فعالك ثم انه بعد ذلك قلب

عنان جواده وطلب الى قومه وابياته وقد استحى من قيس
أن يتفرقوا الناس عنه وتكدر عليه وليمته (قال الراوى) ولما
وصل تلقته أمه زبيبه وهى باكية العين فرحة باللقاء لانها كانت
حزينة فى طول غيبته وما صدقت ان تراه سالم فارادت ان تعانقه
وتبل شوقها منه فدفعها فى صدرها ألقاها على ظهرها من شدة
غيظه منها وقال لها اذهبى عنى يا الخنا فلولا كى ما عايرونى بالعبوديه
والخنا فقالت له زبيبه وقد زاد بكاها يا ولدى وأنا أيش ذنبى حتى
تفعل بى هذه الفعال وأنا ما أريد الآن تكون قدام عينى ترعى
النوق والجمال وتستريح من القيل والقال وتكون عندى بالليل
والنهار فيكون أحب الى من الشجاعه والفروسيه ومن رميك
لنفسك فى النار الحميه والآن قد مضى ما مضى وما بقى الان تقتلنى
لعل ان يمحى عنك اسم العبوديه وتأخذ لك أما غيرى تكون
عربيه لعل ان تبقى سيدا من السادات المسميه (قال الراوى)
فلما سمع عنتر كلامها رق لحالها وجبر قلبها وأما عمارة بن زياد واخيه
الربيع الكياد فانهم لما خرج عنتر من الوليمة وهو حردان صار الملك
قيس من أمرهم حيران فطيب قلبه الربيع وقال له يا ملك هذا أمر
لا يتم ولا يتصور ما دام ان العداوة قد وقعت مع أخى وعنتر وقد
خطر ببالى له خاطر وهو صواب وأريد ان أفعله وبه تتم الاسباب
وينفصل هذا الامر وينطفى ذلك الشر ولكن يا ملك الزمان اليوم
يوم خمر وغدا لله الامر لاسيما وعندك سادات بنى بدر والصواب
تمام السرور معهم ودفع العتب عنهم (قال الراوى) ثم انهم عادوا
الى ما كانوا فيه من شرب المدام والفرح الى ان ولى النهار وأقبل
الظلام ورحل حذيفة عند الصباح الى أهله وبنى عمه وأما الربيع

ابن

108

ابن زياد فانه دعا اخوته ورفع خيامه ورحل بجميع بني عمه وأتباعه بالكليه الى وادى يقال له وادى اليعموريه وقال وحق ذمة العرب لاجاورت أنا قيس بعدها أبدا مادام عنتر في جوارهم لانه سب أخي عماره وطعن في انسابنا بكل لسان وما كلامه فيه قيس ولانهاه وكأن هذا القول منه في حقنا قد أرضاه (قال الراوى) وكان الربيع ابن زياد شيخ من مشايخ بنى عبس الكبار وكان الملك قيس صهره كما قد ذكرنا فاتبعه من بنى عبس أوفى من خمسمائة بيت وخمسمائة فارس ونزلوا معه في الوادى المذكور وكانوا كلهم يكرهوا عنتر فبلغ قيس ذلك الخبر فصعب عليه وكبر لديه فقال لاخوته ووجوه عشرته الايا بنو الاعمام ان ابن الملك زهير في حال حياته قد رضى عنتر بن عمه والحقه بنسبه ونقله من رق العبوديه الى النسب والحريه وعنتر وعمارة اذا اجتمعوا فرقوا شمل العشيرة وفرقتهم خير من اجتماعهم قال ثم انه أقام وقلبه قوى بعنتر وكونه في الحى وما أنكر على الربيع فعاله ولا عتب عليه ولا أتعب حاله بل صار يمضى الى وادى اليعموريه ويداريه لاجل القرابه التى بينهم ولاجل الرجال لذى رحلت معه قال وكان الذى رحل مع الربيع ابن زياد غالب فرسان الحى الجياد وأما عنتر ابن شداد فانه كان قد سمع بما قد جرى لعمه مالك ابن قراد مع زوجته وكيف أراد قتلها والكلام الذى تقدم مما وعته اذانكم أيها السادة الاجواد فعاد عنتر يدخل أبياته ولا يلم بساحاته خوفا على قلب الاميره عبلة من الذبله (قال الراوى) هذا كله يجرى وقيس ابن زهير كان منتظرا لما بينه وبين بنى عامر ويراعى أخبار خالد بن جعفر الى أن وصل اليه

الخبر انه طرح روحه على شيخ العرب دريد ابن الصمة أمير العرب وكبيرها سيد بنى هوازن وجشم وهمدان وأوحد العصر والاوان وانه وعده ان يكاتب القبائل والفرسان ويأمرها بطاعته والمسارعة الى خدمته ويعينه من عنده بعشرة الاف فارس أبطال (قال الراوى) وكان دريد ابن الصمه من جملة المعمرين لانه عاش عمرا طويلا وهو الذى بلغ من العمر أربعمائة وخمسين سنه من سنين هذا الزمان قال وكانت سائر العرب تسميه رحاة الحرب وتطيعه فى كل أمر صعب لاجل الكبر فى السن ولاجل الشجاعه وحسن التدبير (قال الراوى) الا أن قيس لما سمع هذا الخبر صعب عليه وكبر لديه وتحير وقال هذا والله هو القلق الاكبر ثم جمع بين يديه سائر الفرسان من بنى عبس وعدنان وأخبرهم بما قد سمع من ذلك الامر والخبر من جهة دريد بن الصمه وحلية الاثر فمنهم الامن خاف وأنذعر لكن أخفوا الكمد وأظهروا الجلد الا أنهم قالوا يا ملك لو أنه سار الينا بكل من فى الدنيا من الابطال والفرسان ما منعنا الاقدام حريمنا والنسوان فعند ذلك قال عنتر ابن شداد لا تخف أيها الملك من أحد من ابناء الزمان فدعه يجهد جهده ويجمع ما عنده فلو انه أتى ومعه النمروذ بن كنعان أو جميع الانس والجان لمحقت آثارهم وحق مكون الاكوان فطب نفسا وقر عينا فوتربة أبيك الملك زهير لا أتلقاه الا فى ألفين فارس من الاصحاب وآتيك براسه والاسلاب وأهلك كل من معه ولو ان الانس والجن تتبعه فطاب قلب الملك قيس بذلك الكلام وأخذ فى أهبة الحرب والصدام (قال الراوى) وكان الملك قيس قد افتقد آلة السلاح فلقيها

قليلة فاوصى عنتر بالحى وترك عمه أسيد مكانه وأخذ معه أموالا
ونوقا وجمالا وسار فى مائة صنديد يطلب يثرب ليشترى منها سلاح
وآلة حرب وكفاح قال وكانت يثرب قريبة من الديار وكان الحاكم
عليها يومئذ احيحه ابن الجلاح اليثربى وهو أخو عبد المطلب من
أمه وكان بينه وبين قيس صداقة ومودة ومكاتبة من أيام أبيه
(قال الراوى) فلما وصل قيس الى يثرب نزل فى منزله ففرح به أحيحه
وأكرمه غاية الاكرام وسأله عن حاله فاخبره انه أتى لاجل شراء
سلاح (قال الراوى) وكان قيس قد سمع ان عنده درعا داوديا
سابغة كثيرة العدد ضيقة الزرد كأنها عيون الجرد ما اقتنى
مثلها أحد من ملوك العرب وهى أحسن من سائر العدد فعند
ذلك قال قيس يا أمير أحيحه أنا قد بلغنى ان عندك درعا داوديا قد
هام قلبى بها وأريد منك أن تبيعها لى أو تهبنى اياها وتبلغ روحى
مناها حتى القى بها الاعداء وافتخر بها على طول المدا وأعوضك
أمثالها ما بقيت روحى فى جثمانها قال فلما سمع أحيحه ذلك منه تبسم
وقال يا سيد بنى عبس من أفضل منى حتى انى أبيعه درعى ولم يكن
أحد غيرى لها أهلا على انى والله العظيم والرب القديم لولا أخاف
من مذمة خالد بن جعفر ما عدت الا وهى معك لاجل قولك اهدها
الى لانى ما أعرف منذ عمرى انى رددت سائلا سألنى عن حاجة
ولو كانت روحى لوهبتها اليه من غير لجاجه فقال قيس أيها الامير
والسيد الخطير كيف يذمك خالد بن جعفر اذا انت اعطيتنى اياها
فقال لانه قد قصدنى فيها وطلبها منى ومدحنى بابيات من الشعر
وما سمحت له بها لما علمت انه يقاتلك بل عوضته شيأ من السلاح
غيرها وصرفته بجميل وأخاف اذا وهبتك اياها يرجع يذكرنى

بعدها بالقبيح على لسان كل فصيح فقال قيس أيها الامير وما الذى
قاله خالد بن جعفر من الشعر النضير قال قال هذه الابيات

اذا ما طلبت العز من آل يثرب * فنادى أبا عمرو أحيحة يسمع
وقم تحت ظـــل اليثربى فانه * اذا قمت فيه خاف بأسك تبع
وابصرت انسانا على نور وجهه * لشام تغيب الشمس فيه وتطلع
بنى فى العـــلى والمجد والفخر منزلا
له فوق اكناف السما كين موضع
اذا هز فى يوم الكريهة سيفه
رأيت شعاع الشمس فى السيف يلمع
وان وهبت كفاه فالغيث هاطل * يدوم عطاه والسحابة تطلع
ويأمن فى أبياته كل خائف
ويشبع من جدواه من ليس يشبع
خصائل كانت للجلاح قديمة * فصار عليها ابنـــه يتبع

(قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام والشعر والنظام
قال له والله ما بقى عليك يا امير ملام ثم انه أقام عنده تمام الثلاثة
أيام ساعيا فى طلب ماله من القصد والمرام فلما اشترى ما يريد
ورجع الى يثرب مسكه احيحة وقال له يا قيس بت عندى هذه
الليلة فانى بعد ما مضيت خطر لى خاطر واظن فيه الصلاح لك ولا بد
ان أطلعك عليه وأخبرك اياه ثم انه فى الحال نحر له الابل وأحضر له
الطعام وآنية المدام وشرب معه قيس حتى أمسى المسا ولما
أخذت الخمرة بعض عقله وطاش لبه أشار الى قيس ينشد
ويقول شعرا

ألا يا قيس لا يسام درعى * فتلى لا يساوم فى الدروع

ولولا

ولولا انني عوّدت روحي * عوائد صاحب النسب الرفيع
وهبتك مثلها عشرا ومهرا * أسيل الخدّ محبوك الضلوع
ولكن أخاف يسب عرضي * وينفر قلب خالد من صنيع
فساومني عليها واشترها * كما تشترى البضاعة للبيوت
ليقبل خالدا في الدرع عذري * وتحضى أنت بالدرع المنيع

(قال الراوي) وكانت هذه الزردية تسمى الوشاحية وفي لغة أخرى تسميها العرب ذات المواشيح وتقوّمها بمائة ناقة سود الحدق حمر الوبر فلما سمع قيس ذلك الكلام علم مراده وعلم انه لايشتهي ان يسمع خالد انه خيب شعره وردّه عليه ووهب السلاح لعدوه فعذره في ذلك وأقام عنده الى أن أصبح الصباح وقدم له باقي ما عنده من الاموال كلها وقال أنا أعلم ان قيمتها أعظم من ذلك وأوفي مما بذلت لك وانما أنت قد أهديتها الي فقال أحيحة بن الجلاح يا قيس والله لقد ندمت حيث قصدتني فيها في الاوّل وما قضيت حاجتك وبقي في قلبي من ذلك أثر فما صدقت أراك لأبلغك منها مناك وأسر قلبك وأطيل هناك ولا ترجع تذمني ولا تقطع ما بيني وبينك من النسب والصداقة والآن قد بعتك درعي بهذه الناقة وآخذ من نوق الملك قيس ناقة واحدة وأعطاه بقية المال والدرع وأراد أن يشاع البيع في الظاهر وهدية في الباطن وبعد ذلك رحل قيس فعجب اهل يثرب من ذلك وقالوا والله لقد سمحت نفس أحيحة بما لاتسمح به الفرسان ولا ملوك الزمان ولا اقتنى مثلها التبع حسان (قال الراوي) هذا وقيس قد جدّ في المسير وما وسعته الدنيا من شدّة فرحه ومازال سائرا على هذا الحال حتى قرب من الحي والاطلال فأنفذ

السلاح الذى اشتراه مع الفرسان المسميه وجدّ فى سيره الى أن
وصل وادى اليموريه الذى نزل فيها الربيع بن زياد وكان ذلك
فى أواخر الشتاء فبلغ الخبر للربيع بن زياد فخرج الى قيس
فاستقبله وسأله عن خالد بن جعفر فقال له قيس وأنت يا ربيع
ما فى نيتك ان تشد معنا اذا أتى خالد بن جعفر وما سمعت بالجمع الذى
جمعه فقال له الربيع بلى يا مالك قد سمعت انه طرح نفسه على شيخ
العرب دريد بن الصمه وقد ضمن له هلاكك وهلاك بنى عبس اجمع
والشتاء قد انصرف وما بقى غير أخذ الثار وكشف العار
ولقاء بنى عامر وجشم الفجار لانهم لنا كلهم فى الطلب وهم
أشد عداوة لنا من جميع العرب وان لم يشد بعضنا البعض
والا شمتت بنا العرب فقال له قيس جزاك الله خيرا يا ابن العم وأنا
ما عبرت ههنا الا لابصر ما فى قلبك قال وضرب قيس كفل ناقته
وأراد ان يسير فمسكه الربيع وقد رأى الحقيبه ملآنه فقال له
يا قيس أى شىء فى حقيبتك وأى السلاح الذى اشتريته لنا حتى
نقاتل به الاعداء فقال قيس يا ابن العم السلاح قد مضى قدامى الى
الاحياء وأما الذى فى حقيبتى هذا شىء ما أبصرته عمرك ولا اقتنت
الملوك مثله لا قريب ولا بعيد لانه أعجب من كل شىء عجب فتبسم
الربيع وقال والله يا قيس لقد علقت قلبى وما أدعك حتى أبصر
ما معك ولا يكن فى قلبى حسره قال فعند ذلك أناخ قيس
ناقته وأخرج الدرع من حقيبته فقال له الربيع ومن أين
وقعت بهذا الدرع وهو من دروع القدما ولا يقدر على مثلها أحد
فقال قيس نعم هذا درع أحيحه اليثربى لانى نزلت عنده فأضافنى
وأكرمنى غاية الاكرام وطلبتها منه فأهداها الى فقال الربيع

والله

والله يا ابن العم لقد سمحت نفس هذا الرجل بما لا تسمح به نفوس الرجال فقال قيس نعم وحق الكعبة الحرام لو سألته في ولده لكان أعطاني اياه لاجل ما بيني وبينه من المودة فقال الربيع لقد وهب وتكرم (قال الراوي) وكان الربيع رجلاً اطول من سائر الرجال عريض الاكتاف والاوصال فأخذ الدرع ولبسها فاذا هي سابغة الى كعبه فهام بها وتمشى ودخل الى خباه وعاد وقد تقلد بسيفه وقال يا قيس ان هذه أعجوبة عند الرفيع والوضيع والمال الحلال لا يضيع لان هذا الدرع مني سرق والى رجع والا التي أعداك الا فيها ولا أجد أحسن منها ثم انه مد يده الى قائم السيف جرده فرأى قيس الشر يلوح من وجهه فقال قيس يا ابن زياد أي شيء هذا التعدي تدعي الباطل وتتبع الغدر وتبيع ما بيني وبينك من القرابة بهذا القدر وضحك الربيع وقال لا وحياتك يا قيس الا هذا درعي وأريد أن تحدثني بحديثها وكيف وصلت اليك والا أتهمتك بها وهذه علامتي فيها بهذا الجرب الذي في ذيلها (قال الراوي) ثم ان الربيع بن زياد معدن المكر والخبث والكياد همهم ودمدم وأخذ بالشعر يترنم

يا قيس درعي لا أبيع ولا أهب * معروفة لكافة أحياء العرب
وما أنا ممن اذا قال كذب * عرفتها وحق من عنا احتجب
أحدث فيها الدهر شيأ من عجب * علامة أوضح من كل نسب
ولولا قرب ما بيننا من النسب * حلت فيك حرمة شهر رجب

(قال الراوي) فلما سمع قيس كلامه أجابه على شعره

تريد تأخذ درعي باغي * بالزور والبهتان والقول الوبي
درع أحيحة ابن جلاح اليثربي * دع عنك ذا القول فهو أحلام صبي

وحق من اغسق جنح الغيهب * لست أخليهـا ولو كنت أبي

(قال الراوى) ثم تلاججا فى الكلام وكثر بينهما الخصام واجتمع عليهما الرجال وصار اخوة الربيع يضحكون على قيس كلما رأوه برق فى الكلام وعمارة يقول له ويلك يا ابن العم ان أخى يمزح معك فارجع الى أهلك ونحن نرسلها اعندك والا ارسل حاميتك عنتر يخلصها لك فعند ذلك امتلأ قلبه غيظا وحنق وعلم ان القوم يريدون الشر فعطف عنهم راجعا ولحق باهله وكتم غيظه قال ولما وصل الى الحى حدثت ابنة الربيع وكانت زوجته كما قدمنا وقال لها يا ابنة الربيع والله لقد وقعت مع أبيك فى أمر شنيع لاننى ان تركت الدرع لابيك شاع خبرها عند كل العرب وعايرنى بذلك أهل المنازل والرتب ويقولون ماقدر على خلاص درعه وقد أخذ منه غصبا وأنا لا ارضا بالشر يقع بيننا مع هذه الاخبار الذى سمعناها عن أعدانا ويكون ذلك سببا لقلعنا وفنانا الان أبيكى اليوم فى جماعة كثيرة من أهل القبيلة وما القا خالد بن جعفر الابهم وكان الملك قيس له بنت من بنت الربيع بن زياد وكانت أعقل أهل زمانها فى الفصاحة والادب وتقول الشعر على الحاضر فى جميع العشاير ولها العقل الوافر زائدة فى الحسن والجمال يا أبتاه أنا أرد عليك الدرع ولا تعرفه الامى لان جدى يحبنى واذا نام فى خيامنا ما ينام الا عندى وأقول اننى اذا قصدته لا يخيب قصدى فقال لها أبوها الملك قيس افعلى ما بدالك نجح الله أفعالك فعندها ركبت ناقتها وأخذت معها جماعة من العبيد والاماء وسارت تجد السير الى وادى اليعمورية ودخلت على جدها الربيع وكان يحبها محبة عظيمة لاجل ما فيها من فصاحة اللسان وحسن البيان (قال الراوى) ولما رآها جدها

112

الربيع علم بحاله ولا شيء قدمت فقام اليها وسلم عليها وضمها الى صدره واقعدها في حجره وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها فقالت وقد فرحت بذلك الاكرام يا جداه ردّ على أبي درعه واقبل سؤالي فيه لانه كدر عيش أمي بهذا السبب وعاداها من أجلك وحلف انه لا يغسل ثوبه ولا أحد منا يعبر عليه الا أن رجع درعه اليه فقال الربيع يا جمانة وحيات عينيكي لو صبر لرددته اليه ولكن أقول انه أقدمني على الشر وأكثر فيه اللجاج لاسيما وأبعدني وقرب عبد شداد ومن حين رحلت ما سأل عني ولا ترضاني فقالت جمانة يا جدي بحياتي ردّ الدرع على أبي واقبل سؤالي فيه والا يحصل بينكم الشر بسببه فقال الربيع وقد تبسم من مقالها يا جمانة وحق ذمة العرب ما كان في نيتي ان أرد الدرع على أبيك ولا التي الاعداء الا بها ولكن لا أخيب رجاك وأنا ألتقي خالد وبنو عامر في الدرع وأرده بعد ذلك اليه اذا انفصل الحرب وأخذنا بالثار ويتفرغ القلب من هذه الاحوال (قال الراوي) فلما سمعت جمانة مقاله عرفت مكره واحتياله وقد علمت انه ما يرد الدرع وان الغدر بينهم يقع وان سؤالها ما نفع فتركت ماهي فيه من الطمع وباتت تلك الليلة عند جدها (قال الراوي) فلما أصبح الله بالصباح قامت مسرعة وركبت ناقتها وأخذت عبيدها وسارت وهي تنشد وتقول

أبي لا يرى أن يسلب اليوم درعه

وجدي يرى ان يسلب الدرع من أبي

فرأى أبي رأى الضنين برأيه ❋ وسيمة جدي سيمة الظالم الغبي

فلا ابن زهير تارك درعه له ❋ ولا ابن زياد ان رأى الصلح يعتبي

فيا قيس ترك الدرع أوفى * مروءة عليك من الحرب المشيب للصبى
ويا ابن زياد ردها ان حبستها * ستجلبها حرب عقبها الكم وبى
فانى أخاف اليوم عنترة الذى * يريد اقتناص الحرب لم يتجنبى
وأن يتولى الحرب يوما بنفسه * وأبطال عبس نحوه تتجنبى

(قال الاصمعى) رحمة الله عليه ولما وصلت الجمانة ابنة قيس الى بنى عبس دخلت على أبيها وأخبرته بما جرى بينها وبين جدها الربيع وقالت له بالله عليك يا أبى ان أمكنك أن تترك له الدرع فاتركه فانه بعد ما ردنى ما بقى يقبل سؤال أحد وان لاجبته لاجبلك وان قاتلته قاتلك وتتنغص عليك حياتك وتتكدر على نفسك فقال قيس وقد زاد به الحنق وتمنى انه لم يخلق يا جمانة وحق ذمة العرب والرب الذى عن عيون خلقه قد احتجب لا بد ان أقاتل جدك الربيع أشد المقاتله وأعامله أشر المعامله وأنا أقسم وحق البيت الحرام والرب الباقى على الدوام لا أغسل رأسى حتى أفرغ من جميع أعداى بالحسام (قال الراوى) وقد شاع الخبر فى الحله وقد استفجروا قيس بالجمله وتحدثوا الناس مع بعضهم بالامور الرديه فى حق قيس (قال الراوى) وكان عنتر قد أتى اليه فى أول قدومه وهناه بالسلامه وأبصر السلاح الذى اشتراه ولكنه ما أطلعه على ما جرى بينه وبين الربيع (قال الراوى) وبعد قليل من الزمان بلغ الحديث الى عنتر من عروة بن الورد فصعب ذلك الامر عليه واشتد غيظه وكبر لديه وأتى الى عند الملك قيس وعتب عليه وقال له لماذا صبرت على الذل ونحن بين يديك فوحق ذمة العرب لو كنت علمت بهذا الامر من أول النهار لكنت استخلصته لك فى أسرع وقت وكنت أخذتها غصبا وأثرت

من أجلها حربا وضربا وتركت وادي اليعمورية خربا (قال الراوي)
فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا الكلام تبسم له عجبا وأخذه
منه فرحا وطربا وقال له والله يا حامية عبس وأفرس من طلعت
عليه الشمس أنا ما حسبت الا هذا الحساب ولا رضيت أعمال
هذه الاسباب وأرحت نفسي من هذا العذاب وقد رأيت من
الصواب يا ابن العم السكوت عن هذا الامر حتى ننظر حال النامع
خالد بن جعفر وندبر لنا أمرا يكون به الفوز والنصر (قال الراوي)
فصعب هذا الامر على عنتر واستعجز قيس وعاد وهو يذمه ولما صار
في مضربه أحضر أخيه شيبوب الاغبر وقص عليه الخبر وشاوره
في هذا الامر المنكر وقال له والله يا ابن الام ما بي من أخذ الدرع
مثل ما بي من قول عمارة لقيس قل لحاميتك عنتر يأتي ويخلص لك
هذا الدرع لانك اتكلت عليه وصار حاميتك وأنا والله يا أخي لولا
قلب الملك قيس بن الملك زهير ما تركت النهار يتضاحى وفي وادي
اليعمورية من يخبر بحوذلك بل كنت أشفي غليلي من بني زياد
وعمارة القواد والربيع الكياد وأريد منك يا أخي ان تعاونني
ببعض التدبير لعل ينطفي ما بقلبي من نار السعير فقال شيبوب
يا أخي أنا ان شاء الله أدبرلك أحسن التدبير امضي معي في هذه
الليلة اذا نام أهل الحي ونامت الاماء والعبيد وتخمد النيران من
وادي اليعمورية وأنا أكمن بك في بعض نواحيه وأرصد بني زياد
فان ظفرنا بأحد منهم نلنا المراد ونأخذ الذي نملكه منهم ونخفيه
في مضاربنا والخيام وندعه في العذاب الشديد ونسلكه في سلك من
حديد ولا نزال نعذبه بالعذاب حتى يفدي نفسه منا بالدرع ولو اننا
نقتل نأخذه ولا نبالي بعد نفس غيره وتكون أنت قد بلغت المراد

وشفيت غليل الفؤاد وقيس اذارانا وقد رددنا درعه اليه فما
بعتمدنا ولو اننا قتلنا الذى نأخذ الدرع منه فقال عنتر والله يا أخى لقد
قلت الصواب وأتيت بشىء لا يعاب فلا عدمتك يا أبا رياح ولا
زلت بشير الافراح خاليا من الهم والاتراح افعل هذه العبارة لعل
يقع فى يدنا الربيع أو أخيه عماره وتكون سفرتنا ربح بلا خساره
وان صح لى هذا الامر شفيت غليلى منه ويخف بعذابه بعض ما بى من
اللهيب والكرب وأنا أرجوا ذلك من الله ربى (قال الراوى) ثم صبر
عنتر حتى دخل الليل وطلع نجم سهيل وخرج هو وأخوه شيبوب
وهم فى زى العبيد وما معهم الا السيوف والخناجر وهم يطلبون
الوادى المتقدم ذكره ويتخبون الطريق وشيبوب يدب به فى ظلام
الليل وما زالوا على ذلك حتى مضى نصف الليل الحالك وتوسطوا
الطريق والرمال وكان شيبوب سائرا وعينه تدور يمينا وشمالا
وهو يتحدث مع أخيه عنتر بن شداد واذا هو يرى بين يديه خيال
جواد وهو ينهش من هشيم البر وبين يديه انسان نائم وعليه
ثياب جليله وعمامة كبيرة وقد ثقل نومه وعلى غطيطه فقال
شيبوب يا ابن الام هذا رجل لا شك انه غريب من هذه الارض وقد
امسى عليه المساء فنام ثم انه تقدم اليه ووقف على رأسه وصاح
فيه فانزعج وقام وعينه مملوءة بالمنام وقال يا مولاى أراك الليلة
رجعت على عجل بخلاف الليالى الاول فهل قنعت من عبلة بنظر
وقضيت منها وطر والا وقعت عليك عين بشر وخفت على نفسك
من الخطر فقال له شيبوب وقد خفق قلبه لما سمع ذكر عبلة
هو وأخوه عنتر وقد هزا الحسام فى يديهما حتى دب الموت
من افرنده وقالا له ويلك يا ابن اللئام من تعنى بهذا الكلام ومن

انت

أنت من العرب اللئام ومن هى عبلة التى تذكرها بهذا الكلام
ومن هو مولاك الذى تذكره فى هذا الظلام فقال العبد وقد طار من
عينيه المنام لما أبصر بريق السيف فى جنح الظلام يا هذا تلطف
وأرفق بى فما أنا أمير ولا فارس خطير بل ما أنا الا عبد حقير
ومولاى رجل طنجير لا سلمه الله بين العباد يقال له عمارة بن
زياد وهذه ثيابه التى تراها على وعمامته التى على رأسى وهذا
سيفه وجواده فقال شيبوب والى أين مضى مولاك من الاماكن
وتركك هنا كامن فقال له وقد ظن انه من بعض العرب الغربا
والله يا سيدى ومولاى انه مضى الى بنى عبس ليفوز بالنظر الى
وجه عبلة بنت مالك بن قراد بلاه الله هو وهى بالضرر والانكاد
فقد أرعبتنى رعبة تقطع منى الاولاد ولا تزال من قلبى الى يوم
المعاد وهكذا كل قليل يأتى ولا يصيبه غير العناء والتعذيب
ويأخذنى ويسير من وادى اليعمور به آخر النهار ولا يزال يركض
بالجواد وأنا عن عنتر أصمنه الى أن يأتى الى هذا المكان ويخلع ثيابه
ويلبث ثيابى ويدخل الى خيام بنى قراد لينظر عبلة وما يعود
الا وقت السحر ويحلف لى انه ما وقع لها على أثر فقال له شيبوب
ويلك يا عبد السوء واذا دخل الى الخيام والمضارب تنكر عليه
عبيد القوم وتقبض عليه فقال العبد لا يا مولاى لان له هناك
اغراض كثيرة يرشيهم بالمال والكساوى فيخفوه بينهم اذا دخل
ويعاونوه على بلوغ الامل فقال شيبوب هذا حديث ما نعرفه
ولا ندريه وانما أنت من فزعك تخترعه أخلع الآن ثيابك التى
عليك وسلم الجواد الذى معك واغد الى حال سبيلك والا طار
يا هذا رأسك من بين كتفيك فى البر الاقفر وتحل بك الخساره

ولا نفعلك الربيع ولا أخيه عماره فقال له العبد يا مولاى من
تكن أنت من الناس فقال له شيبوب ما أنا الا من بعض العفاريت
الطياره اخلع ما عليك الآن والحق بأهلك يا هذا قبل أن تهلك
ونعجل من الدنيا فرقتك فلما سمع العبد هذا الكلام لاح له
وجه الحمام فتجرد لهم من ثيابه وخطى خطوة برجله والثانيه
سبقتها رأسه قال وكان عنتر أدركه عند انصرافه وضربه ضربة
رجل جبار واذا برأسه عن جسده قد طار فقال له شيبوب
ويلك يا أخي وأى شيء ذنب هذا المسكين فقال له عنتر ويلك
يا ابن الملعونة وأى ذنب أعظم من هذا أما تعلم ان ذنبه معاونته
لعمارة على نظره عبلة وأريد أحرم أحدا بعده ان يتبع عمارة ويعاونه
على بلوغ آماله والآن هذا أمر قد سهل وبقى أخذ مولاه عمارة
الصفيع وقد تخلص الدرع للملك قيس من عند الربيع بعد
أن أشتفى أنا من عمارة بالضرب الوجيع والرأى عندى اننا نعود
على اثره وأينما وجدناه قبضنا عليه فقال شيبوب لا يا أخي ما هذا
صواب لاني أخاف أن نخالفه فى الطريق لانه ما هو من أهل
الشجاعة والبراعه حتى انه يسلك الطريق الواضحه ويمشى
على الجادة من الخوف والحذر بل يأتى على غير طريق الحذر
حتى يفوز بالسلامة وحسن الظفر والرأى عندى اننا نقيم فى هذا
المكان واذا عاد نأخذه بامان ونسير من هذا المكان
ولا نكون فعلنا شيأ ثم أفسدناه (قال الراوى) ثم ان شيبوب
فى الحال قلع ثيابه ولبث ثياب العبد وانطرح مثل ما كان العبد
وسار عنتر الى البر وانعزل ومازال كذلك حتى بقى من الليل
الثلث الاخير واذا بالامير عمارة قد أقبل يهرول على عجل فلما

أبصره جواده صهل فقال له جئتك يا صهال بعد ما أشفيت
ما بقلبي بنظر عبلة من الامراض والاعلال ثم تقدم الى شيبوب
ووكزه بالعصا وقال له يا ابن الملعونة قم ما أكثر نومك لعن الله
قومك واخلع يا ويلك ثيابي قبل ما يدركنا الصباح قال ومن عجلة
عمارة وهجته قلع ثيابه التي هي للعبد وبقي عريانا وقد بان من
العورة ما بان وبان له فردتان مايخرجها قبان فعند ها أبصره
شيبوب على ذلك الحال فوثب اليه وثبة الاسد الغضنفر والسيف
في يمينه مجهر وقال له أدركناك يا قرنان يا غدار يا مكار وخلى عنك
ذكر العبيد والاحرار فقد وقعت في النار أبشر بالقتل والبوار
واعلم انك وقعت في قبضة جني طيار من عمار تلك القفار وسأجرعك
الموت بهذا البتار واذا بالامير عنتر قد جاءه وقبض على عظم
قفاه وكبس عليه أخرج عيناه ومن عظم ما تضايق من يده
سيب على نفسه خراه وبقي عبرة لمن يراه فعند ذلك تقدم اليه
شيبوب وقال له ويلك ما أقرب خراك لعن الله أبو حالك ثم وشحه
بالسوط الذي في يده فعند ذلك قال لهم عمارة يا وجوه العرب اطلبوا
مني الفداء فأنا سيد كبير أحكم على جمع كثير ويكون في علمكم
اني أنا عمارة بن زياد وأخي الربيع الجواد واذا لم تقبلوا عن نفسي
الفداء بالمال والاتخاصت منكم بلا ناقة ولا جمل ويهلككم أخي
الربيع ولو كنتم في أقصى الحلل فقال عنتر وقد أوجعه بالسوط
على جلده الناعم لاخير فيك ولا في الربيع أخيك ولا كنتم
ولا استكنتم فوحق ذمة العرب لابد لي أن أقطع جلدك بالضرب
وأشفي بعذابك قلبي وأحرمك أن تذكر عبلة مع الذاكرين
أو تزورها في زي العبيد المنافقين وأخلص بك الدرع الذي أخذ.

أخوك من قيس وقلت أنت له قل لحاميتك عنتر يخلصها لك ويلك
ان كنت لا تعرفني أنا أعرفك بنفسي يا ابن الاوغاد أنا عنتر بن
شداد كما أنت عمارة بن زياد من افاذ كراسمي تخضع له الآساد
وتذل له الرجال الاجلاد (قال الراوي) فلما سمع عمارة بذكر عنتر
خرس لسانه وانهدت أركانه وأيقن بالموت بين اخوانه وعلم
ان زمانه قد خانه وضحك عليه بعد أمانه فذل بعد العز وقال بغنج
وفتور وكلام ككلام النسوان يا ابن العم لا تؤاخذني بعثرات
اللسان فان صنيعك عم سائر الفرسان ابشر بكل ما تريد وأنا أسلم
اليك هذا الدرع المشوم فقال له عنتر أنا لا أقبل كلام حتى أشفي
منك غليل قلبي بضرب السوط (قال الراوي) ثم انه ألبسه ثياب
العبد التي كانت عليه وشده كتافا وربطه على ظهر جواده
بالعرض وصار عنتر يجلده كلما تفكر مقاله ويوبخه بالضرب على
أفعاله (قال الراوي) فلما وصلوا الى الديار حتى قاسى عمارة شدة
لا ينساها ما بقي في الحياة ولما ان وصلوا الديار وجدوها خامدة دخلوا
الى مضاربهم وأخفى عنتر عمارة في بيت أمه زبيبه وأصبح في الحي
وكأنه ما ذهب منه ومامضى ذلك اليوم حتى علم الربيع بفقد عمارة
واحترق قلب أمه ناره وكذلك اخوته وما فيهم الامن يقول عنتر
قتله فقال الربيع أنا قلبي يحدثني بغير هذا وأنا أقول ان قيس بن
زهير طرح عليه العيون والارصاد واغتاله وأخذه لاجل الدرع الذي
أخذته منه ويأمل مني ان أفديه وهذا شيء لا أفعله أبدا الا ان كان
رغما عني ويؤخذ غصبا وان كان قد فعل ذلك فأنا أطرح الارصاد على
أخيه مالك وكل من وقعت به من اخوته أخذته وأثخنته بالجراح
وأعذبه مساء وصباح حتى يفدي روحه مني بأخي الذي أخذوه

والامرت

والأمر اخوتي ان يصلبوه وأصيرها عداوة أصلية حتى تصير
مثلا بين سائر البريه ولا يخرج الدرع من يدي بالكليه ويعلم
قيس من مناعلى الشر أقدر ومن أشد في الحيل وامكر فقالت أمه
ياولدي وتقطع مابينك وبين قيس من القرابة والنسب وتصيروا
مثلا بين العرب فقال نعم ياأماه لانه درع من الدروع الجياد
ولاجل ميله لعنتر بن شداد فوالله لادبرن هلاكه وهلاك بنى
جزيمة وسائر الاجناد وأعمل على وقوعهم في العطب حتى يعلموا
ان مثلي مايضيع حقه ولو صبر وان كان عنتر قتل أخي وأسقاه
كأس المنية وصح عندي موته فما أطلب ثارى الا من الملك قيس
بنفسه والا فعبد شداد ماله قيمة بين العباد حتى أعاديه وأطلب
معه الشر والعناد (قال الراوى) ثم ان الربيع بن زياد معدن
المكر والفساد أقام يدبر فيما يصنع من المكر والكياد ووضع على
اولاد الملك زهير العيون والارصاد قال وفي أسرع مايكون شاع
الخبر بفقد عمارة بين النسا والرجال وسمع الملك قيس بالخبر واتهم
بموته عنتر والملك قيس فقال قيس والله لقد كذب الربيع واعتدى
وهذا شيء ماخطر بباله أبدا ولا غاب عن الحلة ولا أقول انه يقتل
عمارة لانه وقع به غير مره وخلصه من الاسر أكثر من مره ولا له
عنده دين ولا مال ولو اشتهى قتله كان قتله من مدة زمان طويل
وهذا أمر مايخفى ولابد له أن يظهر ونقابل الربيع على مقاله وسوء
افعاله وأنا أعلم انه يطرح العيون والارصاد على من يخرج في حالة
الانفراد فالصواب اننا نحترز على أنفسنا من مكره وشره ثم انه
أوصى اخوته بذلك الحال وقال لهم اخرجوا كل يوم بالنوبة
واحفظوا المراعي والمال في جماعة من الرجال والادهمنا الربيع

المحتال فقال أخوه مالك لا يضيق يا أخي من هذا صدرك ولا يشتغل فكرك وان كنت فزعان من هذا الحال فأنا أنفذ الى خليلي عنتر فارس الرجال وأكلفه حفظ النوق والجمال وآخذه واخرج كل يوم الى المرعى والعبيد قدامنا تسعى وان تعرض لنا أحد من بني زياد أو من جميع العباد قلت لعنتر يقطع أعمار الجميع يا سادة يا كرام وعند ذلك قال الملك قيس لاخيه مالك هذا التدبير يؤل الى المهالك لان عنتر اذا وقع ببني زياد أفناهم عن آخرهم وآثار الدماء بيننا وبينهم والصواب اننا نداوى هذا الداء الذى قد تجدد علينا وظهر حتى تنفصل نوبتنا مع خالد بن جعفر وبعد ذلك أقابله على جميع فعله وأخلص الدرع منه بغير اختياره فاجابه مالك الى ذلك الحال وأغاظه صبر أخيه على الاذلال وصار يخرج كل يوم مع الاموال في جماعة من الابطال وأما عنتر فانه علم بذلك التدبير فأوصى اخويه شيبوب وجرير وقال لهم ان قيس قد فزع من الربيع بن زياد وقد ألان له جانبه وظن انه اذا جاءت العدا ساعده وأنا ما يمكنني ان أخالفه ولا أشير عليه بما لا يريد والصواب ان يخرج كل يوم واحد منكم الى المرعى مع النوق والجمال ويحفظ أولاد الملك زهير المفضال ويقعد لهم ديدبان على رؤس الروابي والكثبان وهم لا يعلمون بالحال واذا رأوا الربيع دهمهم على غفلة ومعه الرجال يعود الى ويعلمني بالاخبار وأنا أريهم كيف يكون القتال وعند ذلك قال شيبوب السمع والطاعة فهذا ما كان من شيبوب وجرير وعنتر وبعد ذلك اجتمع مالك بن الملك زهير بعنتر وشكا له لين جانب أخيه قيس لبني زياد وأعاد عليه الحديث الذى قد عوّل عليه فقال له عنتر يا أمير مالك لا يضق

صدرك ولايشتغل سرك ودع أخيك يدبر كيف يشتهى
فان أخيك يراعى بنى زياد لأنهم اصهاره ويظن انهم من جنوده
وانصاره وأما عبدك عنتر فانه قضى الحاجة من غير علم قيس
ابن الاجواد وأشفيت غليلى من بنى زياد (قال الراوى) فلما سمع
مالك بن الملك زهير هذا الكلام لم يدر ما معناه وبقى حائرا وفكره
قد تاه وقال له كيف ذلك يا ابن العم يا مزيل الهم والغم فأخبره
بقصة عماره وكيف انه قبضه وأنزل به الخساره وأنه عندهم
فى الاسر والهوان يقاسى من العذاب ألوان فتعجب مالك من
ذلك الامر وقال والله يا أبا الفوارس لقد أشفيت الغليل من هذا
الوغد الذليل والصواب انك تقتله ما دام أمره غير معلوم وحاله
مكتوم فقال عنتر يا مولاى نحن ما قتلنا أحدا من بنى زياد وجرى على
قلب أخيك هذه الانكاد فكيف لو قتلت منهم أحدا وبذلت
سيفى فيهم فما كان أخوك قيس يرجع يجاورنى أبدا ولكن الرأى
السديد والامر الجيد ان نبلغ منهم ما نريد بتطويل الروح
والمدارة بحسن الاسباب فنصير محمودين العاقبة عند الاقارب
والاصحاب لان عمارة ما بقى له فرح الا بالدرع الذى أخذه أخوه
من أخيك لانه قد ضمن لى هذا من مدة طويلة من الزمان وأنا الى
الآن ما اشتفيت من عذابه والهوان (قال الراوى) و بعد أيام من
قبض عمارة وقع الصياح فى أطراف البيوت ودخل شيبوب على
أخيه عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقال له قم والحق صديقك مالك
ابن الملك زهير قبل أن لا تلحقه الا وهو هالك لانه اليوم كانت نوبته
لحفظ الاموال فشن عليه الغارة الربيع بن الانذال وقتل من
رجاله خمس رجال وما أتيت اليك الا وقد تركتهم فى أشد القتال

فقال عنتر أى وأبيك اليوم أريك قتالا تقر به عيناك ويعجبك ويرضيك ثم ركب فى الحال على ظهر جواده الابجر الذى قوائمه أقوى من الصخر وأصبر وتقلد بحسامه الضامى الابتر الذى فى فرنده الموت الاحمر واعتقل برمحه الاسمر الذى لا يبقى ولا يذر وخرج من البيوت والخيام كأنه أسد خرج من الآجام وحرك الجواد حتى وصل الى رأس الوادى الذى خرجت منه الرجال وفعلت هذه الاحوال فمد عينه فرأى الربيع بن زياد واقفا فى خمسة فوارس من رجاله والاقارب والباقى احتاطوا بمالك بن زهير من كل جانب وقد طلبوه بالقنا والقواضب وعبيد الربيع تسوق فى النوق والجمال وهو فرحان ببلوغ الآمال ويأمل أن الرجال والفرسان تأسر مالك بن الملك زهير وتنجز هذا الحال (قال الراوى) فلما رأى عنتر هذا الامر المنكر طار من عينيه الشرر وهدر وزمجر وشتم وبربر وصارت عيناه مثل الجمر الاحمر وزعق على العبيد زعقة الاسد القسور فاقشعرت من هول صرخته الابدان وتأخرت من هيبته الفرسان وسمع الربيع ذلك ورأى بعينه خلاص مالك فأيقن بالمهالك وقال لمن معه يابنى عمى والاخوان من أوصل خبرنا الى ذلك الشيطان فأتى الينا فى هذا المكان فكان كأنه مختفيا بين الشعاب وكأنه حاسب هذا الحساب والدليل على ذلك انه أتانا وحده وما معه أحد من جنده فأريد منكم المعاونة عليه لعل أن يبلغ قلبي مناه وأنال منه ما أتمناه ثم نزل من أعلى الرابية وطلب موته وفناه من قبل أن تطلبه فرسانه وحماه هذا وقد اقتحم الربيع الغبار وزعق زعقة الجمار وقد أراد أن يبارز عنتر الفارس الكرار ويغتنم

الفرصة

الفرصة فى ذلك النهار واذا بأخيه ظهر من تحت الغبار وعقله
قد انسلب وهو ينادى يالعرب قصف والله اضلاعى هذا
العبد الزنيم الراعى قال وكان عنتر لما رآه بالعين طعنه طعنة
قصف له ضلعين وصرخ فيه صرخة الاسد الغالب فولى من
بين يديه هارب وقد ضاقت عليه جميع المذاهب فلما سمع
الربيع ذلك ذاب جسمه وزاد به الغضب وتمنى انه لم يخلق ولحقه
فى نفسه الخبال وأيقن بخيبة الآمال وصاح فى عبيده وقال
ويلكم يابنى الانذال سوقوا هذه الاموال حتى أخرج أنا الى
هذه الانذال وحتى أنزل الى هذا العبد المخذول وأقاتله لعلى آخذ
لاخى عمارة بالثار ونعود كلنا الى الديار ثم انه صاح فى فرسانه
وأطلق لجواده عنانه واذا هو بالرجال قد ظهرت من تحت
الغبار وهى طالبة الهرب والفرار هذا وعنتر قد فرق الفرسان
يمينا وشمالا وهو يطعن فى أعقابهم طعنا فقال الربيع ياله من يوم
ما أوشمه ووقت ما كان أعظمه فيه أهلك هذا العبد فرساننا
وأباد أبطالنا وان كان يلحقه من بنى عبس النفير لا يترك من
فرساننا الا قليل ولا كثير ثم انه التفت فرأى جميع الفرسان الذى
معه هاربه والى النجاة طالبه فعاد الآخر يطلب النجاه وقد
طلب عرض البر والفلاه وأيقن بحلول الوفاه وان يوم الشر قد
فاجأه فعند ذلك نظر عنتر اليه ودرع الملك قيس عليه فاسودت
الدنيا فى عينيه وانقض عليه انقضاض الكوكب وجعله
قصده والمطلب وضيق عليه البر والسبسب وطعنه بعقب الرمح
فانقلب فنادى الربيع بالويل والثبور وعظائم الامور وقام
على قدميه وقد أثقله الدرع الذى عليه فانقطعت منه حمائل

حسامه فوثب كأنه جمل انكسر سنامه وكان من خوفه أن تقايا
ماشرب من أمه من اللبن وصاح بأعلى صوته يا ابن العم لاتفعل أنا
فى جيرتك يا ابن الكرام الصنيعة الصنيعة يا ذا البطل فصاح فيه
عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام الآن قلت الصنيعة يا ابن
اللئام اخلع الدرع عنك وارجع بالارغام والاوحق الملك العلام
خالق الضيا والظلام ومنشى الامم وجميع الانام ضربت عنقك
بهذا الحسام الصمصام وجعلت يومك أنحس الايام فقال له
السمع والطاعة يا ابن العم يا مزيل الهم والغم اصبر على ولا تعجل
حتى أخرج كى منها بالعجل ثم قلعها وسلمها اليه وظن ان روحه
خارجة من بين جنبيه فعند ذلك تسلمها عنتر وعاد وقد بلغ
المراد واشتفى غليله من بنى زياد وانشرح صدره من بعدما كان
محزون الفؤاد وجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه
ضمائره فأنشد وقال

الا يا عبلة ضيعت العهودا * وأمسى وصلك الماضى صدودا
وما زال الشباب ولا اكتهلنا * ولا أبلى الزمان لنا جديدا
ولا زالت صوارمنا حدادا * تقد به أناملنا الحديدا
سلى ابن زياد عنا حيث كنا * شفينا من رجالهم الكبودا
وخلينا نساءهم حيارى * قبيل الصبح يلطمن الخدودا
ملأنا سائر الاقطار خوفا * فأضحى العالمين لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا فى علاها * فلم نترك لقاصدنا مزيدا
اذا بلغ الفطام لنا صبيا * تخر له أعادينا سجودا
ومن يقصد بداهية الينا * يرى منا جبابرة أسودا
تدير الطعن بالسمر العوالى * اذا ما الحرب انضجت الكبودا

وتضرم

ونضرم نارنا في كل أرض * تذيب العظم منهم والجلودا
اذا دارت على قوم رحانا * تركنا عامر الاطلال بيدا
ويوم البذل نعطي ما ملكنا * ونملا الارض احسانا وجودا
أنا العبد الذي يلقى المنايا * حقيق فارس الخيل مجيدا
علوت بعزمتي أعلا الثريا * بسعد بازخ وثنا حميدا
أنا عنتر وذكرى شاع جهرا * في الآفاق بالمنصل فعلى سديدا
ولي نجم سعيد من اله * خالق كل الانام له عبيدا

(قال الراوي) فما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام الا وخيل بني عبس طالعة من وسط الآكام وهم لبعضهم تابعين والملك قيس في أوائلهم مثل الاسد العرين وما صدق ان يرى أخاه ومن معه سالمين هذا وعنتر لما رآه قال له يا مولاي أتعبت سرك فحل عنك وعبدك عنتر يهلك عدوك ولقد خلصت لك درعك الذي كنت بسببه حزينا وقد أشفيت قلبك من أعداك وسأبلغك منهم مناك (قال الراوي) ففرح الملك قيس فرحا شديدا ما عليه من مزيد قال وكان السبب في مجيئهم الى هذه الفرسان الذين كانوا مع الامير مالك انهم كانوا خرجوا الى عبيد الربيع المحتال فقتلوهم جميعا وخلصوا منهم الاموال والنوق والجمال ولما رأوا عنتر فعل هذه الفعال رجع بعضهم الى الملك قيس وأعلمه بالحال فخرج على الاثر حتى التقى بأبي الفوارس عنتر وجرى ما جرى وأما الربيع المحتال فانه رجع وهو خائب من كل جانب موجوع الظهر من شدة الوقعه وما حصل له من تلك الفجعه وانه حين أمن على روحه من القتال جمع من كان معه من الرجال الذين هربوا في القفار وتركوه ممدودا على الرمال وكان أكثرهم ما خرج

من وادي اليعموريه ولا حضروا حربا ولا قتالا فعتب عليهم
الربيع ولامهم وقال لهم يا بنو عمي ماهذه الفعلة التي فعلتموها وما
حضرتم هذه الوقعه ولا شاهدتموها وفي وقت الحاجة اليكم
تخليتم عني وخذلتموني عند الرجال وقتال الابطال فقالوا له
وما تريد منا يا ربيع أتحب أن نقاتل معك ملوكنا ونشاقق بالعداوة
ساداتنا ونثير الدماء وتبقى العداوة بيننا وأكثرهم أقاربنا
وأزواج بناتنا وما كفاك انا تبعناك الى هذا المكان وتركنا
لاجلك الاوطان (قال الراوي) فلما سمع الربيع ذلك المقال
علم انه ما نال بهم غرض ولا يشفي بهم مرض فقال لهم يا بنو عمي
اذا كانت هذه النية نيتكم وقد عقدتموها بينكم ارحلوا الى
ساداتكم فاني غني عنكم وعن نصرتكم ولا حاجة لي بمجاورتكم
فقالوا له نعم ست مرافقتك وفي أست أملك على أم والدتك فها نحن
راحلين والى قومنا واصلين (قال الراوي) ثم انهم عادوا الى
بني عبس وكان وصولهم عند طلوع الشمس وقد اعتذروا
من أفعالهم الى بني عمهم ونزلوا في أماكنهم وأطلالهم وأما
الربيع بن زياد فانه ارتحل الى بني فزاره الطائفة الغداره فعلم
عنتر برحيلهم فأطلق عمارة أخاهم وهو في زي العبيد وفي يديه
ورجليه أثر الرباط الشديد بعد ما جازاه على فعاله وقطع
بالضرب أوصاله وقال له يا مذلول السبال وحق الملك المتعال
لا تركتك طول العمر في الاعتقال ولا ترا أهلك أبدا وكنت
تقاسي العذاب سرمدا فلما قضى عنتر أربه قال له بعد ما قضيت
الحاجة ما بقي في اعتقالك أراده فسر الى أخيك القرنان وقل له
يا مذلول السبال افعل ما عندك واجهد أعظم جهدك فلا

رحم الله أباك ولاجدك وان فعلت شيء فأنا به أجازيك وعلى
فعالك أكافيك ثم انه أطلقه وهو لايصدق بالنجاه لانه كان
أيس من السلامة والحياه (قال الراوى) وكان أخوه نزل
على بنى فزاره معدن الخبث الطائفة الغداره وأعاد على
حذيفة قصته وأطلعه على بليته وأخبره بفقد عماره وماناله
من الذل والخساره فقال له حذيفة ماكان يحتاج الى نزولك
فى وادى اليعموريه كنت أتيت الى هاهنا ونحن كنا شددينا معك
وجيناك ولو بكلما علك من أموالنا فدينناك فقال ياحذيفة
انك غاية الآمال والمأمول وعنتر سباله مذلول ولاانترك تلك
الفعلة لذلك الزربون فعند ذلك قال حذيفة أما عمارة فمافات
عنتر بن الانذال وماهو الاعنده فى الاعتقال أوقتله وأخفاه
بين آكام الرمال فقال الربيع والله أيها السيد الكريم
ماالناغيره خصيم ومصايبنا كلها من هذا الشيطان الرجيم لكن
وحق الالاه القديم وزمزم والحطيم لابدّ من التدبير على هلاكه
وتلاف مهجته ولوفنى جميع اخوتى ومن يلوذبى من أهلى وعشيرتى
(قال الراوى) فبينماهم فى ذلك العباره اذقدوصل اليهم الامير
شرف الدين عماره وهو على تلك الحالة التى وصفناها والقصة
التى عرفناكم اياها فصعب ذلك على الربيع وعلى اخوته وبكوا
حين رأوا صورته وسألوه بعد ذلك عن قصته وماجرى له فى غيبته
فأخبرهم بالقصة من أوّلها الى آخرها وليس فى الاعادة افاده فصعب
ذلك على الربيع وعلى بنى فزارة الجميع فقالت أمه فاطمة
أنت ياولدى مافرغت معارضتك لعنتر وما كفاك هذه المصائب
والعبر فقال عمارة ياأماه ياأماه والله ان القتل أهون على مما

لاقيت من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن وحق ذمة العرب لابد لى أن أهلكه وآخذ عبلة وأبلغ منه ما أريد فقال الربيع بالله يا أخى اقصر عن هذا الكلام فقد انفتح لى باب أبلغ به كل الارب وبعد ذلك تشتتت بنو عبس عند كل العرب ثم انه قام قائما على الاقدام وأخذ يدبر الحيل ويتقن العمل وسيكون له معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه وأما ما كان من بنى عبس الكرام فانهم قد أتاهم خبر من السفار ان خالد بن جعفر جمع عليهم عرب البرارى والقفار ومعه أخوه الاحوص بن جعفر فى بنى عامر وبنى كلاب وانه طرح نفسه على شيخ العرب دريد بن الصمه فأرسل معهم أخاه عبد الله فى جيش كبير من بنى جشم وهوازن وجمع لهم تمام الاربعين ألف عنان وهم الكل طالبون اليكم وقادمون عليكم فخذوا أهبتكم للحرب والقتال والا ارحلوا الى جبال تحمى لكم الحريم والعيال وأيضا وصل الخبر الى بنى فزارة فأنفذ حذيفة الى الحارث بن ظالم طالب منه النصره على بنى عامر وأخبره بما جمع خالد بن جعفر فى هذه المره (قال الراوى) وطلب حذيفة الربيع لانه يشاوره ان كان يرحل أو يقيم فى أرضه فلم يجده فسأل عنه من اخوته ومن فرسان قبيلته فقالوا له انه من أيام أخذ أخاه عمارة وطلب هلاك عنتر بن شداد الى الآن ما عاد فقال حذيفة نحن فى شىء والربيع فى غيره ثم انه أمر قومه أن يأخذوا أهبة الحرب والطعن والضرب وبقى منتظرا من قيس رسولا يقل له كيف يدبر وما يفعل قال وفعل قيس مثل ما فعل حذيفة لما بلغه ما جمع خالد بن جعفر وكيف انهم انقسموا قسمين كل قسم عشرين ألف فارس فقال قيس

كذب

كذب قاله وخزى شيطانه ولعن أبو سباله ثم انه جمع بني عبس وفرق عليهم الزرد والدروع والسلاح وآلة الحرب والكفاح وبعدها طلب عنتر ليأخذ معه في المشورة فما وجده ولا سمع له خبر ولا بجليته أثر فتقلق لذلك وتحير وأخذه لاجل ذلك الضجر والفكر فأحضر أخاه جرير وسأل عن حاله فقال له يا مولاى من مدة ليالى صاح به صائح في ظلام الليل وطلب منه النجدة والزمام فركب يا مولاى وأخذ معه أخاه شيبوب والى الآن ما عاد (قال الراوى) فعند ذلك صعب على قيس ودق يدا على يد وقال والله لقد فقدناه في أضيق الاوقات وهذه عاداته ما يسير قط في شغل و يعلم أحدا بحاله ثم انه أشار اخوته وأعمامه فيما يعمل وقال قد رأيت انى أرسل الى بنى فزارة تأتى الى ها هنا بالمال والعيال والحريم والاطفال ونكون نحن في أرض واحده ونكون على الاعداء عصبة مساعده فقالوا له ما رأيت الا الامر السديد والرأى الجيد فقال الامير مالك بن زهير لاخيه قيس يا أخى لا ترسل الى بنى فزارة مادام الربيع فيهم فقال جماعة من بنى عبس أى شىء هذا الرأى الذى قاله أخوك هو الصواب ثم أشاروا على قيس بارسال الرسول فأرسل من يومه الى بنى فزارة يأمرهم بالمجىء (قال الراوى) وكان حذيفة بن بدر قلبه على الربيع ملآن فزعا فما عاد ولا وصل الا في اليوم الذى أتى فيه رسول قيس وكان وصوله هو وأخوه عمارة بالليل وكان قد سار معهم أربعين عبد فما رجع من الجميع أحد ومن الغد بلغ الامير حذيفة مجيئه فأحضره وسأله عن حاله فقال له بلغت المراد من عنتر بن شداد وأهلكته بحيلتى وهلك معه أربعون عبدا من عبيدى وعبيد اخوتى لاننا لما ملكناه وعولنا على قتله

جاءتنا خيل غائره وفرسان سائره وكانت أوفى من مائتين فارس
فاهلكوا باقى عبيد اخوتى وعبيدى وأخذوه معهم وطلبوا به
عرض الفلاة ورأيتهم يطالبوه بالدما وقد دار واحوله بالسيوف
والقنا فنجونا نحن بأنفسنا وقد علمنا انه مقتول لامحاله وأيقنا
ببلوغ السؤل والمنا بلا اطاله فلما سمع حذيفة بن بدر مقالهم قال
وحق البيت الحرام ان بلوغ الانسان مناه يساوى الدنيا ومافيها
(قال الراوى) ثم انه أعلمه بالاخبار الذى سمعها عن خالد بن جعفر
ثم استشاره فيما يفعل وهل يقيم فى دياره أم الى بنى عبس يرحل
وأعلمه برسالة قيس ابن زهير المفضل فقال له الربيع يا ابن العم
لاتفعل دعنا هاهنا نحمى حريمنا وعيالنا وأهلنا وأطلالنا
ودع قيس يدبر أمره كما يريد لاننا نحن أظهر منه وأقوى لاسيما اذا
وصل الينا الحارث بن ظالم فى بنى مره والملك قيس قد علم بعدم عنتر
فى هذه المره فاسمع منى ودع قيس ينفصل بنفسه حتى يرى بعينه
المذله ويعلم اننا نحن كنا نحميه ونحفظ له أرضه ومراعيه وانه
مايقدر يلقى أعداه ولايقيم فى أرضه ومرباه فقبل حذيفة
ماقاله الربيع بن زياد وسمع رأيه واعتمد عليه وبعد ذلك وصل رسول
الملك قيس اليهم وأعلمهم انهم يرحلوا ويكونوا يدا واحدة فرد رسوله
خائبا وكان الجواب من الربيع أن قال له ويلك قل لملك قيس يحمى
نفسه ويحفظ مراعيه كيف أراد هو وعنتر بن شداد الذى يقول انه
حاميته ويدع بنى فزارة تدبر أمرها وهى تعاونه على بعض أعداه
وانهم لولاه ما كان بينهم وبين بنى فزارة معاملة ولا كانت تحت
عداوة خالد بن جعفر وبنى عامر الاكابر (قال الراوى) فلما وصل
رسول الملك قيس بهذا الجواب وفهم هذا الخطاب استصوبوا

الجماعة وقيس رأى مالك فى الاوّل وقوله لا ترسل اليهم رسولا
فقال الملك قيس لعن الله الربيع بن زياد لانه ما خلع لباس المكر
من رجليه وما تزول بغضتنا من قلبه حتى تدور الدوائر عليه
قال ومازلوا على ذلك القول والشان حتى وصلت اليهم بنو
غطفان فى أربعة آلاف فارس مع مقدمها ثابت بن حسان وكان
الفتى ثابت أحب ما اليه بنو عبس وعدنان وهم أقارب وفرع
من عدنان (قال الراوى) فلما وصلوا ترحب بهم الملك قيس
وأنزلهم فى أعز مكان وشاور حسان فى أمر القتال فقال له يا ملك
الصواب رحيلنا الى أعدائنا لان ذلك أجود لنا وأهدأ لقلوبنا
فقال قيس هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم جعلوا يدبروا
أمورهم ويهيئوا أشغالهم حتى سمعوا ان الاعداء قاربت أرضهم
فرحلوا فى ثمانيه آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس
عليهم البيض والزرد والخود والعدد متقلدين بالسيوف
الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين على الخيول العربية
الا ان الجميع مستوحشين لغيبة عنتر بن شداد لاسيما أسيد بن
حذيفة وعروة بن الورد ومن كان يحب عنتر صار يتصعب عليه (قال
الراوى) وساروا الناس ذلك اليوم حتى أمسى المسا ونزل بهم الملك
قيس وقال يا بنو عمى خذوا أهبتكم من ها هنا للحرب والقتال فما
يمكننا أن نبعد عن الحريم والعيال أكثر من هذا الحال قال وعند
الصباح طلعت عليهم نواصى الخيل وثار عليهم الغبار حتى بقى
النهار مثل الليل وقد صاح خالد بن جعفر فى بنى عامر وقد وصلت
الجيوش والعساكر وقد ظهروا من كل جانب وتكدرت المشارق
والمغارب واهتزت الارض من ركض الجنائب وتراجت

الصافنات واهتزت الجبال من كثرة العيطات والزعقات
ونادى خالد بن جعفر الاما أبركه من صباح وحمل ملاعب الاسنة
وطلبت فرسان العرب الحرب والكفاح ونادت بنو عبس
بأنسابها المتصله وتلاقت جميع الفرسان المقبله واشتبكت
الرماح مثل آجام القصب وكثر الركض والخبب حتى كادت
الجبال بهم تنقلب وفتكت الاسياف فى الدرع واللبب وجرى
الدم وانسكب وعظم الويل والحرب واشتد الغيظ والغضب
وهان المال والمكسب وافتخرت سادات العرب ودنا الاجل
واقترب وزادت الوساس والكرب (قال الراوى) واصطفت
الخيل فى الصدور وبان صبر الصبور وقطعت الايادى والنحور
وسفكت الدماء على الارض وهتكت الستور وحامت على القتلا
الجوارح والطيور وتقابضوا باللحا والشعور وظنوا أنه يوم البعث
والنشور وقد بعث الله جميع من فى القبور فسبحان العزيز الغفور
وصاح خالد بن جعفر الثار الثار وأظهر ملاعب الاسنة منعته بضرب
السيف البتار وصدمت القبائل بنى عبس تحت الغبار وتدفقت
عليهم مثل موج البحار واندهش الشجاع وحار وهربت الاشرار
وتقدمت الاخيار وما صدقوا بانسدال الليل ومضى النهار حتى
نزلوا وقد أبصروا ما حيرهم وأدهش فكرهم من كثرة العدد وزيادة
المدد فقال قيس يابنو عمى ما كان رحيلنا عن الحريم بصواب لان
بين أيدينا خلق كثير ولو سار أحد منهم الى حللنا تركها قاعا صفصفا
وما فى الامر الا أننا نعود الى العيال ونقاتل دونهم بالحسام حتى نموت
كراما والا نعيش لئاما فان هذا الامر كان مقدر علينا من رب السماء
بفقد حامينا عنترة عنا وصعب علينا ما جرى لنا قال ثم أقاموا حتى

رقدوا من الليل هجعة وركبوا على ظهور الجنائب فصاح خالد بن
جعفر وسار فى آثارهم الى الصباح وقد زاد طمعه فيهم فلما رأوهم بنو
عبس وقد اقتفوا آثارهم وقع بهم شدّة الفزع لما رأوا جيش الاعداء
قد طلع وانتشب الحرب بين الفريقين ووقعت هذه وطائفة بنو
عبس تقاتل عن أنفسها وتدفع والجماجم تتطاير وسيوف المنايا
تقطع وكادت الخيل من تحتهم أن تقع وانقطع طريق الطمع
وسال الدم وهمع والنساء ينادون باسم حاميتهم عنتر ويصحن
صياحا منكر ويصرخن صراخ من قد فجع بحاميته هذا وعبلة
قد وكف دمعها وهمع وقطعت شعورها من الحزن والجزع
وتهتكت من حولها النساء وكشفن كلهن الشعور مما دهاهم
من عظائم الامور ونادوا يا بنو الاعمام أين البطل الغيور أين
من كان يستر الحريم فى مثل هذا اليوم المشهور قاتلوا يا بنو
الاعمام ولا تتركونا فى قبائل العرب جوارا خدّاما واسبياه وافضيحتاه
واغربتاه هذا والقتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار
الحرب تشعل والبلاء على بنى عبس قد نزل وغشم ابن مالك
قد حمل وقتل الشجعان وما أمهل (قال الراوى) وعند آخر
النهار كشف الملك قيس راسه وألقى ما كان عليه من لباسه
ونادى فى بنى عمه واخوته يا ويلكم يا بنو جذيمة تختاروا الحياة
والهرب وتخلوا النساء كم سبايا مع العرب ثم انه حمل واستقتل
وفعلوا اخوته مثل ما فعل وحمل عروة بن الورد ورجاله ودام السيف
يعمل والدم يبذل حتى دخل الليل وافترقوا عن بعضهم
البعض وقد انكسر بنو عبس الى الخيام وكذلك بنو غطفان وقد
أسر وا منهم مائتين وخمسين فارسا على يد ملاعب الاسنة وعامر بن

الطفيل قال ولما هدأ الليل زاد بكاء الاطفال والنساء وكان أعظمهم
حرقة وأكثرهم مشقة عبلة ابنة مالك بن قراد لفقد حاميتها
عنتر بن شداد (قال الراوى) وكان أكثر الرجال أيسوا من قيس
وبنى جذيمة جميعا لان ملكهم بعد عنتر قد زال وانهدم وعلموا أنه
أشرف على الهلاك والعدم وقال قيس وحق ذمة العرب ما كانت
هيبتنا الا بعنتر فياليت شعرى أين هو من مقام القضاء والقدر
وما الذى أصابه من الامر المنكر وياهل ترى يعلم ماوقع فيه
بنو عمه من هذا الامر المنكر وماحل بعبلة من الخطر والقضاء
والقدر فهذا ماجرى لهؤلاء من الخبر أما ما كان من بنى فزارة الغرر
فانه دهمها عبد الله بن الصمه أخو دريد فى عشرين ألف فارس من
العرب وكانوا قد تبعوه فى طلب المال والمكسب فقاتلت بنو
فزارة أول يوم والثانى ونزل عليهم النحس والنكس وكانت
مصيبتهم أعظم من بنى عبس وما كانوا مستظهرين الا بالحارث
ابن ظالم لان الفارس الجيد اذا كان فى طائفة حماها وكان الربيع
ابن زياد قد نصح فى هذه النوبة هو واخوته فى القتال وكان فرحهم
بعنتر بن شدّاد ووقوعه فى الشدائد والعذاب (قال الراوى)
فهذا ماجرى لهم من الايراد اسمع ما كان من أمر عنتر بن شداد
فانه بعد أخذه للدرع من الربيع الصفيع وجرى له ماجرى
وأطلق عمارة الرقيع فبينما هو ذات ليلة من بعض الليالى أراد
أن ينام واذا هو بصائح فى جنح الظلام هل من مجير هل من نصير
أين أصحاب النخوات أين أصحاب العزمات أين من يغار على
البنات العربيات ياأبا الفوارس الحقنا ومن هذه البلوة
خلصنا فأنا بك مستجير ياذا البأس الشديد ان الاعداء قد

سبوا حريمي وعجزت عن لقاء غريمي قال فلما سمع عنتر ذلك
الصوت في ذلك الليل الهادي آلم قلبه نداء هذا المنادي فعند
ذلك صاح على أخيه شيبوب وقال له قدم لي الجواد يا ابن الام فقام
شيبوب وشد عليه عدته فوثب عنتر بقي على صهوته وسار مع
الرجل المستجير به لان العرب في ذلك الزمان كانوا كما قيل في حقهم
هذه الابيات

قوم اذا نادى اليهم خائف لبوه * قبل سؤالهم عن حاله وجموه
من أعدائه فما يرى * الاعزيزا عندهم وعياله

(قال الراوي) ومازال عنتر يركض خلف ذلك الرجل حتى مضى
أكثر الليل فعندها ناداه عنتر يا وجه العرب قف الآن وأخبرني
بحالك ومن هو الذي أخذ مالك وسبى عيالك وأبشر بكل
ماتريد ولو أن خصمك كسرى أو قيصر قلعت منه الاثر وجعلته
عبرة لمن اعتبر وهججت فرسانهم الى سد الاسكندر فعند ذلك
بكى الرجل وقال يا حامية عبس وعدنان أنا رجل من بني شيبان
ولي اتصال بالامير بسطام وكان معي بنت عمي وابنتي وكنا
سائرين الى بني مره لاختي شقيقتي فلما وصلت الى ههنا طلع
على عشرون فارسا وأظنها من أرضكم فجرحوني وأخذوا حريمي
ورجعوا وهذه شكر وأنا قد سمعت بذكرك وانك كثير الغيرة
فقصدتك وأنا مستجير بك أيها البطل الكريم وأريد منك
أن تبلغني المراد كما سميت عنتر بن شداد قال وكان هذا الامر
قد دبره الربيع بن الاوغاد وأرسل هذا الرجل وعلمه أن يقول هذا
المقال وسار هو وأخوه عمارة في أربعين عبدا شدادو كمنوا لعنتر
الى أن يأتي مع الرجل الذي سار اليه حتى يطعنوه بالاحجار ويقيموا

فى وجهه الحصا والرمال فلما وصل عنتر عندهم وسار فى وسطهم
صاحوا عليه من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب فصاح
يابنى الزوانى والله لا اسلمت روحى لكم أبدا حتى أشفى فؤادى
منكم بالردا ثم قفز بالجواد فتعتر فعرف شيبوب انها حيلة فأراد
أن يرمى بالنبال فدهمته الرجال وداروا به من اليمين والشمال
فسل الخنجر وهجم عليهم قتل منهم خمس عبيد وقاتل قتالا شديدا
حتى انه جرح وتكاثرت على عنتر الرجال قال وكان بعضهم معلقا
فى الجبال ومعهم الاحبال فقدموها قدام جواد عنتر فتعتر
ورموه بالاحجار وأخذه الانبهار ثم انه ترجل عن الابجر خوفا
عليه وسل حسامه وغاص فيهم فى سواد الليل والغسق وضرب
فيهم ضربا يورث البوار والقلق حتى كثر عليه رمى الاحجار
مع الصخور الكبار وأشرف على الهلاك والاخطار وهو صابر
صبر كرام الرجال حتى قتل عشرة من العبيد اللئام ولكن مع القضاء
والقدر أتاه حجر من الاحجار الكبار أرماه على وجهه فى القفار
فعند ذلك ركبت العبيد صدره وملكت قياده وأسره وأتاهم
الربيع وعماره وأعانوا عبيدهم على هذه العباره وشدوه على
ظهر الجواد وخرجوا به من فم ذلك الواد وكان الفجر قد طلع
والصبح قد أسفر وعند ذلك قال الربيع الزنديق أعلوا بنا الى
رأس هذا الطريق حتى نلعب فى جسده بالسيوف والمزاريق
ونفرج عليه كل عابر طريق فقال عنتر بن شداد ويلك يا ابن
الاوغاد أنت اجتهدت باحتيالك حتى بلغت منى آمالك أقتلنى
وعد الى أهلك والديار فالى أين أنت سائر فى القفار فقال عماره
مما فى قلبه من الحراره لا وذمة العرب يا ولد الزنا لا نقتلك حتى

نشفى

تشفى بعذابك قلوبنا ثم ان عمارة وشحه بالسوط على أكتافه
وزاد بالضرب عليه حتى انغاظ عنتر واحمرت عينيه فانقلب
على صفحة قفاه وناول عمارة بالكعب حكم فى عين ثقبته فوقع الى
الارض وصار اعلاما فيه رجلاه وبقى حاله عبرة لمن يراه وبعد
ذلك قام على حيله والبول يتقاطر من ذيله فصاح عليه عنتر صيحة
أرجف بها فؤاده وقال له ويلك يا طنجير هذا الضرب لا يصلح لمثلى
انما يصلح لمثلك أنت لانك طنجير وأما أنا يصلح لى ضرب الحسام من
يد فارس همام فى مثل هذا البر والآكام فوالله ما تركت
العرب منكم أحدا من بعدى فقال عمارة يا أخى أنا عولت ان أقطع
يديه ورجليه وأخليه فى هذا البر يقاسى العذاب الشديد فقال
الربيع لاخيه عمارة افعل بنا ما بدالك وعد من قريب (قال
الراوى) فبينما هم على ذلك الحال واذا هم بعشر فوارس قد
طلعت عليهم من صدر البر فتأملوها واذا بعشرين أخر وهى من
ورائهم تركض واذا بثلاثين وفرقة أخرى خمسين ومن خلف
الجميع غبار زائد يدل على جيش كبير يبلغ مقداره ألف
ومائتين قال عمارة يا أخى وقعة مثل الطين قال الربيع ويلك
يا عمارة أقتل هذا المذلول عنتر وارجع بنا الى أهلنا قبل أن يأتينا
من يشغل قلوبنا فعندها شال عمارة يده بالسيف وهم أن يضرب به
عنتر فصهل جواده الابجر ومرمر السحاب اذا انحدر وطلب
الخيل المقبلة فى البر الاقفر لانه كان معود من صاحبه بطلب
الفرسان اذا أبصرها وكان الفجر قد طلع وأبصرت الخيل هؤلاء
فى ذلك البر حائرين فطلبوهم من كل جانب وتسابقوا اليهم مثل
السلاهب وقدموا نحوهم الرماح وأكثروا من حولهم الصياح

فقال الربيع لاخيه عماره انجو بنا الآن والا وقعت بنا الخساره
(قال الراوى) ثم ان الربيع ألوى عنان جواده وطلب الاهل
والديار وكان قد بقى منه عشرين عبدا من الذين كانوا معه فشالوهم
الفرسان على أسنة الاشطان وقد تقدم مقدم القوم الى عنتر
ونظر اليه فعرفه وعرف أخاه شيبوب وقد كان فى رقبته حبل
طويل وهو مع العبيد الذى للربيع وهو مغلول اليدين ولما ان
ملكته العبيد كانت الفرسان به دائره فما قدر على الهرب لاسيما
وأخاه مشرف على العطب بل صبر وأراد ان يصبر ما يجرى عليه
من ذلك الفرسان الذى دار واحواليه ان كانوا أعداء أو أصدقاء
ومن أى العرب هم بين العربان (قال الراوى) وكانت هذه
العربان من بنى خولان وقد أتوا من أرض بارق فى طلب المعاش
والمكسب فلما ان سمعوا الى أرض بنى عبس وقبائلها قد اختلفت
وان العرب طلبوهم مع خالد بن جعفر من كل جانب فأتوا الى ذلك
المكان لعل أن يكسبوا شيأ من المال فوقعوا بالربيع وعمارة
وذلك العبيد وعنتر وشيبوب ففرح المقدم الذى عليهم وقال لقومه
أبشروا يا بنى الاعمام ببلوغ المنا بلا تعب ولا عنا واعلموا ان هذا
الفارس هو حامية بنى عبس عنتر بن شداد واعلموا ان الملك صفوان
صاحب أرضنا فى قلبه منه حرارات وأحقاد لانه قتل له ثلاثة أولاد
واذا سلمناه اليه بلغنا منه المراد فعندها أخذوا عنتر وشيبوب
وقصدوا بهم أرض بارق قال وكان الربيع وعمارة صار ذلك اليوم
دأ كلاكفيهما ندما الا انهما أيقنا ان الذين أخذوا عنتر ما بقوا
يبقوا عليه فما سائران الى أن وصلا الى بنى فزارة وصار حذيفة
بما جرى فما مضى الأيام قلائل حتى وصلت اليهم قبائل العرب مع

126

عبد الله أخو دريد وجرى لهم ماجرى هذا وقد جدت بنو خولان بعنتر حتى وصلوا الى أرضهم وشدوا الامير عنتر في أربع سكك من حديد ووكلوا به جماعة من العبيد ثم أخذ مشاجع معه جماعة من ساداتهم وسار يطلب الملك صفوان بن مراد صاحب تلك الارض والبلاد يأخذ منه الاذن في قتل عنتر بن شداد (قال الراوى) لهذا الكلام المعتبر و بعد ذلك تسامعت نساء الحى بقصة عنتر وتواصفوا عظم خلقته وهول صورته فساروا يأتون اليه جماعة بعد جماعة وينظرون لعظم هيكله وهيئته ويتعجبون كل العجب الا أن الشجاعة لائحة بين عينيه وقد شاعت فروسيته في جميع الاقطار وأخباره قد سمعت بها العبيد والاحرار وكان آخر من دخل عليه عجوز كبيرة وهى غريبة من ذلك الحى وهى عند هؤلاء القوم نازلة ولما ان دخلت عليه ونظرته عرفته فعند ذلك نكبت عليه وصارت تقبل أسافل قدميه وتقول له يعز على يا أبا الفوارس ان أراك في هذه الحالة وقد طرقتك طوارق الزمان وأصابك هذا الحدثان فقالوا لها نساء الحى ونساء الامير مشاجع يا عجوز من أين لك بهذا العبد معرفة وما الذى بدألك من الجميل حتى انك تبكين عليه وتقبلى قدميه فقالت لهم العجوز يا حرائر العرب لا تقولوا عبد فوحق الرب العظيم رب موسى وعيسى وابراهيم ما على وجه الارض أفرس منه ولا أشجع من هذا الفارس ولا أكرم منه فقالت زوجة الامير مشاجع يا عجوز أما شجاعته فقد سمعنا عنها وهى شاهدة على أعطافه ولكن أعلمينا أنت بالذى رأيتى من كرمه فقالت لها أما كرمه ومروءته فأوفى من شجاعته وأنا أعلمك بما وصل الينا من احسانه وأذكره

لأن ولدى أنتم تعرفون حسنه وجماله وأنا مالى غيره وانه لما أراد أن يتزوّج بابنة عمه طلب عمه منه المهر فأخذ معه جماعة من بنى عمه وسار فى طلب المعاش والمكسب لاجل العرس والوليمة ولما ان سار غار على مال هذا الفتى وساق من جماله قطعة وأراد ان يسير فلحقه هذا الفتى فاستخلص منه الاموال وأخذه أسيرا فى حالة الذل والنكال فبكى ولدى بين يديه وقد شكى ما يجده من محبة بنت عمه اليه وعشقه لها وأعلمه انه ما أتى وخاطر بنفسه الا لذلك فلما سمع هذا الفتى كلام ولدى وشكواه رحمه لبكاه وحل عقاله وأعطاه الجمال الذى كان قد أغار عليها وزاده فوقها مائة ناقة وقال له خذها وارجع الى أملك وأهلك وتزوّج ببنت عمك ومتى أتاك الفقر فعد الينا سر يعا ونحن نعطيك ما تطلبه ثم انه ودعه ورده بجميل منه فعاد ولدى بالمال الذى أعطاه له هذا الفتى وقد دخل على بنت عمه والى الآن ونحن نعيش فى فضله وخيره واحسانه واعلموا انما فى قبائل العرب من هو أوفى منه فى الحرب ولا فى الشجاعة (قال الراوى) فلما سمع النساء منها ذلك المقال تعجبوا من مروءة عنتر وصاروا يتقربون اليه بالطعام ويرفقوا به عند الكلام وقد نفسوا له ذلك الشد والرباط وصاروا يفرشون له الفراش ويخدمونه الى أن نام وقد اجتمع عنده أكثر النساء يسألونه عن عبلة وهو يشكى اليهم محبتها وقد باتوا عنده تلك الليله (قال الراوى) ولما كان عند الصباح طلعت على القوم نواصى الخيل العادية وكان لها غبار شديد قد سد الارض والبيد وفيه جلبة وصياح قد هز الربا والبطاح وقد لمعت منه أسنة الرماح وبريق الصفاح وفى أوائل الخيل فارس جبار وأسد

مغوار لاتخمد له نار وهو ينادى بأعلى صوته يامارية لمثل هذا اليوم كنت لك فى الانتظار حتى أبلغ منك ما أختار ثم انه بعد صياحه صرخ وصدم الرجال الذى كانت معه ودخلوا الخيام وداسوا الاطناب وقد وقع السبى فى الكواعب الاتراب وقد اشتد عند ذلك المصاب ونشرن الشعور ولطمن الخدود ودقوا بأيديهم على الصدور وقد فزعوا عن عواقب هذه الامور (قال الراوى) وكانت هذه الخيل التى كبستهم مع رجل جبار وهو من شياطين العرب يقال له مبادر بن جارح الاسد وكان يهوى مارية بنت الامير مشاجع الذى عنتر فى أسره لانها ذات حسن وجمال وقد واعتدال وفصاحة مقال وقد وصل وصف حسنها الى مبادر فأرسل الى أبيها خاطب فرده خائب وأخبره بذلك المصائب قال ومن شدة ما جرى عليه أحضر أمه بين يديه وشكا اليها محبته فقالت أنا أعلمك بشىء وهو انك تحتال على البنية الى أن تراها فان أعجبتك اجمع العساكر وقاتل أهلها وأباها وان لم تقع بخاطرك فاتركها واسلها وخذ من بنات أعمامك أحسن منها وذلك يغنيك عن اتصالك ببنى خولان واعلم ان البنات كثير لمثلك قال فلما ان سمع مبادر ذلك الكلام قبل ما أبدته له أمه من المرام وسمع مشورتها وقد رأى كلامها له صواب ومن يومه قلع ما كان عليه من الثياب ولبث غيرهم وسار الى القوم فى زى فقير من فقراء العرب وقد تحايل على الجارية حتى رآها وأبصرها بعد ان قعد ثلاثة أيام وهو بين خيامها فارتعدت فرايصه فرجع وقد شرع فى جمع الفرسان من قومه وهو يطلب النصر من رب السما وقد صار يطرح نفسه على جميع الحلفاء والاصدقاء الى أن اجتمع له

هذا الجمع فأرسل بعض عبيده الى حي بني خولان ليكشف له هذا
الخبر فغاب فعاد وقد أعلمه ان الحي خالي من الفرسان وان الامير
مشاجع غائب في أطراف أرض بني بارق في جميع بني خولان
فجمع رأيه على اغتنام الفرصه وسبي مارية وأخذها غصبا فعند ذلك
أخذ فرسانه وسار في هذه الجموع التي قد جمعها (قال الراوي)
ولما ان وصل الى الحي هجم وقد حمل بالخيل التي معه حتى وقع
النهب في البيوت وقد علا الصياح في الحلة من سائر الجنبات وما قدر
أحد ابرده من الفرسان فخافت البنات والنسوان من السبي
والانهتاك وكان أكثر البلا والمصائب في أبيات الامير مشاجع
لانهم قد علموا بالقصة التي جرت وانها من تحت رأس مارية فخافوا
من العار والفضيحة والشنار وصارت مارية تنادي وهي مكشوفة
مهدولة الذوائب وهي تصيح وتنادي واذلاه واقلة ناصراه
وافضيحتاه اليوم تحكم فينا الاعدا ونلبس العار ونبلا بالردا
(قال الراوي) فلما أبصرت العجوز المقدم ذكرها الذي عرفت أهل
الحي بعنتر وما جرى لولدها على يديه من المكرمات ماجرى على
القوم علمت انهن مسبيات فأتت اليهن وقالت لهن ياحرائر العرب
مابقي لكن الى الخلاص من سبيل ولا لكن مهرب ولا يحميكن أحد
من العرب لان أهلكن ورجالكن الجميع غياب ومايحميكن من
هذه البليه ولا ينفعكن من هذه الرزيه الا هذا الفارس الاسود
الذي هو عندكم في الاعتقال فالكن الآن تدخلوا على هذا
الفارس المنتسب الذي هو أفضل من كل العرب في الفروسية
والحسب والنسب وتستجيروا به وترموا أنفسكن عليه وتخضعون
بين يديه ثم تسئلونه النصر والمعونة وتطلبون منه الزمام فان زم لكن

فهو قادر والله على هلاك هذا الاعداء ولوانهم بعدد رمل البيداء
لانه فيه النخوة والحمية والمروءة والغيرة على الحريم (قال الراوى)
فلما تمت العجوز هذا الكلام حتى صارت الخيل العادية معهم
فى الخيام وخرجت البنات الكواعب الاتراب بالشعور والذوائب
وندبت النوادب وعظمت المصائب وخرجت النساء هاربات
ودخلن على عنتر فى الابيات وصرن يقبلن يديه ويرتمين عليه
وهن يقلن ياحامية عبس وعدنان ارحم ماترى من حال النسوان
وأجرنا من غدرات الزمان ثم ان مارية قالت ياأبا الفوارس أجرنى
مما دهانى وساعدنى على مابه الزمان رمانى ثم أجرت دموعها
وزاد تفجيعها فاغتم عنتر عليها وعلى ما نالها وقد سألها عن حالها
فأعادت عليه جميع ماجرى لها فلما سمع عنتر ذلك الكلام من
الحريم صعب عليه فعال هذا اللئيم فقال عنتر اطلقونى وأنا
أردهم عنكم وأسقيهم كؤس الردا فقالت النساء نحن خائفين من
الجانبين ان نحن سيبناك تقصد أهلك وربعك وان نحن خليناك
تسبينا الاعداء عن آخرنا فقال عنتر يا بنات وحق من أوسع
الفلوات العالم بما مضى وماهو آت الذى فجر الانهار وأجرى البحار
وخلق الليل والنهار وزين السماء بالفلك الدوار الملك المعبود
ان أنتم أطلقتمونى من الاغلال والقيود لا اتركنكم حتى يفعل بى
مايشاء الملك المعبود فلما سمعت النساء كلامه ومقاله وقد صح
عندهن أعماله تقدمن اليه وخلصن الحديد من يديه ورجليه
وأحضرن له عدته وسيفه وحجفته وقلن له أما جوادك فانه أول
ماسمع صهيل الخيل ما أمكن أحد ان يتقدم اليه الا ويقتله برجليه
فقال عنتر صدقتم لانه من صاحبه معتاد اذا نظر الخيل نزل عليها

نزول السيل ولكن أطلقوا أخى شيبوب فانه يأتى به فعند ذلك أطلقت النساء لشيبوب فقام الى الابجر ومسح ناصيته وقد أتى به مسحوبا وكان عنتر غارقا فى لأمته ولابساعدته فقفز من الارض بقى فى صهوته ونظر الى الخيل وتبسم تبسم الكرام الى الضيوف وصاح صيحة الاسد اذا خرج من الغاب ودمدم كأنه الرعد فى السحاب ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شدّاد شجاع المعامع والطراد ثم انه حمل وارتمى كأنه صاعقة من السما فأبلى الاعداء بالويل والعمى وأباد الفرسان واستخلص منهم النسوان وأخرج الابطال الى خارج الخيام وقتل احدى عشر بطلا همام وصال وجال وأنشد يقول

اذا ما كنت فى قوم نزيلا * وأمسوا خائفين من الاعادى
فلا قبضت كعوب الرمح كفى * ولا كحلت جفونى بالرقادى
وما أسرى وبيت الله عيب * وقد جربت فى يوم الجلادى
أسرت بحيلة وقضاء رب * له بطش شديد فى العبادى
يسوق العبد رغما فى زمام * الى طرق الهلاك أو الرشادى

(قال الراوى) وهذه الابيات مما استدل بها على أن العرب أصحاب المفاخر والرتب وفرسان الجاهلية قديما يعرفون ان لهم خالق يحاسبهم على الدقائق ولذا أشار زهير بن ابى سلما فى قصيدته المعلقة على البيت الحرام حيث يقول

ولا تكتمن الله ما فى نفوسكم * ليخفى فهما تكتموا الله يعلم

(قال الراوى) وقد ذكرت علماء المسلمين أئمة الدين ان سائر من تقدم من الامم من زمن أبى البشر آدم يعتقدون ان الله هو الواحد الديان رزاق قديم معروف من القدم واجب الوجود غافر الذلات

ويحرك الحركات لكنهم اختلفوا فى طريق عبادته أبرز الخلق من
العدم فاعترفوا بالتقصير لما كلفوا أنفسهم معرفة قدرته فتعبوا
فيما تكلفوا ومازالوا سابحين فى بحر الضلال وهم تائهين فى ظلمات
الجهالة حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم بأوضح الرساله
وأصدق المقاله الهادى الى الطريق الاقوم بكلامه الصادق
الصدوق فى أحكامه الذى أوعد المؤمنين بالشفاعة يوم القيامه
وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يرجو بهما الكاتب
والقارئ والمستمع من أهل السلامه ماغنت فى الايك حمامه وما
تناسلت الامم يوم القيامه وهو الذى يقوم من قبره ويداه على حشاه
ويزعج أهل الموقف بنداه ورجاه وينادى ياربّاه ارحم من أمتى
العصاه ولا تشمت بهم الطغاة البغاه فان كانوا عصوا فقد وحدوك
وماعصوك الا طمعا فى كرمك لما عرفوك ثم يسجد صلى الله عليه
وسلم تحت ساق العرش فلا يرفع رأسه حتى يغفر الله لاصحاب
الكبائر من أمته فيسمع النداء من العلى الاعلا ارفع رأسك يا محمد
فقد شفعناك فى كل من تبعك وصلى عليك وعرفك حق معرفتك
الرسول المكرم والنبى المعظم اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله
وأصحابه الكرام الى يوم الدين أمين (قال الراوى) ثم ان عنتر
الهمام لما أخرج الفرسان والابطال من الخيام وبذل فيهم رمحه
والحسام ورأى مبارز عنترا وقد قتل من قتل وفعل بأبطاله
مافعل فانقض عليه انقضاض الموت المعجل وناداه ويلك من
تكن من الفرسان والى من تنسب من الشجعان من قبل
ما أقطع راسك وأخمد أنفاسك فلما سمع عنتر ذلك المقال صاح
فيه يا ابن الاندال أنا فارس عبس وعدنان وحامى الحريم

والنسوان ويلك اترك الغنيمة وارجع الى ديارك والاوطان قبل ان تشرب من العذاب ألوان فتبسم مبادر من كلامه زاد به اهتمامه وقال له ويلك أنت تدعي الكرم والفتوه والفخر والمروءه وتأتي من أقصى البلاد تأخذ من يدي غنيمتي فارجع الى ديارك قبل تعجيل بوارك فقال عنتر صدقت يانسل الاشرار ان البغي مصرع ولا يجلب لصاحبه منفعه وهذا من جملة بغيك لانك طلبت من الرجل ابنته فما رضيك ان تكون لها أهلا فجئت تسبيها في غيبته وتخرق حرمته فهذا يانسل الحرام فعل اللئام ثم انه حمل عليه وجال وصال وأنشد يقول

ألا أيها المغرور بين العوالم ❋ أتتك حياض الموت في حد صارم
أنا عنتر العبسي قسورة الوغا ❋ مبيد الاعادي عربها والاعاجم
تريد بأن تسبي الحريم تعمدا ❋ ولم تخش من رب قريب وعالم
فابشر فهذا اليوم تبقى مجندلا ❋ ويلقيك بغيك للنسور القشاعم

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من كلامه وسمع مبادر شعره ونظامه قوي عزمه وجنانه وأطلق عنان حصانه وقوم سنانه وحمل عليه وصال وجال وأشار برد أبياته عليه يقول

أتاك همام فاق كل العوالم ❋ خبير بطعن الرمح ثم الصوارم
أيا وغد عبس لا تكون مقاتلي ❋ فتصبح نهبا للنسور القشاعم
فسوف تذوق الموت من حد صارمي
وطعنات رمح كم له في الموتى من مقادم

(قال الراوي) ثم حمل هو وعنتر بعد هذا الكلام وأخذا في الضرب والاصطدام وقام مبادر بيده وطعن عنتر بالسنان فمال عنتر عن سنانه وصبر عليه حتى أوسع في ميدانه ومال عليه وطعنه بالرمح

بين ثدييه أطلعه يلمع من بين كتفيه ودفعه من فوق الجواد
فوقع على الارض والمهاد وطلب رجاله ففرقها ونزل عليهم نزول
السيل اذا هطل وسقاهم كأسا أمر من الحنظل فولوا الادبار وركنوا
الى الفرار ووسعوا فى البرارى والقفار وصار عبيد الحى ومن تبقى
من رجاله يجمعوا خيول الهاربين وأسلاب المقتولين من الخيول
الشاردة والعدد المبدده ورجع عنتر من خلف المنهزمين وترجل
عن ظهر الابجر وعاد الى البيت الذى كان فيه وأكثر النساء من
الشكر والثناء عليه وقبلوا يديه فجلس عنتر فى البيت وقدم
القيد الى رجليه وقال لهم عيدوا القيود الى حالها فقال له شيبوب
ويلك يا ابن الام ما هذه الفعال والرأى الفاسد وما الذى دخل
فى عقلك حتى انك تعود الى الاغلال والقيود وتنتظر من يرمى رقبتك
ويتلف مهجتك ويلك قم وارجع الى ظهر جوادك وخلنا نطلب
أرضنا والبلاد هذا وعنتر لا يلتفت اليه ثم ان النسوان تراموا على
رجليه يقبلونها وقالوا والله لا توضع فى رجليك القيود لانك
أبدلتنا بعد العدم الوجود فلما سمع عنتر كلامهم ورأى شدة
امتناعهم قال لاخيه شيبوب بحياتى عليك يا أخى ردنى الى ما كنت
عليه ولا تحلفنى باليمين وتجعل الكذب لى قرين فقام شيبوب
على الاقدام وقال له يا ولد الزنا ما بقيت تقدر على أكل لقمة حرام ثم انه
شده شدا وثيقا وقرط عليه من غيظه عليه وأقام ينتظر العرضيات
والامور المقضيات هذا جرى وأما ما كان من بنى عبس وعدنان فان
بنى عامر ادخلوهم الابيات وأسروا من جملتهم مائة وخمسين فارسا
وقتل أكثر من ذلك عند عدم المحامى والنصير وملكوا منهم المنهل
والغدير وانتصروا عليهم بكثرة العدد وزيادة المدد وصاح النساء

بالويل والثبور وعظائم الامور هذا وقد أرمت الرجال أنفسها على المهالك وضيقوا عليهم جميع المسالك وقدمت عليهم الاعداء من جميع الاقطار فأخرجتهم من البيوت قوة واقتدار وتحصنوا في العلم السعدى وقد تركوا الاماء والاحرار فقال الملك قيس يا بنو عمى طاولوا القوم بالبراز لعل أن تأتينا النجدة تعيننا على فرسان الحجاز فلما سمع بنو عمه ذلك الكلام وطنوا أنفسهم على شرب كاس الحمام وتولى برازهم ملاعب الاسنه وكان آخر من برز اليه شداد أبو عنتر وهو على فرس نجديه الى ان صار فى وسط الميدان فتذكر ولده عنتر وفاض دمعه وانحدر فزاد به الذل والهوان واحترق قلبه بالنيران فأشار يرثى ولده بهذه الابيات يقول

ترى أى سهم من سهام المصائب
أصابك يا ابن الاكرمين الاطايب

وأى شجاع مدنحوك باعه ✱ وبا علك فى الفرسان أمضى المضارب
ترى أنت حيا يا بنى فارقتنى ✱ لقاك كابرحا لقاك كل غائب
والا قتيلا فى الفلاة مجندلا ✱ تنوشك وحش البر من كل جانب
لقد عد منك القبيلة فارسا ✱ يعد بجيش حافل وكتائب
وكنت ترد الخيل عنا مغيرة ✱ خلاة الهوادى داويات الجوانب
أيا ولدى مذغبت عنا تبادرت ✱ خيول الاعادى نحونا كالسلاهب
ودارت بنا الاعداء من كل جانب
يرومون أن يسبوا النساء الكواعب
ودار بنا بحر يموج عبابه ✱ بسمر القنا والمرهفات القواضب
وقد أصبحت أبناؤنا فى يد العدا ✱ ونساؤنا يندبن بين المضارب
ونحن حيارى والنساء حواسر ✱ يقدن الى بيت العدا بالذوائب

وعبلة تبكي من فؤاد مقرح * اليك وتهمي بالدموع السواكب
وها قد خرجت اليوم أبذل مهجتي
وألقى شجاعا عارفا بالنوائب
لعلك تلحقنا وفينا بقية * بعزمك يا حامي حريم الحبائب

(قال الراوي) فلما فرغ شداد من كلامه واتم شعره ونظامه نظره بنوا قراد وهو نحن على ظهر الجواد كانه النسر المنكسر الا انه في الحرب أسد قسور وارتفع صياح بني عبس من بعيد وقربت هذا وملاعب الاسنة صبر حتى قاربه شداد فنظر الشجاعه لائحة عليه ظاهرة بين عينيه فصاح فيه من تكن أنت أيها الساعي الى حتفه بقدميه الجاني على نفسه بيديه فقال له ويلك أنا فارس الطراد الامير شداد بن قراد دونك والحرب والجلاد ان كنت من الفرسان الشداد فتبسم غشم وقال والله انك بطل غشمشم ومثلك يحمي الحريم في الموقف العظيم ثم حملا على بعضهما وأوسعا ميدانا واجادا ضربا وطعانا وزاد بينهما الجولان حتى غابا عن الاعيان وتصادما وتهاجما فلم يزالا في قتال وجدال ومفارقة واتصال حتى وقع التعب بشداد وأخذه الانبهار من خصمه الجبار فلما علم ذلك ملاعب الاسنة هجم عليه أخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وأسلمه الى عربه وعاد طالبا الحرب والجلاد ونادى يا بني عبس ابشروا بالتعس فلما سمع منه قيس هذا المقال زادت به نار الاشتعال وعول أن يحمل على ملاعب الاسنة وأراد نازح أن يحمل عليه ويخاطر بنفسه فسبقه عروة الى الميدان وتذكر يام عنتر ففاض دمعه وانحدر وقال لا أبعد الله ركابك يا أبا الفوارس ولا أعدمك أحبابك من قائم وجالس وأنشد يقول

تحكمت الانذال يا ابا الفوارس
لبعدك عن ربع الظباء الاوانس
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا * يلاقي عداها ضاحكا غير عابس
وكنت لنا بالحامية عبس حارسا * اذا نام عنا كل حام وحارس
فبعدك قد أوهى قوانا وهاننا * وأطمع في اعراضنا كل جالس
فكم سيد منا غدا أسيرا مقيدا
وكم من قتيل في الفلوات الدوارس
وكم حرة تبكي عليك بمقلة * مسهدة من ناظر غير ناعس
وشداد قد أضحى به الذل موثقا * لبعدك عنا يا سيد الفوارس
نرى من يحامي عن عبيل وقومها * اذا غبت عنهم يا سيد القناعس
ومن ذا يحميها اذا كثر العدا * ويجلي صداها يوم جدع المعاطس
سقى الله قبرا أنت فيه موسد * سحاب غمام غيثه غير حابس
فلو كنت حيا ما تركت نساءنا * ينحن علينا في ظلام الحنادس
عليك سلام الله يا نكبة العدا * ويا أفخر الفرسان عار ولابس
وجادت عليك المزن في كل ساعة * وحيى ثراك في العظام الدوارس
(قال الراوي) ثم ان عروة بعد ان فرغ من نظامه حمل على ملاعب الاسنة وأخذ في حربه وخصامه وضاق بهما الخناق وهما على ظهور الخيل العتاق وكان عروة فارسا جبارا وبطلا مغورا الا انه لم يكن من طبقة ملاعب الاسنة ولا من أنداده فمال عليه غشم أخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وأتى الملك قيس البيضة من على رأسه وصاح يا بني عمي هذا يوم بذل الارواح فبيعوا أنفسكم بيع السماح وموتوا كراما ولا تعيشوا اثاما فهذه نساؤكم قد هتكت ودماء رجالكم قد سفكت وفرسانكم

الاجواد

الاجواد قد أسرت وحاميتنا فقد وكانه ما كان ولم يبق مما نحمي
به حريمنا الاسيوفنا ورماحنا ثم انه وضع يده في قربوص سرجه
وركب وحمل وجاءت اخوته خلفه وفرسان بني عبس الحماه وعلا
خلفهم صياح النسوان وكثر عليهم الهم والاحزان وصاح خالد
ابن جعفر في الرجال الذي جمعهم والابطال دونكم وهذه العصابة
اليسيرة والطائفة الحقيرة التي كرهت الحياة وبذلت الارواح
الى الفناء وأبشروا بسبي النساء وأخذ المال المباح فعند ذلك
حملت المواكب وتدفقت الكتائب في طلب بني عبس من كل
جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وسدّوا في وجوههم جميع
المذاهب وجزوا منهم الجماجم والرقاب فتبددت الاجسام
على التراب وهلك الشيوخ والشباب فاستغاث الحريم الى رب
السما لما رأوا سفك الدما وهول الحرب والعذاب فبينما هم
في تلك المصائب اذ طلع عليهم غبار سدّ جميع الاقطار وارتفع
وعلا فظهر من تحته سيوف تلمع ورماح تشلع وتدفق مثل
السحاب اذا همع فلما رأى بنو عامر ذلك الغبار والقتام انكفوا عن
ضرب الحسام ووقفوا ينظرون الى تلك السيوف اللامعة والاسنة
الساطعة واذا هم بخمسمائة فارس كرار وأسد مغوار يقدمهم
فارس كأنه ليث عابس على فرس أدهم أغر محلم وهو ينادي
بصوت ملأ السهل والجبل ويلكم يا أوغاد غير امجاد كفوا عن
الحريم والاولاد فقد أتاكم عنتر بن شداد مبيد الفراعنة
الشداد ثم انه حمل وحمل من معه من الفرسان خلفه واشتدّ الطعن
واتصل وحمي الحرب والكرب بالاعداء نزل وتباشرت بنو عبس
بالافراح وترك نساؤهم البكاء والصياح وتحقق لهم النصر ولاح

ونادى الملك قيس فى تلك البطاح ابشروا يابنو عمى بالنصر فقد
أتى الفارس الجحجاح أسد الحرب والكفاح فقووا العزم والهمم
ومكنوا السيوف فى القمم فعندما سمعت بنو عبس الكرام بهذا
الكلام زالت غمومهم وقويت عزائمهم وحملوا حملة واحدة صارت
منها جرة الاعداء خامدة ولما رأوا بنو عامر قوة بنى عبس وشدة
طعنهم تحقق عندهم قدوم عنتر بن شداد ورأوا ضرباته وهى تهوى
الى الاقبال تقطع منهم الآجال هذا وأما خالد بن جعفر فانه صاح
فى خواص قومه ومن يعتمد عليه من الابطال عودوا الى المنزل
الذى كنا به والخيام حتى نبذل فى الاسارى الحسام أو ننتقم
منهم غاية الانتقام فانى علمت ان الامر آيل الى الانهزام حيث وصل
هذا الأسود الشيطان الذى كانه مارد من مردة الجان لانه فارس
لا يلتقى ولا يبالى بمحرب ولا شقائم أن خالد بعد هذا الكلام قصد البر
وتبعته الشجعان وترادفت خلفه الاقران الى ان وصل الى المكان
الذى به الاسارى وأراد أن يذيقهم كاس الحمام واذا هو بضجة من
وسط الخيام قد علت وضجة زادت وارتفعت والاسارى قد أقبلت
كأنها رسل الحمام أو شعلة نار لها اضطرام (قال الراوى)
وكان خلاصهم من الكرب على يد الامير شيبوب لانه وصل اليهم
وفرسان بنى عامر مشتغلة بقتال عنتر فخلصهم من الاسر والضرر
وأحضر لهم آلة الحرب والكفاح فى لمح البصر وكانت عدتهم
مائتين وخمسين فارسا شدادا يقدمهم عروة بن الورد والامير شداد
فلما نظرهم خالد بن جعفر أيقن هو ومن معه بالموت الاحمر فولوا
الادبار وركنوا الى الفرار وخافوا على أنفسهم من بنى عبس وقال
لقومه اقصدوا بنا بنى فزاره حتى ننظر ماجرى لهم مع عبدالله

أخو دريد بن الصمة وبني هوازن أصحاب العزيمة والهمة ونعلمهم
ان الجيش الذي كان معنا انهزم وطلب البر والاكم ثم انه قصد
عرض البر وسار وقد حلت به الهموم والفكر وبعد مسيره دام
القتال وقوي ضرب السيف الفصال ساعة من النهار وولى
بقية الفرسان الادبار وركنوا الى الفرار هذا وملاعب الاسنة
لما رأى رايات خالد ولت وأبطاله انفلت هم هو أيضا بالفرار يريد
النجاة من خوفه من عنتر أن يعدمه الحياة لانه نظر من حربه
الهول العظيم ونظر منه كل المصائب ثم دار بنو عبس بعنتر
يهنوه من كل جانب بعودته سالما من المعاطب وصار عنتر يحكي
للملك قيس على قصته وما تم له مع مشاجع لما خلصه من الربيع
واخوته وما فعل مشاجع في حقه والملك قيس يتعجب من ذلك
(قال الراوي) وكان السبب في خلاص عنتر ومجيئه من بني خولان
وذلك انه لما قتل مبادر عاد الى القيود كما تقدم والنساء يدعون له
ويحترمنه ويكرمنه مدة ثلاثة أيام ثم بعدها أتت رجال بني خولان
الذين ذهبوا لاجل أن يبشروا صفوان بن مراد بوقوع عنتر بن
شداد ففرح وضمن لهم المال الكثير من النوق والدنانير وعادوا
طالبين أهلهم والاطلال فلما وصلوا رأوا أهلهم في مغاني وأفراح
وبسط وانشراح فسال كل واحد أهل بيته عن هذا الحال فأخبروه
بما جرى لهم مع مبادر من الحرب والقتال ولما رأى مشاجع رأس
مبادر على باب بيته فوق رمح عالي سال عن ذلك فأخبره أهل بيته
أيضا عن فعل عنتر ورده السبي وقتله لمبادر وكيف حمي الحريم
ورجع الى القيد بعد دفع الغريم فقال مشاجع والله ما هو الا
رجل كريم وأسد عظيم ومثل هذا يجب أن نتخذه صديقا لكل

شدة وضيق ثم اجتمع سادات الحي مع مشاجع ودخلوا على عنتر
وقبلوا رأسه وبين عينيه وخلعوا عليه الخلع وصاروا يتقربوا اليه
بالاحسان الا انه كان في بني خولان رجل يقال له مشير يتمنى
قتل عنتر لانه قتل له أربعة أولاد فقال لمشاجع يا أمير أنت سرت الى
صفوان وبشرته بوقوع عنتر فارس بني عبس وعدنان وضمن لك
المال الكثير والاحسان الغزير وها أنت عولت على اطلاقه
من شده ووثاقه بعد ما ربطت لسانك معه وهو ملك هذه الديار
وحاكم هذه الامصار فما جوابك له اذا أرسل يطلب منك خصمه
فقال له مشاجع والله لم يكن أكبر مما فعله عنتر حيث اننا أسرناه
وأردنا ذله وقتله وقابلنا هو بكرمه وشجاعة الرجال وقاتل أعداءنا
وحمى حريمنا وحفظ اعراضنا والله ما بقي لي يد اليه بسوء تمد (قال
الراوي) ولما سمع النساء كلام مشير قمن اليه وفي أيديهن أعمدة
البيوت وصرن يضربنه حتى أشرف على الممات ولولا الرجال
خلصوه لمات ثم ان النساء قلن وحق الملك الديان لو أتى لهذا الرجل
كسرى أو النعمان لخرجنا اليهم في الفلاة ورددنا عنه أعداءه
فوحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تسر رجالنا في خدمته الى أهله
وعشيرته لا نصاحبهم أبدا ولو سقينا كؤس الردا فقال لهم
مشاجع ارجعوا الى بيوتكن فقد قبلنا كلامكن ثم انه اختار
من قومه مائة فارس شدادا فلبسوا السلاح وعزموا على المسير
والرواح فشكر عنتر القوم وأراد أن يحلف عليهم ويردهم فقال
له شيبوب دعهم يسيروا معنا فاني أظن ان الاعداء خربوا ديارنا
ونهبوا أموالنا وأطلالنا فاذا ساروا معنا أعانونا على لقاء الاقران
فاستصوب عنتر رأيه ثم انهم ركبوا وخرجوا من الديار وساروا

يقطعون البرارى والقفار وعنتر سائر بجانب مشاجع وهو يتذكر
فى نفسه ما فعل معه الربيع بن زياد وكيف خلصه رب العباد ونجاه
من ذلك الشر والفساد وسخر لخدمته أولئك السادات الاجواد
ثم تمايل وأنشد يقول

من لى برد الصبا واللهو والغزل * هيهات رد ما فات من أيامنا الاول
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره * وأنكرتنى ذوات الاعين النجل
وما ثنى الدهر عزمى عن مهاجمة
والاسد تحذرنى فى السهل والجبل
وقد نهانى النهى عنها وادبنى * فلست أبكى على رسم ولا طلل
بل من فراق التى فى طرفها حور * فتكت قلبى بما فى اللحظ من كحل
تصيد بعينيها فاسد الشرا منها على حذر
والصب فى سقم منها وفى وجل
يا بنت عمى ليس العشق من شيمى
فى حالة الحرب بل عقلى سابق عملى
بالصافنات وبارقات الهندلى شغل
فليست الصبابة والصهباء من شغل
متى ينال العلا اليقظان همته * اذا أقام بذكر اللهو والغزل
ذرنى لغرى وكرى فى معامعها * كالليث اذا أمشى فيها مشى مختيل
سل الابجر عنى من يوم يحملنى * هل فاتنى بطل أو حلت عن بطل
كم من جيوش قد صبحت عارضها * بعارض مسبل هطل
وغمرة خضت أعلاها وأسفلها
بالضرب والطعن من بيض ومن أسل
مالى أرى عذلى يستقطرون دمى * ألست أولاهموا بالقول والعمل

وما يدفعوالولاى الدهر من أسد * بالليل مشتمل بالجمر مكتحل
لا يشرب الماء الا من قريب دم * ولا يبيت له جار على وجل
ولولا مليك لنا قيس وطاعته * شربت جهارا دما أحلا من العسل
من الربيع ومن نذل يعارضنى * فى عبلتى وقلبى منها الفى شغل
فانما أنا من قوم مفاخرهم * مشهورة أبدا فى السهل والجبل
ارد أقتلك فيهم ثم يمنعنى * حلمى وعفوى واقدامى وحملى
فمن أراد ليفخر مثل مفخرتى * فليقطع من العدا أو يبرز الى البطل

(قال الراوى) فلما سمع بنو خلان من عنتر هذه الابيات تمايلوا طربا واهتزوا عجبا ثم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على الديار وشاهدوا الضرب بالبتار فحمل عنتر و بنو خلان وقد فرقوا بنى عامر وأبلوهم بالبلاء الغامر وجرى ما جرى وسمع قيس آخر الحديث من عنتر بن شداد فزاد تعجبه وفرحه وطربه وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان حديثك أطرب لفرسان عرب اليمن والحجاز ولابد ما نجازى هذه الفرسان بما نقدر عليه من الاحسان ان أسعفنا بذلك الزمان ونحن انتجر أمرنا وانه قد أعنا الشم والضرر والبؤس والحذر ولافكرة لنا الا فى خالد بن محفر لاننا يا حامية عبس ان لم نهلكه لا يطيب لنا عيش فى الديار ثم انه أخبره بقضية بنى زياد وما أحاط بهم من القبائل وقال له يا أبا الفوارس كنت قبل أن تقدم علينا الاعداء انفذت اليهم اطلب مجيئهم الينا ليكونوا يدا واحدة على لقاء الاعداء وتحصل لنا بهم مساعدة فما فعلوا وما تركهم الربيع يقاتلوا معنا بل انفصلوا منا ومن علينا حذيفة بالمعاونة التى بها عاوننا وقال أنا لولاك يا قيس ما كان بينى وبين خالد معاملة وأنا خائف أن يجرى عليهم أمر من الامور ويقتل منهم أمير مشهور

والصواب أن نسير اليهم عند الصباح ونساعدهم فى الحرب والكفاح ولانخلى لهم مقال ولا حال من الاحوال فقال عنتر يا ملك الزمان والله انها غبينة زائدة كيف اسير واساعد الربيع وحذيفة وهم لو تمكنوا منى ما أبقو فى طرفة عين بل يسقونى كؤس البين ولكن لاجل خاطرك اسير اليهم واساعد الربيع وحذيفة بعد أن نودع هؤلاء الاقوام الكرام ونسير جميعنا اليهم (قال الراوى) فلما سمع مشاجع هذا الكلام قال والله يا أبا الفوارس ويازين المجالس لوطارت رؤسنا بين يديك ما نتكبر عليك وأنا اقسم بالرب القديم الذى هو بوساوس الصدور عليم لا أعود الى أهلى حتى تنقضى اشغالكم وتأمنوا فى دياركم فقال له الملك قيس جزاك الله كل خير ولا لقاك بؤسا ولا ضيرا ثم انهم صبروا حتى استراحت الناس وذهب عنهم الوسواس وأقاموا حتى ولى الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك ورحل قيس بالفرسان طالبا بنى فزارة ورحل معهم بنو خولان وبنو غطفان وعنتر سائر وعروة بجانبه وهو يقول له والله يا أبا الابيض انها مصيبة عظيمة كيف أسير الى أعدائى أنقذهم من الشدائد والنوائب ثم انه تنفس من فؤاد مصدوع وقلب موجوع فزاد عليه الهم والغم لانه قد تنفس كمدا وأبدى لوعة ووصبا وأنشد يقول

أسير الى نصر الربيع وقومه * واسعى اذا ثار العجاج بحالس
ولولاك ياقيس ما كنت سائرا * اليهم ولكن أنت عزى وحارسى
فزارة تبغى كل يوم حروبنا * ولكنهم فى الحرب رغم المعاطس
لان ملوك الارض تخشى مضاربى
وطعنة رمحى فى صدور الفوارس

ولي همة فوق السما كين رفعة * وفي النقع أسطو كالهزبر المداعس
وان كان لوني أسود ففعائلي بيض * صباح وخوفي في قلوب القناعس
وقد علمت كل القبائل انني * همام كمي ليس بعدي بنا كسر
لاني مجيد الطعن في كل معرك * أنادي في الهيجاء هل من منافس
أنا الاسد الكرار في حومة الوغا * أنا عنتر العبسي أبو الفوارس
أنا الضيغم الهجام والاسد الذي * تقر له الابطال يوم التداعس
تذل ملوك الارض من خوف سطوتي
وفي الحرب أفني للكمات الاشاوش
سيفي ينادني اذا ثار قسطل * الا فاسقني صرفا دماء الفوارس
ورمحي في يوم الكريهة عابس * عليه سنان مثل لمعة قابس
قد كلت الابطال من عظم هيبتي
وطاعتني الاسد الشداد من الفوارس
واني قد ذليت يا بنت مالك * بحبك ما زين النسا في المجالس
أيا عبل لو شاهدت فعلي وموقفي * اذا ثار نقع في الفلا كالحنادس
هناك تريني اصطليها بهمة * يقصر عنها كل عار ولابس
أنا عنتر العبسي فارس قومه * ولي همة في الحرب تردي العوابس
(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بها السادات وقال له الامير مشاجع أنت سيد بني خولان والملك قيس سيد بني عبس وعدنان لا رد الله فاك ولا كان من يشناك ثم انهم جدوا المسير حتى أشرفوا على بني فزارة فرأوهم في الذل والخسارة لانها قاست من بني عامر حرب يفطر المرائر وكان من حالهم مثل ما كان من حال بني عبس وأعظم لانهم غمروهم بكثرة العدد وزيادة المدد وفاضت عليهم مثل ما يفيض البحر الزاخر ألا ان الحارث بن ظالم

قاتل قتالا تعجز عنه الفرسان الشداد والابطال الامجاد حتى زاد
عليه الحال فصبر الى آخر النهار وأخذ قطعة من أموال حذيفة
وأخذ جماعته وقتل جماعة من فرسان بنى فزارة وقصد عرض البر
الاقفر وباتت بنو فزارة حتى أصبح الصباح وقامت الفرسان لطلب
الحرب والكفاح وافتقدوا الحارث بن ظالم فما وجدوه وافتقد
حذيفة أمواله فوجدها قد فقد منها قطعة جيدة فقال قاتل الله
الحارث بن ظالم وقتله ما أخبثه وأجهله فبينما هم فى ذلك الحال واذا
بالاعداء وقعوا فيهم بالحسام والرمح العسال ولعب السيف فى بنى
فزارة وقد أيقنوا بالذل والخسارة واحتاج الربيع أن يبذل نفسه
هو واخوته لاطراف القنا ووطنوا أنفسهم على الموت والفنا وحلت
بهم الاتراح وبقوا أشباحا بلا أرواح حتى أقبل الليل وأنزل بهم الذل
والويل ودافعوا عن أنفسهم حتى قرب الصباح واذا هم باسنة
ورماح وشفار صفاح وفرسان تنادى يا لعبس يا لعدنان يا لبنى خولان
وكان وصولهم مثل الماء الزلال على كبد الظمآن وكان عبد الله بن
الصمة قد وصل اليه خالد بن جعفر فسأله عن سبب قدومه فى بعض
عسكره فأخبره بقتل فرسان بنى عامر وهلاك الابطال والعشائر
فقال عبد الله وكيف تم عليك هذا الحال وشتت أبطالك فى الجبال
ونحن قد أتتنا الاخبار انك انتصرت على بنى عبس الاخيار
وحصرتهم وطال عليهم الحصار فكيف حتى تم هذا عليك ووصل
شرهم اليك فأخبره بخبر عنتر وكيف كان غائب وحضر فكسرنا
وشتتنا فى القيعان لانه قد أتى وصحبته بنى خولان ومالوا علينا
بالضرب والطعان والصواب انك تقاتل بنى فزارة بالليل حتى تبيد
أقصاهم وأدناهم قبل أن يأتى عنتر وينجدهم فبينما هم على ذلك الحال

اذ قد طلعت عليهم نواصي خيل بني عبس العاديات ويقدمهم
عنتر صاحب الهمات وطلبوا الحرب والطعان وحملات الاقران
وقصدوا الفرسان وتكبوا الشجعان وسار عنتر يقصد
لاعلام ويخوض القتام وهو يطعن في صدور الرجال ويبيد
الابطال حتى اتسع عليه المجال وبنو خولان من خلفه تحمل
لحملاته وتتفرج على طعناته وتتمنى أن يعود معها الى الديار
ويدطوه الامرية على الاشرار منهم والاخيار هذا وقد اشتد من
نيران الحرب الوقود وعملت الاسنه في الصدور والكبود وغابت
الابطال عن الوجود وعلا الغبار حتى صار مثل الرواق الممدود
ومالت الاعلام والبنود وعادت الوجوه البيض سود وكانوا بين
ناقص الحظ ومسعود وحاضر ومفقود وقاصد ومقصود الى ان
ملت النفوس ولعبت حوافر الخيل بالرؤس ووصل الى بني هوازن
الضر والبؤس وأبصروا يوما عبوس وطعنا يشيب النواصي
والرؤس فنفرت مثل ما ينفر النعام وتفرقت بين الروابي
والآكام وأما عبدالله أخو دريد فانه لما علم بانفلال العرب خاف
من الهلاك والعطب فطلب الفرار والهرب هذا والطعن أخذهم
من سائر الجنبات ودارت عليهم العيطات فطلبوا الروابي والفلوات
ونجا خالد بنفسه وقد خمد حسه ثم تفرقت المواكب والجيوش
وتركوا قتلاهم رزقا للوحوش ولما انفصل الحرب والقتال وبطل
الطعن والنزال عاد عنتر يطلب أرض بني عبس قبل مغيب
الشمس ومعه أبطال بني خولان وأبو شداد وعروة بن الورد
وفرسانه الاجواد وما رضي أن يقابل الربيع بن زياد ولا حذيفة
ابن الاوغاد بل انه رجع وهو ينشد ويقول

سل السـيف فى يوم الوغا عن فعائلى
وضربى بها بين الكلا والمفاصل
وعن رمحى العسال فى النقع كم به
طعنت للسادات الكرام الافاضل
وكم قسطل قد خضته فوق أجرد
أنادى بأعلا الصوت هل من منازل
اذا ما رآنى القرن أرمى سلاحه * مخافة سيفى المندوانى وذابل
وكم بطل أرديته بمهند * يئج نجيعا من حتوف الفواصل
وشردت فى البيداء أبناء عامر * على صهوات الصافنات الصواهل
يتيهون فى البر القفار تعسفا * مخافة بأسى وعظم فعائلى
ألا فاعلمى يا عبل كم من فوارس * قتلت فاضحوا مثلة فى المنازل
وكم بطل يوم النزال أسرته
فمات وقد خابت لديه جميع الوسائل
تركت جديلا خالد بن محارب * على الارض ما مأواه غير الجنادل
ونقمة مع كابون حقا أذقتهم * كؤس المنايا من شراب الحناظل
وأيضا بوادى السيل شتت شملهم * وأرديت جبارا بضربة فاصل
وحزت لاموال العراق جميعها وقد
صار كسرى حائرا ذا عقل ذاهل
كذا الخصروان القرن فرقت جيشه
وأرديته فى الحـرب أصبح زائل
وأرديت أتالبدرموط بضربتى * وقد عجزت عنه ليوث الجحافل
جلبت عصافير النياق لاجلك * وتاجا لكسرى ماله من مماثل
أنا عنتر العبسى حامى قومه * كريم شجاع حالك اللون باسل

أنا البطل المغوار في كل معرك * أنا فارس الهيجا كمي الحلاحل
فان كان جلدي اسود اللون فاحم * فبيض فعالي زائدت المباهل
ولي همة فوق السما كين قدعلت * واقبال سعد بالسعادة شامل
ولي كرم باقي وحسن مودة * وبيتي مأوى للضيوف النوازل
وكل ملوك الارض يخشون سطوتي
وقد شاع ذكري في جميع القبائل
ويسبق طعني للحتوف مع الردا
اذا الروح وافت من جميع المفاصل
ويخشى مراسي الموت حتى لوانه * يريد فرارا عاجلته أنامل

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذا لنظام ترنحت لها الفرسان وطربت أبطال بني خولان وجدّوا المسير حتى وصلوا الى الاوطان فعمل عنتر لهم الولائم وأبذل المجهود للرجال الاكارم مدة سبعة أيام وفي اليوم الثامن قدم عنتر الى الفرسان والخيول الحسان وخلع على مشاجع سيد بني خولان خلعة من ملابس الملك النعمان وقدّم له حجرة عربيه وخمسين فصيلا من النوق العصافيريه وخمسين ناقة من نوق جبل الدخان فسار القوم وهم شاكرون لانعام عنتر وما أعطاهم من الاحسان وكذلك الملك قيس وساروا قاصدين ديارهم ورجع عنتر وجاء قيس يأخذ بخاطر عنتر ويقول له لا تحزن يا أبا الفوارس على مافعل معك الربيع بن زياد فوحق الملك الجواد انك لوظفرت بهم ما كنت تفعل بهم ذلك الفعال ولكن الباغي له مصرع ومن سل سيف البغي قتل به فطاب خاطر عنتر بهذا الكلام ولم يزالوا وهم في حديث وكلام حتى وصلوا الى المضارب والخيام واستقر قرارهم وأنست بهم ديارهم وبقي الملك قيس منتظرا

اخبار

138

أخبار خالد بن جعفر وانقادت له الفرسان بهيبة عنتر وكان اذا حضر معه على الطعام وأبصر تقصيره فى أكل الطعام وشرب المدام يطيب قلبه ويقول له يا فارس عبس وعدنان ما بقى لى فكر الا فى قتل خالد بن جعفر لانى اشتهيت أن أزف عبلة اليك لكن تكون رأس خالد على رمح عالى وتبلغ أفراحنا أرج المعالى لان مادام خالد سالما ما أقدر أغصب عمك على ما لا يريد وأفرق شمل العشيرة ومن خلق ذلك الشيطان المريد فكان عنتر اذا سمع هذا الكلام يتسلى على كل حال ويتعلق قلبه بأذيال المحال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من خالد بن جعفر فانه لما انهزم من الوقعة الثانية سار حتى وصل الى حلته فرآها منقلبة بالبكاء والنوادب فزادت به المصائب فطيب قلوبهم وأوعدهم بنيل مطلوبهم وجمع أكابر قبيلته ومن جملتهم أخيه الاحوص بن جعفر وملاعب الاسنة لانهم وصلوا مع الفرقة الاولى وأجمعوا أمرهم على المسير الى أرض العراق فى عشرة فوارس من الرفاق وقال الاحوص على أن أدخل على صهرى الملك الاسود والا ما يكون لنا فى الديار مقام لانى أعلم ان أخبارنا وصلت اليه ولما سمع الملك النعمان بما جرى وهو على كل حال صهر بنى عبس قال نذهب اليه ونقص قضيتنا عليه ونسأله فى اصلاح الشان والا فما يترك منا انسان ثم انه قصد أرض العراق وأخذ معه جماعة من الرفاق هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الحارث بن ظالم فانه لما انهزم من أرض بنى فزارة وانحدر الى العراق فى عشرة من الرفاق وأراد أن يعلم الملك النعمان حتى انه يفصل بين الطوائف وكانت له أخت متزوجة فى الحيره برجل يقال له سنان ابن أبى حارثة وكانت

تسمى سلمة وهى كانت داية أولاد الملك النعمان وكان للنعمان معها
ولد قد ربته يسمى شرحبيل وكان الملك النعمان يحبه و روحه معلقة
وكان من زوجته القديمة ضرة المتجردة ولما نزل الحارث الى العراق
قصد زيارة أخته وأن يحدث النعمان بما جرى على بنى عبس
وعد ثان و يطالب منه أن ينفذ اليهم بأن يكون هو المقدم عليهم حتى
انه يزداد عند العرب قدرا وقيمة وشانا الا انه ما أقام أكثر من ثلاثة
أيام حتى وصل خالد وأخوه والقوم الذى صحبوهم من بنى عامر
ودخلوا على الملك الاسود وبكوا بضجة وانتحاب وشكوا اليه
حالهم وجميع ما جرى لهم بذلة وخشوع وجريان دموع فقال الاسود
يا خالد قد وصلنا الخبر انك قد جمعت على بنى عبس جميع عرب
البر الاقفر وبذلت فيهم السيف الابتر وبعد ما قتلت فرسانهم
وأسرت أقرانهم وقتلت ملكهم زهير وقتل ثعلبة بن الاعرج
الصياد ولده شاس وتركتهم مثلا بين الناس والحارث بن ظالم
حدث أخى النعمان بفعلك وقبيح عملك وعول أخى ان ينفذ معه عسكر
الى قتالك وفناء رجالك وأراك تشكوا منهم وتجعل الذنب جميعه
منهم فكيف هذا الحال الذى هو غير مفهوم فنحن ما عرفنا الظالم
من المظلوم فلما سمع خالد هذا المقال أظهر البكاء والعويل وقال
يا مولاى الحارث حدث بما سمع وما علم بعده ما جرى علينا الا اننا
يا سيدى من أوّل حديثنا الى آخره مظلومين وفى ابن الملك وقصته
متهومين لان الملك زهير فى حال حياته وشدّة البأس أتهمنا
فى ولده شاس وما كان عندنا منه خبر ولا بمن قتله من البشر لانهم
ذكروا ان قتله ثعلبة وقتل فرساننا بسببه ولولا هلال الشهر الحرام
ما فارقنا ولما قابلته فى مكة حكى لى انه يريد قطع قبيلتنا من بين

الانام

الانام وتجبر علينا وأوصل أذيته الينا وفي الوقعة الثانية التي صارت بيننا قتل منا ألف ومائتين بطل وعبدهم عنتر يشهد بأنهم قتلوا منا مائتين والفا بالهضاب والروابي وهذا بالمتسوى ماقتلوا منا في غير هذه الوقعة وأنزلوا بنا الذل والفجيعة ولما أبصرنا بأعيننا الهوان خفنا من الهلاك والقلعان فطرحنا أنفسنا على دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة فأنجدنا بالجيوش والفرسان وسرنا الى بني عبس وعدنان وقصدناهم وكنا رابحين ولكن أنجدهم عبدهم الهجين لانه كان غائب فأقبل وشتت جمعنا والكتائب ولم يبق راجلا ولا راكبا وقتل الفرسان وأباد الاقران وأورثنا الذل والهوان ولو رأيت أيها الملك حالتنا ونظرت حالتنا كنت رحمتنا والنسوان حاسرات والبنات لاطمات والبيوت من أهلها خاليات ثم انه بكى وأظهر الحسرات وأطلق دموعه مسلسلات وأنشد يقول

فجعنا في البنين وفي العيال * وحل الذل في أرض الدلال
وراح العز عنا في انهزام * وأبيات لنا عادت خوال
فلو شاهدتنا لبكيت حزنا * على حزن البنات ذوى الجمال
وأصبح جمعنا في افتراق * وامسى حالنا في سوء حال
وسرنا خائفين من الاعادى * وعدنا نندب الطلل الخوال
ديار الامن عادت دار خوف * وقد شان الزمان بالانتقال

فلما سمع الملك الاسود من خالد هذه الابيات فاضت دموعه بالعبرات ورق قلبه للقوم وترك العتب واللوم وضمن لهم اصلاح الحال وأنزلهم وأكرمهم ومن الغد دخل على أخيه النعمان وكان قد وصل اليه خبر قتل زهير وحزنت عليه المتجردة السوداء ولزمت

البكاء والتعداد وكانت كلما سألته أن ينصر قومها ويساعد قيس أخيها فيقول لها ان جاءني منهم رسول يطلبون النجدة أنجدتهم ولكن أنا أعرف انهم قادرون على أخذ ثارهم من عدوهم ولوان أعداءهم بعدد الجراد وكان النعمان مراده أن يذل بني عبس بكل سبب حتى انها تدخل تحت طاعته مثل العرب الى أن دخل عليه أخوه الاسود وأخبره بكل ماجرى وتجدد فتعجب من ذلك غاية العجب وقال أنا لا أرى الصواب الا الصلح بين الاعراب والتفت الى أخيه وقال له احضر لي الحارث بن ظالم فلما حضر قدام النعمان أصلح بينه وبين بني عامر وحلفوا انهم مايخونون بعضهم البعض وعمل لهم وليمة وأسقاهم المدام وكان يومهم أحسن الايام الى أن أمسى المساء وهجم الظلام وصاروا يعيدوا عليه الوقعات وماجرا عليهم من بني عبس من الكربات الى أن تمزق شمل من كان هناك من الناس وعاد كل واحد منهم الى خيامه وأما الحارث فانه أخذه الحسد لما سمع مدحة عنتر وتفتت كبده وانفطر وقال في نفسه ان كان عنتر نال هذه المرتبة بشجاعته واقتداره وشاعت بذلك اخباره انا الآخر افعل شيئا افتخر به على سائر الفرسان ويظهر لي به أمر وشان وأقوم اقتل خالدا في حرم النعمان وأخون العهد والايمان ثم انه قام من وقته وقوي عزمه على ذلك الامر والشان وذوالحيات في يمينه حتى وصل الى الخيمة ودخل على خالد وهو راقد وضربه قطع راسه من جسده وطلع يظن انه قد بلغ المراد وهو يقول شعرا

علوت بذي الحيات مفرق رأسه * ومايركب المكروه الا المخاطر

فضلت به لما قتلت لخالد * لان حسامي ماحوته الاكاسر

ثم

ثم انه حدثه سكره انه ماقتله ووضع ذبابة السيف على صدره واتكأ عليه حتى نفذ من ظهره الى الارض شبرا وسار تحت الليل وغياهبه وهو لايدرى أى الطرقات يذهب وعلم انه لاينجيه الهرب فتلبد فى بعض الاماكن الى أن اصبح الصباح فأقام الاخوص من المنام ودخل على أخيه فرآه على تلك الحالة التى ذكرناها فصاح من شدة مصابه ودق على صدره وخرق لباسه وحث التراب على صدره وصاح بالويل والحرب وسوء المنقلب وعاد من وقته الى الملك الاسود وحوله رجاله وأعلمه بما قد أصابه وان الحارث بن ظالم قتل أخاه خالد بن جعفر وتركه بدمه معفر فجرى على الملك الاسود مالم يجرى على احد وقال لعن الله الحارث وخزاه وأبعده ولا أدناه فوالله ما كان خصمه الا أنا وسأجازيه بأوشم الجزاء ثم انه أحضر رجاله العشرة وأولادهم ثم قال كل من أتانى بالحارث أعطيته أجود العطيات وأزيده من الخيرات فأتونى به لاجل أن أصلبه على باب المدينه وارسل النعمان فى طلبه الخيل الى ان كان من الغداة عادت الخيل خائبة مما سارت له طالبه ولم يقعوا له على خبر ولا دليلة اثر فزاد بالنعمان التهابه وعظم مصابه وعول على قتل أصحابه من شدة ماقد أصابه فقال له أخوه الاسود أيها الملك الكريم لاتأخذ البرىء بالسقيم لانهم لو رضوا بفعل الحارث كانوا هربوا معه والصواب انك تدعهم فى الاعتقال حتى يظهر خبر هذا القرنان ونجازيه بالصلب والهوان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما الحارث الغدار فانه لما قتل خالد وهج على وجهه فى القفار لم يزل حتى أصبح الصباح وأفاق من شرب الراح فواقعه الندم وعلم أن النعمان لابد أن يطلبه ويحل به العدم وعلم أن ما احد

يجيره من قبائل العربان بل يطلبوه من كل مكان فحار فى أمره وضاق صدره وتفكر فى نفسه وايقن بهلاكه فزاد عليه مصابه وماهان عليه أصحابه فتأسف عليهم كيف يهلكوا فى يد النعمان بغير ذنب ولا سبب فعاد من حرقته طالبا الحيره وهو فى هموم وحيره وصبر الى أن ولى النهار وأقبل الليل فدخل بين الخيام وجعل يدور بين المضارب والناس نيام فرآهم حول مضرب الاحوص بن جعفر وعندهم خمسة من العبيد فدنا منهم وذبح الخمسة ودخل الى أصحابه حلهم من الكتاف وقال لهم انجوا بأنفسكم من التلاق فاذا أمنتم على أرواحكم اقصدوا ديار بنى عبس وعدنان وعيشوا عندهم فى أمان تحت كنف قيس بن زهير فانه يصلح حالكم مع النعمان لانه صهره ومايجيركم أحد سواه وأما أنا فما يجيرنى أحد من العربان لاجل خاطر النعمان وقد عولت على أمر وأريد أن أفعله قبل هلاكى حتى أكون قد أخذت بثار نفسى وأترك لى حديثا يذكر من بعدى ثم انه فارق القوم وقد هانت عليه نفسه وقصد بيت أخته سلما وكان وقت السحر فلما دخل عليها رأته وحارت من فعله وقالت يا أخى ما اقدمك وما الذى أعادك الى أرض النعمان بعد ما سلمت من الهوان والله يا حارث ان وقعت فى يده فما يتركك ساعة من الساعات حتى يوردك المهلكات فقال الحارث اين امضى وبمن احتمى والنعمان غريمى ولا لقيت لى خلاص من هذه الامور الا بما خطر فى بالى والا سفك دمى وساءت أحوالى فقالت له وما الذى تريد أن تفعل حتى انك تنجوا من الحيل فقال لها تسلمى لى ولد النعمان أخذه على كتفى والتقى به أبيه وأقل له أنا فى جيرة هذا الصبى فيعفوا عن ذنبى ويسمح عن خطيئتى

١٤٧

فاذا انصلح حالي مع النعمان نجوت من نوائب الزمان ولا أبالي بأحد من بني عامر ولا من جميع العشائر فقالت هذا رأي مليح وبه تنجو من كل قبيح ثم انها من شفقتها عليه سلمت ذلك الطفل اليه فأخذه على كتفه وأتى الى باب الحيرة فرآه مفتوحا والناس خارجة لقضاء أشغالهم وافتقاد أحوالهم وكان عسكر النعمان خارجا قدام الملك يريد الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص فصرخ الحارث صوتا أوقف الجميع وحذف الصبي الى الهوى والتقاه بسيفه ذوالحياة فحكم بين رجليه شقه نصفين فضجت العساكر من سائر الجهات وقصدوه بالمرهفات فقصد عرض البر والقفار فجدت وراءه القوم على الآثار حتى لحقوه وأدركوه فعاد اليهم وهجم عليهم ومال فيهم وصال وجال ففرق جمعهم وصيرهم في خبال فرد الحارث قاصدا الى الجبال فتبعوه وصرخوا عليه فرجع اليهم وقاتلهم الى قريب المساء فعند ذلك ضعفت قواه وقلت همته واضمحلت عزيمته وكان العسكر بعيدا عنه فتأسف على سيفه ذوالحياة كيف يملكه غيره من السادات فأتى الى صخرة عظيمة وهي قطعة من جبل وأقام يده بالحسام وضربه على تلك الصخرة لأجل أن يكسره فنزل بحده فقد الصخرة شطرين فانبهر وأخذ الحسام وصار قاصدا البر الاقفر وكان قاصدا بها هلاكه فكان فيها نجاته لان العساكر لم يزالوا خلفه يجدون المسير حتى أتوا الى الصخرة فرأوها نصفين لانهم رأوه وهو يضربها فوقفوا عندها وقالوا لبعضهم البعض الذي ذبه عزم يقد الاحجار كيف نتبعه في هذه القفار ثم انهم وقفوا حتى أتى النعمان واعلموه بالذي جرى وكان فلما نظرها النعمان رجع وهو يقول لعن الله الحارث ما أقواه ثم انه كتب الى جميع القبائل

كل من وقع بالحارث يقبضه و يأتى به اليه وله جميع ما يسير عليه
ثم انه بعد ذلك أحضر سنان بن ابى حارثة وقال له أنا ما أعرف ولدى
الا منك لان الحارث صهرك وأخذ ولدى من بيتك فبكى سنان
وقال له لا تظلمنى يا مالك فأنا وحيات رأسك ما كنت البارحة
عند زوجتى ولو كنت لأعلمتك بذلك أو كنت قبضت عليه
وأحضرته الى بين يديك حتى تقتله وتظهر فيه نقمتك لاجل
انه خرق حرمتك فقال النعمان أنا لا أسمع هذا الكلام ولا أطلقك
يا نسل الحرام حتى تقيم لك ضمينا وتشهد على نفسك انك تسير
وتقتفى أثره حتى انك تقع على خبره وان لم تفعل ذلك والا تكون
خامرتنى وتكون أنت عوضه لانى ما أطلب ولدى الا منك ولا أعفوا
عنك فقال سنان افعل ما بدا لك فما أخالفك فى أقوالك وأنا اقسم
وحق الملك العلام لا اخامرك بل أنا الضامن انه أينما كان أطلع
ادور عليه فى قبائل العربان وأنا ضامن لكل ما طلبته قافلته
النعمان وصبر عليه حتى يصبح الصباح ويقصد عرض الربا والبطاح
فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أصحاب الحارث فانهم
جدوا فى قطع القيعان حتى وصلوا الى بنى عبس وعدنان ودخلوا
على الملك قيس وأخبروه بما فعل الحارث وكيف قتل خالدا
فى حرم النعمان وكيف انه خلصنا وقال لنا اقصدوا الملك قيس فما
يجيركم أحد سواه من العربان وها نحن قدمنا عليك وصرنا بين
يديك وبشرناك بأخذ تارك وكشف عارك فلما سمع قيس بذلك فرح
واتسع صدره وانشرح وأخلع عليهم وحياهم وأكرم مثواهم وضمن
لهم الزمام وقال والله لقد فاز الحارث بهذه المكرمه وسمع عنتر بما
فعل الحارث من قتل خالد وهو نائم فقال لعن الله الحارث بن ظالم لانه

142

ماقتله الا وهو سكران عادم فلو كان قتله في الصدام كان أقوى فخر وأعظم شان وكان عنتر يتمنى قتل خالد على يده حتى تقر بذلك عينيه وأما الملك قيس فانه خلا قلبه وخف عنه همه وكربه فواضب الولائم والافراح مساء وصباح وابصر اخوته فضاء خاطره واحتراق قلب عنتر وسرائره فقال مالك لاخيه قيس لم لا تشيد اركان دولتك وتبذل مجهودك وهمتك وتحز أمر حامية العشيرة وتدخله على زوجته حتى تزول عنا كروبنا ونبلغ مقصودنا فلما سمع قيس ذلك قال يا أخي افعل ما بدالك بلغك الله أمالك ثم أن قيس اصطنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة على غدير ذات الارصاد وجمع اخوته واعمامه وأكابر دولته وفرسان عشيرته وقدم لهم الطعام حتى اكتفوا وأدار عليهم كاسات المدام ثم انه دعا بمالك بن قراد وعظمه بين السادات الاجواد وقال له اعلمني لماذا منعت ابن أخيك أن يلم بأبياتك وضيعت حقه عليك وأمرت ابنتك بالاستتار منه أما هي زوجته وقبضت مهرها منه وأشهدتنا عليك فقال مالك اعلم أيها الملك السعيد اني ما منعتها عنه الا من كلام الاعداء من قريب وبعيد وقولهم أن عنتر خلا بها قبل ان تزف عليه ولكن يا ملك الزمان هي زوجته وقبضت مهرها منه ولو طلبها في تلك الساعة أخذها ولولا شغل قلوبنا في مثل هذه الايام كان معه منها عشرة أولاد كرام ولكن ما دام انه قد انشرح صدرك وبالك فافعل ما بدالك فقال قيس يكون ذلك بعد ثلاثة أيام فقال مالك ابنتي أمتك وأبوها وأخوها اخدمك فلما سمع عنتر كلام عمه قام اليه وقبل يده وما انقضت الوليمة حتى انقض الامر وذهب الشر وعاد مالك الى أبياته واختلى بزوجته وشكى

اليها حالته وما ألزمه قيس من تزويج ابنته فقالت له يا ابن العم الى
كم هذه المشاجرة وقد فرغت الاعمار فى هذه المضاجرة ومضت
الشهور والاعوام وتقضت الاوقات والايام ولم تزل عبلة تلين
قلبه وهو ما يزداد الا قساوة ولم يقبل لها كلام وأما عنتر فان الملك
قيس استدعاه وطيب قلبه وأوعده بكل سرور فخرج من عنده
وهو فرحان وظن انه قد بلغ المرام وبات وهو يشكر الملك قيس
على ما فعل من الفعال وما الزم به عمه من المقال ولم يزل فى أشد
الافراح حتى أصبح الصباح وأراد عنتر ان يركب واذا بأخيه شيبوب
قد أقبل وقال له يا ابن الام اختك مروة قد وصلت من بنى غطفان
وهى طالبة الملك ولا شك انها حردانة أو نزلت عليها نائبة ما طاقت
حملها فلما سمع عنتر كلام أخيه قام وقصد الى بيت امه لينظر ما حل
باخته وكانت مروة هذه أول أولاد شداد وكانت عزيزة عنده
ويحبها محبة شديدة وكانت متزوّجة برجل من بنى غطفان وهو
جليل القدر والشان وكان معها ولد مليح صاحب وجه صبيح وقد
رجيح تعلم الفروسية وكان يأتى اليه خاله عنتر يزوره ويقيم عنده
فيطلع الى البرية ويعلمه الشجاعة والفروسية ويقول له اطعنى ولا
تشفق على فطلع نارا محرقة وصاعقة مبرقة وصار اذا رأى خيلا
وفرسانا يحمل ويشابه خاله عنتر الى أن بقى من الشجعان وبلغ من
العمر اثنا عشر عاما وكان عنتر اذا سأل اخته أن تخلى له الهطال عنده
لم ترض لانه واحدها وما لك قلبها فلما أتى شيبوب واعلم أخاه عنتر
بقدومها قام اليها ودخل عليها وقال لها ما حالك وما الذى قد جرى
لك فقالت له وهى باكية شاكية اعلم يا أخى ان أولاد بنى غطفان
أمروا ولدى عليهم وساروا فى طلب غنيمة ومضى لهم أيام طويلة

ولم

ولم يرجعوا وقد احترق فؤادى وجفانى مضجعى وأخذنى الوسواس
وأحرمت جميع من حولى من الناس المنام ففى ليلة من الليالى رأيت
ولدى فى المنام ومن معه من الاولاد فى دخلة عظيمة ورابط لهم على
باب الدخلة أسد من الآساد وهو يهددهم بالاكل ليلا ونهارا
فانتبهت وقد اشتعل قلبى بالنار وبقيت كذلك حتى طلع النهار
واذا بعبد واقف على باب المضرب وهو لابس عمامة دنيسة وثيابا
رسيسة فى زى سائل فخرجت اليه ومعى قعب من اللبن وشىء من
القديد وقلت له خذ يا غريب وادعى لولدى الغائب بالرجوع
فقال لى وقد تبسم من كلامى ومن هو ولدك الغائب لعل له المطال
الغطفانى فقلت نعم أهل عندك منه خبر فقال نعم لانى مررت على
حلة بنى تميم ودارم فرأيته فى أسر اللقيط بن زرارة وهو مشبوح
بين أربع سكك حديد فأخذتنى عليه الشفقة وتقدمت اليه
وسألته ما الذى تم عليه فقال لى عن حسبه ونسبه وقبيلته وحربه
وحلفنى أن مررت على بنى غطفان أن تعلم أمى لاجل أن تعلمى خاله
عنتر وضمن لى مالا كثيرا ان تخلص من الاسر والضر فهذا ما تم لى
من القضية فلما سمعت ذلك من العبد وخلانى وراح وجرت دموعى
سفاح وها أنا قد أتيت اليك وقفت بين يديك فلما سمع عنتر ذلك
الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وتعجب من نوائب الزمان وكيف
يحدث قبل الفرح احزان لانه قد تعلق قلبه بزفاف عبلة وانحلت
عقدته فحدث عليه هذا الحادث فبقى ينظر ما بين يديه فقال
لاخته قلى من احزانك وسيرى الى مكانك ثم انه طيب قلبها ونفس
عنها كربها ثم انفذ أخيه شيبوب الى عروة يعلمه أن يجهز نفسه
هو ورجاله ويلاقيه على أرض المريقب اذا انسدلت جيوش

الفهب وأخذ من بنى قراد مائة فارس امجاد وأوصى أبيه شداد بكتمان الحال وانه لا يبدى الى أحد مقال وسار فى صحبته أخاه شيبوب وجرير وأما عمه مالك فانه انكشفت عنه همومه وزالت غمومه لانه كان عول أن يفقد الربيع بن زياد ويستشير معه فى أمر من الفساد وأظهر أنه يقطع الآفاق فرده عنتر وقال يا عماه لم يكن قدامنا أمر يوجب عناك فلا خيب الرب القديم مسعاك فارجع أنت وأصلح حال ابنتك وهيىء حالها واقضى أشغالها فقال والله لقد تنغص عيشنا وأشغلنا هم المطال عن أفراحنا فقال عنتر يا عماه من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه وان لكل شيء وقت معلوم وما أحد يتعدى حكم مسير النجوم وهو الملك الحى القيوم وأنا يا عم طول عمرى أعاون الغربا فكيف أتخلى عن الاقربا الاسيما هو ابن أختى كيف أتركه فى الاعتقال فان غفلت عنه فلا أكن ولد حلال ثم انه رده الى الديار وسار يقطع البر والقفار فوجد عروة فى تل المريقب هو ورجاله وهم له فى الانتظار فاخذهم وسار يقطعون البرارى والقفار وهو يتعجب من حاله وما الذى تم عليه ثم أنشد يقول

الى كم ادارى صروف الرداء	ومن شان ذا الدهر أن يغدر
فيقصد حربى نهارا اذا	وتارة بالليل اذا يعسكر
أيا دهر انى قوى الجنان	مثير العجاج أنا عنتر
وعندى احتمال لحمل الاسا	وأخفى الاسية لا أظهر
تيقن لقيط بقتل الهمام	وان يمينه غدا تقصر
أنا عنتر الوغا يوم اللقا	مقيم الحروب ولا أفكر

(قال الراوى) ثم انه بعد جد المسير يأتى له كلام وأما ما كان

من

من أمر هذا اللقيط بن زرارة الذى هم قاصدون اليه فانه كان فارسا جبارا بطل عنده الشجاعة وتقرله الاقيال بالفر وسيه والبراعة وكانت الفرسان من العرب تسميه عقاب الحرب وفارس الطعن والضرب وأما أسره للهطال فانه كان له سبب عجيب وأمر غريب لان اللقيط بن زراره كان له اخوة أمارة تشهد لهم الرجال وكانوا ثمانية عشر أخ من أب وأم واحده وكانت أمهم يقال لها ماريه بنت عبد اللات وكانت من المجلات وما كان أحد منهم الامن ينادى بالامير والسيد الخطير وكانوا مثل الكواكب الزهريه والاهلة المضيئه فمنهم الامير حاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عند الملك كسرى على الوفاء لانه كان منعزلا عن أبيه بعربه وكانوا فرقة وحدهم فاقحطت أرضهم ومنع المطر عنهم فرحل بقومه الى بعض الاراضى فرمتهم الطرقات على مدائن كسرى فأخذ هدية سنية وطلع الى الايوان وقبل الارض بين يديه وقال له ياملك الزمان اننا اليوم فى جوارك وأينما كنا تحت أمانك ونريد فى هذا العام أن نكون تحت نظرك ونزن لك الخراج مثل ما كنا نزن للملك النعمان فقال له كسرى أنا أقف عليكم نائبا من تحت يدى يعرفكم و يعرف جنسكم وأما أنتم اذا نزلتم عندى تمتاروا الى آخر السنة فترحلوا فما أعرف لكم جبالا ولا جنس وان كنتم تقيموا عندى خلوا عندى رهان على الوفاء فقال حاجب هاك قوسى فقال له كسرى ان قوسك معوجة فقال له ياملك وحالى مستقيم فتبسم كسرى من جوابه وقبل خطابه فصار ذلك فخر البنى تميم وهم يفتخرون على العرب بذلك الى زمان أبى تمام الطائى لما كانوا يقدمون الى سوق عكاظ فتأتى كل قبيلة وشاعرها بين أيديها

ينشدلهم أبياتا من الشعر يخبرفيها عن مكارم اخلاقهم وما فعلوه أجدادهم من الشجاعة والفروسية فتقدم فى زمان أبوتمام فلما سمع شاعر بنى تميم ينشد بين أيديهم و يفتخر برهن القوس على الوفا فقام أبوتمام قدام بنى طى وبنى شيبان وأشار يقول

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها
فخارا على ماأوطرت من مناقب
فانتم عرب أمالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(قال الراوى) وكان قوس حاجب قد اشتهر فخره حتى ترنمت به الشعراء وافتخرت به الامراء حتى قال بعضهم فيه شعرا

كل وفاء كان فى قوس حاجبى
وأنت جمعت الغدر فى قوس وحاجبى

وأقام القوس فى خزائن الملك الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب لما فتح المدائن وكان فى العسكر عطارد بن حاجب فدخل الى الخزنه فوجد قوس أبيه فأخذه وطلع به الى سيدنا عمر وقال له يا أمير المؤمنين هذا قوس أبى الذى رهنه على الوفا فتعجبت الصحابة منه لانه لم يكن أحد يقدر يوفيه فى العرب غيره وشاع ذكره واسمه فى القبائل ومنهم مالك الحاتمى ومنهم علقمة مأوى الصعاليك ومنهم هذا اللقيط بن زراره الفارس الشجاع والقرن المناع وكان أبوهم أفخر العرب نسبا وأجلهم أما وأبا والامير زراره مقيم يوما من الايام واذا بأولاده السبعة عشر أقبلوا عليه وهم يشكون من أخيهم اللقيط وتجبره عليهم وأذيته الواصلة اليهم فأنفذ أبوه خلفه فحضر وهو لابس ثوبا خام رفيع مطرز الاكمام وهو يهتز فى خطوته ويعجب فى مشيته

فقال له أبوه ياولدى قل من تباهيك وهذا الاعجاب والافتخار على أهلك وعلى الاعراب فوحق ذمة العرب لوأن فى مرعاك ألف ناقة من النوق العصافير التى للملك النعمان أوتكون زوج بدر اليمن بنت الامير جابر بن رفاع مامشيت فى قومك هذه المشية ولا اهتززت هذا الاهتزاز حتى انك أسرت عنتر بن شداد فارس الحجاز فى البراز فلما سمع اللقيط من أبيه هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحملت نخوة العرب وكتم أمره ومازح أبيه واخوته وقال له ياأبتاه وبهذه الثلاث خصال ينال الانسان درجة الكمال فقال أبوه وأى فخر أعظم من زواج بدر اليمن ونياق النعمان وبراز عنترة الفرسان فقال اللقيط وحق مالك الممالك المنجى من المهالك مابقيت أرجع الى الاوطان حتى أنال هذه الثلاث خصال الحسان ثم قام على الاقدام وسار الى بيته ونام حتى ذهب الظلام وشكى حاله الى خاله وطلب منه المعونة على بلواه فاوعده ببلوغ مناه ومن يومهم ركبوا جوادين وأخذوا ناقة تحمل المال والزاد وعبدين من العبيد الاجلاد وقصدوا عرض البرارى والوهاد حتى بعدوا عن الديار ودعسوا البر والقفار وتشاوروا أى الاماكن يقصدون وأى الاقطار يطلبون وكان خاله من أصحاب العقول الزاكيات وكان اسمه عبد منات فقال له ياابن أختى أقبل نصيحتى ومشورتى واقصد بنا فى الاول الى الملك جابر بن رفاع صاحب المجد والارتفاع فان أنعم بابنته فنسير بعدها للملك النعمان فان ملكت النياق ملكت عنتر ويشيع اسمك فى جميع الاقطار والآفاق فال اللقيط الى كلامه وشد عزمه واهتمامه وجدوا المسير فى قطع القفار والبيد وكان

طلوعهم من أرضهم فى طالع سعيد وكان هذا الملك الذى هم قاصدين اليه وقادمين عليه ملك مطاع وطويل الباع وكانت بلاده فى اطراف معادن النحاس وكان هذا الملك عمر فيها حصنا مشيدة الاركان لا يقدر عليه أحد وكان هذا الملك من أصحاب التيجان وهو ملك عظيم صاحب عز وتكريم وكان غاوى فى عبادة الاصنام وكان قد اصطنع له صنما من ذهب وبنى له بيتا على صفات البيت الحرام وجعل هذا الصنم على باب البيت وسماه الجبار ونحن وأنتم نستغفر الله الملك الغفار وكان له بنت بديعة الجمال فوهبها لهذا الصنم ورد الخطاب ومنع عنها الطلاب وقال أنا ما أزوج ابنتى الا لمن يأمرنى به صنمى ولو خطبها منى ملوك الاقطار ثم انه اقام على ذلك الحيال وأما اللقيط وخاله فانهم جدوا المسير الى أن قربوا من الديار فابصروا أرضا واسعة وعينا نابعة وغدرانا سائحة ووحوشا سارحة وطيورا ساجعة وأشجار السائر لاثمار جامعة ورياضا وحياضا وماء فياضا وخياما ومضاربا وخيولا وجنائبا وملكا لا يقدر عليه الارب المشارق والمغارب فقال اللقيط لخاله والله ياخال ما هذا الا ملك عظيم وأقليم لا يقاس بالاقاليم وفى هذا الوقت يريد الانسان قبل اطلاق اللسان ثبات الجنان ثم انهم نزلوا على بعض الغدران وخلع اللقيط ما عليه من ثياب السفر ولبس ثياب الحضر وتعمم بعمامة مطرزة الاطراف بالذهب وهى فى رؤيتها عجب وكان جواده من أفخر خيول العرب وأرخى اطراف العمامة على كتفيه وضيق اللثام وكان حسن القوام مليح الابتسام وسار هو وخاله وقد فعل مثل فعاله وساروا الى أن وصلوا الى القصر فرأوا كثرة العساكر وازدحام الدساكر فعند ها قوى اللقيط جنانه وأجرى لسانه وأجهر صوته

وسلم

وسلم وسأل من الحجاب أن يأخذوا له الاذن فى الدخول على الملك
فردوا عليه السلام وبجلوا قدره بالاكترام والاحترام وقالوا له
أخبرنا ما حاجتك حتى نقضيها لك ونجز لك أشغالك فقال لهم
حاجتى لا أذكرها لاحد غير الملك فلما سمعوا كلامه زادت هيبته
فى قلوبهم لانهم رأوا الشجاعة لائحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه
فاوقفوه ودخلوا على الملك وأخبروه بالخبر وبما رأوا من اللقيط
وأوصافه (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامهم فرح فرحا شديدا
وقال لهم عودوا واسألوه عن اسمه وعر به فان قال لكم أنا اللقيط
ابن زراره من بنى تميم وبنى دارم فاكرموه والى عندى أحضروه وان
قال لكم غير ذلك الاسم فاحملوه الى دار الضيافة حتى نتفرغ
وننظر ما معنى هذا الكلام ومن يكون هذا اللقيط بن زراره فضحك
الملك وأبدى الابتسام وقال لهم أنا قصتى عجيبه وأحوالى غريبه
واعلموا ان لى اليوم عند صنمى قيمة ومقدار لانى ثقلت وزنه وزدته
من الذهب قنطار فبقيت صورته عجيبه وقلت له بعد ذلك أسألك
أن ترزق بنتى بزوج يكون شجاعا وقرنا مناعا صاحب حسب
ونسب وسيد من سادات العرب الى أن كان فى هذه الليلة رأيت
صنمى أقبل على فى حلل الرضا وقال لى أبشر فقد سمعت
كلامك وبلغتك مرامك وقد أرسلت الى ابنتك بعلا كريما
صاحب قوّة وشطاره ويسمى اللقيط بن زراره وهو فارس همام
وأسد ضرغام وقد رضيته الى ابنتك بعلا ورأيت كذلك فى الليلة
الثانية وفى هذه الى أن أصبح الصباح دخلتم على واعلمتمونى
بذلك فقلت لكم على السبب (قال الراوى) وكان هذا المنام من
الشيطان لاجل وسوسته بابنته ولسعد اللقيط فرجعت الحجاب

وسألوه عن حسبه ونسبه فانبأهم باسمه وعربه فاخذوه ودخلوا به
على الملك فترحب به ورفع قدره وسأله من أنت يا وجه الاماره فقال
أنا الذى شهدت بفخاره الكواكب السائرة أنا اللقيط ابن زرارة
صاحب الشرف العالى الملقب بعقاب الحرب يوم طعن العوالى وقد
أتيت خاطبا ابنتك زينة البنات الغوانى فاوصل حبالها بحبالى ولا
تضيع سعيى اليك أنا وخالى فاعجب الملك كلامه وقال له ما يحتاج
الى هذا الكلام فان حاجتك قد انقضت قبل وصولك الينا بأيام
والذى أمر بقضاها ما يقدر أحد يراجعه فى كلام ثم أخذه وأجلسه
الى جانبه وأكل معه الطعام وقدم له ما راق من المدام وثانى
الايام أمر الملك باصطناع الولائم ودق الطبول وانقلب الحى بالافراح
وتزينت البنات الملاح ورقصت الاماء والولدات والبنات
العربيات ودارت باللقيط السادات وهم يهنوه بزوجته ويهنوا
الملك به وبهمته وبعد ذلك مد الملك يده الى اللقيط وصافحه وعاقده
وناكحه وشرط على نفسه انه قبض المهر والصداق وبعد ذلك
ضربت قبة الزفاف ولا بقى خلاص فحمد اللقيط زمانه وانزاحت عنه
احزانه ودخل على زوجته فوجدها مثل الشمس الضاحية فى السماء
الصاحية فافتكر هذا الحال وكيف انه دخل عليها بلا مهر ولا
مال فخاف أن لا يبقى معيرة طول الزمان وتضرب به الامثال
جميع الفرسان فاعطاها ظهره ونام ساعة من الليل فابصر الجارية
نائمة فقام من عندها وخرج الى خاله وأعلمه بحاله وما خطر بباله
فقال له لقد نظرت موضع النظر ومن الصواب أن تقصد بنا أرض
العراق ونسأل الملك النعمان فى المهر والصداق فعسى أن
تأخذ شيأ من الدنانير وقطعة من النياق العصافير وترجع بجهود

عند

عند الكبير والصغير ثم انهم شدوا على خيولهم وساروا يقطعون
القفار الى أن طلع عليهم الغبار فهذا ما جرى لهؤلاء وأما الجارية
فانها لما انتبهت وقت السحر فما رأت لزوجها خبرولا جلية أثر فزادت
بها الافكار واذاهي بالنسوان داخلين عليها يهنوها بزواجها
فرأوها وحدها فسألوها عن حالها وماتم عليها وجرى لها
فذكرت لهم انه مادنى مني بل لفت ظهره عني ونام وها انا قمت
وقت السحر فما رأيته فقلن لها النسوان والله ان أباكي فعل فعال
الجهال لانه ردعنكي الخطاب من كل أمير وزوجك لرجل غريب
فقير وباعت الناس واشترت فيها وفي أبيها الى أن بلغه ذلك فقال
لهم أنا ما فعلت لا ما أمرني به صنمي وان كان أخطأ أو أصاب فهو
أخبر بالصواب فقالوا صدقت أيها الملك المهاب فهذا ما كان من
هؤلاء وأما اللقيط وخاله فانهم مازالوا سائرين يريدون الملك
النعمان وفي نيته يلتقي كل من عنده من الفرسان ومما اتفق انه
التقى بالحارث وهو تايه في الوديان والبراري والقيعان وهو خائف
من الملك النعمان لانه عرف أن الملك كاتب فيه جميع العربان
وكان اللقيط وصل اليه كتاب الملك النعمان فلما رآه نادى وافرحتاه
بلغت المنا ونلت جميع المنا وانحلت عقدتي وقضيت حاجتي
ثم انه أعلم خاله بتلك الاسباب وانقض على الحارث مثل العقاب
وانطبق كل واحد على صاحبه وجد في طعانه ومضاربته وأخذ
في الهزل والجد والصد والرد وكان الحارث يقاتل عن نفسه قتال
مغلوب وقد حلت به الكروب هذا واللقيط طامع في أخذه أسيرا الى
بين يدي الملك النعمان حتى يبلغ المال والاحسان ودام بينهما
القتال حتى تصرم النهار ومل الحارث من الطعان لانه كان

تعبان حيران ولهان وقصر جواده في الجولان وانكسر الرمح وأراد
أن يجذب سيفه ذو الحيات فلم يمكنه اللقيط من ذلك بل هجم عليه
هجوم الليث اذا انذعر فناداه الحارث ترفق بي ياسيد بني دارم
ولا تظلم رجل قد أضر به البر من مقاسات البرد والحر فأحسن أيها
الامير لمن بقي في يدك أسير ثم وقف وأسبل يديه وأجرى دمعه على
خديه فقال اللقيط أدركتما فلك والا أوردك تلافك فقال الحارث
سمعا وطاعة ياسيد العرب الاعيان لكن بحق الملك الديان
لاتشاركك في دمي الملك النعمان وان كنت تعفو عني أنا أعطيك
مالا كثيرا ونوقا وجمالا وغفله وهجم عليه وجذب سيفه
ذا الحيات وضربه على رأسه فقطع البيضة والرفادة ونزل الى نصف
جبهته فجرحه جرحا شنيعا ولولا ان الحارث كان ضعيف القوى
لاحرمه أن يشم نسيم الهوى هذا واللقيط ندم على فعاله واستعجز
نفسه على سماع مقاله وقد اسودت الدنيا في عينيه وأظلمت البيداء
عليه فنظر حاله الى ذلك فأيقن له بالمهالك وحمل على الحارث وقد
أشغله يقينا وأخذ همه في مجاله لانه كان بطل من الابطال وقيل
من الاقيال فقاتل الحارث الى ان فاق اللقيط وعاد على الحارث
عودة الاسد الريبال وطعنه طعنة ألقاه من على ظهر الجواد ونزل
اليه وشده كتاف وقوى منه الاطراف وهو لا يعقل من الجوع
والعطش وزاد به الرعش والدهش وأقبل على اللقيط خاله وقطبه
وأقاموا في هذه الارض الى ثاني الايام وقاموا وشدوا الحارث على
ظهر جواده وجدوا المسير وأمنوا من التعسير وهم يجدون في البراري
والآفاق مدة من الايام الى ان أشرفوا على أرض العراق ومن جملة
سعادة اللقيط حكم دخوله في يوم النعيم لانناذ كرنا في أول السيرة

تاصيل

تأصيل هذين اليومين وهم يوم النعيم ويوم البؤس فلما نظرت
طائفة النعمان الى اللقيط تجاروا اليه وخلعوا جميع ما معهم
عليه ونثروا عليه الفضة والذهب وصاحوا صياح الفرح والطرب
حتى وقف جواده عن السير فنادا على العبيد والغلمان ياقوم
اصبروا قليلا فقد غمرتموني بالاحسان حتى أصل الى هذا الملك
العظيم الشان سيد ملوك الزمان وخليفة كسرى صاحب
الايوان لان معي عدوه الحارث بن ظالم واريد منه العطا والمكارم
فلما سمعوا منه هذا المقال زاد فرحهم والابتهال وعادوا الى
النعمان ثم انهم أخبروه بما جرى وكان ففرح النعمان ومال
وزاد الفرح والابتهال وأنس من هذا المقال وقال خذوه
وفي بعض المطامير أرموه وكلوا به جماعة من العبيد وصبوا عليه
العذاب الشديد حتى تنقضى أيام العيد والنعيم لانى ان وقعت عيني
عليه بدلت النعيم بالبؤس وبعد ما يكون سعود ينقلب نحوس
فعند ذلك صارت الغلمان وأخذت الحارث من اللقيط وفي بعض
المطامير سجنوه وبعد ذلك ترجل اللقيط عن الجواد وتمنى وسلم
فأبصر النعمان الى حسن ثيابه وجميل أثوابه فترحب به وزاد
في اكرامه وسأله عن حسبه ونسبه وقومه وعربه فقال يا مولاى
أنا من بني دارم أصحاب المنازل والمعالم والخيول القوادم والسيوف
اللهازم الذي نارهم في الحرب لم تخمد ولهامن النجيع دم مزبد وأنا
اللقيط بن زراره الذي شهدت بفخاره الكواكب السيارة
الفارس الوثاب والليث المهاب المسمى في الحرب بالعقاب
(قال الراوى) فتعجب الملك النعمان من سرعة جوابه وحدة خطابه
وقال له يا ابن السادة الاماجيد تمنى واطلب ما تريد في هذا النهار

السعيد فثبت اللقيط جنانه واطلق لسانه وشرح للملك النعمان قصته وخبره واعلمه بزواجه وقال له أيها الملك الهمام اريد منك شيأ وهو مناقلبي وبغيتي من الزمن وهو مهر زوجتي بدر اليمن فقال الملك النعمان يا لقيط وحق النور والنار لو كنت طلبت ملكي سلمته اليك ولا أمن به عليك ومادام انك قنعت منا بذلك الامر اليسير فسوف يصل اليك وكان اللقيط قد طلب من الملك النعمان ألف ناقة من النوق العصافيريه فعندها قال الملك النعمان للخدم والغلمان أنتم وما خرج معكم في هذا اليوم من مال ونوال وأواني فضة وذهب وخلع وجنائب وأثواب حرير فانه يكون لهذا الغلام قليله وكثيره واذا قضينا حق ضيافته ثلاثة أيام أوصلناه الى ما يتمنى من الانعام ثم انه ضرب له المضارب والخيام ورتب لخدمته الخدام ونظر الى تلك الحيال فرآه عظيم وجنة نعيم والوان من الطعام والاواني تفضلت بصافي المدام فعند ذلك اغتنموا الاوقات وانتهبوا اللذات مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أمر له الملك النعمان بألف ناقة من النوق العصافيريه وخمسمائة من غيرها وحمل أكثرها حرير وطيب وزاد وسيره من عنده في زي الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار بجمال وأحمال وخيول وبغال وعبيد وإماء ومال وأراد أن يسير معه خيل تخفره فأبى اللقيط ذلك لعزة نفسه وسار هو وخاله يقطع البر والدنيا لا تسعه من شدة الفرح لانه في نار الفراق زوجته بدر اليمن حتى ظن أنه ما بقي يجتمع بها بقية الزمن وكان أبو الجارية من حيث ما فارقه اللقيط قد اشتدت بليته وعظمت أحزانه وأكاوه بنو عمه بالكلام وأوجعوا قلبه بالملام وهو يظهر الجلد ويخفي الوجد والكمد

وكلما يسمع العزل يقول أنا ما أسمع فى صهرى كلام ولا أشك فيما
أمرنى به صمنى الجبار وما زال على مثل ذلك حتى وصل اللقيط
بتلك الاموال والنوق والجمال ولما تلاقوا عتب عليه الملك وعلى
غيبته فقال له اللقيط أيها الملك أنت فعلت معى عند قدومى عليك
ما لا يفعله أحد ورضيتنى لابنتك بدر اليمن وحملتنى فوق طاقتى منى
وأنا ما رأيت ان أملك بنات الملوك بلا صداق ولا مهر وأعاير بذلك
على طول الدهر وأنا أدعى بسيد الفرسان فى العصر فضيت فى طلب
المعاش والمكسب فسبب لى القديم من حيث لا أحتسب ثم انه
حدثه بحديثه من حين فارقه الى حين رجع ثم أمر العبيد فقادت بين
يديه الجنائب المزينة بسروج الذهب والنوق العصافيريه وأظهر
ما قد صحبه من الاموال والجواهر والثياب الغوال والفضة والذهب
فحار الملك بما رأى من العجائب وفرح لابنته بهذا البعل العالى
المناقب ثم انهم جددوا الولائم والدعوات وعملوا الفرح والمسرات
ثلاثة أيام متواليات وزفوها على اللقيط زفافا ثانى وزاد فرحه بذلك
الحظ والمعانى والتقى اللقيط مع زوجته وبات فرحانا معانقا لها
وقضى ليله معها الى الصباح ولم يزالوا كذلك فى أطيب عيش وانعام
مدة من الايام وبعد ذلك اشتاق الى الاوطان وأراد ان يعلم أبوه
واخوته بما وصل اليه من الملك النعمان فاستأذن أبو الجارية
فى المسير الى أهله باهتمام وحدثه بما جرى له مع أخيه من الاقاويل
فأذن له فى ذلك بعد ما علم انه كفؤ الابنته وأعطاه شيأ كثيرا من ماله
ونعمته وودعت بدر اليمن أباها وجميع بنات عمها بعد ما ودعت أمها
ومن الغد حلف عليه اللقيط وردّه الى دياره والاوطان وبعد ذلك
سار اللقيط هو وخاله يقطعون السهول والاوعار وهم يتناشدون

الاشعار ويروون الاخبار فلما تمادى بهم المسير وجدوا فى التشهير فعند ذلك أنشد اللقيط يقول

بلغت كل المنا والسؤل فى زمن * لما ملكت بسيفى بدرة اليمن
بدراذابدرت من حول مضربها * بوادر النوق ساروا والخلق بالمحن
تمت ملاحتها فالشمس تخدمها * اذا بدت فى معانى الحى والدمن
كانّ سيف أبيها من لواحظها * يغرى القلوب بلا فرض ولا سنن
كانما الحسن وافاها وصاحبها * كانصاحب روح الحى للبدن
لونادت الميت يوما فى مقابره * لقام يسعى ولباها من الكفن
ملكتها بحسامى بعد ما انقطعت * قلوب خطابها من شدة المحن
وقد تجت الابطال من همى * اذا سحبت ذيول الفخر فى وطن
وكما جذسيفى فى الوغا خضعت * له الفوارس من صنعا الى عدن

(قال الراوى) ولما فرغ اللقيط من شعره ونظامه ونقضه وابرامه استوى على سرجه وطلب الطريق الواضحه وسار بهمة فالحه وجدّوا فى قطع الربا والاكام فبينما هم سائرون يقطعون البر الاقفر اذ قد طلع عليهم الهطال بن أخت عنتر بن شداد فى عشرين فارسا من فوارس بنى غطفان والابطال ونظروا الى ما معه من ذلك النوق والجمال والخيل والاموال وهو وحده فى ذلك الربا والتلال فطمعوا فيه وطلبوه بما معه من ذلك المال وان ينجوا بنفسه سالم فلم يلتفت اليهم بل حمل عليهم وحملوا عليه ولم يزل القتال يعمل بينهم الى ان قتل ثلاثة من جماعة الهطال وثنى منهم اثنا عشر فارسا ربال وبعد ذلك حمل على الهطال ولم يكن الهطال من رجاله ولا يعد من أشكاله ولم يطل بينهم المطال حتى أخذ الهطال أسيرا بحالة الذل والتعسير وبعد ذلك أقبل على

الهطال وقال له من أى العرب أنت تكون من الفرسان ولمن
تنسب بين العربان فقال له أنا من بنى غطفان أصحاب الأكاليل
والتيجان ولهم اتصال ببنى عبس وعدنان وخالى عنتر بن شداد
فارس الحرب والجلاد ولوضعفت مناكبى وأوصالى ماقدرت
على فى مجالى ولما سمع اللقيط كلامه تعجب من اقدامه وقال
لخالته ياخالة ما رأيت أبرك منها طريق فقال له خاله وكيف ذلك
يالقيط فقال له أنت تعلم بقصتى وكيف خروجى من الحى وذلك لما
شكانى اخوتى الى أبى ورآنى وقد أتيت أسحب أذيال عجبى وقال لى
لوان فى مراعيك ألف ناقة من النوق العصافيريه أو أنت زوج بدر
اليمن بنت صاحب السرادق الكبير أو تكون لاقيت فى البرارى عنتر
فارس الحجاز ما مشيت هذه المشيه ولا اهتززت هذا الاهتزاز وما
عايرنى أبى بهذه الاشياء الا انه قد علم انها غاية التحف وأعلا درجات
المعالى والشرف وها أنا قد لاقيت منها اثنين بافعالى واقبالى ونلت
بهم المعالى والدرجة الثالثة هذا الغلام الغطفانى لانه ابن اخت
عنتر بن شداد ولابد لخاله ان يأتى لخلاصه وألقاه قدام أبى وأريه
ما أفعل به فى حومة الميدان وان لم يأت فأنا أسير اليه بجماعة من
أصحاب عشيرتى الاعيان واقلع بنى عبس جمعا ولا اخلى لهم آثار
وآخذ لبنى عامر منهم الثار ولا أترك العرب تعايرهم فى جميع الاقطار
لان الذى قتل خالدا بن جعفر سالمته طول الزمان واذا أهلكت بنو
عبس وعبدها ما يتوجب على ملام ثم انه سار بمن معه وهو فرحان
حتى وصل الى دياره والاوطان وقد فرح الملك النعمان وصار لى
عنده اليد البيضاء واليه سبقت المبشرين بالاخبار ونال منزلة عالية
وفخار وكان أبوه مشتغل القلب عليه وقد ندم على ذلك المقال الذى

قاله اليه ومازال على ذلك الحال حتى خبروه بقدومه فخرج الى لقائه من يومه هو وسائر اخوته وجميع قبيلته ولما رأى ما معه من الاموال والنعم فرح بذلك وساله عن حاله فأخبره بكلما جرا له وكيف ساعدته الاقدار وصروف الزمن حتى تزوج ببدر اليمن فزاد سرور أبيه لعظام همته وعلم انه أقوى من سائر اخوته هذا وقد شد الهطال هو ورفقته وعمل الولائم لفرسان عشيرته ونحر وعقر لسلامته ومن شدة عجبه بنفسه وسوقه الى عنتر بن شداد انفذ ذلك العبد الى بنى غطفان وأخبره الهطال بالخبر الذى ذكرناه وعلمه انه يقول لهما على لسان ولدهما اقصدى خالى عنتر واعلميه بالخبر وما أنا فيه من الاسر والضر وانى فى عذاب شديد وهوان ما عليه من مزيد فمضى العبد واعلم امه بذلك الخبر فتنغص عيشه وتكدر وتنهد وتحسر وفى اليوم الثانى تجهز للمسير وسار عنتر وهو متعجب ومتفكر فى حوادث الايام وما تبديه الشهور والاعوام وهو ينشد ويقول

وجدى بكم وغرامى كيف أستره * وفى فؤادى نار الحرب تسعره
فكيف أسر حالى وهو مشتهر * وكيف أنكره والدمع يظهره
أقول قد قر قلبى فى محبتكم * فينثنى لى باشواق تغيره
وكلما قلت دهرى قد صفا وعفا * عادت ليالى هجرانى تكدره
يا عبل كيف أفيق اليوم من ولهى * والدهر عاندنى ظلما بظاهره
وانى طالب الهطال أطلقه * من الوثاق ومما كان يحذره
واردى اللقيط على الغبراء مجدلا * أو ينثنى وهو منى فى مخاطره

(قال الراوى) فقالت الفرسان لاورد الله فاك ولا كان من يشناك وساروا الى ان قربوا من ديار بنى دارم وشارفوا أرضهم والمعالم وبقى بينهم وبين حلتهم يوم واحد فنزلوا على بعض الغدران وتشاوروا

فيما يفعلوا من الامر والشان فقال لهم شيبوب الرأى عندى انكم تأخذوا فى عرض البر واذا صرتم خلفهم تكمنوا الى أن أعود اليكم وأقول لكم كيف تكسبون القوم وأنا ان شاء الله تعالى أتركـكم تغنموهم وتملكوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وتخلصوا المطال وتأخذوا أموال بنى دارم وتستعينوا بها على الافراح والولائم لئلا ترجع تتغير عليك نية عمك مالك ويرتد عما كان عازم عليه من ذلك فقال عنتر والله يا أخى لقد أشرت بالصواب وأتيت بالامر الذى لا يعاب لاننا ان تم لنا هذا الحال افتخرنا وبلغنا الآمال من خلاص المطال فقال شيبوب هذا يتم ان شاء الله الكبير المتعال فدبروا كما ذكرت لكم وانظروا كيف الحال ثم انه رحل بهم وأخذ بهم فى عرض البر الاقفر حتى علم انه قرب بهم منازل اللقيط وحلة بنى دارم وقال لهم داوموا أنتم على مسيركم الى وادى الرملة وتلك المعالم واكمنوا هناك حتى أعود اليكم ثم ان شيبوب أخذ معه أخاه جرير وخرج يطلب الاحياء والخيام وكان قد لبس ثوبا خام قصير الاكمام ثم تعمم بعمامة كبيره وأوسع هو وأخوه جرير فى المسير على الاقدام حتى وصلوا الى ديار بنى دارم قبل الظلام ولما قاربوا المضارب تواثبت اليهم العبيد من كل جانب وسألوهم عن حالهم فقال شيبوب نحن رسل من بنى عامر الى الامير اللقيط من عند الامير الاحوص بن جعفر وملاعب الاسنة غشم ابن مالك أين نجد الامير يا فتيان فقال لهم العبيد اقصدوا الى ذلك السرادق الكبير الاطناب الواسع الاركان فتقدم شيبوب وجرير فوجدوا اللقيط جالسا على باب المضرب وله هيبة عظيمة وملوك العرب كلها حوله واخوته بين يديه والخيول والنوق تعرض

عليه فلما رأى شيبوب ذلك قوى جنانه وأطلق لسانه وشق الكل قبل أن يسأله اللقيط عن حاله ودنا اليه وتقدم الى بين يديه وخدم وقبل الارض وقال حياالله الامير المحتشم والفارس الغشمشم سيد بنى دارم ونسل السادات الاكارم سيد هذه الديار وحاميها وفارس الخيل ومرديها فقال له اللقيط وقد استغربه وصار يتأمله وناداه يا غلام من أين أنت يا مولد العرب ومن أى الناس أنت يا ابن الكرام فقال له يا مولاى من بنى عامر وقد أتيت اليك لان سيدى الاخوص ابن جعفر أرسلنى لك من شفقته عليك وقال لى سر الى أخى اللقيط واخبره ان عنتر بن شداد سائر اليه قاصد خلاص ابن اخته الهطال وأنا يا أمير خائف عليك من شره فان وجدت منه غفلة فجرعه كاس الممات واريد اذا بلغت الرسالة تقول له أن يجعل باله من الحارث بن ظالم الذى قتل أخى فى حرم النعمان فان وقع به يمن علينا بانفاذه حتى نشكره طول الزمان وان كان الهطال كما ذكر عنده فى الاسر والاعتقال يرسله الى حتى أذيقه الوبال وأرسل له عوضه مهما طلب من المال وان كان قتله يمن علينا برأسه من جملة المنن ويجعلها حق تهنيتى له بزوجته بدر اليمن فلما سمع اللقيط ذلك الكلام من شيبوب تعجب من حلاوة لفظه الذى أخذ بمجامع القلوب وقال وحق ذمة العرب ما هذا العبد الا فصيح اللسان يصلح لقضاء الحوائج من كل مكان فلله در قبيلة عبيدها تشابه ساداتها ثم انه قال يا غلام اعلم ان الحاجة الاولى التى طلبها صاحبك قد قضيت وانى سلمت الحارث الى من يسفك دمه وقد قضيت الحاجة فيه ثم انه حدث شيبوب بما جرى له من الحارث وكيف ساقه الى النعمان وسلمه اليه وهو فى حال الذل والهوان وكيف أخذ عوضه

النوق

152

النوق والجمال وبعض ما تيسر من المال وأما الهطال فهو الى الآن
فى الاعتقال الى ان يأتى خاله الى خلاصه من وثاقه فاذا جاء أعجل
عطبه ومحاقه والافحاش المثلى أن يبيع عدوّ الصديق بمال أو يأخذ
حقه نوقا أو جمال وانى قد أقسمت برب الخلق والبشر أننى لا أترك من
بنى عبس من يخبر بخبر ولا أبقى منهم كبيرا ولا صغير والا آخذ فدية
الاسير منهم ولا حمل ذهب وقد عولت عند الصباح ان اسير الى
هذا العبد بخواص عسكرى واجنادى ولا أدعه يصل الى أرضى
وبلادى لاننى أنا الذى أنفذت الى ام الهطال وأخبرتها انه عندى
فى الاسر والاعتقال وقد علمت انها تمضى الى بنى عبس وتطرح
نفسها على أخيها حتى يأتى بجماعة من فرسان عشيرته أو يأتى
وحده بحماقته ويطلب خلاص الهطال من يدى ولم يعلم انى حريص
عليه بكل طاقتى وجهدى وها قد بلغنى ان ذلك العبد الزنيم نسل
الاوغاد قد أتى قاصدا الى هذه البلاد وكان الذى أعلم
اللقيط العبد الذى أرسله الى أم الهطال بالخبر لانه قد عاد اليه
وأخبره بما فعل ودبر وقال له يا مولاى ما برحت حتى وصلت أم
الهطال الى بنى عبس فى جماعة من النسوان وعلمت أنها تقصد
عنتر من دون الفرسان وتطلب منه خلاص ولدها فقال له اللقيط
يا ويلك قد عجلت بعودتك وكان الصواب مسيرك خلف النسوان
ونظرك الى عنتر وكيف يدبر وفى كم يسير من الفرسان ومتى يكون
مسيره الى هذا المكان ثم انه صار يتأهب للقتال وعنتر ينتظر
شيبوب وجرى ما جرى من التبيين وقوى عنده اليقين وشد عزمه
على المسير وسرعة التشمير فلما نظر شيبوب الى ذلك الحال علم
انه انخدع بالمحال فقال له يا مولاى اذا كنت تكرمت علينا

بهؤلاء الانذال فانا أريد أتولى عذابهم ماداموا فى الاعتقال الى
أن تعود أنت مؤيدا مظفرا ومعك أسرى بنى عبس ومعهم عنتر
وارجع أنا يا مولاى الى سيدى الاخوص بن جعفر بما يسره من
الخبر وينقطع من بنى عبس الاثر لانى ما أتيت من عند مولاى الا
وملاعب الاسنة معول على غزوهم والمسير الى ديارهم فى ابطال
بنى عامر لعل أن يفرق شملهم مادام عبدهم غائب عنهم لان لنا فيهم
عيون وارصاد من وقت ما عاديناهم يأتونا باخبارهم ليلا ونهارا
ولولا ذلك ما كنا علمنا بمسير عنتر بن شداد لما سار وطلبك بفرسانه
الاشرار فلما سمع اللقيط ذلك الكلام قال لشيبوب وما معكم خبر
فى كم سار هذا العبد من الفرسان فقال بلى يا مولاى أخبرنا أنه سار
فى ألف فارس أعيان من فرسان بنى عبس وعدنان الا انهم كلهم
أبطال وشجعان فقال اللقيط لما سمع هذا الكلام بعد ان زاد به
الابتسام أذل الله ذلك العبد ولد الزنا وفى ألف فارس يريد أن
يلقى مثلى أنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لارينه ضربا وطعانا
تتحدث به السفار والركبان ثم انه أمر عبيده أن يسلموا الحطال
ومن معه من جماعته الى شيبوب حتى تنفرج عنه الكروب
ثم قام هو الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأخذ من قومه
ثلاثة آلاف فارس ليوث عوابس وترك فى الخيام خمسمائة فارس
تحفظها من الوساوس وسار وهو من شدة حنقه من عنتر يحلف
أنه لا يرجع حتى ينزل به العبر وقد أعجب بنفسه وتكبر على ابناء
جنسه ولما سار ركب الطريق الواضحة التى تنتهى الى بنى عبس
وما علم ان الذى جاء له جاسوس وقد أراد له التعس والنكس ولما
خف الحى من ذلك الامر الخطير أرسل شيبوب أخاه جريرا الى أخيه

عنتر يعلمه بذلك الخبر فلما وصل اليه زالت عن قلبه افكاره وسأله
عن حقيقة حاله فأخبره كيف سار اللقيط بثلاثة ألف فارس من
قومه الى ديار بنى عبس والاطلال وأخلى الحى من الفرسان
والرجال ففرح عنتر بهذا المقال وأقام الى وقت السحر ورحل عند
الصباح برجاله والفرسان وقد تأهب للضرب والطعان وركب على
بنى دارم فى الصباح ومازال واقفا برجاله فى البطاح حتى رأى السرح
قد اتسع فى المراح فطلب ذلك الوقت الجمال والنوق الملاح ودخل
فيها وساقها هو وابطاله بالرماح وساقوا معهم العبيد والاموال
وأخذوا ما قدروا عليه فى الحال وطرحوا فى أقفية العبيد ضربا
مثل فتوق الاعدال ومددوا أكثرهم على الرمال وأعادوا
الباقين ينادون بالويل والوبال حتى وصلوا الى المضارب والخيام
فركب باقى اخوة اللقيط وطلبوا السبر والآكام وطلبوا القارة
وهم مثل الطيور الطيارة والكل بالدروع الحديد والزرد النضيد
وكان عنتر أمر خمسين فارسا أن تسوق الجمال ووقف هو وباقى
القوم برد الفرسان والابطال ولما وصلت الشجعان الى مقام
الضرب والطعان فصاحوا أشدّ صياح ومد بعضهم الى بعض
عوامل الرماح وتطاعنوا طعنا يخطف الارواح وتصادموا بشفار
الصفاح حتى اهريق الدم وساح وكان عنتر علم ان ما فى الحلة
أكثر من العسكر الذى ظهرت فسطى عليهم بقوته وتجبر عليهم
بفروسيته ساعة من النهار ومالت الفرسان من الضراب وتنافروا
تحت الغبار والضباب فدفعتها أبطال بنى عبس حتى قاربت
المضارب ووقع الصياح من كل جانب وخرجت العبيد والاماء يطلبون
المدافعة والحما وقطرت الاسنة دما وكان شيبوب قد عرف نفسه

للهطال وطيب قلبه وقلب من معه من الابطال واعلمهم ان عنتر
يغير على الاحياء عند الصباح ويطلق لهم السراح ففرحوا بذلك
وانفرجت عن قلوبهم الهموم والاتراح وقد تباشروا بالخلاص
حتى تم من الحديث ماتم وابصر شيبوب المضارب قد خلت من
الابطال والعبيد واشتغلوا بالقتال الشديد وأمكنته الفرصة فحل
القوم من الوثاق والحديد وأتى لكل واحد منهم بجواد من الخيل
الجياد وأتاهم من السلاح بما كفاهم وقال لهم الحقوا بنى عمكم
واعينوهم على القتال فقال له الهطال جزاك الله خيرا يا شيبوب
لانك لم تزل أنت وأخوك مفرجين المكروب ثم انه حمل يطلب
خاله برجاله وأبطاله ولما قاربوا المعمعة صاحوا كلهم وحملوا وبذلوا
مامعهم من العدد وقاتلوا وكانت رجال الحى على الهرب قد
عوّلوا ومابقى ثابت منهم الا اخوة اللقيط ابن زرارة لانهم خافوا أن
ينهزموا من مائة فارس وهم خمسمائة من الابطال القناعس وهم
كلهم عصبة وأعاصب وبنوعم واقارب فصبروا حتى أمسا المسا
وأقبل الظلام فالهمهم عنتر بالطعن حتى أدخلهم الى المضارب
والخيام وألجأهم الى النساء والعيال وقد ترك الارض ملآنة بالقتلا
وطرحهم على الرمال فى جنبات الفلا وعاد عنتر وهو يقول لعروة
ورجاله يابنو عمى مادام رجالنا تخلصوا من الاسر والاعتقال وأصحابنا
الآخرين قد أبعدوا بالنوق والجمال فانحن ممن يستحسن سبى
العيال فى غيبة الرجال والابطال والصواب عودتنا من هذه
البلاد وترك البغى والفساد ثم هنى الهطال بالسلامة والخلاص
من الندامة وساروا فى عرض البرارى والقفار طالبين الاهل
والديار فقال لهم شيبوب سيروا على أثرى فساروا خلفه بالاموال

وتاخر

159

وتأخر عنتر فى خمسين فارس من الابطال وسار على أثرهم حاميتهم
حتى بعدوا عن ديار الاعداء وانقضى أكثر الظلام والدجا ولحقوا
أصحابهم وهم على حالهم حتى تضاحى النهار وحميت الصخور
والاحجار فنزل بهم شيبوب على ماء يقال له ماء العوام
ونام القوم هناك وارتاحوا بالمنام ولما عولوا على المسير قال عنتر
لشيبوب ويلك على أى أرض أنت سائر يا ابن السودا فقال له على
ديار بنى عامر يا ابن البيضا ولكن ما أدخل عليهم الا فى الليل حتى
لا يسمع الاخوص بن جعفر باخبارنا الا ونحن فى ديارنا فقال له عنتر
سر بنا أنت على أى أرض أردت واذا خرج الينا أهلها ونفروا علينا
بددت شملهم ولوانهم بعدد رمل القفار ثم رحلوا وسار بهم
شيبوب على غير طريق معروفة ومازال يقطع بهم الطرق
والمنازل ويرد بهم الغدران والمناهل حتى أشرفوا على ديار بنى
عامر ونزل بهم شيبوب دونها ورحلوا من أول الليل وجدوا المسير
الى ان أصبح الله بالصباح وجاز بهم ديار القوم ولم يعلم أخاه ولم يزل
سائرا بهم حتى تنصف النهار وأمرهم بالنزول والراحة وهناهم
بالسلامة فى تلك الساحة فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة
وايش كان خلفنا من الخطر حتى تهنينا بالسلامة وهى لم تزل معنا
مادمنا مالكين سيوفنا ورماحنا ونحن على ظهور خيلنا وفينا
أرواحنا فقال له يا ابن الام أنت تعلم ما بيننا وبين بنى عامر والاخوص
ابن جعفر من العداوة والدماء ولولاهم ما كنا حرمنا كم فى هذه
الليلة من الراحة ومن لذيذ الكرا الا انى خفت ان يعلموا بنا فيعوقونا
عن مسيرنا وبلوغ مرادنا فقال له عنتر يا ابن الانذال لعن الله أباك
وامك وعربك وقومك وحق ذمة العرب يا ابن الزانيه لوانى علمت

ذلك ما كنت أنا عبرته وتركت بنى عامر فى عافية ثم نزلوا فى ذلك
المكان حتى تقضى أكثر النهار فعند ذلك رحلوا طالبين أرضهم
وبلادهم وهم مشتاقون الى حريمهم وأولادهم وما زالوا يقطعون
البرارى والبطاح حتى لاحت لهم غرة الصباح فمد شيبوب نظره
فرأى غبارا قد ثار واغتم منه ضوء النهار وهو غبار وعجاج وزوابع
فعند ذلك وقف شيبوب وقال لاخيه عنتر هذا غبار من بين
أيدينا قد ظهر وأقبل من ناحية أرضنا وأرض بنى فزارة وأنا خائف
أن يكون المقيط بن زرارة ولاشك انه سار لما رحلته أنا بالمحال
ودخلت عليه بالاحتيال وأقول انه طلبك فى الطريق فما
وجدك فوصل الى بنى عبس وقطع الطريق والبلاد ودهاهم
بداهية وعاد أو يكون بنى عامر بلغهم الخبر انك سرت الى بنى دارم
فساروا الى أرضنا ورجعوا منها بالغنائم ولا تخلوا القضية عن هذه
الاحوال والصواب اننا نتأهب للقتال ولا نزال فى هذا المكان
حتى ننظر الصدق من المحال ثم انهم ردوا النوق والجمال وما ساقوا
من الاموال وتركوا الكل وراء ظهورهم وتقدموا الى ذلك
الغبار الذى لاح لهم وهزوا فى أيديهم قطع الرماح وأشهروا
البيض والصفاح ولما انهم قاربوا الغبار ظهر من تحته جيوش
مثل الرمل السيال فرسان كأنهم الجبال وكلهم بالدروع
الثقال ومعهم خيول وجمال ونياق وأموال ونساء وأطفال
وعويل قد قلب السهول والجبال فقال شيبوب لاخيه عنتر
الآن قد ظهر الامر وبان الخبر والغريم قد اشتهر ودهينا
فى المال والعيال وان كان حذرى قد أصاب فلاشك هذا جيش
بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب فقال عنتر والله لقد صدقت يا شيبوب

وهذا ما جرى لعبلة قد قلب البر والمهاد وأصوات نساء بني عبس
وبني قراد (قال الراوي) وكان الحساب الذي حسبه شيبوب وعنتر
صحيح لان الاحوص بن جعفر لما قتل الحارث بن ظالم أخاه في حرم
النعمان ودبر ما دبر من التدبير وعاد هو الى بني عامر وفي قلبه من بني
عبس نار السعير ومن شدة حنقه عليهم وما عنده من الاحقاد ترك
عليهم العيون والارصاد وصارت تأتي اليه الاخبار من تلك المعالم
والديار الى أن بلغه الخبر ان عنتر قد صار الى بني دارم وفي صحبته
جماعة من الفرسان المقادم من سادات بني عبس الذي عليهم
المعتمد وكان قد علم الربيع بالامر الذي تجدد في بني فزارة ومعهم
طائفة كثيرة من الشجعان أصحاب الضرب والطعان فالتفت
غشم بن مالك وقال أي شيء نقول في غزو عدونا ثانيا وأخذ ثارنا
منهم حيث غاب عنهم عنتر الذي لولاه ما تركنا لهم ذكرا يذكر
فقال غشم هذا هو الرأي الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه
جمع سادات بني عامر وغني وكلاب فكان الحاضر منهم ستة آلاف
فارس شداد شجاع ما فيهم من يخاف الموت ولا يرتاع فترك منهم
ألف فارس لحفظ القبائل والاموال وسار في خمسة آلاف فارس
وبطال ولما قرب من ديار بني عبس فرقهم ثلاث فرق وكسر الحي
في أذيال الغسق وكانت أكثر الناس نيام وبعضهم سكارى
من شرب المدام فانتقم منهم غاية الانتقام ولما أصبح الصباح ملك
الخيول والجنائب والبيوت والمضارب وانهزم قيس واخوته ومن
تبعهم من فرسان عشيرته والاقارب وطلبوا ديار بني غطفان على
ظهور الجنائب ومنهم من طلب أرض بني فزاره وخسرت بنو
عبس غاية الخساره ورجع بنو عامر عند الصباح وهم في هني

وأطمأنان وانشراح وقد ملكوا ما وقعت أعينهم عليه من المال
والخيول وطلبوا أرضهم والطلول وهى سائرة على عجل ولها صياح
وزجل والاخوص بن جعفر صار لا تسعه الدنيا من فرحه بأخذ
الثار وبلوغ الآمال لانه أفنى من بنى عبس ربع عددها من الرجال
وجرح منها مثل ذلك وجرى عليها ما لم يجر على بشر فى ذلك الزمان
من القتل والفناوسبى النسوان (قال الراوى) وكانت عودة ملاعب
الاسنة واستعجاله خوفا من أن يعود الملك قيس فى أبطال بنى
غطفان وشجعان بنى ذبيان فصار وهو فرحان ببلوغ الآمال وما
زال يقطع الربا والتلال والبرارى الخوال حتى التقى بعنتر وابصرت
كل طائفة غبار الاخرى فصحت عندهم الاخبار وكان عنتر
قد صدّق كلام أخيه شيبوب وعلم انه فى حسابه دروب وسمع عنتر
صياح النسوان والصبيان وصوت عبلة قد علا على الجميع فاعتراهم
كلهم البلا وأصاب عنتر غم وحميه لما سمع صوت عبلة فحطمهم بالجملة
وانحط عليهم انحطاط القضاء المبرم وابتعته فرسانه الانجاب وأرادوا
أن يخلصوا الاسارى من الشدّ والعذاب فعرفته فرسان بنى عامر
وأبطال بنى كلاب ونادى ملاعب الاسنة ما أبرك هذا الصباح
من صباح وافرحاه بهذا الاتفاق الذى يسطر ويكتب فى الاوراق
يا بنو عمى بادروا هذا الولد الزنا المهان وقطعوه بمضارب السيوف
وطعن السنان حتى نقطع فى هذه النوبة آثار بنى عبس الى آخر
الزمان ثم انه حمل بطلبه وحمل الجيش كله بجملته فعند ذلك حمل
عنتر وأصحابه وأبطاله وأقرانه وأقياله وهم طالبون معونته فى قتاله
وكانت جملة فرسان عنتر مائتين فارس الا انهم فرسان عوابس
تفترس الاسود من الغابات وتلتقى فى صدورها الرماح السمهريات

وقلوبها أقوى من الجبال الراسيات وقد هذبها عنتر على طول الزمان العوالى الشامخات وهو ينكس الرايات ويجندل الفرسان وفرسانه كلها موكب واحد وتلقى الاسنة الذى للخمسة آلاف فارس بوجوه وقاح واشتد الحرب والكفاح وسمعوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وكثرت الآلام والجراح هذا وعنتر قد زعق فى وجوهها وصاح وسمعت النساء صياح عنتر فزادت بهم الافراح ونادوا ألا ما أبركه من صباح فيه قد أتانا بشير الافراح وقابض الارواح ثم انهم دعواله بالنصر من الفتاح ثم ان الجيش قد اختلط وامتزج والوحش فى أقطار البر نفر وانزعج والبر بين يدى المحارب ضاق حرج حتى مضى وصار ضياء الشمس فى سواد الليل مندرج وأقبل الظلام بوجهه الحالك السمج وقد صارت أسود بنى عبس تفترس فى مخالبها من بنى عامر هذا وقد اندهشت النواظر وحارت الخواطر وتمدد من بنى عامر سبعمائة فارس ما بين جريح وهالك وقتل من بنى عبس عشرون فارسا وعادت وهى مثل سباع الغاب والرجال تحفظ ما فى أيديها من الاموال ومن ورائها حاميتها عنتر بن شداد الاسد الوثاب وابن أخته الهطال وعروة وأبيه شداد وهؤلاء الاربع فوارس هم الذين قضوا الاشغال لاسيما عنتر الريبال وحامية الابطال ولولا كثرة العدد كانوا خلصوا النساء والاطفال والاهل والعيال (قال الراوى) ولما نزلوا للراحة أخذوا فى المشورة والتدبير وكيف يخلصوا منهم الحريم وكيف يقاتلوا هذه الخلائق والغريم فقال عنتر والله يا أخى لو طال النهار ودام الحرب والقتال واجتمعت علينا كل الحلل والقبائل ما أبرح حتى أخلص نساءنا من العدا أو أشرب شراب

الردا على انني وحق زمزم والمقام والرب الباقي على الدوام
ما أخلي في خمسة أيام من هذه الخمسة آلاف لا شيخ ولا غلام
وفي غداة غدا تولى برازهم واهلاك أبطالهم وفرسانهم ثم ان عنتر
بات يحرسهم ويطيب قلوبهم ويقوى هممهم على الحرب
والنزال فهذا ما جرى لهؤلاء وأما بنو عامر فانها رجعت الى خيامها
وهي متعجبة مما جرى لها لانهم أبصروا من قتالهم مالم يروه من
غيرهم من جميع العرب الذي في البر فشكوا حالهم الى الاخوص
فشكا اليهم أقوى من شكواهم وقال لهم يا بنو عمي ان دام هذا العبد
لا يخلي منا أحدا وقد سمع ان عبلة معنا وأباها وأخاها فقالوا له
صدقت في هذا الكلام وحق البيت الحرام وان لم نصدمهم
غداة غد بجمعنا ويكون ملاعب الاسنة امامنا والا فما نبلغ
منهم آمالنا فقال الاخوص والله لولا اني خائف من المطال
وعروة وشداد أن يأخذهم شيبوب ويسير بهم في عرض البر
ويخلصوا حريمهم من بين أيدينا ويعود شرهم علينا ولا كنت
أشغلتهم عنكم بالبراز الى أن أفني من معهم من الرجال ونبلغ منهم
الآمال وننهب أجسادهم على أسنة الرماح الطوال ولكنني
أخاف ان يلزمنا معهم البراز ويطول علينا المطال ويدركنا قيس
ابن زهير في جميع عرب الحجاز وتعظم القضية وربما جاءنا مالا
طاقة لنا به فنختار الهرب والهزيمه ونخلي مثل هذه الغنيمة العظيمه
ولكن يا بنو عمي اذا كان الامر على هذا فأنا أسير السبي
تحت ستور الظلام مع مائة فارس همام يسيرو به في عرض
البراري والقفار ويقصدوا أرضنا والديار واذا أصبح الصباح على
هذا الحساب نتسبب في هلاك عنتر بكل الاسباب واذا أتانا

مالا

مالاطاقة لنا به عولنا على الهزيمة والهرب وقد يكون قد ربحنا المال
والمكسب فقال ملاعب الاسنة هذا هو الصواب لان عنتر ان علم
بهم في هذه الليلة وسار اليها وطلب خلاصهم من الوبال حملنا نحن
على أصحابه ونفرقهم في الجبال وان هو أقام فان قلبه على عبلة
يشتعل بالنيران اشتعال ويشتغل بها فينحل عزمه ويتخبل فيدور به
ونبلغ منه الارب لانه ما يقاتل ويرمي نفسه الى الاهوال المتكاثرة
الا اذا كانت عبلة حاضرة ثم انهم أجمعوا أمرهم على انفاذ السبي مع
مائة فارس من الرجال فعند ذلك ساروا بالنوق والجمال والغنيمة
والاموال وأضاف اليهم رجلا دليلا يسير بهم تحت الدجا في ذلك
البر الطويل ولما أصبح الصباح وضاء نوره ولاح كان أول من
ثار الى القتال عنتر وما عنده مما جرى خبر وتواثبت قدامه
فرسان بني عامر وماجت كما تموج البحار الزواخر وصاح فيها الاخوص
ابن جعفر وقد أيقن بهلاك عنتر لانهم قد أصبحوا في دون اربعة
آلاف وهؤلاء في مائة وخمسين فارس غير مجرحين الا انهم بالنصر
موقنين بهيبة حاميتهم عنتر بن شداد فارس بني عبس يوم
الجلاد هذا وقد التقوا الاعداء بهذه النيات وطعنوا فيهم
بالرماح الخارقات واشتدت المصائب والآفات واذا استقتل
الانسان قاتل واذا طابت له المنية هانت عليه المصائب والنوازل
فلله در عنتر وما فعل فكم من همام اردى وكم دم بحسامه بذل وكم
من شجاع أورثه بعد صولته خجل ومازال عنتر يمانع عن أصحابه
ويقاتل حتى مضى نصف النهار ولما رأى ملاعب الاسنة قد بذل
في أصحابه الحسام الباتر انقض عليه انقضاض الاسد الكاسر
وعلم ان بثباته تثبت بنو عامر فزعق عليه وقاربه وقد أظهر ما عنده

من فروسيته وعجائبه وفي دون ساعة أتعبه وأكربه ومد يده الى
درعه وأراد أن ينزله عن مركبه واذا بغبار قد ثار وقتام تزوبع وتحته
صياح عظيم قد ارتفع وخيل سائرة كأنها السحاب اذا همع
وحديد يلمع ورماح تشرع ورجال لا تخاف ولا تفزع والكل
ينادوا يا للمشاجع يا للدارم وفي أوائلهم اللقيط بن زراره واخوته
من حوله مثل الكواكب السياره ولما قاربوا المعمعه وأبصروا
دوائر الحرب دائره حملوا على بني عبس وقد سمعوا النداء
واستدلوا بالصياح وعرفوا به الاصدقاء من الاعداء وعرف عنتر
حقيقة الحال وأبصر المواكب كلها قاصدة اليه فخلى ملاعب
الاسنة من يده بعد ما كان رجله وأراد أن يكتفه فأطلقه وصار يدافع
عن نفسه وقد لعبت في جسمه السيوف القواطع وقاتلت بنو
عبس قتال من ليس له من الموت فكاك وقد نهبت الارواح بأطراف
القنا ووقع بينهم المحاق والفنا ولولم تكن العناية من رب السما
ما فضل منهم من يشرب الماء الا انهم ما فرق بينهم الا الظلام وقد
قتل من بني عبس عشرون غلام وجرح عنتر وأبوه شداد وأسر
عروة وجماعة من بني قراد وأحاطت بهم الاعداء من كل جانب
وسدت عليهم الطرقات والمذاهب وخلص اللقيط منهم الاموال
وفرح ببلوغ الآمال ثم انه التقى بالاخوص وسادات بني عامر
وهي تشكر اللقيط على فعاله ويسألوه عن سبب مجيئه فحدثهم
بالقصة وكيف أتى شيبوب برسالته وسيره عن أهله في طلب عنتر
وكان من ورائه ثم احتال على انني أبعدت اخوتي وخلاص الهطال
من قبضتي وساق أخوه أموالنا بعد اطلاق الرجال وقتل
من عشيرتي جماعة من الابطال وذلك ان شيبوب لما احتال عليه

ورحله من بلاده ذلك اليوم فى ضحوة النهار واذا قد ظهر من بين يديه
مائة فارس طالبين أهله والديار وهم من ناحية بنى عبس وبنى
فزارة فقال اللقيط لاشك ان هذه طليعة عنتر الذى أنت له طالب
ثم سار فى كتائبه ومواكبه وداربهم من كل جانب وبذلوا
فيهم القنا والقواضب فقتلوا أكثرهم وهرب منهم جماعة
وماهرب منهم الا من كان فى أجله تأخير ولما حضروا الاسارى
قدام اللقيط قال لهم ويلكم أين خليتم عنتر عبد بنى عبس وفى كم
فارس قد سار الينا فقالوا له ماوراءنا أحد وما عندنا من عنتر خبر
وما جئنا من هذه الطريق الا نقتفى منه الاثر وندبر على هلاكه
وعدمه فقال اللقيط تكذبوا يا أولاد الزنا ما أنتم الا بنو عمه وعليكم
زى بنى عبس وبنى فزارة فكيف تنكروا أخباركم والاخوص
ابن جعفر قد أرسل الى عبد من عبيده وأخبرنى بمسيركم ومسير
أسودكم وما أنا سائر الا فى طلبكم حتى أبلغ منكم المنا واقلع منكم
الاثر فقالوا له الاسارى يا أمير وحق الكعبة الحرام ماعندنا من هذا
الحديث خبر وأما قولك اننا من بنى عبس وبنى فزارة فقد صدقت
واننا ما ننكر احسابنا وما أتينا الا من سبب ذلك العبد الولد الزنا
حتى اننا نقتله وعلى الارض نجندله ولا شك اننا ان بغينا عليه وقعنا
فى هذه المصائب فلا نخلص من أنياب النوائب (قال الراوى)
وكان الذى أنفذ هؤلاء الاوغاد الربيع بن زياد لان عنتر لما سار
الى خلاص المطال أرسل عمه مالك الى الربيع بن زياد وأعلمه
بمسير عنتر بن شداد وقال له اعلم يا ربيع ان الملك قيس لج على
فى عبلة ابنتى وزفافها على عنتر وقد اتفقوا على وتجبروا وكنت قد
عولت اننى أهرب بها الى العراق واستجير بالملك النعمان فأتى للقوم

ما اشغلهم عنا وعن غيرنا من القتال والطلب وأراحونا من العنا والتعب وقد سار عنتر الى بني دارم والمراد يا ابن العم انك لا تتخلى عنا ولا تغفل عن مؤونتنا بل تسعى في هلاكه وتعجل ارتباكه فلما وصلت الرسالة الى الربيع بن زياد اعلم حذيفة بن بدر بذلك التدبير الا أن اللقيط لما علم حقيقة الحال أراد أن يفرق المواكب في سائر الطرقات فأتت النجابة من بني دارم وأخبروه بما أنزل عليهم عنتر من البلاء المتراكم وانه خلص المطال هو ومن معه من الرجال وما كان لنا ولك من جميع الاموال وقتل من بني عمك فوق الثلثمائة من الابطال والذى أتى الليل وقال انه عبد الاخوص بن جعفر هو شيبوب أخو عنتر فارجع ولا تتعب وان قدرت فجد له في الطلب فانهم ساروا في البر الاقفر ونقول ان طريقهم على بني عامر فلما سمع اللقيط ذلك الخبر تأسف وتحير على ما جرى لاهل حلته وتحسر وعض على كفيه ندما لاجل ما تم عليه من شيبوب المحتال وقال وحق الكبير المتعال الحميد المجيد لا رجعت عن هؤلاء العبيد حتى أبلغ منهم ما أريد ثم انه قال للفرسان خذوا في عرض البر واطلبوا لنا الطريق الواضحة التى ترمينا على ديار بني عبس لعلي أدرك هذا الاسود الزنيم وأصرم عمره وعمر من معه من الشياطين فعند ذلك ساروا في البراري والقفار وكانوا اذا أرادوا النزول فما يدعهم ينزلوا بل يحثهم على المسير في البر من حرقته على عنتر حتى وصل الى بني عامر وهم في القتال على بني عبس وجرى ما جرى مما ذكرنا في كلامنا وأظلم الظلام ورجع كل منهم الى الخيام ونزل اللقيط بن زرارة واخوته عند الاخوص بن جعفر وفرق الثلاثة آلاف التى أتى بها حول عنتر وكان قد خلص له وباع آله وحدثه

الاخوص بما فعل فى بنى عبس وكيف كسبهم وقتل رجالهم ونهب
أموالهم فقال له اللقيط ياسيد بنى عامر هذا أمر قد نشأنا فيه وما
نرجع حتى نتممه وما بقينا نقعد عن هذه القبيلة حتى نقطع من الدنيا
فروعها بالكلية ثم باتوا وهم لا يصدّقوا ان الصباح يصبح من
فرحتهم بوحدة عنتر وكان عنتر قد بات وهو حامل هم أصحابه ورجاله
أكثر مما هو حامل من هم نفسه وقد علم بمسير عبلة وسبايا بنى عبس
وأموالهم الى بنى عامر فجرى عليه ما لا يجرى على قلب بشر وكادت
مرارته تتفطر فقال لرجاله أنا أعلم يا بنى عمى أنه لم يبق من عمرى
أكثر من هذه الليلة أو غدا الى آخر النهار لانى عند الصباح أبرز الى
هذه المواكب وارمى روحى فى وسط هذه الكتائب التى قد دارت
بنا من كل جانب وأعايرها بالكثرة واطلب منها المبارزة مائة مائة
فان فعلوا ذلك بلغت منهم ما أريد ولوانهم بعدد رمل البيداوان أبوا
ذلك ورأيتهم قد بغوا علينا ومدّوا رماحهم الينا شققت قدّامكم هذه
المواكب والعساكر وخلصتكم من السيوف والرماح البواتر
وحميتكم حتى تغيبوا عن العين وتطلبوا أرض الشربة والعلم
السعدى وارجع الى القوم وأقاتلهم بعزم ساعدى وزندى ولو مزقت
اسنة الرماح جلدى ويصير لى ولهم حديث يذكر من بعدى ولا
أترك العرب تلوم أبى وجدّى فقال له أبوه والله يا ولدى ما فينا أحد
يتخلى عنك حتى نلقى ما تلاقى ولو بلغت أرواحنا التراقى وكذلك
قال ابن اخته الهطال وكل من معه من الابطال وباتت تلك الطوائف
تحت مشيئة الرحيم الرحمن الذى يعلم ما يكون وما قد كان ولما أصبح
الصباح وثارت فرسان بنى عبس الى الحرب والكفاح وقد ودعت
فى تلك الساعة الارواح والدنيا قد انقلبت بالصياح وخرج عنتر

الى البراز وقد حدثته نفسه انه يشفى قلبه قبل هلاكه من الاعداء ويفعل شيئا يذكر به دائما أبدا فترنح على سرجه شوقا الى القتال والحرب والنزال وطرب بملاقاة الابطال وأنشد وقال

وانا لقوم ماتروعنا القنا ❊ ولا نتفكر فى عاقبات النوائب
وكيف انا والموت يسحب ذيله ❊ فنلقاه منا بالنفوس الاطايب
وما أحد منا الى الموت كاره ❊ لان القنا حتم على كل ذاهب

(قال الراوى) الا انه لما فرغ من هذا المقال أراد أن يطلب البراز للابطال فطلع من ناحية بنى عامر غبار أسود مظلم وقتام مقتم اذا نظره الانسان انذعر فبهتت اليه الابصار وصار ضوء النهار مثل الاصفرار وحسب كل واحد حسابه وما فيهم من وقف على صواب وهمت الفرسان أن تطلق الاعنه وتبصر ماتحته من المحنه واذا بغبار آخر قد طلع من ناحية أرض بنى عبس وعدنان وكان أكثر سوادا وأعظم جهادا وكان تحت ذلك الغبار الملك قيس بن زهير وفرسانه الا أن الغبار الذى أقبل على ناحية أرض بنى عامر أحسن اتفاق وأعجب حديث يكتب ويسطر فى الاوراق لانه قد انكشف عن سبى بنى عبس وأموالهم وبناتهم وأطفالهم وقد خلصوا من السبي والاعتقال وفى أوائلهم الحارث بن ظالم وهو مثل البعير اذا حل من عقال وهو ينادى يا آل مرة أنا الحارث بن ظالم ابشر يا أبا الفوارس بالنصر والظفر وهلاك الاعداء بالصارم الذكر وكان السبب فى ذلك أمر عجيب لاننا ذكرنا ان الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقتل ولده شرحبيل ظلما وعدوانا وذكرنا ان اللقيط أتى به وأخذ عوضه ألف ناقة من النوق العصافير وهى محملة من المال الكثير وحبس

النعمان الحارث وفى الحديد أوثقه وبالقيود ثقله وأراد أن يقضى أيام النعيم ويقتله فسمعت به المتجردة بنت زهير فحصل عندها هم وضير وتألم قلبها وزاد جواها لانه قتل الذى قتل أباها فلما تحققت ذلك خافت عليه من المهالك فانفذت اليه خمسة من العبيد الذى كانوا أتوا معها من ديار قومها وكانوا عندها مثل اخوتها فقالت لهم انظروا كيف تخلصوه واعطوه فرسه وسلاحه وآلة حربه وكفاحه وقولوا له يلحق بنى عبس وينزل على أخى قيس وعنتر ويستجير بهم فانهم يجيروه من سائر البشر فقالوا لها سمعا وطاعة ثم انهم صبروا الى أن لاحت لهم فرصة ووجدوا الى خلاص الحارث سبيلا فأتوا فى الليل وهموا أن يدخلوا عليه واذا به يتقلقل من الكتاف وهو مشرف على التلاف وسمعوه ينشد ويقول

يا لقومى أسرت فى قيود ووثاقى * ما بقى لى من اسرها اطلاق
بادرونى قبل الصباح والا * نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يا بنو عبس هل أرى من مجيرى * منكمو بكسر قيودى والوثاق

(قال الراوى) فلما سمعوا نظمه ونثره رقت قلوبهم لشعره وفعلوا فى الليل ما فعلوا وقتلوا الرجال الذى حواليه وكانوا ثلاثة من أقارب الملك النعمان فخلصوه وأعطوه سلاحه وأركبوه جواده وقالوا له اطلب أرض الشربة والعلم السعدى واستجر بقيس وعنتر فانهما يحموك من سائر البشر فسار الحارث وهو لا يصدق بالنجاة لانه كان قد أيقن بالوفاة فجعل يكمن فى النهار ويسير فى الليل حتى عبر أرض بنى عامر وأمن على نفسه وجد بطلب أرض الشربة والعلم السعدى فوقع بسبى بنى عبس وأموالهم وهى سائرة مع المائة فارس الذى أرسلها الاحوص بن جعفر فلما رأى ذلك

المال وأبصر من معه من الرجال عرج عنهم من أجل انه قتل سيدهم خالد بن جعفر واذا ببنى عامر قد رأوه عرج عنهم فطلبوه وقد طمعوا فيه فلما رآهم قد فعلوا هذه المعانى ناداهم يا أولاد الزوانى طمعتم فى لوحدتى وجهلتم مكانى وصولتى وأنا قتلت سيدكم خالد بن جعفر وألبستكم العار الاكبر فلما سمعوا منه هذا المقال قالوا لبعضهم البعض هذا الحارث وحق من أرسى الجبال دونكم واياه حتى نأخذ بثار سيدنا خالد ونكسب المجد عند كل قائم وقاعد ثم حملوا عليه المائة فارس حملة رجل واحد وسدوا عليه رأس الطريق وغرهم الطمع وما علموا ان قوته أشد من ألف فارس صميدع لان الحارث كان فارسا كرار و بطلا فى الحروب ماله عيار فخرق منهم بطعناته الصدور وأجرى دماءهم من أنابيب النحور فثبتوا بين يديه غير ساعة من النهار حتى انهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار بعد ما أهلك منهم سبعين كرار وأما الثلاثين فانهم لما طلبوا الهزيمة أحاطت بهم بنو عبس وأنزلوا بهم التعس والنكس لان عبيدهم حلوهم من حبال الهوان وساعدتهم فى حلهم النسوان حتى أطلقت جميع الشجعان وتبادرت الى بنى عامر فقتلوا الباقين وما سلم منهم انسان وداروا بالحارث بن ظالم وزادوا له فى الشكر والثناء وهنوه بالسلامة وبلوغ المنا وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وكيف أن المتجردة خلصته من شرب كاس المنون ومن حبس الملك النعمان وقالت له الحق ببنى عبس وعدنان وانه سار الى أرضهم يستجير بهم و يملكهم قيس و يقيم عندهم فى أمان الى أن تنصلح نوبته مع النعمان فقال له مالك أبو عبلة والله يافتى لقد جرى على قيس فى هذه النوبة مالا يجرى على بشر ثم شرح له ما جرى عليهم

من

بن بني عامر وكيف كبسوهم في الليل واخبروه أن عنتر في قتالهم وانه قد التقاهم وهو راجع من بني دارم وأعاقهم عن المسير وأراد خلاص السبي والاموال وكيف أنقذهم الاخوص بن جعفر مع تلك الرجال وشرح له جميع ماجرا على التمام والكمال فلما سمع الحارث ذلك المقال قال لهم ارجعوا بنا حتى نلحق عنتر في القتال على انى أقول اننا لا نلحقه الا ويكون قد قضى الاشغال وفرق بني عامر في البراري والتلال ثم عادوا راجعين وفي سيرهم مجدين حتى أشرفوا على عنتر عند ماقد تأهب للقتال والحرب وعوّل على الطعن والضرب وأما الغبار الثاني الذي ظهر من ناحية ديار بني عبس فانه غبار الملك قيس وقد أتى في ثلاثة آلاف فارس ليوث عوابس من ابطال بني غطفان وطلب بهم خلاص الاموال والنسوان ويأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم لان بني فزارة تخلت عن قيس في هذه النوبة لاجل الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن الخبث والغدر ولما ان أرسلوا المائة فارس الذي أرسلوها لهلاك عنتر وأمروهم أن يحلوا به العبر وحلت بهم الخسارة وهلكوا على يدي القيط بن زرارة الا أن قيس لما أشرف عليهم وأبصر غبار بني عامر فعند ذلك كشف رأسه وحمل وفعلت أصحابه مثل مافعل ونادى يالعبس يالعدنان ونادى الحارث يالمرة يالذبيان وسمع عنتر ذلك النداء فاطمأن فؤاده وهدأ فعندها هدر وزمجر وما كان أخفاه في ذلك الوقت ظهر ونادى يالهمن صباح ما أوشمه على الاعداء فاليوم أجرعهم كؤس الردا ثم انه حمل وقد انشرح للقتال وخفت عنه الهموم والاثقال وكان القيط قد حدث الاخوص وسادات بني عامر بما تم له مع الحارث وكيف سلمه الى النعمان وتركه مشرف

على الهلاك والحرمان ولما رآه فى هذه النوبة قد عاد سالما تعجب
من خلاصه وخاف من بنى عامر أن يشكوا فى قوله فعند ذلك حمل
وصاح فى بنى دارم وقصد عنتر والحارث بن ظالم ومن كان معهم من
الرجال الاكارم هذا وقيس بن زهير ومواكبه قد انطبقت على
بنى عامر وفى دون ساعة اختلطت العشائر وثارت الغبرات وعملت
البواتر ودارت الدوائر ووقعت الاسنة فى المحاجر وجرت الدماء من
أنابيب المناخر ولعبت بجماجم الابطال الحوافر وفعل عنتر بن
شداد والحارث بن ظالم فعالا تحير الخواطر وتبهت النواظر وكان
الحارث قلبه ملآن على اللقيط لاجل ماجراله معه فصار يطلبه من
سائر أقطار الفلا ويضرب بسيفه الاعناق والطلا حتى ملأ
الارض بالقتلا وأراد عنتر أن يحمل عنه الاثقال فأشعل نار الحرب
ولهبها اصطلا ودام الطعن والضرب حتى بدأ النهار مرتحلا وأقبل
الليل منسدلا وقد صار القوم مثلا وانفصلت الطوائف من بعضها
البعض وقد امتلأت من القتلا الارض ورجع كل فريق الى
قومه بعد ما عرفت الاصحاب الاصحاب وعاد كل فريق الى جنب
وخسرت صفقة بنى عامر وبنى دارم ورجع اللقيط وهو خاسر نادم وقد
هلك من أصحابه ستمائة فارس مصادم وأما بنو عامر فقد هلك من
عددهم أوفى من ثلثهم حتى اجتمع عنتر بالحارث وسأله عن أمره
وشكره على فعله فأخبره بما جراله مع الملك النعمان وانه قد أتى
يطلب الزمام والامان فقال له عنتر وحق مكوّن الاكوان ومن
أرسل الغيث الى كل مكان تكرما منه وغفران العالم ربما يكون
وما كان لو طار رأسى بين يديك لا تركك ولو أن خصمك كسرى
أنوشروان أو قيصر ملك عباد الصلبان أو الحارث بن غسان وقد

أعطيتك الزمام وأنالك من جملة العبيد والخدام فشكره الحارث بن ظالم على ذلك وعاد عنتر الى الملك قيس وهناه بالسلامة من الرداء والنصر على الاعداء فدعا له بطول العمر والبقا على ممر الزمان والمدا ثم باتوا تلك الليلة في ذلك المكان وقد فرحوا برد الحريم والاموال وخلاص الفرسان الذى كانوا فى الاعتقال وما فيهم الا من شكر الحارث وأثنى عليه وحدث صاحبه بالتى وما جرا عليه وأراد الحارث أن يمدح الملك قيس بن زهير ويميل قلبه اليه فأشار يقول

الا حييت اطلال لكم وخيام * عليهن مني ما حييت سلام
سلام امرء يقرى اليكم تحية * وقد مسه ضر وفرط سقام
لقد خضت أهوالا وجئت مبادرا * الى ملك افنى العدا وهمام
اقيس فأنت السيد الملك الذى * له حسن رأى ما عليه مرام
وقد خلصتني اختك الآن عنوة * من السجن لما زاد فرط غرام
وأخبرك أنى قد قتلت ابن جعفر * وأسقيته من كاس الهوان حمام
أخذت لكم بالثار منه بصارم * له لمعان فى سواد ظلام
قطعت الفيافي اذ وصلت الى لقاء * بنى عامر والسبى فيه قيام
رأيتهموا فى الذل يبدوا تأسفا * عليهم من الحزن الشديد قتام
وعبلة قد أضحت لديهم مهانة * وأدمعها فوق الخدود سجام
تنادى بذل أين عنتر أن يرى * هوانى ومن بعد الهوان اضام
فخلصت جميع السبى منهم بهمة * وفى كبدى منهم جوى وغرام
وقد جئت من أرض العراق مصمما
اليك ابغى يا ابن الكرام زمام
ويا شجاع الحرب عنترة الذى * له الاسد تأتى صاغر بن رغام

أفارس عبس لى اليك شكاية * وهم وسقم ماالديه سقام
فكن لى معينا يافتى عبس وانتظر * لحالى فمن وافاك ليس يضام
أجرنى من النعمان مالى سواك من * يحامى عنى والخطوب عظام
لانك قد أصبحت تخشا وتتقى * وعزمك من كل الامور يرام
وكم قد تركت الخيل سلبا عواريا * وفرسانها فوق الصعيد نيام
اذ سمعوا صولتك فى كل معرك * ترى الرعب فى كل القلوب يقام
وقد علمت كل القبائل أن من * تكون له حصن فليس يضام
وكل ملوك الارض تخشاك فى الورا * لانك فرد فى الانام همام
فلا زلت للقصاد كهفا وملجأ * وأنت حما للنائبات حسام
علوت على السبع الشداد بهمة
حتى رقيت على فوق السماك مقام

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس شعره تعجب من نظمه ونثره وقال له وحق ذمة العرب لو طلبك كل من فى الارض طولها والعرض ما مكنتهم منك هذا وقد بات عند بنى عبس من الافراح مثل ما عند أعداءهم من الاتراح ولما طلع ضوء النهار وأصبح الصباح عادوا للحرب والكفاح وبذلوا الاجساد والارواح للسيوف والرماح وقد كانت لهم وقعة تشيب رؤس الاطفال ولما عبر نصف النهار وقعت الخسارة فى بنى عامر وبنى دارم ونثر عنتر فرسانهم بالطعن الدائم ورمى بحسامه القلل والجماجم وطير القحوف والمعاصم والتقى بملاعب الاسنة الحارث بن ظالم فاصطدما ودمدما وغابت عنهم الارض والسماء وجرت من الاحداق الدما وما زالوا كذلك الى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وولت القبائل قدام بنى عبس وعدنان ثم طلبت ديارها والاوطان واختارت الهزيمة

وكانت

وكانت نجاتها أوفى غنيمه ورجعت بنو عبس بالاسلاب والغنائم وخيل الشجعان وقد بنت لهما من المعالى بيتا شيد الاركان ثم انهم نزلوا للراحة فى ذلك المكان وكل منهم يهنى بالسلامة صاحبه ويسلم على الذى بجانبه ويحدث كل أحد بما لقى من قتاله وعجائبه ولما أصبح الله تعالى بالصباح رحلوا بالحريم والاموال والغنائم وقد سلم عنتر الغنيمة الذى معه من بنى دارم الى عمه مالك وقال له ياعم هذه الغنيمة قد تركتها للعرس والوليمة فقال له عمه مالك بخبثه ودهاه ياابن أخى ابشر بكلما تريد فعبلة أمتك وأنا وأخوها من جملة خدمك ولكن ياابن أخى تريد أن تصبر حتى يهدا روعك ويقل هلوعك وتتم أفراحنا مادام ان القلب قد بلغ المنا وهزمنا عدو فطاب بذلك الحديث قلب عنتر بن شداد وتسلى بذلك الميعاد وانطلى عليه مكر عمه والكياد وكان قوله كله زور ومحال وغل وادغال (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام قال والله مانقيم فى الديار أكثر من ثلاثة أيام ونزف عبلة على حامينا عنتر قبل أن يجد علينا عارض آخر لان أعداءنا كثيرة وهمومنا غزيرة ولابد أن النعمان يرسل يطالبنا بالحارث بن ظالم ويصير لنا معه علقه وتشب نار الحرب ونتعب بهذا السبب ثم انهم جدوا يطلبوا الديار ويقطعوا البرارى والقفار وعنتر بجانب الحارث وهو يطيب قلبه ويوعده بالامان وهو ينشد

اعادى صروف دهر لا يعادا ✻ واحتمل القطيعة والبعادا
وأظهر نصح قوم ضيعونى ✻ وازالوا من قلوبهم الودادا
اعلل بالمنا قلبا عليلا ✻ وبالصبر الجميل وان تمادا
يعيبونى العدا بسواد جلدى ✻ وبعض خصائلى تمحى السوادا

سلي يا عبل قومك عن فعالي * ومن حضر الوقائع والجلادا
رددت الخيل والابطال حولي * تهزا كفها السمر الصعادا
وخضت بمهجتي بحر المنايا * ونار الحرب تتقد اتقادا
وعدت مخضبا بدم الاعادي * وكر الحرب قد بل الجوادا
وكم خلفت من بكر رداح * بنهيج حسنها تحيي الفؤادا
بسيف مرهف الحدين ماض * يقد بحده الصخر الجمادا
ورمحي ما طعنت به لقوم * وعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمي وسنان رمحي * لما رفعت لها عبس عمادا

(قال الراوى) فلما سمع الحارث شعر عنتر عظم في عينيه وصفا قلبه اليه ومدحه وأثنى عليه وكان الحارث خبيث لا يصفى قلبه الى أحد من الابطال ولا كان لفارس قط عنده هيبة من الفرسان والرجال ولولا فزعه من النعمان كان ذله وقهره والا كان مكر بعنتر وغدره ولكن علم ان العرب كلها لا تقدر تجيره من النعمان ولا أحد يقدر يقاومه من ملوك الزمان فلاجل هذا أذل لبني عبس وعنتر واعتمد عليه من دون البشر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى الديار وانقطع اياس أبو عبلة من سائر العرضيات وعلم ان ابنته تخرج من يده ويأخذها عنتر بغير اختياره فالتهب قلبه وزادت أفكاره وخلا بولده عمرو وأطلعه على أسراره فقال عمرو والله يا أبتاه ان عندى أضعاف ما عندك وما أنا ناظر الا انه يتم هذا الامر كأنها محققه واهج على وجهي في القفار وأبكى على فضيحتنا ليلا ونهار ولكن الصواب يا أبتاه اننا نرحل الى بني فزارة ونعلم حذيفة بن بدر ان الحارث بن ظالم عند نا وانه استجار بملكنا قيس وجعل معتمده عليه لعله أن يرسل

الى الملك النعمان يخبره بذلك الامر والشان فلعله أن يرسل الى
قيس ويشغله عنا ونبلغ نحن ماتتمنى فلما سمع مالك كلام
ولده زال عنه بعض مايجده وفى الحال أنفذ الى الربيع بن زياد
يشكوا اليه ماهو فيه من العنا والعناد و يعرفه بجميع مايجرى
من قيس وعنتر بن شداد وانهم لما وصلوا الى الديار وقربهم القرار
أنزل الحارث عنتر فى أبياته وصار يقضى معه أكثر الاوقات بالفرح
والمسرات وهم فى شرب راح وتناول أقداح وهو منتظر وعده
وانجاز الميعاد من الملك قيس بالمعاونة والاسعاد (قال الراوى)
وبعد خمسة أيام جاءت اليه الامة خميسة وهو فى بيت أمه زبيبة وقد
أصبح ذلك اليوم تعبان مجهود مكمود مكروب وقد امتنع عن
الركوب فقالت له الامة يامولاى احفظ نفسك من عمك مالك
ولا تغتر بوعده فانه قد غدر عهده وقد أتى اليه من الربيع بن زياد
رسول وهو يقول له اخرج بعنتر الى غدير ذات الارصاد وأظهر له انك
تريد الخلوة والمشورة فى أمر ابنتك عبلة حتى ندهمكم على غفلة ونخفى
أمره ونجرحكم جراحات خفيفة غير قاتلة حتى اذا رجعتم الى الاحياء
وسألكم الملك قيس تقولوا له نحن ماندرى الا وخيل غائرة قد
دهمتنا وهجمت علينا ونحن فى فرحنا ومسرتنا فجرحونا
ونحن سكارى وماندرى ماجرى ولا نعرفهم من الاعداء أو من
الاصدقا وتستريحوا أنتم من الهتيكة والفضيحة فى ابنتكم
لانه لما سار الى بنى دارم أرسلنا سرية من الخيل خلفه لتقتله
فأهلكها اللقيط بن زرارة وهى مائة من الفرسان الامارة فهلك
منها سبعون ونحن من أجلها حزانا منكسرين وهذا الحديث ياأبا
الفوارس ماعلمت به مولاتى عبلة ولا سمعته الا مولاى مالك وولده

عمرولان الذى أتاهم يقال له مكتوم وهو من خواص عبيد الربيع
وهو يحبنى محبة زائدة ولولا هذا ما كان أطلعنى من هذا الحديث
على لفظة واحدة ثم عادت الامة من عند عنتر وقد أوصته أن يأخذ
لنفسه الحذر وتركته كأنه فى نار سقر ومن شدة ما جرى عليه
شك فى مقال الجارية خميسة وما قال ان عمه يغدر به ثم كتم
ما معه وما سمع وأراد بذلك أن يرى صحة الخبر ويرى للحديث برهان
وأثر وكان السبب فى ذلك ان الربيع بن زياد لما وصل اليه
الرسول من مالك وولده عمرو وسمع الربيع ان عنتر عاد سالما ومعه
أموال بنى دارم وذلك بعد ما أهلك فرسان بنى عامر وفرسان اللقيط
الجماهر وانه خلص منه السبايا هو والحارث بن ظالم وقد أجاره من
جميع الملا ثم وهو عنده فى أعظم الجوار وقال له ابشر بطيب
المزار وان تعرض لك كسرى هدمت ايوانه أو قيصر ذبحت قساقسته
ورهبانه فعند ذلك أعلم الربيع حذيفة بن بدر بذلك الخبر وأطلعه
على ذلك الامر المنكر وقال له والله يا أبا حجار ما بقى لنا رأس
تشال اذ لم ندبر هلاك هذا العبد نسل الانذال ثم انهما اتفقا
على المعاونة وانفذوا من يومهم رسول الى الملك النعمان وهم
يقولون الذى نعرف به الملك العظيم الشان ملك العربان الملك
الهمام وسيد كل من ضرب فى البيداء خيام ان عدوك الحارث
الذى قتل ولدك شرحبيل وقتل خالد بن جعفر فى حرمك وهرب من
حبسك فهو الآن فى بنى عبس وقد أجاره قيس وعنتر وقال قيس
هذا الذى قتل قاتل أبى وأخذ ثارنا واريد ان أبذل نفسى دونه
ولو طلبه النعمان أو كسرى أنوشروان أو قيصر ملك عباد الصلبان
ما سلمته اليهم الا بعد ضرب يهد وطعن يقد وأما عنتر بن شداد فما

أقدر أواجه الحضرة النعمانية بما أبداه من الكلام لان ملك العرب أخبر بحماقته ومايخفى على الملك تكبره ووقاحته وبعد انفاذ الرسالة الى الملك النعمان أرسل الى مالك أبو عبلة يأمره أن يفعل بعنتر كما ذكرنا وجرى من القصة ماجرى وعلم عنتر بذلك الحال فبقى بين المكذب والمصدق فتارة يسيء الظن بعمه مالك أن يكون أضمر له الشر والمهالك وتارة يظن أن الربيع بن زياد دبر هذا التدبير لما علم ان عمى قد رضى على وانصلح حالى معه فأنفذ العبد الى خميسه وأخبرها بذلك الحال وما دبر من الاحتيال حتى يمنعنى عن بلوغ الآمال وأنا ورب الكعبه ما اطلع على حالى أحد حتى أبصر اخر هذه القصة كيف تكون واكشف عنى هذه الغبون لانى أخاف أن يدعونى عمى بغير اتفاق ويكون هذا الحديث خدعه ونفاق ونرجع الى ما كنا عليه من العناد وينفسد ماقد رد مع عمى من الصلاح والوداد ثم أقام عنتر على ماهو عليه من الهم والافتكار حتى انبسطت الشمس وتعالى النهار واذا بابن عمه عمرو قد أقبل وقال يا أبا الفوارس ان أبى أنفذنى اليك وهو يسلم عليك وقال له خذ ابن عمك عنتر فى غفلة من الناس ثم امض به الى غدير ذات الارصاد حتى اننا نخلو به اليوم ونشاوره فى امورنا وننظر ما فى نيته أن يفعل فى حق عبلة زوجته ونعيد معه المشورة والرأى على ما نحب ونختار ولم نعلم بحالنا أحدا من الكبار والصغار فقال له عنتر السمع والطاعة لاى شى لم ترسل يا ابن العم بعض عبيدك ولا كنت أتعبت نفسك لانى أنا المسعود فى هذه العبارة ثم انه صار الى مضربه ولبس أفخر اثوابه بعدما لبس ثوبا من الزرد مضاعف العدد لا يعمل فيها الصارم المهند وهى حرز لمن عليها اعتمد وكل

ذلك احترازا منه على نفسه من الحديث الذى سمعه من خميسه
وقدم له شيبوب الابجر فركبه وتقدم بسيفه الضامى الابتر وسار مع
ابن عمه عمر واخوه جرير وشيبوب فى ركابه وقد أطلعهم على ذلك
الحال وأوصاهم بالاحتراز فلما وصلوا الى غدير ذات الارصاد
وجد عمه له فى الانتظار والعبيد بين يديه وهم يروقوا الخمر ويصلحوا
قدور الطعام فلما أقبل عنتر قام له مالك على الاقدام وبجله وقال له
أهلا وسهلا بسيفى وترسى وحصنى وظهرى ثم شكره وأثنى عليه
وما استقر بهم المقام حتى قدموا لهم الطعام فلما اكتفوا من الطعام
دارت عليهم أقداح المدام وأخذوا بعد ذلك فى المشورة والكلام
وطابت لهم الخلوة وعملت فيهم النشوة وقال له عمه يا أبا الفوارس
أنا ما خليتك فى هذا اليوم الا حتى يذهب التعب واللوم لان
حبلى بحبلك قد اتصل ومرادى بك قد حصل فأنفذ غدا الى أصدقاك
وأدع من تشاء من رفقاك حتى تشرع فى أمر عرسك وأبلغ مناك
وأنا فى نيتى ان أجمع كل من فى الحى من النساء والرجال والعبيد
والاحرار ولا أترك كبيرا ولا صغيرا ولا عبدا ولا أميرا ولا غنيا
ولا فقير الا وأتركه يحضر فى الوليمة وأدع جميع الناس يرتعوا
فى الطعام والمدام وأكسى الارامل والايتام ونحن اسمنا
كبير وخيرنا كثير فافعل انت ما تشاء من التدبير فعندها طاب
قلب عنتر بهذا الكلام وحقق ان قول خميسه الذى سمعه منها
عن الربيع زور ومحال ومن شدة سروره وافراحه قام قائما على
الاقدام وقال والله يا عماه ما أنا الا عبدك على مدا الازمان وانى
قد فوضت أمرى اليك يا سيد العربان وتركت ذمام قيادى بيديك
واتكالى على الله وعليك فافعل ما شئت ودبر ما هويت وابذل

جميع ما عندك من المال واذا خرج شيء من يديك فالرب القديم يخلفه عليك لانى يا عماه أموال العرب كلها بيدى وهى تصير كلها اليك وأنت تكون الحاكم والامير وأنا ما أريد من الدنيا الا سيفى ورمحى وجوادى بعد بلوغ آمالى ومرادى وأنا أسير فى عمل الوليمة وتحصيل الخلع والخمور ونبادر فى هذا الامر ثم انهم بعد ما دار بينهم الكلام وامتلؤا من الطعام أخذوا فى تناول كاسات المدام ودارت عليهم الكاسات والاباريق والخمر الصافى العتيق وغنت لهم الاماء والمولدات وطابت لهم الاوقات حتى نسوا المصائب والاوقات ولم يزالوا على ذلك العيار الى آخر النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار وطال على مالك أبو عبلة الانتظار وكذلك ولده عمرو زاد به الاشتغال وهم ينظروا الى تلك البرارى والتلال ويرتقبوا الخيل تطلع عليهم من ناحية بنى فزارة وعليها الابطال قبل قدوم الظلام وصار مالك أبو عبلة يشرب المدام ويسقى عنتر على ذكر عبلة بالكبار والصغار وحافوا على عنتر بالشرب لاجل أن يسكروه لعلهم أن يبلغوا منه ما دبروه هذا وعنتر يأخذ منهم ويشرب وهو على قلب غافل ولا غم عنده ولا هم وكان مالك أبو عبلة قد علم العبيد بما يفعلون من المكر والتنكيد فصاروا يتغامزون عليه بالعيون والاحداق وقلوبهم تغلى بالمكر والنفاق فعند ذلك أفاق عنتر وصح عنده كلام الامة خمسة وكان أخوه شيبوب واقف فى الخدمة وشكيمة الابجر فى يده وهو تارة يشرف عليهم وتارة يدور حولهم ويقول لجرير أخيه ويلك يا أخى راقب هذه التلال وأحاقيف الرمال مخافة أن يكون قد كمن لاخيك رجال يطلبوا هلاكه والوبال هذا وشيبوب يرقب

البركانه السرحان وكلما أبصر القتال بينهم وهو على ذلك الحال
وهم دابرون به من اليمين والشمال يزيد به الهم والبلبال ونظر
عمرو أخو عبلة وهو منتظر من أبيه أن يأمره بضربه وهم منتظرين
الرجال من بنى فزارة والابطال فعند ذلك صاح شيبوب على
أخيه صيحة الاسد وقد عدم الصبر والجلد وقال له ويلك قم ياولد
الزنا من بين هؤلاء الانذال وكل ماهم فيه زور ومحال فأسرع من
عندهم والا لعبت فى جسدك بالسيوف الحداد ونهبوك على أسنة
الرماح المداد فعند ذلك وثب عنتر وسل حسامه الضامى الابتر
وعول أن يبذله فى الجميع واذا هو بخيل بنى فزارة قد طلعت
وفرسانها قد أسرعت وفى أوائلها الربيع بن زياد وحذيفة بن
بدر معدن المكر والكياد والكل ينادون جاءك البلاء يا ابن شداد
ثم انهم افترقوا وداروا حوله من كل جانب وأقبلوا اليه بالقنا
والقواضب وبان فى ذلك الوقت الصادق من الكاذب فتقدم عنتر
ليركب على ظهر الجواد ويلتقى الخيل الذى أتت اليه مع الربيع بن
زياد فعند ذلك صاح مالك على ولده عمرو وقد لعبت به نشوات الخمر
وقال له ويلك ياجبان اضربه بسيفك الصقيل أو اطعنه برمحك
الطويل فما بقى له بعد قدوم هؤلاء الفرسان الى الهرب من سبيل
فعندها سل عمرو حسامه وضرب عنتر الا انها ضربة ذليل مهان
فلم يبال بها عنتر ولا أوهت له جنان بل انها قطعت أثوابه وردها
عنه الدرع المقدم ذكره فلم يتألم لها وقفز بقى على ظهر جواده الابجر
واستلب الرمح الكعوب الاسمر وتقلد بسيفه الضامى الابتر وقفز
الى الخيل المقبلة كأنها القضا والقدر وطلبها قبل ما تطلبه وهو
يشتم ويدمدم وينوى لعمه مالك الشر والمهالك وهو يقول ياغدار

يا مكار وحق الملك الجبار لا بد ما اقابلك على هذه الافعال بالوباء والوبال ولاحرمنك تشرب الماء الذلال ثم انه استقبل الابطال وطلب منهم الشر والقتال وشيبوب بين يديه يهمز مثل همزات الغزال ويرمي بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وصار هذا يطعن بالرمح في الصدور وهذا يرمي بنباله في النحور وجرير ينادي خاب والله ظنكم يا بني الزواني من صيد هذا الاسد المكسور وكان النهار كما ذكرنا قد انقضى أكثره وبقي أيسره الا انه ما أقبل الليل الا وقد تمددت الفرسان مثل العمد وضاق عليهم البر والفدفد وضربهم ضربا يقد الزرد وطعنا اذا سمعه وقعه الاسد شرد وتفرقوا في اقطار الفلا وأيقنوا بكل البلا ثم ان عنتر هجم على حذيفة وأراد أن يطعنه يسقيه كأس المنية ويفقده روحه بالكلية واذا بشيبوب قد استقبله وضرب جواده بنبلة أقلبه ووقع حذيفة عن مركبه فأدركه عنتر وضربه بقوة حيله فوصل السيف الى عاتقه فحله وتركه مرميا تحت أرجل الخيل وطلب الربيع بن زياد وزعق فيه فولاها ربالا انه لما أبصر حملاته أهالته ورأى ضرباته أبهرته قال والله ما هذه حالات سكران ولا ضربات نشوان ولا يقاتل هذا الأثيم الشيطان الامن تكون منيته قد قربت وروحه عليه قد هانت ثم انه أدار رأس جواده وطلب أرض بني فزارة والذي بقي بين يدي عنتر أنزل به الذل والخسارة وحل به الويل والعدم وتركهم ممددين على الروابي والاكم ولما نظر حمل الى أخيه حذيفة وهو على الارض ممدد في دهشته ربطه على بعض الخيول وهو غائب عن الدنيا وتبع الربيع بن زياد ولعب عنتر سيفه فيمن بقي من الرجال وقد ساقهم اليه مقدر الارزاق

والآجال ومن حكم عليهم بالمحاق والوبال ثم ان عنتر عاد عنهم بعد هذه الفعال وأنشد وجعل يقول

ترى علمت عبلة بأنى مظفر * على كل أعداى اللئام بلا كذب
ولى صارم كالبرق يلمع نوره * اذا هزه كفى تلالا مع الشهب
فمن شاء فليقدم الى فاننى * أرى الموت سهلا والحياة تلى الصعب
يريدون قتلى والحسام محكم * يكفى وجن الارض تهرب من حرب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من أبياته عاد وهو من شدة حنقة على عمه مالك وولده عمرو يطالبهما على الغدير حتى يشفى منهما غليل صدره وفؤاده وما عنده من الزفير وكان قد عول انه اذا لقاهم أوثقهم جراح ويسبى عبلة ويطلب البعد عنهما والانتزاح فما رأى لهم أثر فقال لاخيه شيبوب انهم قد عادوا يطلبون الخيام وعند الصباح تقع المشاققة والكلام ثم انه سار يطلب أبياته فما وصل الا والليل قد مدرواقه بالظلام فترجل عنتر وأوصى اخوته ونام وكان أبوه شداد وعمه زخمة الجواد والحارث بن ظالم وعروة بن الورد ذلك اليوم فى دعوة الملك قيس بن زهير وقد عادوا من عنده سكارى وناموا ولما كان عند الصباح انتبه عنتر من المنام ثم عرض ماجرى له على قلبه وكان ظنه أنه رأى ذلك فى المنام فأحضر أخاه شيبوب عنده وقال له يا أخى رأيت رؤية شنيعة واريد أن أقصها عليك ثم ابتدأ يحدث شيبوب بما جرى له من تلك الاحكام فقال شيبوب ياولد الحرام هذا يقظة ما هو منام ثم انه أعاد عليه الحديث من أوله الى آخره وأخبره كيف قاتل بنى فزارة وكيف قتلهم وما أنشد من الشعر الرقيق ثم قدم الزردية التى كانت عليه وهى مخضبة بالدماء وكذلك سيفه وقال له والله

يا ابن

يا ابن الام ما قلت بانك ترجع سالم وما صدقت بانى أراك فى بيتك
نائم ولكن سلم الله العزيز الدائم فقال عنتر لاخوته والله لقد سلمنا
يا بنى الاكارم ولكن أين مضى عمى هو وولده عمرو وكيف كان
حديثهم فى ذلك الامر فقال شيبوب والله يا ابن الام هو قال لولده
عمرو اضرب عنتر بسيفك الصقيل واترك دماه على الارض يسيل قبل
أن يذهب هذا العبد الهجين ويخلص من أشراك الوبال لانهما حافوا
عليك بالشراب وخدعوك بزخاريف المحال ولما قدمت الخيل
عليك وجرحت حذيفة بن بدر وانهزمت الفرسان بين يديك
هرب الربيع بن زياد وهو خائف منك ويلتفت اليك وأنت تخب
بالجواد وتطلب غدير ذات الارصاد وأنت تقسم انك لا تبقى من
الاعداء أحدا وصرت أنا أردك وأنت لا ترتد ولا تسمع بل تزعق على
وترمى بالسيف الى وأنا خائف لا تقع بواحد منهم تقتله وتندم اذا
صحيت ومازلنا على مثل ذلك الى ان وصلنا الى الغدير ودرنا
عليهم فما وقعنا بهم ولا رأينا أحدا لا كبيرا ولا صغيرا فلما سمع عنتر
من شيبوب ذلك الخبر قلق لذلك وتحير وحمل اثقالا من الهم والفكر
وهول انه فى ذلك اليوم لا يظهر فهو كذلك والامة خميسه أقبلت
اليه وقالت له يا أبو الفوارس مولاتى عبلة تسلم عليك وتعلمك ان
أباها وأخاها رحلا على وجوههما فى القفار من بين يديك وحلفا
لا يسكنان الحى وأنت حى فقال عنتر عند ذلك أما كفاهم ما فعلا بى
من الغدر والرداء وقد نسبانى الى الظلم والاعتداء وهم أساس
البلا فحدثينى بما جرى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان أبو
عبلة لما دبر هذا التدبير وما قدر على هلاك عنتر بل انه لما أبصر موكب
بنى فزارة أكثره قد هلك من نبال شيبوب وضربات عنتر استحا

مالك وولده عمرو أن يرجعا الى الخيام فقلق لذلك وهام وقال لولده عمرو والله ياولدى ما بقى لنا فى هذه الديار مقام لان الناس عند الصباح يعلموا بقصتنا ويأكلوا لحومنا بالملام والكلام لاسيما الملك قيس واخوته وأخى شداد وزوجته وأنا عولت انى أسير الى عند الملك النعمان وأحكى له على قصتى واستجير به من بلوتى وأدخل تحت زمامه من هذا العبد الزنيم الذى عاندنى فى ابنتى وعلى ان النعمان بعد ما علم ان الحارث عندهم وانهم أجاروه لابدّ أن يسير اليهم بسائر فرسان العرب ويقطع ما بين القبيلتين من النسب ويكون هذا القلع آثارهم سبب وان قتلنا عنتر بلغنا والله الارب ونزوّج اختك لمن نكون فى نعمته ونعتز بهيبته فقال عمرو الصواب ياأبتاه اننا نأخذ عبلة معنا ونبعد عن هذه الديار فقال أبوه لا يابنى ماهذا صواب لاننا لو أردنا نأخذها معنا ما طاوعتنا على هذه الاحوال ثم قال مالك للعبيد الذى كانوا معه ارجعوا أنتم الى الاوطان واحفظوا الاموال والمراعى والانعام حتى نبصر آخر هذه القصة وكيف تكون الاحوال وقولوا لابنتى عبلة انى هايم على وجهى فى القفار خوفا عليها فان كانت هى تختار عنتر علينا وتطاوعه على ما يريد فدعها تفعل ما تختار وان أرادت أن تصون عرضها وتستر نفسها فتمضى تستجير بأخى شداد وعمها زخمة الجواد فان عنتر لايهتك حرمتها ولا يقدر منهما الا باهلها ولا يؤذيها (قال الراوى) ثم سار مالك وولده عمرو فى الليل وجدّوا المسير على ظهور الخيل ورجعت العبيد الى المضارب والخيام وأعادوا على عبلة ما قال أبوها من الكلام فتجدّدت عليها المصائب والاحزان وقالت عبلة وحق البيت الحرام ما رأيت على وجه الارض بنية أشقى منى فياليت أمى

لم تلدنى

لم تلدني وأما قوله اني أستجير بعمي شداد من عنتر فأنا لا أبرح من هذا
البيت ولا أظن في ابن عمي هذا الظن لانه طول عمره يطلب نصرتي
وتسبيني العدا ويخلصني من النوائب والردا ثم انها باتت متفكرة
في أمرها الى أن طلع النهار وانفذت الامة خميسه الى عنتر تعلمه بهذه
الاخبار وقالت امضي الى عنتر واعلميه بهذا المعنى فمضت اليه
الامة خميسة واعلمته كما ذكرنا فلما سمع عنتر هذا الحديث والكلام
حس ان روحه تسل من جسده وصارت الدنيا مظلمة عنده وأخذته
الحيرة والخبل ولا بقي يدري كيف يفعل وهو متفكر في هذا الحال
الذي به قد نزل وانه قد أصبح مظلوم في زي ظالم فبينما هو متفكر
فيما جرى عليه من تلك الاخبار والاسباب اذ قد دخل عليه عروة
خليله والحارث مجاوره وما فيهم الامن هو مستوحش لعنتر
وسأله عن حاله فتحسر وقال والله لقد كان يومي أوشم الايام وأشرها
لا يجعل الله مثله لصديق ثم جعل يحدثهم بالحيلة التي دبرها عمه
مالك وما جرى له من بني فزاره وكيف أعاد بجهم الى الخساره
ثم قال وأنا أعلم ان عمي في هذه النوبة ما يخطى الملك النعمان بل لا بد
أن يصل اليه ويحدثه بحديث الحارث بن ظالم ولا بدّ ما يصير بيننا
وبينه العداوة والقتال واحتاج أن ألقي روحي الى الاهوال الى أن
أبلغ الآمال أو تلعب الخيل برأسي في المجال ولا بدّ ما ينفذ الملك
النعمان يطلب الحارث من الملك قيس فقالوا له صدقت يا أبا
الفوارس وأما عمك فانه يطلب ابنته والربيع بن زياد يأخذ أخاه
عمارة ويزوجه عبلة ويضيع كل ما عملته ولا تبلغ منها ما أملته فقال
عنتر وحق ذمة العرب من معد بن عدنان لو أتانا النعمان بنفسه
وسائر العربان أو أتانا كسرى أنوشروان وطلب من ذوائب عبلة

شعرة واحدة لما قدر الا بعد طمن يعمى البصر وضرب لا يبقى
ولا يذر فقال الحارث يا أمير عنتر أما النعمان فلا تحمل همه فأنا اذا
سمعت انه سائر اليك آخذ معى عشرة فوارس وأسير اليه وأملك
عساكره وأبيد عشائره وأردى كتائبه وأما عمك مالك
فواجب عليك انك تسير اليه وتأخذ اخاه قيس بن زهير وتلحقه
فى الطريق وتترضاه وتترفق به وترده الى الحلة لاجل محبوبتك
عبلة لان المحب يذل لمحبوبه ولو كان الجفا والهجر نصيبه
كما قال الشاعر

اذا ذل المحب وبات يشكو * الى عواده شكوى السقيم
لعل أن يخفف الله عنه * لهيب توقد الشوق القديم
ولا سيما اذا كان التشاكى * من البلوى الى ذى قلب رحيم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذه الابيات من الحارث بن ظالم
دمعت عيناه وزاد جواه وكثر جنونه وزاد شجونه وقال أما
عمى مالك فأنا أركب وأسير وراءه واترضاه وان لم أجده سيكون
بينى وبينه حديث يذكر ويروى قال فبينماهم فى الحديث
والكلام اذ دخل عليهم عبد من عند الملك قيس الهمام وقال له
يا أبا الفوارس كلم مولاى قيس بان رسول حذيفه قد أتى اليه
على سبيل الشكوى ويذكر ان له عليك دعوى وقد ذكر انك
جرحته وجرت عليه وأوصلت الاذية اليه وما هكذا ينبغى أن تكون
الرجال الاجواد المعروفين فى القتال والجلاد ان تصير فى مثل هذا
الوسواس الى العدم والالم فقال عنتر وهو مشرف على التلاف
وقد نزل به العدم لو قدرت اليوم على بنى فزاره ما تركت منهم
من يمشى على قدم لانهم طول عمرهم طالبون قتلى فى السفر

والحضر

والحضر ولابد لى معهم يوم اسود أغبر من ضرب الحسام الذكر
والاماأكون أنا بن شداد عنتر لاسيما حذيفة والربيع بن زياد
القرنان الكثير الكياد الخوان وان سلم اليوم فما يسلم غداثم انه
ركب وسار الى حضرة الملك قيس فلما حضر قام له كل من فى المجلس
وسأل عن الخبر والحال فقال له قيس ياأبا الفوارس أى شئ
أوجب هذه الفعال وما سبب هذا القتال ولماذا تسرف فى شرب
الخمر المشؤم حتى جرا منك هذا الامر المذموم فقال عنتر وما الذى
فعلت حتى استوجب هذا المقال وأنا وحق رب الارباب قط
ماشربت وغاب لى صواب فقال له الملك قيس هذا رسول حذيفة
جانى يشكو الى و يقول لى على لسان هذا الرجل ياقيس أنا ركبت
فى مائة فارس أنا والربيع بن زياد وكنا قد جئنا نهنيك بالسلامة
ونعتذر فى التقصير من قلة المسير اليك لاننا كان لنا سرية فى بلاد اليمن
وهلكت وما عاد منها الاالقليل وذكر لنا بعض المنهزمين ان الاعداء
وراءهم طالبين وقد قعدت خوفا على الحريم ولما سمعنا انك قد
عدت سالم أتينا نهنيك بالسلامة فثار علينا عبد شداد من على
غدير ذات الارصاد وهو سكران لا يعقل انسان فقتل
رجالنا وأهلك أبطالنا وما زالت الرجال ترد عن أنفسها وأنا أقول
يابنى عمى لاتثيروا بيننا الدماء ولاتحاربوا هذا الرجل واحذروه فانه
سكران ولم يزل الى أن وصل الى وأنا أقول هذا المقال ولا أمانع
ولا أدافع بل صرت أقول اذا رآنى يستحى منى ويرعانى فما هو الا أنه
لما وصلنى مد يده الى وضربنى فقلت انه قتلنى وقلت ان أنا هاجمته
يثور الحرب بيننا وبينكم وما كفاه حتى صار يقول لنا ياأولاد الزنا
ونتيجة الخنا أنتم تطلبون قتلى ولولا ان عمه مالك رده عنا لكان

قد تبعدنا الى الديار فنحن يا قيس بقينا أولاد زنا وعنتر عريق النسب وأصيل الحسب فان كان فعل هذا عن اذنك فاعلمنا حتى نعلم انك حردان علينا فنحترز على أنفسنا ونعلم انك ناقم علينا لاجل بعادنا عن نصرتك وان كان ما عندك من ذلك خبر فلا تستحسن البغى لعنتر ولا تستحسن هذه الفعائل وأنت بالامس كنت راغب فينا ومراعى جانبنا فان كنت على ما نعهد فانفى عنتر ودعه يرحل عنك ويطلب أرضا غير هذه الارض حتى نعلم انك غضبت لغضبنا ورضيت لرضانا ثم قال قيس يا عنتر وحق البيت الحرام لقد ضاق صدرى لاجل سماع هذا الكلام لان عندى من كثرة أعدانا وزيادة همنا ما شغلنا عن معادات بنى عمنا فقال عنتر يا ملك وحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الآجال والارزاق ان هذا الحديث زور ومحال وما أتوا هؤلاء الانذال الا يريدون قتلى وسفك دمى ويعاونوا عمى على هلاكى وعدمى ثم أخبره بما جرى له مع عمه على الحقيقة واعلمه ان عمه وولده قد هربوا خوفا منه ومن الفضيحة وبعدها فما بقيت أقع بأحد من الاعداء الا وأقتله وأسفك دمه لاسيما الربيع بن زياد واخوته الذى بانت لى عداوتهم لانهم لما رأوا عمى مال بجانبه جعل يراسله ويقسى قلبه على بدواهيه ومعائبه وأما قولهم انهم كان لهم فى بلاد اليمن فرسان وهلك أكثرهم فصدقوا فى هذا المقال لانهم يا ملك قد علموا بمسيرى لاجل خلاص ابن اختى المطال ورجاله فأنفذوا ذلك السرية لقتلى فوقع بهم اللقيط وفعل بهم هذه الفعال وكل هذا يا ملك يجرى وأنا أخفيه وفى الآخر يقولون ان عنتر بغى على سائر العالم والحال انى مظلوم ويعدو نى ظالم فانا أريهم اليوم عاقبة الظلم والبغى على من تعود

(قال

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذه المقالة عرف بباطنه صدقه
من محاله لان طريق الحق واضحه وشواهدها على من تكلم
بها لائحه فقال قيس للرسول الذى لحذيفة يا ابن العم والله
ما على كلامك من برهان واضح وان الحق مع عنتر وشهوده عليه
لوائح وقل له عنى ان كل من أشار على بنفى عنتر عن الاوطان فما
يكون الا قد أراد الهلاك والقلعان لانى رجل كثير الاعداء قليل
الاعوان وان فعلت هذا فلا آمن من نوائب الزمان فكم من مرة
خلص عنتر حريمنا والنسوان وأنقذهم من الذل والهوان وبعد
هذا انا ما أدخل بين عنتر وبين بنى فزارة لان الاختبار قد بين لهم
الربح من الخسارة وهم قد جربوه مرارا وعرفوه وان أراد المناصفة
ناصفوه ثم انه رد الرسول وعلم ما فى قلبه وأوعده أن يعينه على
عمه ورجع عنتر الى مضاربه وأمواج الهموم تلعب فى فؤاده
وجوانبه وكان أكثر همه وغمه لاجل غيبة عمه لانه لا يعلم
أين قصد وعلم أن عبلة تنغص عيشها لغيبته وبقى عنتر مدة خمسة
أيام لا يلتذ بطعام ولا يتهنى بمنام وبعد ذلك طلبته أم عبلة اليها
وقالت له اعلم يا ولدى انه قد خرب بيتى من الرجال وخراب البيت
ما هو صواب وتشمت بنا سائر الاعداء لاسيما الاهل والاصحاب
وأنت يا ولدى أخبر بعيشنا فى هذه الايام وعمك وولده غائبين
فى البرارى والآكام وللآن ما سمعنا لهم خبر ولا عرفنا لهم مستقر
وان وقع بهم من له عليهم دما ترك وجودهم عدما ونلقى بعدهم
الذل والاسا فى الصباح والمسا والصواب انك تجد السير خلفهم
وتكشف أخبارهم ولا تؤاخذهم بفعالهم لان كلما جرى من
تدبير الربيع بن زياد بلاه الله بالضر والانكاد ثم قالت له أم عبلة

اعلم انهم اذا وقعوا وتم عليهم أمر من الضير فما تلقا بعدهم سرور
ولا خير وأيضا من كلام الناس فان العرب كلها تقول تركت أباها
وأخاها واعتمدت على عنتر فى شدتها ورخاها وأنت أخبر بهذا
الامر فدبر تدبير يكون فيه الصلاح فقال لها عنتر يا مولاتى انى
تعلمى ان الذى جرى على فى هذه النوبة من يده كان وهو ما طلب
الا هلاكى والقلعان لانه كان يظهر لى خلاف ما كان فى باله
ويلقانى بالترحيب والوداد ويرجع يدبر على هلاكى هو والربيع
ابن زياد وما عاقبه الله الا بهذا اللجاج والعناد لانه فعل هذا ألف
مرة ثم يعود عليه وبال ومضره ويلقا عاقبة بغيه وأنا وحق البيت
الحرام وزمزم والمقام لو كان قال لى يا عنتر أنا ما اريدك لابنتى
عبلة ولا اريدك أيضا تقيم عندنا فى الحلة ما كنت فيها أقمت
بل كنت رحلت وعلى الله توكلت فعند ذلك كلمته عبلة وقالت له
يا ابن العم كيف يكون لك جلد ان تبعد عنى وتقنع بالتمنى فان هذا
ما هو الا زور ومحال فدع عنك هذا المقال وبحياتى عليك
تمضى وتكشف خبر أبى وأخى ويكون عندك الاحتمال
ولا تؤاخذهم بما فعلوا من سوء الفعال واعلم انه اذا كان العبد يريد
مولاته يحسن مداراته فقال يا سيدتاه وهذه المداراة كيف تكون
وأنا والله لقد كرهت الحياة وضجرت حيث انى أعمل جميل
ويجازينى بالقبيح ولكن كل هذا يهون على قلب عبدك اذا
كنتى راضية عنه وانت مقيمة على عهدك وأما أبوك فما عليه
خوف الا من بنى عامر لان حواشيهم بين أبياتنا يدورون الليل
والنهار ويبصرون من ينفرد من رجالنا وأبوك اذا وصل الى
النعمان فما يكون الا فى الامان وأنا وحق هواكى فى هذه الليلة

172

اقفو اخلفه الاثر ولا أعود حتى أكشف الخبر وأرده الى الديار
والاوطان واجازى قبيحه بالاحسان حتى يعرف قدرى كما عرفه
كل انسان أو يشتفى منى اذا رآنى ملقح تحت أرجل الخيل وجميع
الفرسان تنعانى فى النهار والليل فقالت أم عبلة وحيات ولدى عمر
ان حقك عندى واجب معروف وبالكعبة أقسم وحق ما على
البيت الحرام من الآلهة والاصنام لأتركنه يزف ابنتى الاعليك
ولو قطعنى بالحسام فطاب قلب عنتر بهذا الكلام ودعا لها وقد
زال ما بقلبه من الجوى والغرام ولما وصل الى خيامه دعا بعروة
ابن الورد والحارث بن ظالم وأبيه شداد وعمه زخمة الجواد وقص
عليهم ما جرى له ولعبلة وقال قد عولت أن أسير فى طلب عمى مالك
اذا جن الليل وأسأل عنه ان كان وصل سالم الى النعمان ولا أؤاخذه
بما فعل فى حقى من الهوان ولا اقابله بتدبير الربيع بن زياد القرنان
اقابل القبيح بالاحسان ولا أدع الاعداء يبلغون منى المراد
لاجل العداوة والكياد لان قلبى خائف من بنى عامر وما أحضرتكم
الا لاجل أوصيكم بعبلة ربما تطول سفرتى ويأتى عمى هاهنا
ويأخذ أهله وعبلة فى غيبتى ان كان وصل سالما الى النعمان
واريد منكم ان تم له هذا الامر والشان وأتى هو أو رسوله يطلب
عبلة فما تمكنوه من ذلك وان رأيتم ما لا طاقة لكم به فخذها يا أبا
هانىء وارحل بها وانزل على بنى شيبان وأقم عند أخى بسطام
الى حين قدومى فان بينى وبينه عهد لا يضيعه لانه كريم من نسل
قوم كرام واريد فى غداة غد يا أبتاه تنقلها الى أبياتك وتجعلها
من جملة بناتك فقال له شداد يا ولدى لا تخف أما عبلة فما تبرح من
أبياتى وأما أنت يا ولدى فوحق ذمة العرب ما أدعك تسير وحدك

وأنت هكذا فى البر وحيد ولا بد ما تصحب معك جماعة من الفرسان
الصناديد فقال عنتر والله يا أبتاه ما أدعك تنتقل من الحى خطوة
واحدة لا أنت ولا عمى زخمة الجواد لانى مالى غيركم اتكل عليه
فى حفظ الاميرة عبلة وأنا أسأل رب السما أن يصرف عنكم
السوء لان اتكالى فى هذا الامر عليكم وهو الصواب الذى خطر
ببالى فقال الحارث اذا كان الامر على ما ذكرت فأسير أنا وأنت
الى ما أردت ونترك هؤلاء ههنا يحفظون ابنة عمك كما أمرت
تكون مطمئن القلب ونحن فينا كفاية لاهل الشرق والغرب
فقال عروة وأنا وحق ذمة العرب أسير معكما ولا أقعد عنكما
لان عنتر اذا كان غائب عن الديار تظلم فى عينى الاقطار
و يتساوى عندى الليل والنهار فشكره عنتر على هذه الاقوال
ثم تأهبوا مثل هذه الاحكام حتى أقبل الليل الحالك بالظلام ثم
ركبوا بعد ما غاصوا فى الحديد وتدرعوا بالزرد النضيد وتقلدوا
بالسيوف الحداد واعتقلوا بالرماح المداد ثم انهم خرجوا من
الخيام وأهل الحى نيام وساروا وشيبوب بين أيديهم مثل ذكر
النعام وأراد جرير المسير فما مكنه من ذلك عنتر بل أمره بمراعاة
عبلة وحفظها ولما توسطوا البر قال شيبوب لاخيه اعلمنى يا أبا
الفوارس أى طريق تريدان تذهب فقال له اقصد أرض بنى عامر
لكن أريد طريقا لا يلقانا فيها أحد يعيقنا كى يخفا خبرنا على
كل أحد من كل مقيم ومسافر وان كان عمى قد وقع به بغيه فمن هناك
نأخذ خبره فقال شيبوب اتبعنى يا ابن الام لترى العجب منى واذا
خرجنا من الارض وقربنا من ديار بنى عامر و بقى بيننا وبينهم دون
اليوم أخفيكم فى البرارى والقفار وأخرج التمس لكم الاخبار

ثم

ثم انهم ساروا يقطعون البيداء وكان أكثر مسيرهم فى الليل ولما قاربوا أرض بنى عامر أخفاهم شيبوب فى مكان عظيم وقال له عنتر سر وانظر هل تسمع لنا على عمى من خبر وانظر سراح القوم هل أمنوا وسرحوه فى الجبال وارجع الينا واعلمنا بالحال لاجل أن نخرج على الاموال ونسوقها ونقبل مهاتها ولانترك طريقنا تمضى خائبة فقال لهم شيبوب سمعا وطاعة فسار شيبوب وقد لبس زى فقراء العرب من المماليك والصعاليك وأقاموا ينتظروه بقية ذلك اليوم وتلك الليلة الى الصباح وخاف عليه عنتر ان يكون هلك أو وقع به بعض الاعداء وألقى فى الشرك فهم أن يسير فى طلبه ويكشف خبره واذا به قد طلع عليهم من كبد البر مثل ذكر النعام ومعه عبد أسود وهو رابطه بحبل وكلما وقع صاح عليه وسحبه فتعجب عنتر من ذلك وتواثبوا اليه حتى قاربوه وقالوا له ما هذا العبد يا شيبوب فقال هذا عبد رابح بن الصياح سيد بنى جهسان ومنه قد أخذت الخبر عن عمك وولده عمرو وقد ذكر انه عند سيده رابح ابن الصياح وانه يهددهما بالقتل مساء وصباح ويعذبهما بعذاب ما عذب به أحد من الرجال والنساء لانى لما سرت من عندكم أجهدت نفسى فى المسير الى آخر النهار وأردت بذلك انى أختفى وأدخل ديار بنى عامر أول النهار وأكشف لكم الاخبار واذا بهذا الشيطان قد اعترضنى وعن قضاء حاجتى أعاقنى وكان مقبلا من ناحية أرض وادى زرود فقاطع على وقال لى أنت من عبيد بنى عامر يا وجه الخير فقلت وما الذى تريد يا ابن الخالة فقال لى أنا من عبيد بنى جهسان من عند رابح بن الصياح أطلب الاخوص بن جعفر وملاعب الاسنة لان سيدى قد أنفذنى اليهم أبشرهم بوقوع مالك

وولده عمرو وأذل لهم يسيروا اليناعلى عجل ويحضروا وأقتل الاثنين
لاجل ما بينهما من العداوة ولما انني حققت ذلك طارعقلي وقلت
انقضت حاجتي التي أتيت اليها ثم قلت له يا وجه العرب سر معي
حتى أوصلك الى مضارب الاخوص بن جعفر لانه مولاي ثم تصرت
في المسير وصرت اساله كيف وقع عمك وولده حتى انتشرت أجنحة
الظلام وخفينا عنا البراري والآكام فدنوت منه وضربته
بالخنجر أشغلته عما هو فيه بنفسه وعدت على أثري ولولا اني أردت
حضوره بين يديك فانه أراد أن يهرب من بدي فقاسيت الشدائد
حتى أوصلته اليك فلما علم عنتر بذلك زاد همه وغمه وأقبل على العبد
الذي أتى به شيبوب فلما رأى ذلك العبد عنتر انهدمت قوته وتعجب
من عنتر وهول صورته ومن شيبوب وجسارته فقال عنتر ما اسمك
يا غلام فقال اسمي بشير يا مولاي فقال وأين أنتم نازلين قال في أرض
العنز فقال له وكيف وقع هذا الاسيران العبسيان في أيديكم فقال له
كان سيدي عائذ امن وليمة قد دعي اليها هو وزوجته دعد العامرية
وكان قد أقام فيها سبعة أيام وعاد ومعه فارس واحد يقال له عبد
مناة وهو فارس أرضنا وليث عشيرتنا ولما قاربنا الديار التقينا
بهؤلاء العبسيين فأخذهما ولما وصل بهما الى دياره عذبهما أشد
العذاب وربطهما مع الكلاب وكان السبب في ذلك ان مالك
أبو عبلة وولده لما جرى لهما ما جرى وهجا على وجوههما في الصحرا
وهما يتململان غيظا وقهرا الا انهما لم يزالا سائرين ذلك اليوم
وتلك الليلة الى ان أصبح الصباح وقد وثقا وأمنا على أنفسهما من
طلب عنتر البطل النحرير وكان مالك قد عول أن يسير الى الحيرة
ويدخل هو وولده على الملك النعمان ويلقيان الشر بينه وبين بني

عبس وعنتر ويقيما تحت ظله وينفذ مالك يأخذ عبلة من بنى عبس
ويزوّجها بالامير عمارة بن زياد ويبلغ من النعمان ما أراد ولم يزالا
سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى الصباح الى ان وصلا الى قوم
يقال لهم بنو صالح وفيها التقيا بالامير رابح ومعه الهوادج والكلال
فقال عمرو لابيه مالك يا أبتاه هذه عروس سائرة الى بعلها أو امرأة
طالبة أهلها ومعها فارسين وثلاث عبيد واريد احمل على الجميع
واقتطعهم بالسنان وآخذ ربة هذا الهودج مسبية بما عليها من
الحلل والاموال ونسير بها فى الطريق الى ان نتصل الى العراق
ونجتمع بالملك النعمان فقال له أبوه بالله عليك يا ولدى دعنا من
معادات العربان ومن ذكر النسوان فان لنا شغل بحاجتنا
من الاوطان ومفارقة الاهل والخلان هذا ومالك جعل ينهى
ولده فلم يقبل ملام بل انه أطلق عنانه وقوم سنانه وزين له الشيطان
وجه المحال فصاح وقال ويلكم خلوا عن الهودج والاموال
واطلبوا النجاة قبل الوبال فقال عبد مناة من أنتم أيها الانذال
ثم انه حمل على عمرو وجال معه ساعة حتى عرف ما فيه من الشجاعة
ثم بعد ذلك قاربه ورمى الرمح من يده وأوهمه أنه يضربه بالسيف
على رأسه وضرب رأس الجواد رماه فوقع على ظهره وأيس من الحياة
وغاب عن دنياه وأبصر أبوه هذا الحال فاحتاج أن يقاتل ويخلصه من
الذل والخبال الا انه ما حمل حتى شد لعمرو ولده وقد ذاب كبده وقل
صبره وجلده ونادى واولداه وبذل مع عبد مناة المجهود وتكافحا
بمكافحة الاسود لان مالك بن قراد كان من فرسان بنى عبس
الاجواد فجالد خصمه أشد جلاد وما زال معه فى طراد وعناد حتى
صار بياض النهار الى سواد وزادت بعبد مناة الاحقاد فصاح بمالك

ابن قراد صيحة الاسود وزعق زعقة عظيمة أذهلته وطعنه طعنة قتلته فشك السنان فى درعه ونحسه فى ضلعه فوقع وقد أيقن بالمهالك وقد دخل فيه الارتباك وانقلب من فوق المركوب من ألم الجراح وشده رابح بن الصباح فزادت به الافراح واستخبره عن عمرو عن نسبه وعن عربه وعن الشيخ الذى معه وقد جد فى طلبه فقال له نحن من بنى عبس وهذا الشيخ أبى ثم أخبره بأسمائهم وكناهم فأمهل عليهم وساقهم بعد ذلك وأراد هلاكهم ثم قال وحق الاله المعبود والرب الموجود لاقيدنكم حتى اعذبكم أشد العذاب واذيقكم الذل والخسارة وأربطكم مع الكلاب الهبارة وأشفى بكم قلب الاخوص بن جعفر واللقيط بن زرارة لانكم قد فجعتمونى فى أخى يوم وقعة بنى فزارة ثم انه جال عليهم بالسوط حتى أشفى قلبه منهم وقال لعبيده سوقوه هو ورجاله الى الاحياء ولا تفتروا عنهم بالضرب والعذاب وأنفذوا الى اللقيط بن زرارة عبدا يعلمه يأمره بالحضور وكذلك أنفذ الى بنى عامر الذى لقاه شيبوب وأحضره الى أخيه عنتر واستفاد منه الخبر فدنا اليه الحارث بن ظالم وضربه بذى الحيات طير رأسه عن جثته وقال يا أبا الفوارس الصواب اننا نلحق عمك ونخاصه من العذاب قبل أن يهلك وأنا أعلم انه فى هذه المرة يصير لك أذل من العبيد وتبلغ منه ما تريد فقال له عنتر يا أخى وكم من مرة خلصته وهو لا يزداد الا عنادا ولكن له عندى شفيع قوى وهى عبلة ابنته التى هى كروحه التى بين جنبيه ولاجل عين تكرم ألف عين ثم أنشد وجعل يقول

لوان قلبك لى يرق ويرحم * مابت فى ألم الهوى أتألم
ومن العجائب اننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم

هم يظلموني بعد قربي وقصدهم * صد الحبيب وذاك صد لازم
مع انى أرضى أن أكون اسائر الاعداء أرضا
ولاجل عين ألف عين تكرم

ثم انه أمر أخاه شيبوب أن يعدل بهم عن الطريق التي لبني عامر حتى لا يعيقهم عائق ولا مثائر ثم سار يطلب في البراري أرض العنزتين هذا وعنتر يتذكر ما لاقاه من الهوى وما يقاسيه من البلوى وهو ينشد و يقول

عذابك يا ابن السادات سهل * وجور رابيك انصاف وعدل
فجوروا واطلبوا قتلى وظلمى * وتعذيبي فاني لا أمل
ولا أسلوا ولا أشفى الاعادى * فسادا في لهم فخر وفضل
اناس انزلونا في محل * من العليا فوق النجم يعل
اذا جاروا عدلنا في هواهم * وان ذلوا بعدهم نذل
ان كان حب عبلة قل عزمي * تقل الحادثات ولا أقل
فكيف يكون لي عزم وجسمي * فني حتى بقي منه الاقل
فيا طير الاراك بحق رب * براك عساك تعلم أين حلوا
وتطاق عاشقا من أسر قوم * له في نيران الحب أسر وغل
فلو ان الهوى رجل شجاع * طعنت اهابه والسيف نصل
فقد أذبوا في الهوى قلبي اذاهم * أحلوا من دمي ما لا يحل
ينادوني وخيل الموت تجرى * محلك لا يقاومه محل
وقد أمسوا يعيبوني باصى * ولو ني كلما عقدوا وحلوا
لقد هانت صروف الدهر عندى * وهانوا أهله عندى وقلوا
ولي في كل معركة حديث * اذا سمعوا به الابطال ذلوا
أثير عجاجها والخيل تجرى * ثقالا بالفوارس لا تمل

وارجع وهي قد واتت خفافا * تسل الطعن وهي به تفل
وافعل فعلا لا يفعله غيري * كل الابطال لو فعلوه ملوا
واضرم نار حربي كل يوم * على الاعداء ان رحلوا وحلوا
وأرضى بالاهانة من اناس * اراعيهم ولو قتلي أحلوا
واصبر للحبيب وان جفاني * ولا أترك هواه ولست أسل
عسى الايام تنعم لي بوصل * وبعد الهجر مر العيش يحل
أنا عنتر من بني عبس وذكري * مدى الازمان فوق الشهب يعل

(قال الراوي) وكان عنتر ينشد هذه الابيات والحارث يطرب لفصاحته ويتعجب من مروءته وقال والله يا أبا الفوارس لو جرى على بعض ماجرى عليك كنت قتلت عمي وكل من يلوذ به وسلبت نعمته وأخذت ابنته فقال والله ياحارث لا كان هذا أبدا ولو انهم سقوني كأس الردى لاني يا أخي كل مقدر كائن ثم انهم جدوا المسير سبعة أيام ووصلوا في اليوم الثامن الى غابة الاسد وهي منازل بني جهسان وكان نزولهم وقت المسا فقال لهم شيبوب لا تقطعوا بينكم الحديث حتى أدخل الى الخيام وانظر ماقد جرى وكم يخرج من الحي من الفرسان وأعود اليكم بالخبر اليقين فقال عنتر ياشيبوب أما قولك يخرج من الحي من الشجعان فنحن لا نبالي بالشجعان ونحن ههنا ثلاث رجال نريد ثلاثة آلاف فارس من الابطال وأما دخولك الى الحله وحدك فوحق ذمة العرب والحطيم وزمزم لا يدخل المضارب الا أنا وأنت لاني اشتهيت أن أبصر عمي في هذه النوبة وهو يقاسي الذل والعذاب فقال شيبوب ويلك يا ابن الام وكيف يكون ذاك ومالك بهذا الامر عاده ولا سابقه قبل هذا اليوم فأنا لا أطاوعك على هذا أبدا لاني أخاف عليك

ان

176

أن تقع علينا عين فاهلك أنا وأنت ويكون يا ابن الام آخر
متابعتك لعمك الملاك وتمام عشقك وهواك وعلى اني اذا وقعت
على العين أهزههم هزات الغزال بين المضارب والخيام فقال عنتر
ويلك أيش هذا الحديث والكلام فأنا وحق من خالق الانس
والجان لوان أهل الحي بعدد الرمل والكواكب لا أترك منهم
لا راكب ولا ماشي فقال شيبوب ان كان ولا بد من هذا الحال
فاخلع عنك السلاح وآلة الحرب والكفاح ثم البس مثل لباس
العبيد حتى يتم لك ما تريد ثم انه لبس لباسا يصلح لمثل هذه الاشياء
وكان معه يلبسه وقت احتياجه ودخلا الى غابة الاسد واحتطبا
حزمتين حطب وكانت حزمة عنتر كبيرة ومشيا حتى دخلا الى الحي
وقد أقبل الظلام ودخل شيبوب قدام واخترق الخيام أمام
عنتر لانه بهذه الامور أخبر ومازال ماشيا بين المضارب والخيام
بالجحاح حتى وصل الى مضارب رابح بن الصياح ومدعنيه
شيبوب فنظر مالك وولده عمرو مربوطين مع الكلاب وهم
في غاية الضر والعيش المر وقد تغيرت أحوالهم من العذاب وهم
مربوطين في حبال الاوصاب فقال شيبوب لاخيه هذا يا ابن الام
عمك وولده فانظر اليهم فحط عنتر حزمة الحطب من على أكتافه
وأظهر أنه يستريح من التعب وفعل شيبوب كذلك الا انهما ما أقاما
الا بقدر ما خرج رابح بن الصياح وكان حوله جماعة من العبيد والخدم
وأخذ في الحديث مع رعاته وصار يسأل منهم عن العشب والكلا
وكل يحدثه بما يرعى فيه من الفلا الى ان قال له بعض العبيد
يا مولاي رأيت اليوم عجبا وهو اني كنت في وادي البرحاء وجزت عند
المسا والابل بين يدي تسعى فلما صرت في الطريق التي تأتي الى

أرضنا من ناحية العلم السعدى رأيت فارسا أخذ يطارد غزالة وبين
يديه رجل كأنه النمر والفارس على فرس كأنها الليل اذا أظلم
والرجل معه قوس عربية وكنانة بالنبل ممتلئة ولم يزل خلف الغزالة
يريد أن يصيدها فوقفت انظر اليهما واذا بالرجل قد سبق الفارس
ومسك الغزالة من قرنيها وهي في جريها وأتى بها الى الفارس
وسلمها اليه فلما صارت في يديه بكا بكاء شديدا ثم باسها بين عينيها
وأطلقها ووقف وأنشد يقول

اذهبي في أمان من كل شر * بطول عمر على مدا الايام
لك من عبلة التكحل في العين * وطول عنق قد أهال غرام
ورقيق القوام يحكي قوام فتاة * في الورى لاتدرك صفاتها الاوهام
وجمالك الاله من كل سوء * وكفاك من شر رامي السهام

(قال الراوى) فلما سمع رابح بن الصباح من العبد هذه الابيات تعجب
وقال ويلك يا ولد الزنا ومتى كان هذا فقال يا مولاي آخر النهار فقال
هذه صفات أسود بني عبس وان كان قد غره الطمع وأتى الى هذه
الاماكن في طلب هؤلاء الاسيرين فأنا أقوده غدا أسيرا ويكون لنا
الفرح التام كل هذا يجرى وعنتر واقف يسمع كلام العبيد فتعجب
من هذا العبد حيث حفظ شعره لانه كان تم له هذا الحديث مع
أخيه شيبوب وقال هذا المقال ولما سمع عمه وولده صفات عنتر
عرفوه وعلموا انه قد أتى لخلاصهم فقال مالك وحق الكعبة ان
كان هذا الكلام صحيح ونجوت من هذا العذاب الاليم على يد عنتر
ابن شداد لا أضمر له بعدها أبدا عنادا ولا أسمع فيه كلام الاعداء
والحساد لان البغي عاقبته نحس هذا ورابح يقول لعبيده لقد أبطأ
علينا خير عبدنا بشير الذى أنفذناه الى الاخوص وكذلك العبد

ناذح

نازح الذى أنفذناه الى اللقيط وأنا اريد أقتل هؤلاء العبسيين وارتاح
من التوكيل عليهم فقال له ما هذا صواب لانك قد أرسلت
خلف سادات القبائل فاصبر حتى يحضروا و يقتل هؤلاء الكلاب
ويشتفوا وان أنت فعلت هذه الفعال ضاع تعب الاثنين ولامك
الاميران فقال رابح اذا كان الامر على هذا فأنا أبصر تمام هذه
الليلة وغدفان أتى أحد من الذين أنفذنا اليهم كان والا ضربت
رقاب الاثنين واهدينا الى بنى عامر والى اللقيط الرأسين هذا كله
يجرا ومالك وولده يتحسران على أنفسهما وعنتر وأخيه قائمين
فى جملة العبيد كأنهم متفرجين وكل واحد منهما متكىء على جوزته
والليل قد سترهما ولما انتهى رابح من كلامه دخل الى خيامه
وفى دخوله وخروجه عبر على مالك بن قراد وولده عمرو وضربهما
بالسوط الذى كان فى يده وقال لعن الله قبيلة أنتم منها لانكم قوم
كثيرون اللجاج والاسراف قليلون المروءة والانصاف لا تعرفون
عدلا ولا لكم عطاء ولا بذلا بل الطمع لكم لباس والبغى لكم
اساس وها أنتم مشايخ بنى عبس الكبار وقد فضل عليكم عبد
لا قيمة له ولا مقدار وأحسن اليكم ألف مرة وخاص لك و ولدك كم
من كره وهو عنتر بن شداد وقد سمعت انك أخذت مهرا بنتك شيئا
جزيل من المال وجازيته بقبيح الفعال وكذبت فى المقال فلعن الله
وجهك الكالح وفعلك الكثير القبائح ثم أوصى العبيد بحفظهم
ودخل الى المضرب للمنام وقد فرق الظلام بين القعود والنيام
فقال شيبوب لعنتر اجعل بنا الحطب لنذهب قبل الانكار فقال
عنتر لا وحق الواحد القهار ومن أعشب القفار وجاد علينا
بالسيول والامطار وأجرى الانهار وأدار الفلك الدوار فقال

شيبوب وما تريد أن تفعل فقال عنتر أطرح هذه الاحطاب على النار التي قدام مضرب رابح واهجم على هؤلاء العبيد الذى توكلوا بعمى واضع فيهم الحسام واطلق الاثنين قبل أن يذهب الظلام حتى لا أكون خاطرت بنفسي وأعود خائبا فزعان من الرماح والقواضب فقال شيبوب ان فعلت هذه الفعال لا نصل الى الديار ولا نخلص من هذه الخيام والمضارب فقال عنتر ويلك يا ابن السودا أنا أخلصك ولو ان أهل الحي عدد رمل البيداء لانهم اذا سمعوا الصياح يطلبوا النار الشديدة الاضرام والاشتعال وأكون أنا قد خلصت عمى وولده من الاعتقال فخذهم أنت وسر ودعنى أنا للقاء الرجال وملاقات الابطال فقال شيبوب افعل يا أخى ما تريد وما عليه عزمت ولكن لا تلومنى اذا رأيت الغلبة وانهزمت فقال يا أخى قف أنت قدامى وانظر العجب واذا رأيت الغلبة فانجو بنفسك واطلب الهرب ودعنى أنا أجد خلف القوم فى الطلب ثم حمل عنتر حزمته ووضعها على النار وسل سيفه الضامى من تحت أثوابه وطلب البيت الذى فيه عمه وفعل شيبوب مثل فعاله وكان الموكلون بعمه مالك وولده ثلاث رجال وقد انطرحوا على الارض وعولوا على المنام فعبر عليهم عنتر ووضع فيهم الحسام فما ثار أحد منهم ولا قام الا وقد طار منه الهام وأما شيبوب فانه جرد خنجره ودنا من مالك وولده وقطع كتافهم وقال لهم قوموا وخذوا من سيوف القتلا ما تحتاجوا اليه وهذا ولو امع أخى وهو يحميكم واعرفوا له قدر هذه القصة (قال الراوى) فساروا وهم لا يصدقوا بالنجاة من المهالك هذا وعنتر وقف على باب رابح بن الصياح وأمهله الى ان خرج على حس الصياح ثم ضربه طير رأسه مع

هبوب الرياح وسار على أثر أخيه خوفا عليه عمر يلتقيه وأوقدت
الاحطاب وعملت نار الالتهاب بين الاطناب وتنابحت
الكلاب وضج الحي من كل جانب وتجارى كل من سمع الصياح
وحمل سيفه وطلب مضارب رابح بن الصياح وأراد كشف الاخبار
وعاد الليل مثل النهار وذلك من وهيج النار هذا وعنتر يصيح
في مالك وولده عمرو ويخترق بهم المضارب والخيام وشيبوب
في الاثر وسيفه في يمينه مشتهر وعنتر يضرب يمينا وشمالا وعدد
الرجال بين الخيام ألا انهم ماخلصوا وصاروا في الصحرا الابعد
ماأهلكوا خلقا كثيرا وركب عنتر ومالك من الخيول الشاردة وأراد
شيبوب أن يطلب بهم غابة الاسد فالتقاهم عروة والحارث بن
ظالم وقد أتوا على الحس لما سمعوا الصياح فعند ذلك ركب عنتر على
ظهر جواده الابجر وقال لهم سيروا بنا مادامت بني جهيان مشغولة
بقتل سيدهم رابح بن الصياح ولم يزالوا سائرين والحارث يهني عنتر
بالسلامة ويقول لمالك أبو عبلة من يكن له مثل هذا الاسد الذي
تهابه السباع في الغاب يبغضه ويهرب منه ويلقي نفسه في العذاب
فقال مالك ياحارث دعني ولا تعذلني ولا تكسني ثوب الحياة والخجل
فأنا رجل كانت على عيني غشياوة وقد زالت لما أراد الرب القديم
بزوالها ثم انه ثني رجله وترجل وتقدم الى عنتر واعتنقه وقد اعتذر
اليه وقال له اعلم يا ابن أخي انني كنت أقول بلساني خلاف ما في قلبي
واليوم وحرمة البيت العتيق ان في قلبي من شكرك مالا يصفه
لواصفون وان أنا ختنتك بعد هذه النوبة فما أكون انسان لانك
من العذاب أنقذتنا وبعد الموت أحييتنا فطيب قلبك واقطع بنا
هذه الارض ورمالها فما تصلح عبلة الالك ولا تصلح الالها فلما سمع

عنتر كلامه زال ما في قلبه من هيامه وترحل الى عمه واعتنقه وقال
له يا مولاي لو أنك فعلت معي أضعاف ما فعلت ما قصرت في خدمتك
ولا مللت لان العبد ماله ان يعترض على مولاه ولو قتله كل يوم وأحياه
ثم شكره واثنى عليه وودعاله وأعاده الى جواده وساروا يقطعون
الارض وحين انجلى الظلام ولاح الصباح وأشرقت الشمس
في البطاح لحقتهم الخيل من بني جهان لان الفارس منهم كان يقصد
النار التي أوقدها عنتر ويسأل عن حقيقة الخبر فاخبره النساء
بما جرى على رابح بن الصياح وان هن في غاية الافتضاح والحزن
من كثرة الدماء الذي قد ساح وسمع أصوات النساء والصياح فعاد
الفارس منهم الى خيامه ولبس السلاح وركض في عرض البر
والبطاح وكان من جملة من فعل هذه الفعال عبد مناة لانه لما أخبروه
النساء بالخبر وأبصر تلك الضربة عرف المعنى فركب وسار يطلب بني
عدنان يقطع الارض رفعا وخفضا ونظر عنتر الى الخيل لما قد أدركتهم
وقف وقال لعروة وقد الوى عنانه وانعطف وقال يا أبا الابيض خذ
معك عمي وولده والحارث وسرع لي ما انتم عليه وأنا أرد عنكم
الاعداء وألحقكم عند المساء فقال عروة لا وعز حياتك يا أبا
الفوارس ما نترك وراءنا شاغل بل نرجع كلنا لبلوغ المرام واذا
خفت ظهورنا سرنا الى حال سبيلنا وقال الحارث أيضا مثل ذلك
واتفقوا كلهم على ذلك فقال عنتر يا قوم الامر لا يستحق ذلك واذا
كنتم لا تسمعوا ما أقول فافعلوا فكل فعلكم غير معقول هذا وعمه
مالك أبصر الخيل متلاحقة به من كل جانب فأيقن بالبلاء والمصائب
وخاف أنه ثاني مرة يقع وكأس الموت يجرع فقال يا أبا الفوارس أنت
اليوم العدة لنا والعمدة وكل يوم تدفع عنا نائبة وشدة فدونك

اليوم والاعداء فدتك عبس من الرداء فبينماهم فى ذلك الكلام
اذ طلع عليهم غبار آخر من ناحية بنى دارم وارتفع حتى اسودت
منه الاقطار والمعالم وانكشف وبان من تحته مائة فارس من كل
بطل مداعس وقرن ممارس وفى أكفها الرماح الذوابل وعلى
عواتقها السيوف القواصل وفى أوائلها الطويل الركاب المسمى
فى الحرب بالعقاب اللقيط بن زرارة وقد أتى يشتفى من مالك بن قراد
وولده عمرو ولما رأته بنو جهان عرفته ومالت اليه وأخبرته بالحال
ورفعت أصواتها بالصياح اليه وأعلمته بما جرى على رابح بن الصياح
وبأن عنتر خاص عمه مالك وولده فقال اللقيط وقد فعل عنتر ولد الزنا
هو وأخوه شيبوب هذه الفعال لكن لا يستغرب ذلك لانهما كثيران
الاحتيال جسوران على لقاء الاهوال وبمثل هذا خلصوا من يدى
المطال وأهل كوار جالنا والابطال ولكن ما بقى لهم من يدنا خلاص
بعد ما وقعت العين على العين وأنا لابد اليوم أن استوفى منهم
الدين فاحملوا بنا كلكم ولا تحتقروهم لاجل قلتهم فينهبوكم
بالرماح والصوارم والصفاح ولا سيما ان كان فيهم الحارث بن ظالم
ثم انهم حملوا وهو فى أوائلهم وأضاء البر ببريق الاسنة راطلقة والخيل
الاعنه وعلت الضجة والرنة هذا وقد اشتد الامر على مالك وولده
عمرو ونادوا باسم عنتر الاسد الكاسر وأكثروا من الشكر باطنا
وظاهرا هذا وعنتر قد زاد به الفرح وعلم ان سعده قد حصل وحاله
قد انصلح فقال لعروة يا أبا الابيض أيما أحب اليك الميمنة أم الميسرة
أو تلقا أنت اللقيط وحده وأنا أرد الخيل كلها فقال الحارث وأنا
أقف هكذا بلا شغل ولا سبب لا وحق ذمة العرب أنت تعلم
ان اللقيط خصمى وبينى وبينه عداوة وهو الذى سلنى الى الملك

النعمان ولابد لى من ملاقاته فى هذا المكان فاقصد أنت وعروة وعمك وولده ماتريدون وقاتلوا من تشتهون ثم ان الحارث همز بجواده بعد تلك العبارة وقصد الى ناحيه اللقيط بن زرارة ولم يلتفت الى أحد ولما أبصر عنتر فعاله وهو يدمدم دمدمة الاسد فرح بكثرة العدد وزاد سروره وزال عنه الكمد فأنشد يقول

مضى الحقد من قلب عمى وزالا * ولما رأى الحق خلى المحالا
وقد سر قلبى بما قاله * فكيف اذا ما رأيت الفعالا
وان اخلف الوعد سلمته * الى من برانا وارسى الجبالا
وحسبك من رجل كلما * خضعت له على استطالا
أنا عندهم يوم طعن القنا * أجل الفوارس عما وخالا
وان غدا فى أهله آمنا * أنا ابن زبيبة أرها الجمالا
فياسيف كن حاكما بيننا * اذا ما حضرنا جميعا قتالا
ومن فر أو مل طعن الرماح * فقل للملاح تزده ملالا
وما قد مضى قد مضى أمره * ومن قاتل اليوم حاز الجمالا

(قال الراوى) وكان عروة بن الورد حول لحملته وسمع أبياته وتعجب من انشاداته وكذلك عمه مالك وولده عمرو واحتاجا أن يقاتلا عن أنفسهما فعند ذلك حمل واتصل الطعن وقطع الضرب للأكباد وصار الشجاع مثلا وشربت الاسنة من دماء الفرسان واشتبكت الرماح فى الكبود والكلا وقد اكتست الارض من الدماء حللا وجرى بين اللقيط والحارث حربا ما جرى مثله للجبابرة الاولا وملا عنتر الارض بالقتلا واسكن فى القلوب خوفا ووجلا وأبصر عمه مالك منه نارا لا تصطلا فحار عقله وصار منذهلا وأمن على نفسه من الاعداء وقر فؤاده وهدأ وفى آخر النهار قصرت الفرسان عن عنتر وتأخرت

180

الذئاب من خيفة الاسد وقل منها العدد وتبددت بنو جهان في الفدفد وعاد الى الحارث بن ظالم ووجده مع اللقيط بن زرارة وبني دارم وقد قتل منهم أحد عشر بطلا ولما قتل جواده تكاثروا عليه واللقيط يزعق عليه ويضاربه وقد طمع في جانبه فعند ذلك حمل عنتر لما رأى ذلك وحطم القوم فأباد الرجال وأهلك الابطال وطلب اللقيط أشد الطلب ونثر من حوله المواكب بالسيف المشطب فبينما هم كذلك واذا بعروة بن الورد قد اعترض اللقيط وجدله في الطلب وطعنه في جنب جواده فانقلب وتكركب عن مركوبه وكان مشتغلا بالفرسان وبالحارث بن ظالم فاشتغل عنه بنفسه وانكفت عنه الفرسان ووقف عروة على الحارث حتى ركب على جواد من الخيل الشاردة وصاح اللقيط يا بني عمي اكشفوا عني العار ولا تولوا الادبار وتطلبوا الهرب والفرار فاني سوف أشد جرحي وأعود اليكم فعندها صبرت الرجال على العطب واختارت الموت على الهرب وكانت لهم ساعة تشيب لها الاطفال الى ان أقبل الليل بالانسدال ومد على الخافقين ذيلا وسربالا وولت فوارس بني دارم وقد ألهاها عنتر بالطعن الدائم وما راح منهم سالم الا من كان في أجله تأخير وكان اللقيط قد أظهر الجلد وأراد الثبات فما قدر من ألم الجراح وأبصر أصحابه قد هلك أكثرهم وبقي أيسرهم فنجى بنفسه وفي قلبه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى كيف جرى عليه ما جرى من خمس فوارس وعاد عنتر والدماء تقطر من جوانبه وعمه لا يغفل عن الشكر له والثناء عليه فقال عروة لمالك بن قراد يا مالك دع شكرك وذكر القيل والقال ومن حين تصل الى الاحياء سالمازوجه بعبلة فما تجد لها كفؤا مثله فقال

مالك والله لقد صدقت يا أبا الابيض وأنا اقسم بمن لا تعتريه الاوهام ولا يخشى من العارض في ملكه اذا عرض ولا يخفى عليه لفظ الانسان اذا لفظ انى لو كنت الليلة فى أرضنا لزفيته اعليه عند الصباح وتركت ماله مباح فبحياته اللات والعزى عنى خيرا وانى قد عجزت عن شكره وكل لسانى فأعفيانى من اللوم واتركانى فقال عنتر وقد زاد فرحه يا ابن العم خل عمى يفعل ما يشا فأنا عبده ان أحسن الى أو اسا ثم ساروا يطلبون البيداء تحت أذيال الدجا وشيبوب بين أيديهم يسير الى ان لاح ضياء الفجر وبدا وقد تباعدوا عن ديار الاعداء وعنتر لا يقر له قرار ولا تهدأ له نار ويشتهى لو كان طير الطار حتى يصل من ساعته الى الديار وينظر وعد عمه وما يصنع من الجميل والآثار وهو لا يصدق بتلك الاخبار وهل يصدق فى وعده ويفعل ويوصل القول بالعمل وكانوا أى حلة عبروا عليها نهبوا أموالها وقتلوا من يخرج اليهم من رجالها الى ان قاربوا أرض الشربة والعلم السعدى وقد صار معهم مال عظيم وأرادوا أن ينفذوا شيبوب قدامهم بشيرا واذا هم قد طلع اليهم رجل اعرابى وهو سائر بهم بين الروابى ولما أبصرهم صار اليهم قاصدا وانحرف نحوهم عامدا وصار ينادى يا للعرب ما أقربها من طريق وما أحسن أوقات السعادة والتوفيق فلما سمع عنتر هذا الكلام تعجب كل العجب نظر الى الاعرابى فرآه ليه اقترب واذا به من عند الملك قيس بن زهير فقال له عنتر ويلك الى أين يا ابن الخالة فقال له اليك يا أبا الفوارس لآخذن خبرك واقفوا أثرك فقال عنتر ولم ذلك فقال له يا مولاى ان الملك قيس قد أقلقه التذكار لبعدك مما حصل له لاجلك من التفكر وقد احترق قلبه بالنار وسأل أباك عنك فذكر له انك قد

181

سرت فى طلب عمك وانه مايعلم لأى طريق سلكت فضاق صدره لاجل غيبتك ودعا على عمك بالهلاك وصار ينفذ فى البيداء جماعة بعد جماعة وكل أصحابى عادوا خائبين من أخبارك الا أنا لانى أمس خرجت من الاحياء وقد ضمنت على نفسى انى ما أعود الا بخبرك فبلغنى الله تعالى ذلك وقصر على المدا وأزال عن قلبى التعب والعنا فقال له عنتر أيش عندك من الاخبار من جهة أبى شداد وفريق آل قراد وكان قصد عنتر أن يستمع أخبار عبلة فقال له العبد والله يا مولاى ما الناس الا على شرف المهالك والفتن وخراب الديار والدمن فخفق فؤاد عنتر على بنى عبس وقال ويلك يا نسل اللئام ولم ذلك فقال له يا مولاى لان حذيفة بن بدر رجل باغى وأنت تعرف ما فى رأسه من الحماقة وانه ما يشتهى أحدا من بنى عبس لاسيما والربيع بن زياد عنده وهو يغويه لاجل ما فى قلبه منك ومن مولاى قيس ومن جميع أولاد الملك زهير وفى هذه الايام جرى بينه وبين مولاى الملك قيس ملاججة وكلام من جهة سباق الخيل والناس اليوم كلهم خائفون من الحرب والويل (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك قيس لما ضاق صدره لغيبة عنتر انفذ العبيد كما ذكرنا فى طلبه وعادوا اليه وقالوا له ما عرفنا له خبر ولا وجدنا له أثر ثم تقدم اليه عبد من بعض العبيد وقال له يا مولاى أنا أتيت اليك بخبر أحب اليك من سائر البدو والحضر فقال له وما هو الخبر فقال له انى لما دورت على عنتر ما وقعت له على خبر فعبرت على حى بنى تميم وبت فى بطن من بطونهم يقال له بنو رباح ولهم مقدم يقال له جابر بن عوف ورأيت فيها يا مولاى مهرا محجل الاربع يقال له داحس وهو لرجل يقال له مكرم وحق البيت الحرام والحجر الاسود والرب

العظيم الباقي على الدوام مانظرت عيني لصورة مثل صورته
ولا أسرع منه في الجمال ثم لج العبد في صفته فاشتغل به قلب الملك
قيس وتوسوس وكان هذا المهر اعجوبة من العجائب الذي
في ذلك الزمان مارأت العرب أحسن منه لانه كان أوفى الخيل
حسباونسباوان العرب كانت تسمى هذا المهرداحس وأبوه
العقاب وأمه يقال لها حلوايحسدها البرق على سرعتهاوتكل
الخيل عن ادراك مسابقتهاوالقمر يستحي من غرتهاوالغزالة
تستعير من بهجتهاوهذه الحجرة والحصان كانوا يفتخروا بني رباح
على سائر العربان وكان الحصان لرجل اسمه كريم ويقال ان في بعض
الايام كانت الحجرة مع عبد من العبيد والحصان مع ابنة كريم
وهما على الغدير فأدلا الحصان واعب بأربعته وسحب مقوده
ففزع صبيان الحي منه فاستحت الجويرية وأطلقت المقود من يدها
ودخلت الى بعض المضارب من شدة الحياء والخجل وكانت
الحجرة طالبه فلحقها الحصان وقفز عليها ولما نزل عنها خرجت
البنيه من المضرب فربطته على معلفه ولما أتى أبوها نظر الى عين
جواده فعرف انه قفز فاغتاظ من ذلك أشد الغيظ وقال لها
ايش الذي جرى على جوادي حتى انقلبت عيناه من بعد السواد
بالاحمرار فما وقع الاخبر من الاخبار ثم انه لج على ابنته فأخبرته بما
جرى فزاد غيظه وغضبه وخرج الى وسط الحي ونادى يا آل رباح
يا آل رباح فأتت الفرسان من كل جانب وسألوه عن حاله فأخبرهم
بما جرى له وقال والله يابنو عمي ما أخلي جوادي ينزوا على حلوى ولا
أصبر على هذا الحال ولا أبيعه بمال ولا اريد أن يكون لفرسي مثال
فقالوا واما الذى تريد أن تفعل من الفعال وقد نفذ الامر فكيف يكون

الحال

الحال فقال ائتوني بالحجرة وأوضعوها بين يدي حتى أغسل حياها
ولا أدع ماء جوادي جواها والاوذمة العرب أسلط عليها من يقتلها
فعند ذلك أتوه بالحجرة وقالوا له افعل ماتريد فقام على أقدامه
وبل يده ودسها في التراب وأدخلها في حياها وجرف مافي جوفها
فازدادت جمالا كما أراد الرب القديم الهموسي وابراهيم
وحال عليها الحول وولدت اصاحبها مهرا مانهرشكله فسماه
داحس لاجل مادحس كريم يده في أمه حلوى ولكنه خرج
أحسن من أبيه عقاب وأقوى اعصاب واسع الصدر مليح الآداب
أعجوبة لمن تعجب ويقال انه عبر مع أمه حلوى في بعض الايام فقفز
كريم وأخذه وقال هذا مهري وأنا أحق به من صاحبه وبلغ الخبر
الى صاحب المهر فجمع سادات العشيرة ثم أتى اليه فلاموه وعنفوه
على مافعل ثم انهم قالوا له أيها السيد أنت بالامس فعلت في حجرة
ابن عمك مافعلت وحكمنا عليه بذلك واليوم تريد أن تغصبه وتأخذ
ماله فقال كريم يا بني عمي لا تطيلوا الخطاب فوحق من أخرج
الشعب من التراب وخلق بن آدم من الارحام والاصلاب ما أعطيه
اياه الا أن تقاتلوني عليه وتأخذوه مني غصبا فخافوا من أثارة الفتنة
فقالوا والله لا نقاتلك ولا نقاملك أبدا ولا نجعل العرب تضرب بنا
الامثال فأنت أعز عندنا من ذلك لاجل ما بيننا من صلة الحسب
والنسب وتركنا لك المهر ولو كان صنما من ذهب وكان صاحب
المهر مكرم موصوف بالجود والكرم وانه لما رأى اللجاج غير ممدوح
قال يا ابن العم المهر مهرك وهذه الحجرة موهوبة لك وهدية مني
اليك حتى اني لا أفرق بينه وبين أمه ولا أكون ممن يخفي ماله
عن ابن عمه ثم ان مكرم انصرف عنه وترك المهر وأمه فاستحسنوا

سادات العشيرة فعاله وشكروه على حسن أعماله واستحي كريم
من مكرم وكرمه عليه وافضاله فانفذ اليه الحجرة ومعها قطعة
جيدة من نوق وجمال فخرج ذلك المهر زائد الصفات قليل الشبيه
والمثال وكان صاحبه اذا أراد ان يسابق عليه يقول لخصمه اسبقني
رمية نشاب حتى ألحقك وأسبقك ويصيح فيه فيسبق البرق البارق
ويخيل للذى يراه انه سهم راشق فيفوت الريح ثم يتمطا فى البر
الفسيح (قال الراوى) ولما وصل الى الملك قيس صفته تعلق به
قلبه وطار لاجله لبه ثم أرسل الى صاحبه مكرم رسولا ليشتريه
منه و يبذل فيه مهما طلبه من الجمال والنياق والفضة والذهب
فقال مكرم لما سمع رسالة قيس وقد عمل معه الغضب والله
ماقيس الا جاهل قليل العقل والادب أيظن انى تاجر أبيع الخيل
وانى أبيع فرسى والجواد الذى ألقى عليه الاعادى والاضداد
وأنا وحق رافع هذه القبة الخضرا وساطح الغبرا لوكان قيس
أرسل يطلبه منى هدية لكنت أنفذته اليه ومعه قطعة من النوق
والجمال وأما على سبيل البيع والشرا فهذا شىء لايكون أبدا ثم رد
الرسول بغير فائدة فعاد الرسول الى الملك قيس وأخبره بما جرى
فزاد به الهيمان واشتغل قلبه بالنيران وركب وسار الى بنى
رباح فى ألف فارس من بنى عبس غائصين فى الحديد والسلاح
ولما قارب أرضهم غار عليهم عند الصباح وأخذ أموالهم مباح
وسلمها الى مائتين فارس ودخل بباقى الفرسان بين المضارب والخيام
وكانت أهل الحى آمنين من النوائب ومافى الحى الا نفر قليل من
الرجال فحطمهم بنو عبس حطما وأهلكوا منهم الرجال وهشموهم
هشما وسبوا منهم النساء والعيال وملكوا الاماء والاطفال

وارتفع الصياح من اليمين والشمال وكان مكرم مع فرسان
قومه غائبا وداحس مقيد في وسط الخيام والمضارب لانه كان من
شفقته عليه لا يحضر به قتال ولا يباشر عليه حربا ولا نزال ورأى
بعض أطناب البيوت تقطعت والنهب في البيوت قد وقع فأتى الى
داحس عبد من الحلة وأراد فتح قيده فما قدر فعندها ركبه وهو
مقيد ودق بكعبيه على جنبيه وصرخ بين أذنيه والقيد في يديه
فمن شدة نخوته صار يهمز كهمزات الغزال اذا راعها الصياد بأشراك
حيلته فلما صار في البر تجارت فرسان بني عبس وراه بخيول مثل
الطيور فما لحقوا له غبار ولما ابصر الملك قيس ذلك زاد به شغفه
وعظم عليه تلهفه ولم يقدر على لحاقه فقال لبعض العبيد الذى
أسرهم هذا هو داحس قال نعم يا مولاى فقال قيس والله ما قصر
مكرم فيما روى ثم تبع قيس العبد الذى هو راكبه حتى قاربه وكان
قد نزل من عليه وفك قيده من يديه وعاد الى ظهره يريد الهرب
فنادى به قيس لا تفزع يا وجه العرب واصبر على حتى أكملك ولك
منى الزمام والاكرام فقال له العبد قل ما تريد ولا تطمع في داحس
ولا تكن له مدانى ولا ملامس فانك لو كنت على الفلك الدوار
ما لحقت منه الغبار فقال الملك قيس وحق ذمة العرب لقد صدقت
وافقى وما أنا ممن يطمع نفسه بالمحال والامل الكاذب ولكن ان
أردت بيعه فاني له راغب فقال العبد أنا ما أبيعه الا بكل هذه
الغنيمة ويعز على ان أبيعه بهذه الغنيمة لانه لو اشتراه الانسان بملء
هذا الفلا لا يكثر فقال قيس اشتريت يا غلام وحق مسير الغمام
والمخالف بين الضيا والظلام وهذه يدى لك على ما ذكرت
من الكلام وانى مسلم لك جميع ما ملك بنو عبس من الاموال

والانعام ولا يعدم لكم منهم عقال ولا حزام فلما سمع العبد
هذا الكلام طاب قلبه ونزل عن الجواد وسلمه الى قيس بنفسه
ففرح به قيس غاية الفرح وعاد الى بنى عمه فرحان وحدثهم بالذى
جرى فأطلقوا سبيل الاسارى وخلوا سبيل النساء وردوا الرجال
والمال وعادوا من وقتهم وطلبوا الديار والاطلال والملك قيس
على متن الجواد قد حس بر وحه انه راكب على السبع الشداد
ولما وصلوا الى أرضهم ونزلوا فى الخيام زادت محبة داحس فى قلب
الملك قيس و وصل الخبر الى بنى فزارة فحسدوه عليه وأرادوا ان
يدبروا على هلاكه وينفذوا له بعض العبيد يقتله فقال الربيع
يا حذيفة هذا الامر لا يتم لك ولا تقدر عليه فى هذه الايام حتى
يشبع منه قيس ويمله وندبر له من يقتله (قال الراوى) واتفق انهم
عملوا وليمة لما قدروقيه وكان قرواش بن هانى ابن عم الملك
قيس عندهم زائرا فأحضروه فى وليمتهم واقعدوه فى منادمتهم ولما
أكلوا وأخذوا فى شرب الراح وأقداح المدام جرى بينهم ما جرى من
حديث سباق الخيل وجريانها فقال قرواش والله يا بنى فزارة
ما على وجه الارض اليوم أجود ولا أسبق من فرس ابن عمى قيس
ولا بقى بعده للخيل قدر ولا قيمة لانه والله دهشة لمن يراه وشهوة
لمن اشتهاه ومازال يلج فى وصفه حتى قال حمل بن بدر كفاك
يا قرواش تحدث بكلام لاش فى لاش واعلم ان ما فى الارض مثل
فرسى وخيل اخوتى ولا فى العرب رئى مثلها ولا أسبق منها ثم انه
فى حماقته أمر العبيد الذى له ان يأتوا بالخيل وقال اعرضوا على
قرواش خيلنا حتى يعلم انه لم يكن يراها وينظر اليها ولا يبقى لفرس
ابن عمه مع خيلنا قيمة ففعلت العبيد ذلك وعرضت عليه كل الخيل

وهى

184

وهي تتجلى كالعرائس فلما رآها قرواش قال والله ما بها افتخار
ولا تنجى من اخطار فساقوا بعدها خيول حذيفة بن بدر وكان له
حصان يقال له صادق وحجرة يقال لها الغبرا فقال حذيفة لقرواش
كيف ترى فقال قرواش والله يا أبا جار انها ما تسوى علفها
ولا تصلح للفخار فقال له حذيفة ولا حصاني صادق ولا حجرتي الغبرا
فقال قرواش انهم ما يساووا من داحس الغبار فقال حذيفة
كذبت وحق ذمة العرب ما أظن أحد ملك مثلها ولا ربي شكلها
فقال له قرواش لا تطل ما في خيل العرب مثل داحس لمن يفاخر
ويقايس ثم تلاججا في الكلام فقال حذيفة أنت لقلة عقلك
وعدم نقلك تشكر فرس بن عمك على سائر خيول بني فزارة
وتخيره على صادق والغبرا فانظر ماذا ترى من المعقول وقل عنك
ما تقول فقال قرواش هذا كله شيء لا يقال ولا يبلغ به أحد
آمال وانهم ما يسووا من داحس ظفر واحد ومن يفتخر به نال
جميع المقاصد فقال حذيفة تراهنني يا قرواش على فرس بن عمك
قيس فقال قرواش نعم أراهنك ان فرس بن عمي داحس يسبق كل
فرس كان في بني فزارة فقال حذيفة وقد زاد به الغيظ والوهم وقد
ذكرنا حماقته فيما تقدم لا يا قرواش انا ما أظن ان حجرة أحد
تسبق حجرتي الغبرا قال قرواش والله لقد غرك الطمع وقادك المحال
وأنا ما أراهنك الا على عشر جمال ثم تعاقدوا ووضعوا الرهان على
سباق داحس والغبرا وتموا على ما هم عليه الى أن أصبح الصباح
ركب قرواش وعاد الى بني عبس وكان قيامه وقت السحر فأشرف
على الديار وقت غروب الشمس ولما وصل قرواش دخل على ابن
عمه قيس وحدثه بما جرى بينه وبين حذيفة من الملاججة في حديث

الخيل والرهان فقال قيس والله لقد أخطأت وحق ذمة العرب
لقد وقع الشر بين القبيلتين كنت داحس من شئت من العرب غير
حذيفة وبني بدر لانهم قوم كثيرون اللجاج لا سيما وعندهم اليوم
الربيع بن زياد وهو الذي يحسن لهم البغي والعناد فعندها قال
قرواش والله يا ابن العم لقد أوجبنا الرهان وشهدت بذلك علينا
العربان وما بقي لنا منه بد فقال قيس أنا أركب وأمضي الى القوم
وأزيله لانه يجلب الشر ويعانيه وان كان تركه أخير من الجذفيه
فقام قيس من وقته وساعته وركب في مائه فارس من قومه وسار
بنفسه في مهابته وكمال عقله وفضله حتى قدم على حذيفة بن بدر
واخوته فرآهم كلهم مجتمعين يأكلون وبين أيديهم قصعة خبيص
فلما رأوه قاموا اليه وعظموه ودار وابه وعن جواده أنزلوه
وزادهم بين يديه قدموه وحلفوا عليه ان يأكل معهم فأكل
معهم وصار يلقم لقم كبار فقال له حذيفة وقد اشتهى ان يمازحه
يا قيس ما أكبر لقمتك أبعد الله يا ابن العم عنا نقمتك فوالله
لو علمنا انك جائع ما عزمنا عليك فقال الملك قيس والله يا بني عمي لولا
أراكم تأكلون الخبيص ما أكلت وكيف أراه عندكم وأتركه
مع اني نفسي تشتهيه وبعد ذلك أنا ما أتيت الا أزيل عن ابن عمي
قرواش الرهان وأنا أسأل الاقالة فيه فقال حذيفة أنا والله ما أزيل
الرهان ولا أقبل فيه سؤال ولا يزول الا بالنوق والجمال واذا
حضروا أنا المخير ان شئت تركت سبقي وان شئت أخذت حقي
فلما سمع الملك قيس هذا الكلام اغتاظ وصعب عليه وكبر لديه
وكدره القول فازداد الالجاجة وكان حمل أخو حذيفة حاضرا
ومعه جماعه من سادات بني فزاره فصاروا كلهم يتضاحكون

على

185

على قيس ويهزؤا به كلما رأوه فزاد بقيس البلاء والغضب وهانت
عليه المصائب والآفات والنوائب وقال يا أبا حجار على كم كان
الرهان والاتفاق فقال على عشرة من النياق يؤديها المسبوق
وتكون من خالص الجمال والنوق فقال قيس يا حذيفة جميع ما فعله
ابن عمي قرواش لاش في لاش وأريد أنا عوضه ودع الرهن بيني
وبينك على عشرين ناقة وتكون بيني وبينك المسابقة فقال
حذيفة وذمة العرب ما أسابقك الا على ثلاثين فقال قيس على
أربعين فقال حذيفة على خمسين قال قيس على ستين وما زالوا
على زيادة وملاججه ولجاجه الى أن أوصلوا الرهان الى مائة ناقة
واتفقا على سباق الخيل بعد تضميرها أربعين يوما فقال قيس لحذيفة
وتكون المسافة للخيل من مائة غلوة ويكون الرامي أياس بن منصور
فقال حذيفة والسبق الى غد برذات الارصاد فقال قيس وأنا
رضيت بذلك فقال شيخ من مشايخ العشيرة يا للعرب وقع والله
الشر بين القبيلتين من بني عدنان ولا بد ما يضرب بهذين القبيلتين
الامثال ما بقي الزمان والايام والليالي وقال هاني وزنباع أعمام الملك
قيس مثل هذا الحال والمقال وما فيهم الا من خشي من الحرب
والقتال وما زالا يعزلانهم في ترك الرهان ويقولا لحذيفة والله
لا كان جواد قيس الا مثل ناقة حرب البسوس ولا بد ما نصير مثلا
للقيام والجلوس وقالوا ان قيس أبي ليزيل الرهان عن ابن عمه
فلاججته وعمل معك العجب حتى انتهى الامر الى مثل هذا ونحن
نسألك ان تزيل الرهن عن ابن عمك ولا تشغل قلبك ولا تشعل
نار تحرق الكبار منا والصغار فقال حذيفة يا أباس اعطى مائة
ناقة وأنا أزيل الرهان عنك وكثرة الهذيان فقال وقد اغتاظ

من كلامه والله يا عم ما أنت الا رجل كثير اللجاج والبغي ولا سيما وأنت لا تسمع مقال ولا يخطر لك الموت على بال وعلى انك منا وعلينا على كل حال ولا بد لنا أن اشتد معك ان كنت على الحق أو على المحال ثم انه أشار اليه يقول

حذيفة ما فيك من هجنة * ولا في طهارة قيس دنس
لان له سطوة في الامور * تسود بها قومه ان جاس
فمالي لا أرى من سودد * ولا فخر لغيره الا له أمس
فراهن لمن ليس في ملكه * جواد ولا لابيه فرس
ودع عنك قيسا فقيس له * عزم يأخذ بالنفس
ولا سيما داحس في الرهان * فان شاء سار وان شاء جلس
جواد اذا سار تحت الغبار * يطير بلا ريش وصفه كالقبس

(قال الراوي) ولما سمع حذيفة مقاله قال له يا أياس أنا ما أرجع عن رهاني بهذا الكلام ولا بد أن آخذ من ابن زهير النوق والجمال على التمام فقال قيس والله ما أخلي لك من الرهن شيء ولا ناقة ولا عقال ثم انه عاد الى بني عبس وهو من الغيظ في أنكاد وأمر العبيد ان يضمروا الجواد ويجتهدوا في خدمته كل هذا جرى وعنتر غائبا في سفره وما عنده خبر من ذلك الامر وهو في خلاص عمه وولده عمرو وفي ذلك اليوم وصل عنتر من السفر وأخبره العبد بذلك الخبر فاشتغل قلبه ودخل الى الخيام وقد حمل هم الملك قيس وزادت به الآلام واشتد غيظه على بني فزاره وأضمر في نفسه ان يوقع بهم الذل والخساره ولما علم به بنو عبس اشتدت ظهورهم واستبشروا ببلوغ المآرب لانهم خافوا ان يقع الحرب بينهم وعنتر غائب هذا وعنتر قد اشتغل عن كل انسان وما كان له

186

هم الا فرجته على ذلك الحصان فرآه أعجوبة الزمان فعاد الى الملك قيس وسلم عليه بأحسن سلام فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس لا يقر لنا قرار وأنت غائب عن الديار ولولاك تعلمنا قبل مسيرك بأحوالك ما يكون علينا بأس ولا تدعنا الاجل غيابك في وسواس فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أشتهي أن أتعب قلوب ساداتي في قضاء حاجاتي لان أموري مالها حدود ولا يعلم بحالي الا الملك المعبود ثم حدثه بما جرى له وكيف خلصه من همه وغمه واعلمه بأنه قد صفى له قلبه وعرف حقه لما فرج كربه ثم انه قال يا مولاي ان قصتي شرحها يطول وما هذا وقت اطالة ولا يحتمل المقالة لاجل قلبك المشغول لاني سمعت ما جرى لك مع حذيفة بن بدر ونظرت فرسك داحس فرأيته من الخيل الاصال ولا رأيت في القبائل له مثال ولا ملكت مثله الملوك أصحاب المنازل العوال فطيب قلبك ولا تحمل هم السباق فأنت الظافر بالجمال والنياق فقال قيس يا أبا الفوارس ما أنا حامل هم السباق ولكن أنا خائف من شؤم عاقبة بني بدر لان حذيفة طبعه المكر والغدر وهو عظيم الكياد وعنده مثل الربيع بن زياد وهو يزيده ضلال وابعاد وأنا مضيت لهم بنفسي وطلبت منهم الاقالة فما قالوني بل تضاحكوا على وحقروني وهذا دليل على انهم ما يسابقوني الا ليقاتلوني ويحاربوني فقال عنتر يا ملك سابق أنت القوم على الشرط الذي جرى فان أنصفوا والا بعينك ترى وتنظر كيف أبدل ضحكهم ببكاء وأخلي حريمهم يندبن على الرجال صباحا ومساء لان فينا مجازاة لمن أحسن ولمن أسا ولا يكون هذا الكلام الا اذا ظهرت

الخيل وأرادت السباق وأكون أنا قائم أشهد وان جرى أمر اقعد
أنت ولا تكلم احد وأنا أخلى شملهم يتبدد ثم طيب قلب الملك
قيس وعاد الى أبياته والحارث بن ظالم يقول والله ياأبا الفوارس ان
ترك هذا الامر أخير من الجد فيه لان بنى فزارة أقرب الناس
اليه ثم قال وان حاربناهم قطعنا انسابنا بأيدينا فقال عنتر والله
ياحارث ان بنى حذيفة على قيس لاسقينه كأس العطب لان
البغى يقطع الحسب والنسب وفى ذلك الايام وصل صهر الحارث
سنان بن أبى حارثة من عند الملك النعمان وأخبره بنو فزارة ان
الحارث فى بنى عبس وانهم قد أجاروه وأعطوه الزمام وحلفوا
انه لو اجتمع كل من فى الارض ماسلموا منه شعرة واحدة وقالوا هذا
الذى قتل غريمنا خالد بن جعفر وأخذ بثارنا ولابد أن نقاتل
بين يديه كل فارس يذكر وكان فى قلب النعمان من الحارث
نار لاتطفا ولهيب لايخفا وحسرة ومراده أن يعلم من اجاره من العربان
وكان يسمع أن المتجردة أخت الملك قيس هى التى سعت
فى خلاصه ولولا محبته لها كان قتلها وندم أيضا كيف وقع فى يده
وأبقى عليه وأقسم انه ان رآه قتله ومازال على هذا الى النار حتى
وصل اليه رسول الربيع بن زياد وأخبره أنه فى بنى عبس وانهم
قد أجاروه فلما سمع ذلك النعمان اشتد به الغيظ وأراد بذلك تأكيد
القصة وان يرسل الى قيس رسولا ليركب الحجة عليه ووصل
سنان بن أبى حارثة كما ذكرنا وعلم به قيس فأنزله فى خيامه
للضيافة وفى الغد أحضره وسأله عن خبره فقال له ياقيس ان
النعمان ملك العرب قد سمع ان الذى قتل ولده عندكم وقد أجرتوه
وحلفتوا له ان رؤسكم لاتطير الا بين يديه وقد أحسن الظن فيكم

الملك

الملك النعمان وقال أنا ما أصدق هذا الكلام في صهري الملك
قيس لان لي فيه اعتقاد وأرجو منه النصرة على الاعداء والحساد
ولا أقول انه يضيع ما بيني وبينه من القرابة أبدا ومن كثرة
ما تواترت عليه الاخبار أرسلني أكشف أخباركم وابصر أن كان
الرجل عندكم أمرتكم بالقبض عليه وتسليمه الى حتى اوصله
اليه والصواب يا ملك انك تجيب ملك العرب الى ما طلب ولا تقطع
ما بينك وبينه من النسب ولا ترده في خائب فيكون سبب الهلاك
والعطب وربما أخذه اللجاج ويرسل اليكم الفرسان من أرض
العراق الى أرض تهامه فتقع بكم الندامة وترجعوا على أرواحكم
بالملامة ولا تظن يا قيس انك أشفق على الحارث مني لاني أنا
زوج اخته ولي في قلبه المنزلة العلية الذي ليس لها نظير ولكني
ما أقدر اخالف الملك الكبير والرأي عندي انك تقبض عليه وتسلمه
الي وترسل الى أخته المتجردة حتى تسأل فيه الملك النعمان فان
قبل قبل وأنت تكون قد فعلت المجهود فلما سمع الملك قيس كلام
سنان قال له أنا ما أصغى الى هذا الهذيان وقد علمت ان الحارث قتل
قاتل أبي وخاطر بنفسه ولما وقع في يد النعمان خلصته اختي من
الهلاك وأرسلته الينا لعلمها انما لا نسلمه لاحد من العباد وانه لو وصل
الينا ونحن في الديار كان الحديث نقص وزيادة على ذلك انه لتمام
سعادته التقى سبينا مع بني عامر فخلصه بحسامه الباتر وصار فضله
علينا أول وآخر وما بقينا نقدر على مكافاته الا بحفظه ومراعاته
والرجل نازل عندنا وقد أجرناه ولو أتى النعمان بنفسه ما سلمناه
فان أراد يقطع ما بيننا من النسب وان شاء يرضى وان شاء يغضب
فهم في ذلك الكلام وعنتر قد دخل وهو متقلد بالحسام وكان قد علم

بخبر سنان وعلم بالذى أتى فيه ولما وصل الى بين يدى الملك قيس ماسلم ولاخدم بل قال لسنان ياشيخ انت الرسول الذى أتيت قال نعم يامولاى فقال عنتر وحق من شق الاسماع لولا انك رسول لتركتك أول مقتول قم من بين يديك وعد الى قومك وقل للذى أرسلك انى قد اجرت الحارث بن ظالم ولا اسلمه لاعارب ولا لاعاجم وان رجع وأرسل الينا رسول ما يعود الا نادم ثم انه صاح فى سنان فقام وقد ارتعدت مفاصله وخرج وهو يجر اذياله ومن يومه ركب وسار وفى قلبه من كلام عنتر النار وكانت أخبار عنتر قد وصلت الى بنى فزارة وسمع حذيفة انه قد وصل سالم وقد قوى قلب قيس على السباق بعد ما كان نادم فقال لاخيه حمل وحق ذمة العرب ان فى قلبى من هذا العبد الزنيم مصائب قد هدت عمرى ولابد لى فى هذه النوبة ماأشفى غليل صدرى لان لولا هو ما كان قيس الا تحت أمرى فقال حمل والله ياأباجار هذا أمر ما تبلغ به مراد ولا تكمد به حساد مادام انه حضر عنتر بن شداد لانه والله شيطان ما يوجد مثله فى هذا الزمان لانى شاهدت قتاله بالسيف والسنان وأخاف يثير الحرب فتخسر وأخاف انك تزيل الرهان وتدع اناظر العرضيات من هذا العبد المنهان وأنا أسير الى قيس وأحوجه أن يأتى اليك ويزيل الرهان ولا تدر العرب انك سألته بل هو سألك فأجبته فيعظم قدرك ويزداد فخرك ولا تتعرض لمسعود فتموت وأنت مقهور مكمود واعلم ان كل شىء له مبتدا ومنتهى فدع هيبتك على حالها مقيمة ولا تتعرض لامور تكون عواقبها ذميمة ومازال يخدعه بالخطاب حتى انخدع وأجاب وتركه يفكر فى هذه الامور والاسباب وسار حمل الى ان وصل الى الملك قيس وقال له ياقيس

اعلم ان أخى كثير اللجاج والمقال والصواب انك لا تؤاخذه
بقبيح الفعال بل يكون الفضل لك فى السؤال لانكم ان دمتم على
اللجاج خربت الديار والاطلال وضربت من أجلكم الامثال
والصواب انك تمضى اليه وتسأله الاقاله لانه قال ان أتى الى قيس
وسألنى الاقاله وقبلت منه السؤال فلما سمع قيس كلامه استحسنه
لانه كان قريب المرجوع طيب الاصل والفروع فأجابه الى ذلك
وقال له أنت تعلم انى من الاول مارضيت بالرهان وهو الذى حملنى على
ذلك الشان وانى قد أجبت سؤالك ولا أضيع تعبك وفعالك
ثم انه ركب من ساعته وأخذ عمه أسيد فى صحبته وسار هو وحمل الى
بنى فزارة من غير أن يعلم أحدا بحالته ولما توسط حمل فى الطريق
تقدم قدام قيس وجعل ينشد

ياقيس ان مع الرهان لحاجة * فيها الوبال وفعلها مذموم
ياقيس لا تغضب حذيفة انه * نكد اللجاج وانه ميشوم
انى أخاف على أخى من شؤمه * يلقا كما لاقى الفتى كلثوم
جازا أخاه على المقال فانثنى * وهو الشقى وانفه مرغوم
ياقيس فيك وفى حذيفة نخوه * يأتى اليها فعلكم مذموم
فابعد هواه وكن حليما ماجدا * من قبل ان تصبح ظالما مظلوم
ماذا ترى من أمرى فى كفه * حتف عليك وحتفه محتوم
ان الذى يبغى حذيفة منكم را * فى الوقعات انه لهم معلوم

ومازال يذم أخاه ويشكر قيس سرا وجهرا حتى وصلوا الى بنى
فزارة عند المساء ولما وصل ورأى حذيفة وسادات العشيرة كلهم
مجتمعين سلم عليهم فردوا عليه السلام ومذ عينه فرأى سنان بن
أبى حارثة الى جانب حذيفة فأنكر قيس ذلك وقال أرجوا ياسنان

أن تمكون سعيت في اصلاح الحال فقال سنان وأنا ايش لي من
الرأي والشان وحق مكون الاكوان أنا ما أقدر أصلح نفسي
ولا أصلح حالي لانك تعلم انت وسادات العشيرة اني ضامن الحارث
للملك النعمان لانه أخذ ولده شرحبيل من عندي وقتله وتركني
في حزني وما أتيت في رسالته اليكم ألا ظننت انكم تعطوني
الرجل اسلمه اليه واخلص روحي من الضمان بين يديه ولما خاب
ظني وضاع تعبي لا أعود اليه بل نفذ أصحابي يعلموه بالحال وأنا
أقيم عندكم في هذا المكان حتى تنفصلوا على أي وجه كان
وكان قول سنان كله محال وما كان قد عاد الى بني فزارة الاحتى
يلقي الفتن ويعمل على قلع بني عبس من ذلك الدمن لانه لما خرج
من عند الملك قيس بعد ما سمع من عنتر ذلك الكلام قال لاصحابه
الذين كانوا معه يا أولاد أنا ما في رجوعي فائدة تستفاد الا اذا قابلت
عبد شداد وعلى فعاله اقابله وها أنا قد عزمت على انني أعود الى
بني فزارة وادبر القاء الفتن فسيروا أنتم الى الملك النعمان وأخبروه
بذلك الامر والشان وحرضوه على انفاذ العسكر ويكون كالبحر اذا
زخر فلعلها تصل الى ها هنا وتعين حذيفة بن بدر على قتال بني عبس
ثم انهم ساروا بعد ما أعلمهم بما يقولوا للملك النعمان وسار هو الى بني
فزارة فالتقاه الربيع بن زياد واخوته وحذيفة بن بدر وسادات
عشيرته وسألوه عن حاله وقصته فأخبرهم بالحال الذي ذكرناه وقال
يا بني عمي قد هلكني الغيظ من كلام هذا العبد الولد الزنا وأريد
أقيم في أرضكم حتى ابلغ المنى وأسقيه كأس الفنا لانه الآن
ما بقي لاحد عنده قدر ولا قيمة من وقت ما الحقه بالنسب بنو قراد
وبنو جذيمة فقال الربيع بن زياد والله ما صبرني هكذا مشرد عن

الاوطان الا هذا العفريت الشيطان فقال له سنان طب نفسا
وقر عينا فانا أكون لفناء عمره سبب وأحوج الملك النعمان يسير
اليهم بفرسان العجم والعرب فقال حذيفة اذا كان الامر على هذا
فأنا ما اصالح ولا اخلى الجمال والنوق ولا بدّ لى أن أثير الحرب بيننا على
الرهان ولا أبقى من بنى عبس ولا مخلوق ثم انه حدث سنان بما جرى
وأخبر أن أخاه حمل قد سار الى الملك قيس يأتى به لاصلاح الحال
وترك الرهان فقال سنان أنا ما علمت الا ببعض الحديث والصواب
اذا أتى قيس وطلب الاقاله فلا تقله بل ردّه خائبا الى أن تضمر الخيل
وتكون قد وصلت رفاقى الى الملك النعمان وتخبره بما كان من
ذلك الامر والشان ويرسل الينا عساكر العراق وبعد
ذلك تنظر بنى عبس كيف تشتت فى الآفاق سيما ان أتى مع
العساكر الملك الاسود صهرك يشتدّ به ظهرك فلما سمع حذيفة
كلام سنان فرح به وأكرمه وما زالوا فى ذلك الحديث حتى وصل
الملك قيس كما ذكرنا وسلموا وهموا بالنزول فصاح حذيفة فى حمل وقال
له ويلك من أمرك بالمسير خلف هذا الرجل وكيف خطر ببالك أن
تجيبه الى ترك الرهان وحق ذمة العرب لو سألنى هو وكل من
فى الدنيا أن اترك من النوق والجمل عقالا ما تركته فلما سمع قيس
ذلك المقال زاد به الغيظ والخجل وعاد الى ظهر الجواد بعدما كان
قد نزل وعاد يطلب أهله وهو يلوم حمل على فعله وينشد ويقول

قد كرهت السباق من خيفة السبق * واسمع ما أقول انى حكيم
قلت للمرا يا حذيفة دع * مستقيلا للبغى فالبغى شؤم
وحقرتنى لما رأيت الحلم منى * وأدعيت انى جبان عقيم
وأنا والذى له الركن والبيت * جميعا وزمزم والحطيم

لى عزم يقد حادثات الليل * ان لم يكن أمرها محتوم
ورجال تلقا الرماح العوالى * بقلوب قد وافقتها الجسوم
ومن كان ناصحا لكم غدا اليوم غر * فوقه طائر الهلا لك يحوم

وكان قيس قد عنى بهذا البيت الاخير سنان بن أبى حارثة ووصل
هوالى أبياته وعمه فوجد اخوته وأعمامه له فى الانتظار وهم من
أجله على مقالى النار فلما رأوه قالوا له والله ما فعلت الافعل الجهال
وأشغلت قلوب القرابة والاهل لانك سمعت من مقالة حمل بن بدر
والقيت نفسك فى قبضة قوم أظهر والك العداوة والغدر وفى قلوبهم
الكياد وهذا الحديث لو سمعه عنتر بن شداد استقبل بك بين
العباد فقال لهم قيس لا تعتبوا على فانى ما فعلت الافعل من يريد
الصلح بين القرائب ويخشى من العواقب ولولا سنان بن أبى حارثة
كان انصلح الحال والا ما بقى لنا الا القتال ثم حدثهم ان سنان
قد استصار المقام عند القوم ووعدهم بالمعونة والتدبير فتعجبوا من
ذلك وقد عزم الملك قيس على السباق وضمر الخيل اربعين يوما
والعرب تموج فى الحلل وتفاوض بعضها بعضا فى الصحراء وما بقى لهم
حديث الا ذكر داحس والغبراء ولما دنا الاجل وأتى ميعاد سباق
الخيل اجتمعت فرسان القبيلتين على غدير ذات الارصاد
وأحضروا اياس بن منصور على الموضع الذى وقع عليه الشرط
فأعطى ظهره الى المكان المعروف بالغدير الذى تريد الخيل أن
تاتى اليه واستقبل مهب الشمال ورمى بقوسه مائة سهم فانتهى
الى المكان المعروف واجتمع المشايخ كلهم وقوف وكان فرسان
بنى ذبيان وشجعان بنى غطفان قد تسامعوا بالرهان وانتظروا
ذلك الاوان وأتوا للفرجة على سباق الخيل والمشاهدة وكانوا

كلهم فى أرض واحدة وكان الملك قيس قد أوصى عنتر أن يقيم فى الخيام وقت السباق خوفا من أثارة الفتنة ونزول المحنة فأراد المقام فما قدر ولا قر له قرار فركب على جواده الابجر وتقلد بالصارم الابتر وأخذ شيبوب بركابه ولحق الناس فى شدة الحر وكل ذلك خوفا على قيس من غدر بنى فزارة وكانوا قد هموا أن يطلقوا الخيل فرأوه طلع مثل الاسد الكسور والسيف فى يده مشهور وعيناه يتطاير منها الشرر وما زالوا ينتظرون اليه حتى صار فى وسط الجميع ونادى يا سادات العرب من ذبيان وغطفان ويا من قد اجتمع فى هذا المكان أنتم كلكم عرفتم أنى صنيعة الملك زهير أبو الملك قيس وهو الذى ألحقنى بالحسب والنسب ولكنه لم يعش حتى اجازيه على بعض صنعه واترك سائر العرب تتبعه وتطيعه ولكن عانده الزمان وطرقته طوارق الحدثان وخلف هذا الولد لعبس الذى قد ارتضى به سائر أعمامه واخوته ونصبوه ملكا لاجل ما عنده من الامور السديدة والعقل والرأى الصائب وأنا ملك يده ومعزلمن والاه ومذل لمن عاداه وأكره أن أنظره يذل ولا يطالب الاقالة من أحد أبدا ولكن قد ارتضا بهذا السباق واشهد على نفسه سائر الرفاق والامر قد احتكم وما بقا بعد ما جرى الا اطلاق الخيل وسيكون النصر من الذى خلق النهار والليل وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام لان بغى حذيفة وظلم لاسقينه بسيفى كؤوس النقم ولاجعلن بنى فزارة حديثا للامم واقيمن الحرب على ساق وقدم وها أنتم سادات القبائل والاحياء فلا تتبعوا الهواء فعندها ضجت الفرسان من كل جانب وكثر الكلام بين الاصحاب والقرائب فمنهم من يقول صدقت ومنهم من

يشتمه فعند ذلك انتخب حذيفة فارسا من بني ذبيان خبيرا بمدارات
الخيل وفي ركوبها دروب وكان يقال له مالك بن مغلوب وانتخب
قيس لجواده داحس من بني عبس فارسا وكان طول دهره يربي
الخيل ويخوض عليها بالنهار والليل بين الصفوف والمواكب وكان
يقال له سابق بن غالب فلما صار كل واحد منهما على ظهر الفرس
أقبل قيس على صاحبه وعلمه كيف يركب داحس ويكون له
ملامس وأشار اليه يقول

لا ترسلن عنان الحصان كله * وان علاه عرق وبله
أمسكه بساقيك وأحسن سبله * انك ان أتعبته تمله

فلما أبصر قيس حذيفة دنا من صاحبه وأوصاه كيف يركب فرسه
وأنشده مقتبسا للشعر الاول يقول

لا ترسلن لها العنان كلها * وان علاها عرق وبلها
أمسكها بساقيك وأحسن سبلها * انك ان اتعبتها تملها

فلما سمع عنتر شعر حذيفة تبسم وقال ورب الكعبة يا أبا جبار
فاخذت جمال الابكار وسبقك الملك قيس في المعاني لان
كلمات العرب ما قلت حتى تقول ما قال قيس بلا تواني لان قيس
ملك وابن ملك مطاع ولم يزل متبوع في سائر البقاع لان
اتباعك له في الوصية دليل على ان فرسك يتبع فرسه في هذا اليوم
فقال حذيفة هذا اليوم مضى أكثره وما أريد أطلاق الخيل
الا غدا عند ذهاب الليل وكان يريد بهذا المقال ان يدبر بابا من
أبواب المحال الا ان قيس أجابه الى ذلك وساعده على ما هنالك
واتفقوا على أن يطلقوا الخيل عند طلوع الشمس فصاح شيبوب
يا سادات العرب بحق الرب القديم رب زمزم والحطيم اصبروا على

قليل

قليل واسمعوا مقالى بلا تطويل فانعطفت عليه الفرسان ودارت
حوله الشجعان وقالوا له قل ما بدا لك من المقال لعل يكون
فى مقالك انفصال فقال لهم يا بنو عمى هذه عربان مجتمعة وهى من
بنى عبس ومن بنى فزارة والكل فى أرض واحدة وقد جرى لهم
ما جرى من القيل والقال على داحس والغبراء وأنا أراهن الفريقين
وافرج على فعالى الطائفتين لكن بشرط ان سبقت يكون لى مائة
ناقة وان سبقنى هو اعطيته السباق خمسين ناقة فقال له شيخ من
مشايخ بنى فزارة ويلك يا عبد الزنا كيف اذا سبقت تأخذ مائة ناقة
وان سبقك تدفع خمسين ناقة فأخبرنا ما السبب فقال شيبوب نعم
يا ديوس العرب لانى اغدو على قائمتين والخيل على اربع قوائم
وذنب فتضاحكت الفرسان من مقاله وتعجبوا من فعاله وطلبوا
الفرجة على أعماله فرجعوا وعنتر يقول يا ابن الام كيف تسبق
هذين الفرسين وقد اتفقت القبائل على ان ما فى خيل العرب لهم
مثال فقال شيبوب وحق من فجر من الصخر عيون وعلم ما كان
قبل أن يكون أنا أسبق الجوادين ولو طار كل واحد منهم بجناحين
ولى فى ذلك منافع كثيرة لان فرسان العرب اذا سمعت هذا الخبر
ما ترجع اذا انهزمت بعد ذلك تتبع لى أثر فلما سمع عنتر مقاله
سار مع الملك قيس واخوته ولما وصلوا الى الغدير الذى تريد الخيل ان
تتسابق اليه عاد حذيفة الى أبياته واستدعى لعبد من عبيده
فقال له حابس اذهب من ليلتك هذه الى المكان الفلانى فاكمن
فيه الى الصباح واذا طلعت الشمس وبسطت فى الاقطار اجعل
بالك من داحس جواد قيس فاذا رأيته أتى سابق فعارضه والطم
وجهه ورده الى وراه وخلى فرسى الغبراء تتقدم عليه حتى لا يكون

من

على سابق لانى رأيت داحس وأطلعونى الفرسان على أمره وأنا خائف منه أن يسبق فرسى فأصير معيرة عند العرب الغربا فقال حابس يا مولاى وكيف أعرف داحس من الغبراء اذا أقبلا تحت الغبار فقال أنا أوريك ذلك جهارا وقام وجمع له من البرش شيأ من الحصا وقال له استعد من ذلك الحصا عشرين حصاة وضمهم معك فان رأيت الشمس أشرقت أبدا بعددهم وأرمى الى الارض أربعة بأربعة تفعل ذلك خمس مرار فان الغبرا تأتى عند انتهاء العدد لان ميعادها عندى الى ذلك المقدار وان أشرف عليك غبار ومعك من الحصا مقدار ثلثه أو نصفه فاعلم ان داحس هو السابق فأخرج اليه وافعل به ما أمرتك به فأجابه حابس الى ذلك وأخذ الحصا ومضى الى ذلك المكان وبات وقد أمن من الغلبة من كل جانب ولاجل هذا كان حذيفة اخر سباق الخيل لاجل هذا التدبير الذى خطر بباله ولما أضاء النهار طلعت الرجال على الروابى والشعاب وازدحمت المشايخ والشباب وأطلقت الفرسان الخيل عند ذهاب الليل وصاحت عليها فرسانها فخرجا كالبرق اذا برق أو الريح اذا عصف وتقدمت الغبراء وتأخر داحس فصاح الفزارى سبقتك يا أخا عبس فعز نفسك بالتعس والنكس فقال العبسى كذبت يا أبا فزارة وانظر بعد من تقع به الخسارة وصاح فى داحس فمر قدامه مثل الشيطان اذا تعطى فى البطاح فقطع السهل وطار بلا جناح وقد دعس فى الفلا ومن ذلك الوقت غباره قد علا وتخيل لراكبه انه على الفلك الدوار وصار قدام الغبرا كلمح الناظر فنادى العبسى للفزارى هل لك من حاجة الى بنى بدر فتجرع من خلفى مرارة الصبر هذا وشيبوب فى عراض داحس كأنه

192

ريح الشمال وهو يهمز في البرهمزات الغزلان ويهيم كما يهيم السرحان وصار كل من يراه يظنه شيطان وقد هام في تلك البراري والوديان حتى قاربوا الشعب الذي فيه العبد كامن هذا والعبد قد رأى داحس مقبلا عليه كالقمر المنير طالب الى الغدير وكان شيبوب أسبق منه ولما مر الجواد على ذلك العبد لطمه لطمة بالغه بين عينيه وكان قد أخذ في يده جندلة من الارض ولطم بها داحس فدار وارتعد وتصنع وكاد راكبه من فوقه أن يقع وأبصر شيبوب هذه الفعال فعلم انه نكل به غاية النكال وعلم انه من تدبير حذيفة بن بدر ومن شدة حنقه سل خنجره ووثب على العبد وضربه قطع أمعاه ومزق شحم كلاه وهم أن يعود على داحس ويحسن فيه المدارة واذا بالغبرا قد أقبلت مثل الريح وتمطت طالبة الى ابار الفسيح فخاف أن يكون مسبوق وتطلب منه الجمل والنوق فانطلق مثل البرق اذا برق وطلب الغدير فكان اليه أسبق بمقدار رشقة سهم وأتت الغبراء في أثره ووصل داحس وأثر اللطمة في وجهه ودموعه نازلة على خده وكانت القبائل ضجت عند اقبال شيبوب وتعجبوا من خفته وقوة عصبه ولما أقبلت الغبراء بعده ارتفعت من بني فزارة الافراح وأخبر شيبوب اقيس بما جرى من الابر فكادت مرارته أن تنفطر وندم لاجل ذلك عنتر وأشهر حسامه الابتر وأراد أن يظهر في بني فزارة العبر فمنعه المشايخ من ذلك وسألوه الصبر فصبر ولاموا حذيفة على فعاله فأنكر وحلف ان ما عنده من العبد خبر وقال أنا أريد حقي وسبقي فاهذه الحجة الباردة الذي ما لها من برهان ولا لفظ بها انسان فقال قيس وحق الركن والحجر لا كانت هذه اللطمة الامشومة على بني

فزارة ان أعطانى الله النصر والظفر ولابدّ ما أقطع منهم الاثر لان
حذيفة ما طلب السباق الا لاجل هذا الجمال ولالج الا وطلب
الحرب والقتال ثم زاد الكلام بين الفرسان وارتفع الصياح من
كل مكان وسالت السيوف وسفك الدم وانقلبت الدنيا فترجلت
المشايخ والسادات وكشفت الرؤس خوفا على البنين والبنات
ودخلوا بين الامراء والسادات وداروا فى أوساط الجميع وردوا
الناس باللين والخضوع وما امسوا المساحتى اتفقوا على ان شيبوب
يأخذ المائة ناقة من بنى فزارة لاجل تعبه وفرجة الناس عليه
وتحقيق أبصارهم اليه ويخلى حذيفة اللجاج فى طلب الجمال لاجل
لطمة داحس ورده عن المجال وسلم الرجل الذى كان الرهن على
يديه الى شيبوب ما راهن عليه وأراد بذلك اطفاء الشر بين القبائل
والعشائر وعادت كل طائفة الى خيامها ومضاربها وفى قلوبها من
الحقد ما قد ملا صدورها وجوانبها وكان أشد الطائفتين أحقادا
وأعظمها لجاجا وعنادا حذيفة بن بدر لاسيما وقد سمع بقتل عبده
حابس الذى قد لطم داحس وأما قيس فانه رجع وهو من الغيظ قد
انصرع وعنتر يسليه ويقول أيها الملك لا تشغل خاطرك بهذا الامر
فوحق نعمتك لاقتلن كل فزارى تقع عينى عليه لانهم دائما يتطلعوا
على أخبارى وأنا أتجنبهم لاجل قلبك ولاجل ما بيننا من النسب
والآن ما بقيت أظفر بواحد منهم الا وأسقيه كأس العطب ولما أصبح
الصباح نحر من نوقه عشرة وفرقها على صعاليك العشيرة ونحر عشرة
أخرى وعمل بها وليمة لسائر عبيد الحى وجمعهم حول مضربه
واشترى لهم خمرا وأسقاهم المدام وما تركهم يخرجوا من عنده الى
ثلاثة أيام وفى رابع يوم نحر باقى النوق للفرسان والسادات وجمع

سائر الابطال من بنى قراد اخوة الملك قيس ومن يلوذ بهم من الخدم
والاصحاب ومامنهم الا من أتى ومعه مغنيه وزق خمر وانقلبت الدنيا
بالافراح وأشرقت الاقطار بشرب شموس الراح وأجلوها عليهم
فى الاباريق والاقداح وبلغ الخبر الى بنى فزارة فاشتدت عليهم
المصائب وعمل الحسد فى قلوبهم عمل السيوف القواضب وقالوا
نكون نحن السابقون ياأمير حذيفة وأموالنا يأكلها شيبوب هو
والعبيد المنافقون أنفذ طالب القيس بحقك ان شاء وان أبا وما زالوا
على ذلك حتى ألهبوا قلب حذيفة من الحسد وسقوه كاسات من
الغيظ والكمد ومن ساعاته رفع رأسه الى ولده وكان اسمه شدية
ويلقب بابى قرافة وقال له اركب ياولدى وسر الى قيس بن زهير وقل
له ياقيس أبي يقول لك ادفع له سبقه سرا والا أخذه منك جهرا
ويفضحك بين العرب تارة اخرى وكان عنده فى تلك الساعة
شيخ من مشايخ العشيرة يقال له حصيصة فقال له ياأبا حجار ماهذا
البغى والاسراف فى المقال أما تستحى تسمع كلام الجهال وتنفذ الى
ابن عمك تطالبه بالمال وأنا والله ما أرضى لك بهذا الفعل والمقال
لانه نقص فى العقل والكمال ومايوصف الانسان الا بالجود
والاحسان والرأى عندى انك تقصر هذا اللجاج لان مثل
قيس بن زهير يحب أن ينصف ولا يظلم وفرسان بنى عبس اذا سالمتها
كان لك الك أسلم وقد رأيت عبدك لما لطم داحس كيف قابله البغى
سريع وبقى فى البر مخضبا بالنجيع وقد نصحتك وأنت بذلك أخبر
وبعواقب أحوالك ابصر فلما سمع حذيفة هذا المقال لعب العجب
بعطفيه فصاح على الشيخ وقال ياحصيصة هذا الكلام من عنتر
حفظته أو خلط جديد فى رأسك قد هاج ماعهدته والله لوان بنى

عبس بعد الرمال ما جعلتم لى على بال فعندها قام الشيخ من عنده وهو ينشد ويقول

البغى شوم يا أباحجار * فتكاته كطوارق الاسحارى
فاحذر رمضا ربه اذا جربته * وانصف ولاتلبس ثياب العارى
واسأل خبيرا عن ثمود وقومه * لما بغوا وطغوا على الجبارى
يخبرك كيف أتاهمو فى ليلة * أمر من الله العـــزيز البارى
فأبادهم تحت الظلام فأصبحوا * بين الطلول شواخص الابصارى

فلما سمع حذيفة شعره لم يلتفت اليه بل لعب البغى بعطفيه وقال لولده ياويلك امض لما أمرتك فركب وسار الى بنى عبس وطلب ابن زهير فى بيته فما راه بل وجد زوجته المدللة بنت الربيع فقالت له يا أبا قرافة فى أى شىء قد أتيت وما الذى تريد من قيس صاحب البيت فقال اريد منه سبقنا واطالبه بحقنا فقالت له وأى حق لكم ياويلكم يابنى بدر الى كم هذا البغى والغدر أما تخافون عاقبته ارجع يا أبا قرافة على عقبك واشكر الذى خلقك وبعلى بك فانك لو وجدت الملك قيس قائما لما رجعت سالما فرجع الى أبيه وأخبره بالخبر فلما سمع خطابه غاب صوابه وقال له ياويلك رجعت لى بالمذلة وسمعت كلام المدللة فعد الى قيس وقل له يقول لك أبى اقم فى الغدر راواً بى يأخذ سباقه بسيفه غصبا وترى ما يحل بك من الندم اذا نزل بك وبعشيرتك العدم فقال أبو قرفة هذا يكون منى غدا وقيت حوادث الردالان الليل قد أتى وأدركنى المساء وعند السحر قوم من ههنا وأصبح بنى عبس قبل طلوع الشمس واطالب قيس بسبقنا قبل أن يركب وكان قيس قد أتى الى أبياته آخر النهار وهو سكران من شرب كاسات العقار لانه كان فى دعوة أخيه مالك

فأبصرته زوجته المدلالة سكران طافح فحدثته بحديث أبي قرافة
ولا عرفته بمقاله ولا أوصافه بل أمهلته حتى صحى من الخمر وحدثته
بما جرى لها من أبي قرافة من الأمر فعند ذلك حار في أمره وتشتت
فكره فبينما هم كذلك الا وعنتر قد أقبل اليه لأجل السلام
عليه فسأله عن حاله فحدثه بحديثه وحديث بن حذيفة ومقاله
فقال عنتر لعن الله أبا سباله والله لا تزال بهذا اللجاج ومخالفة
نصح النصاح حتى أتركه يغص بالماء القراح وأريه ما يشيب رؤس
الولدان من ضرب الصفاح وطعن الرماح سر بنا أيها الملك الى بني بدر
الموصوفين بالبغي والغدر حتى نلحقهم بأهل المقابر فالى متى يبغون
علينا وأنت صابر ومازال عنتر يحمي الملك قيس بالكلام حتى زاد به
الغيظ والغرام وقال له والله يا أبا الفوارس لو كنت حاضر والى صورته
ناظر وتكلم بهذا الكلام لقطعت رأسه بالحسام فبينما الملك
قيس مع عنتر في ذلك الكلام وأبو قرافة داخل من أول الخيام
ولم يزل الى ان وقف قدام الملك قيس من غير أن يبدي سلام بل قال له
يا قيس يقول لك أبي اوصل اليه حقه وأنت كريم والا أخذه منك
وأنت ذليل كظيم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام اسودت
الدنيا في عينيه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال له يا ويلك
عدمتك أمك وعدمك قولك واهلك يا نسل اللئام لمثلي تخاطب
بهذا الخطاب والكلام ثم انه استل حربة من جانبه وقد لعبت
نخوة العرب في رأسه حتى غيرت سائر حواسه وضربه بها بين
صدره طلعت تلمع من بين كتفيه فأبصره عنتر وهو يريد أن يميل
عن ظهر الجواد فلزمه وربطه على جواده عرضا وتركه يعود على
حاله فعاد وهو يهيم على غير طريق حتى صارت عيناه من الدماء

مثل العقيق فأبصرت الفرسان القتيل فعرفوا حاله حين أبصروه
والدما منه تسيل فنادوا بالويل الطويل وعلى البكاء والعويل ونادوا
قتل والله أبو قرافة وزعزع من الحي اطرافه فخرق حذيفة أثوابه
وعلا بكاه وانتحابه وخرجت زوجته صارخة وحولها جماعة من
الاماء وما فيهم الا من خضبت خدودها بالدما وحمل حذيفة يدور
بنفسه حول البيوت والاطناب وهو ينادي يا آل فزارة الثار الثار
البدار البدار يا بنو عمي بادروني بالسيوف والقنا وفعل سنان
ابن أبي حارثة مثل ذلك الفعال لانه كان كثير السكر والاحتيال
وكشف رأسه وخرق ثيابه وكان له شيبة طويلة ففرشها على
صدره وصار يحرض الابطال ويكثر من البكا والاعوال فتنافرت
الرجال وتبادرت الابطال وأشهر السلاح وداروا حول حذيفة
بالسيوف والرماح الا انهم ما صاروا خارج الخيام حتى ذهب
الظلام وقارب وقت الصباح فساروا جميعهم ولم يبق في الخيام
سوى العيال والمشايخ من الرجال والربيع ابن زياد واخوته ومن
يتعلق به من عشيرته فانه قال أنا ما بالغ مع قومي بالعداوة ولا
أكون معهم ولا عليهم وكان أيضا قد اغتاظ لاجل سنان بن
أبي حارثة لانه من حين أتى الى بني فزارة وحذيفة مائل اليه
ويشاوره في اموره ولا بقي يرفع له راس فهانت نفسه عليه وصار
يفكر باي وجه يصالح قيس بن زهير ويعود الى بني عبس
ويعيش عزيز ولا يقيم في غير وطنه ذليل وكان قيس قد ركب هو
وسائر اخوته وأمر العبيد أن ينادوا في جوانب الحلة وقد استصوب
عنتر رأيه وركب معه بجميع أبطاله ورجاله وغاصت الفرسان
في الحديد والزرد النضيد وكان حالهم مثل حال بني فزارة في نفورهم

في أمر القتال ولم يتخلف في الخيام الا الحريم والعيال وكان الحارث
ابن ظالم من جملة المتخلفين لانه قال أنا ما أقاتل لبني عمي وصهري
سنان وكانت نوبة عظيمة مذ كورة بين عبس و بني فزارة وصارت
كل طائفة تطالب الاخرى وكان الملتقى عند طلوع الشمس الا ان
الصباح ما علا حتى انقلبت أقطار الفلا وارتج بريق السيوف ولمعان
اسنة القنا وعول عنتر بن شداد أن يثير الدما و يبذل السيف في بني
فزارة وأما حذيفة فانه قد برز وهو لابس السواد مهلوباذنب الجواد
ولما صار بين الصفين نادى لقيس وطلب منه البراز وقال له ويلك
يا ابن زهير ما هو مليح قتل الاطفال بالمحال بل تبرز اليوم الى المجال
حتى يبان عند اختلاف القنا من يصلح للملك أنت والا أنا فلما سمع
الملك قيس هذا الكلام صعب عليه وعول على البراز والقتال
وخرج من تحت اعلامه فرده عنتر بن شداد فأقسم بتربة أبيه انه
لا يرجع وحمل قيس على حذيفة فجالا على ظهور الخيل الجياد
وكان الملك قيس على جواده داحس وحذيفة على حجرته الغبرا
فجرى بينهما ما يؤرخ ولما نظرت كل طائفة صاحبها عولت
أن تحمل معه وتعينه فعندها علت الاصوات وارتفعت الصيحات
وتزعزعت الجنبات واشهرت البيض المرهفات وقال عنتر بن
شداد لعروة بن الورد ولاعمامه احملوا بنا على ميمنة بني فزارة قبل
أن تميل على قيس وتمين حذيفة بن بدر على البغي والغدر وفي تلك
الساعة أقبلت سادات القبيلتين ومشايخ الطائفتين ومن كان قد
تخلف وهم مكشوفين الرؤس حفاة الاقدام وعلى أكتافهم الاوثان
والاصنام فدخلوا بها ما بين المواكب والكتائب وخوفوا الفرسان
من عواقب النوائب وهم يقولون يا بني الاعمام بحق هذه الاصنام

لا تدعونا شماتة للاعداء والحساد واتركوا عنكم اللجاج والعناد ولا تيتموا البنات والاولاد وكفانا ما للعرب علينا من الدما ومالنا فى أقطار الارض من الاعداء فاعينوا البنى عمكم وا سألوا كم أهلك البغى قبلكم من الامم فراقبوا من حكم عليكم بالممات وانتظروا الحمام فانه عن قريب آت تسكنوا فى الحفر والظلمات ولا يبقى غير الذكر الجميل اذا أصبحت الامم باليات ومازالت مشايخ العشيرة على مثل ذلك حتى خمدت النيران الموقدات وانكسرت أصحاب العزمات ورجع حذيفة عن القتال وانفصل بينهم الحال على ان قيس يودى فداء أبى قرافة من جزيل المال وقطعة من النوق والجمال ومارجعوا المشايخ من وسط المجال حتى عانق قيس لحذيفة ابن بدر وأجاب الى هذا الحال لانه كان قريب المرجوع بين الاقيال ولما أجاب وأنعم حرد عنتر بن شداد ودمدم وقال ياويلك أى شىء هذا الفعل الوبيل ولماذا تأخذ بنو بدر منادية قتيل وسيف عزمنا صقيل وأسير حربنا لا يفادى الا بالنصول وقتيلنا أبدا دمه مطول فقال حذيفة اسكت يا ابن الاماء ويا ولد الزنا فوحق الكعبة الغراء ولا حضور الآلهة والاصنام وحياة هؤلاء الشيوخ الكرام لابد لى أن أفنى عددكم فى هذه الايام وأترك نساءكم أرامل وأولادكم أيتام كيف أنفذ ولدى يطلب حتى فتقتلوه وتربطوه على الجواد وترسلوه وتقول أنت لقيس لا تحمل له دية ولا فدية يا ابن الاوغاد فقال عنتر وقد زاد به الغيظ من ذلك الكلام والله يا حذيفة ان يدك أقصر من أن تقتل كلبا من كلاب الحى بين الخيام ولولا المشايخ والرجال كنت بينت لك العبيد من أولاد الحلال فعندها قال حذيفة للمشايخ وذمة العرب

ما أترك

ما أترك حتى ولو نهبتني الاعداء بالصفاح وأطراف الرماح فقال
أخوه حمل يا ابن الام لا تركب طريق اللجاج وتجهل وصالح بني عمنا
فانهم حمرة العرب الحمية وشموشهم المضية ونحن ظلمناهم بالامس
لاجل لطم جوادهم داحس وما قتل ولدك الا لكون انك أنفذته
يطالب القوم بما لا تستحقه والسلم خير من الحرب فأقبل الفداء
وأرضا والا أوقدت علينا نار الحرب ثم أنشد يقول

وحق من أرسى الجبال بلا أسى * اذا أنت لم تقبل فداء بني عبس
أتتك خيول فى الحروب صوارم * على ظهرها أسد غطارفة شرس
اغرك اذ قالوا حذيفة سيد * فكن سيدا نفدوك بالمال والنفس
وخلي جواد البغي لا تركبنه * فيلقيك في بحر من التعس والنكس
نهيتك عن قيس وقيس نهيته * ولكن مع المقدور لا ينفع الترس
حذيفة ترك الحرب عنك مروة * ولا سيما حرب الفوارس من عبس
فان كان قيسا غادرا في فعاله * فأنت الذى علمته الغدر بالامس
فدعهم لنا حصنا اذا جالت العدا * علينا صباحا بالمسومة العبس

ولما فرغ من شعره شكرته العرب على نظمه ونثره وألزموا حذيفة
بأخذ الفداء وردوه عن الظلم والاعتداء وعادت الابطال الى
الاحياء وحمل قيس الى بني بدر مائتي ناقة وعشرة من الخيل وعشرة
من العبيد وعشر أموات وانصلح الحال وقرت الناس فى الاطلال
ولما كان من الغد ركب عنتر بن شداد والحارث بن ظالم وطلبوا
البر للصيد والقنص وكان معهم مالك بن الملك زهير فأوسعوا فى البر
وطردوا الوحش حتى حمي عليهم الحر وعادوا الى وادى يقال له
الضباب وكان فيهم قوما ضعفاء من بني غراب فورد هؤلاء على
ركاياهم فوجدوا على ذلك الماء شيخا قد أحناه الكبر وغيرت

حالاته العبر ومعه ابنته وهى مثل الحشفة العطشانة وعيونها
أحسن من عيون المها وكان جفونها سهام فرشقت بها مالك بن
زهير من حسنها وجمالها فلما نظرها تعلقت بها أحشاه فأقبل على أبيها
وسلم عليه فرد عليه السلام فقال مالك يا شيخ هذه الجويرية
ما تكون منك فقال له يا مولاى ابنتى لم يبق لى الزمان غيرها وهى
تعيننى على المرعى فقال مالك يا شيخ أما خطبها أحد منك فقال له
يا مولاى ان الانسان اذا كان صعلوك ما أحد يلتفت اليه فلما رآه
مالك قد اشتكى وكلا قد مه علا فقال له يا شيخ أترضانى أن أكون
لابنتك بعلا وتكون لى ابنتك زوجة وأهلا حتى احكمك
فيما أملكه من الملك والغنا وازيل عنك ثياب الفقر
والعنا فقال الشيخ وقد تبسم يا مولاى من أين لى
بذلك وأنا رجل فقير وأنت ملك وابن ملك
كبير فقال مالك يا شيخ لا تقل هذا المقال
ولا تظن ان المال يزيد الانسان
كمال بل الحسب والنسب
عند سادات العرب
أخير من المال
والمكسب

تم الجزء الثامن من قصة فارس الطراد مشيد بيت عزبنى عبس
عنتر بن شداد فى غرة شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثمانين
ومائتين بعد الالف











